الأدب

Marfat.com

Marfat.com

احمد محمد ابراهيم
العفي عبد

التذكرة

في أحوال الموتى وأمور الآخرة

الإمام الحافظ القرطبي

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ

(تنبيه) هذا الكتاب هو الأصل الذى طبع اختصاره
منسوبا للعارف الشعرانى وان كان فى الواقع ليس للشعرانى

المكتبة السلفية
المدينة المنورة

Marfat.com

وهذه أخيرة النسخة الخطية مكتوب بها وعليه كل كتاب التذكرة
والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً
كثيراً دائماً أبداً . تم

Marfat.com

هذه أخيرة النسخة الثانية الخطية التي كتبت بتاريخ يوم الأحد رابع شهر جمادى الأول سنة ١٣٣١ هـ بقلم الفقير محمد بن طابع البوسي غفر الله له ولوالديه .

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلى الاعلى الولى المولى الذى خلق فأحيى وحكم على خلقه بالموت والفناء والبعث إلى دار الجزاء والفصل والقضاء لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال فى كتابه جل وعلا (إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) وبعد فانى رأيت أن أكتب كتابا وجيزا يكون تذكرة لنفسى وعملا صالحا بعد موتى فى ذكر الموت وأحوال الموتى وذكر الحشر والنشر والجنة والنار والفتن والاشراط نقلته من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة حسب ماورويته أو رأيته وسترى ذلك منسوبا مبينا إن شاء الله تعالى وسميته (كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وبوبته باباً باباً وجعلت عقب كل باب فصلا أو فصولا نذكر فيه ما يحتاج اليه من بيان غريب أو فقه فى حديث أو إيضاح مشكل لتكمل فائدته وتعظم منفعته إذ التفقه فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعنى المقصود والرأى المحمود والعمل الموجود فى المقام المحمود واليوم المشهود جعله الله خالصا لوجهه ومقربا من رحمته بمنه وكرمه لا رب سواه ولا معبود إلا هو سبحانه .

Marfat.com

باب النهى عن تمنى الموت والدعاء به

لضر ينزل به فى المـال والجسد

مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحينى ماكانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى أخرجه البخارى أيضاً ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً .

(وقال) البخارى : لايتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب (البزار) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة. (فصل) قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار وهو من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة ، فى قوله تعالى: (فأصابتكم مصيبة الموت) فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكر فيه وترك العمل له وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر، وفى خبر مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً .

ويروى أن أعرابياً كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً فنزل الأعرابى عنه وجعل يطوف به ويتفكر فيه ويقول : مالك لاتقوم مالك لاتنبعث ؟ هذه أعضاؤك كاملة وجوارحك سالمة ، ما شأنك ما الذى كان يحملك ، ما الذى كان يبعثك ، ما الذى صرعك ، ما الذى عن الحركة منعك ، ثم تركه وانصرف متفكرا فى شأنه ، متعجباً من أمره ، وأنشدوا فى بعض الشجعان مات حتف أنفه :

Marfat.com

جاءته من قبل المنون إشارة فهوى صريعاً لليدين وللفم
ودمى بمحكم درعه وبرمحه وامتد ملقى كالفتيق الأعظم
لايستجيب لصارخ إن يدعه أبداً ولا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر مراره لما رأى حبل المنية يرتمى
ياويحه من فارس ما باله ذهبت مروته ولما يكلم
هذى يداه وهذه أعضاؤه ما منه من عضو غدا بمثلم
هيهات ما حبل الردى محتاجة للمشرفى ولا اللسان اللهذم
هى ويحكم أمر الإله وحكمه والله يقضى بالقضاء المحكم
يا حسرتا لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه وكأننا فى حالنا لم نعلم

وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول حدثنا قتيبة بن سعيد والخطيب بن سالم عن عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : مات ابن لآدم عليه السلام فقال يا حواء قد مات ابنك . فقالت : وما الموت ؟ قال : لايأكل ولا يشرب ، ولا يقوم ولا يقعد ، فرنت فقال آدم عليك الرنة وعلى بناتك أنا وبنى منها برآء .

(فصل) قوله فلعله أن يستعتب الاستعتاب طلب العتبى وهو الرضى وذلك لايحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب . قال الجوهرى : استعتب طلب أن يعتب . تقول استعتبته فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى . وفى التنزيل فى حق الكافرين (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)

وروى عن سهل بن عبدالله التسترى أنه قال : لايتمنى الموت إلا ثلاثة ؛ رجل جاهل بما بعد الموت ، اورجل يفر من أقدار الله تعالى عليه أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل .

وروى أن ملك الموت عليه السلام جاء إلى إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن عز وجل ليقبض روحه . فقال إبراهيم : يامك الموت هل رأيت خليلا يقبض روح خليله ؟ فعرج ملك الموت عليه السلام إلى ربه فقال قل له : هل رأيت خليلا

Marfat.com

يكره لقاء خليله . فرجع فقال اقبض روحى الساعة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه مامن مؤمن إلا والموت خير له فمن لم يصدقنى فإن الله تعالى يقول : (وماعند الله خير للأبرار) وقال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم) وقال حيان بن الأسود الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب .

باب جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين

قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه السلام : (توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) وعن مريم عليها السلام فى قولها (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه).

(فصل) لاتعارض بين هذه الترجمة والتى قبلها لما نبينه . أما يوسف عليه السلام : فقال قتادة : لم يتمن الموت أحد، نبى ولاغيره إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال (رب قد آتيتنى من الملك) الآيات فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل، وقيل إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت وإنما تمنى الموافاة على الإسلام . أى إذا جاء أجلى توفنى مسلما . وهذا القول هو المختار فى تأويل الآية عند أهل التأويل والله أعلم .

وأما مريم عليها السلام فتمنت الموت لوجهين : أحدهما أنها خافت أن يظن بها السوء فى دينها وتعير فيفتنها ذلك . الثانى أن يقع قوم بسببها فى البهتان والنسبة إلى الزنا وذلك مهلك لهم والله أعلم .

بهتان كاوبال

وقد قال الله تعالى فى حق من افترى على عائشة رضى الله عنها (والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) وقال : (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وقد اختلف فى مريم عليها السلام . هل هى صديقة لقوله تعالى (وأمه صديقة) أو نبية لقوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) وقوله (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك) الآية . وعليه فيكون الافتراء عليها أعظم والبهتان فى حقها أشد .. وفيه يكون الهلاك حقا . فعلى هذا الحد الذى ذكرناه من التأويلين يكون تمنى الموت فى حقها جائزاً والله أعلم .

Marfat.com

وأما الحديث فإنما هو أخبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال فى الدين وضعفه وخوف ذهابه كالضر ينزل بالمرء فى جسمه أو غير ذلك من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه .ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه السلام اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بالناس ويروى أدرت فى الناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون روا ه مالك ومثل هذا قول عمر رضى الله عنه اللهم قد ضعفت قوتى وكبرت سنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله رواه مالك أيضا وذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد والاستذكار من حديث زاذان أبى عمر عن عليم الكندى قال كنت جالسا مع أبى عبس الغفارى على سطح فرأى قوما يتحملون من الطاعون فقال يا طاعون خذنى اليك ثلاثا يقولها فقال له عليم لم تقول هذا ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب، فقال أبو عبس أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بادروا بالموت ستا إمرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشأ يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقها وسيأتى لهذا مزيد بيان فى الفتن إن شاء الله تعالى

باب ذكر الموت وفضله والاستعداد له

النسائى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات يعنى الموت أخرجه ابن ماجه والترمذى أيضا وخرجه أبو نعيم الحافظ باسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات قلنا يارسول الله وما هاذم اللذات قال الموت ، ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الأكياس أخرجه مالك أيضا وسيأتى فى الفتن إن شاء الله تعالى :

Marfat.com

وعطائك إلى غرر ، وغطوك من بعد لين لحافها بتراب ومدر ، فياجا مع المال ، والمجتهد فى البنيان ليس لك من مالك والله إلا الأكفان بل هى للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمثاب . فأين الذى جمعته من المال ؟ فهل أنقذك من الأهوال ؟ كلا بل تركته لمن لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لايعذرك . ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أن النصيب الكفن فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهى الجنة فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه فى الآخرة لا فى الطين والماء والتجبر والبغى ، فكأنهم قالوا لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذى هو الكفن ، ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله ردائن تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر

هى القناعة لا تبغى بها بدلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

وقوله عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه دان حاسب وقيل ذل قال أبو عبيد دان نفسه أى أذلها واستعبدها يقال دنته أدينه إذا ذللته فيذل نفسه فى عبادة الله سبحانه وتعالى عملا يعده لما بعد الموت ولقاء الله تعالى وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح عمله والتنصل من سالف زلله وذكر الله تعالى وطاعته فى جميع أحواله فهذا هو الزاد ليوم المعاد والعاجز ضد الكيس والكيس العاقل والعاجز المقصر فى الأمور فهو مع تقصيره فى طاعة ربه واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يغفر له وهذا هو الاغترار فان الله تعالى أمره ونهاه، وقال الحسن ان قوما ألهتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة ويقول أحدهم انى أحسن الظن بربى وكذب لو أحسن الظن لاحسن العمل وتلا قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردا كم فأصبحتم من الخاسرين) وقال سعيد بن جبير الغرة بالله أن يتمادى الرجل بالمعصية ويتمنى على الله المغفرة وقال بقية بن الوليد كتب أبو عمير الصورى إلى بعض إخوانه أما بعد فإنك قد

أصبحت تؤمل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الأمانى بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا والسلام وسيأتى لهذا مزيد بيان فى باب ماجاء أن القبر أول منازل الآخرة إن شاء الله تعالى

باب مايذكر الموت والآخرة ويزهد فى الدنيا

زيارة قبور

مسلم عن أبى هريرة قال زار النبى ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت ، ابن ماجه عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة

عورتون كيلئے زيارت قبور كا حكم

(فصل) زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء مختلف فيه للنساء أما الشباب فحرام عليهن الخروج وأما القواعد فمباح لهن ذلك وجائز لجميعهن ذلك إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف فى هذا إن شاء الله تعالى وعلى هذا المعنى يكون قوله عليه الصلاة والسلام زوروا القبور عاما وأما موضع أو وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل ، فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورات غير ماجورات وهذا واضح والله أعلم وقد رأى بعض أهل العلم أن لعن النبى ﷺ زوارات القبور كان قبل أن يرخص فى زيارة القبور فلما رخص دخل فى رخصته الرجال والنساء وما ذكرناه لك أولا أصح والله أعلم .

اہل قبور سے خطاب

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه خرج إلى المقبرة فلما أشرف عليها قال يا أهل القبور أخبرونا عنكم أو نخبركم أما خبر من قبلنا فالمال قد اقتسم والنساء قد تزوجن والمساكن قد سكنها قوم غيركم ثم قال أما والله لو استطاعوا لقالوا لم نر زادا خيراً من التقوى ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول ؛

Marfat.com

يا عجبا للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها فانما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل النقى غدا إذا ضمهم المحشر
ليعلن الناس أن النقى والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان فى فخره وهو غداً فى قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره فى كل ما يقضى وما يقدر

(فصل) قال العلماء رحمة الله عليهم ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور (أحدها) الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها :

(الثانى) ذكر الموت فيكثر من ذكرها ذم اللذات ومفرق الجماعات ومبيتم البنين والبنات كما تقدم فى الباب قبل ، يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة فى قلبها فقالت لها أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة قال : العلماء تذكر الموت يردع عن المعاصى ويلين القلب القاسى ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

(الثالث) مشاهدة المحتضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم ،والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد والنعب .

(يروى) أن الحسن البصرى دخل على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له : الطعام يرحمك الله فقال : يا اهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه ؛ فهذه ثلاثة أمور ينبغى لمن

Marfat.com

قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه فإن انتفع بها فذاك وإن عظم عليه ران القلب واستحكمت فيه دواعى الذنب، فزيارة قبور الموتى تبلغ فى دفع ذلك مالا يبلغه الأول . والثانى . والثالث . ولذلك قال عليه السلام : زوروا القبور فإنها تذكر الموت والآخرة وتزهد فى الدنيا ، فالأول سماع بالأذن ، والثانى إخبار للقلب بما إليه المصير وقائم له مقام التخويف والتحذير وفى مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ، فلذلك كانا أبلغ من الأول والثانى ، قال صلى الله عليه وسلم : ليس الخبر كالمعاينة ، رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره إلا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير ممكن فى كل الأوقات وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه فى ساعة من الساعات ، وأما زيارة القبور فوجودها أسرع والانتفاع بها اليق واجدر فينبغى لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه فى اتيانها ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث فقط فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه أو نفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى ويجتنب المشى على المقابر والجلوس عليها إذا دخل المقابر ويخلع نعليه كما جاء فى أحاديث ويسلم إذا دخل المقابر ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، كذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول ، وكنى بالدار عن عمارها وسكانها ولذلك خاطبهم بالكاف والميم لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله وإذا وصل إلى قبر ميته الذى يعرفه سلم عليه أيضاً فيقول : عليك السلام .

آداب زيارة القبور

(روى) الترمذى فى جامعه أن رجلا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليك السلام ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقل عليك السلام . فإن عليك السلام تحية الميت ، وليأته من تلقاء وجهه فى زيارته كمخاطبته حيا ولو خاطبه حيا لكان الأدب استقباله بوجهه فكذلك ههنا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ونافس الأصحاب والعشائر وجمع الأموال والذخائر فجاءه الموت فى وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه

Marfat.com

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم وعفا التراب محاسن وجوههم وافترقت فى القبور أجزاؤهم وتزمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم أولادهم واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم وليتذكر ترددهم فى المآرب وحرصهم على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الأسباب وركونهم إلى الصحة والشباب وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردد افى أغراضه وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله ، وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه وليتحقق أن حاله كحاله ومآله كمآله وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الاغيار الدنيوية ويقبل على الأعمال الأخروية فيزهد فى دنياه ويقبل على طاعة مولاه ويلين قلبه وتخشع جوارحه والله اعلم .

حضورِ اقدس کے والدین زندہ کئے گئے اور ایمان لائے

(فصل) جاء هذا فى الباب حديث يعارض حديث هذا الباب وهو ما خرجه أبو بكر الخطيب فى كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر بن شاهين فى الناسخ والمنسوخ له فى الحديث بإسناديهما عن عائشة رضى الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم إنه طفر أى وثب فنزل فقال ياحميراء استمسكى فاستندت إلى جنب البعير فمكث عنى طويلا مليا ثم إنه عاد إلى وهو فرح متبسم فقلت له بأبى أنت وأمى يا رسول الله نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ثم إنك عدت إلى وأنت فرح متبسم فعما ذا يارسول الله ؟ فقال مررت بقبر أمى آمنـــة فسألت الله ربى أن يحييها فأحياها فآمنت بى أو قال فآمنت وردها الله عز وجل لفظ الخطيب . وقد ذكر السهيلى فى الروض الأنف بإسناد فيه مجهولون ان الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ولا تعارض والحمد لله لأن إحياءهما متأخر عن النهى بالاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضى الله عنها أن ذلك كان فى حجة الوداع

وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار ، ويبينه حديث مسلم عن أنس أن رجلا قال يارسول الله : أين أبي ؟ قال : فى النار ، فلما قفا دعاه قال : إن أبي وأباك فى النار، وحديث سلمة بن يزيد الجعفى وفيه: فلما رأى مادخل علينا قال : وأمى مع أمكما ، هذا إن صح إحياؤهما وقد سمعت أن الله تعالى أحيا له عمه أبا طالب وآمن به والله أعلم .

وقد قيل إن الحديث فى إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والاجماع قال الله العظيم (ولا الذين يموتون وهم كفار)(١). وقال عز من قائل: (فيمت وهو كافر) فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع فكيف بعد الإعادة وفى التفسير أنه عليه السلام قال : ليت شعرى ما فعل أبواى فنزل (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ذكره الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية وفيه نظر وذلك أن فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله تعالى وأكرمه به وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا .

فقد ورد فى الكتاب إحياء قتيل بنى إسرائيل وإخباره بقاتله ، وكان عيسى عليه السلام يحي الموتى ، وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ، وإذا ثبت هذا فما يمنع إيمانهما بعد إحيائهما زيادة فى كرامته وفضيلته مع ماورد من الخبر فى ذلك ويكون ذلك خصوصاً فيمن مات كافراً ،وقوله فمن مات كافراً إلى آخر كلامه مردود بما روى فى الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه عليه السلام بعد مغيبها ، ذكره أبو جعفر الطحاوى وقال : إنه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه ،فكذلك يكون إحياء أبوى النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لإيمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد قبل الله إيمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب فيما ذكر

---

(١) لكن الأبوين لم يكونا كافرين ، لأنهما من أهل الفترة .

فى بعض الأقوال وهو ظاهر القرآن . وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما وكونهما فى العذاب والله بغيبه أعلم وأحكم .

باب المؤمن يموت بعرق الجبين

ابن ماجه عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن يموت بعرق الجبين خرجه الترمذى وقال فيه : حديث حسن .

وروى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارقبوا للميت عند موته ثلاثا إن رشح جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهى رحمة من الله قد نزلت به وإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله تعالى قد حل به خرجه أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول له . وقال : قال عبد الله إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه فيحارف بها عند الموت أى يجازى فيعرق لذلك جبينه . وقال بعض العلماء إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفته لأن ما سفل منه قد مات وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا والحياء فى العينين فلذلك وقت الحياء ، والكافر فى عمى عن هذا كله والموحد المعذب فى شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به وإنما العرق الذى يظهر لمن حانت به الرحمة فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه مع البشرى والتحف والكرامات .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقد تظهر العلامات الثلاث وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان ، وقد شاهدنا عرق الجبين وحده وذلك بحسب تفاوت الناس فى الأعمال ، والله أعلم .

وفى حديث ابن مسعود : موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت أى يشدد لتمحص عنه ذنوبه .

Marfat.com

باب منه فى خروج نفس المؤمن والكافر

خرج أبو نعيم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن نفس المؤمن تخرج رشحا ، وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها .

باب ماجاء أن للموت سكرات

وفى تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يصير الإنسان إليه

وصف الله عز وجل الموت فى أربع آيات

(الأولى) قوله الحق (وجاءت سكرة الموت بالحق) (الثانية) قوله (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت) (الثالثة) قوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم) (الرابعة) (كلا إذا بلغت التراقى) البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت سكرات . ثم نصب يديه فجعل يقول : فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده .

وخرج الترمذى عنها قالت : ما أغبط أحدا بهون موت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى البخارى عنها قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبى صلى الله عليه وسلم الحاقنة المطمئن بين الترقوة والحلق ، والذاقنة نقرة الذقن . وقال الخطابى : الذاقنة ماتناله الذقن من الصدر .

Marfat.com

وذكر أبو بكر ابن أبى شيبة فى مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب) ثم أنشأ يحدثنا قال : خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال : ففعلوا . فبينما هم كذلك إذ طلع رجل رأسه أبيض أسود اللون خلاسي ، بين عينيه أثر السجود فقال ياهؤلاء ما أردتم إلى ؟ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن . فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة .

وذكر المحاسبى فى الرعاية : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام ياخليلى كيف وجدت الموت قال كسفود محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب قال أما إنا قد هونا عليك ياإبراهيم .

وروى أن موسى عليه السلام لما صار روحه إلى الله قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسى كالعصفور الحى حين يقلى على المقلى لايموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروى عنه أنه قال : وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب وهى حية . وقال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة يعنى سكرات الموت .

وروى أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض

وذكر أبو نعيم الحافظ فى كتاب الحلية من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي ﷺ أنه قال : والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى .

وفى الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت . وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه السلام إذا تولى

Marfat.com

قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول : وعزتك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم ما قبضت نفس مؤمن ذكره الماضى أبوبكر ابن العربى، وعن شهر بن حوشب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال : إن أهون الموت بمنزلة حسكة كانت فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف قال شهر : ولما حضر عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه يا أبتاه ! إنك لتقول ياليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت حتى يصف لى مايجد وأنت ذلك الرجل فصف لى فقال يابنى والله كأن جنبى فى تخت وكأنى أتنفس من سم إبرة وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى فى تلال الجبال أرعى الوعولا

وعن ابى ميسرة بن رفعه قال : لو أن ألم شعرة من الميت وضع على أهل السماء والأرض لماتوا جميعا وأنشدوا :

أذكر الموت ولا أرهبه إن قلبى لغليظ كالحجر
أطلب الدنيا كأنى خالد ووراثى الموت يقفو بالأثر
وكفى بالموت فاعلم واعظا لمن الموت عليه قد قدر
والمنايا حوله ترصده ليس ينجى المرء منهن المفر

وقال آخر :

بينا المنى مرح الخطا قرح بما يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى
إذ قيل بات بليلة ما نامها إذ قيل أصبح مثخنا ما يرتجى
إذ قيل أصبح شاخصاً وموجها ومعللا إذ قيل أصبح قد قضى

(فصل) أيها الناس قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه وحان للنافل أن يتنبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه وقبل سكون حركاته وخمود أنفاسه ورحلته إلى قبره ومقامه بين أرماسه .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم فكان فيما أوصاهم به أن كتب إليهم . أما بعد : فإنى أوصيكم بتقوى الله العظيم والمراقبة له واتخذوا التقوى والورع زاداً فإنكم فى دار عما قريب تنقلب بأهلها والله فى عرصات

حفر شعر بن عبد العزيز
مكتوب

Marfat.com

القيامة وأهوالها يسألكم عن الفتيل والنقير فالله الله عباد الله اذكروا الموت الذى لابد منه واسمعوا قول الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقوله عز وجل (كل من عليها فان) وقوله : (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) فقد بلغنى والله أعلم انهم يضربون بسياط من نار . وقال جل ذكره : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) وقد بلغنى والله أعلم أن ملك الموت ينظر فى وجه كل آدمى ثلثمائة نظرة وستة وستين نظرة . وبلغنى أن ملك الموت ينظر فى كل بيت تحت ظل السماء ستمائة مرة . وبلغنى أن ملك الموت رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وأن الدنيا كلها فى يد ملك الموت كالقصعة بين يدى أحدكم يأكل منها . وبلغنى أن ملك الموت يكون قائما وسط الدنيا فينظر الدنيا كلها برها وبحرها وجبالها وهى بين يديه كالبيضة بين رجلى أحدكم وبلغنى أن لملك الموت أعوانا الله أعلم بهم ليس منهم ملك إلا لو أذن له أن يلتقم السموات والأرض فى لقمة واحدة لفعل . وبلغنى أن ملك الموت تفزع منه الملائكة أشد من فزع أحدكم من السبع . وبلغنى أن حملة العرش إذا قرب ملك الموت من أحدهم ذاب حتى يصير مثل الصعرة من الفزع منه . وبلغنى أن ملك الموت ينتزع روح ابن آدم من تحت عضوه وظفره وعروقه وشعره ولا تصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا كان أشد عليه من ألف ضربة بالسيف . وبلغنى أنه لو وضع وجع شعرة من الميت على السموات والأرض لأذابها حتى إذا بلغت الحلقوم ولى القبض ملك الموت . وبلغنى أن ملك الموت إذا قبض روح المؤمن جعلها فى حريرة بيضاء ومسك أذفر وإذا قبض روح الكافر جعلها فى خرقة سوداء فى فخار من نار أشد نتنا من الجيف .

وفى الخبر أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى(١) والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورءوس الأصابع والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل ذكره الشيخ أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة فثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات ونزل بك الانين والغمرات فمن قائل يقول إنه

(١) وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى .

Marfat.com

فلانا قد أوصى وماله قد أحصى ومن قائل يقول إن فلانا ثقل لسانه فلا يعرف جيرانه ولا يكلم إخوانه فكأنى أنظر اليك تسمع الخطاب ولا تقدر على رد الجواب ثم تبكى ابنتك وهى كالأسيرة وتتضرع وتقول : حبيبى أبى من ليتمى من بعدك من لحاجتى وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب وانشدوا :

وأقبلت الصغرى تمرغ خدها على وجنتى حينا وحينا على صدرى
وتخمش خديها وتبكى بحرقة تنادى أبى إنى غلبت على الصبر
حبيبى أبى من لليتامى تركتهم كأفراخ زغب فى بعيد من الوكر

فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران وبكت عليك الأصحاب والإخوان وقال الغاسل أين زوجة فلان تحالله وأين اليتامى ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدا وانشدوا :

ألا أيها المغرور مالك تلعب تؤمل آمالا وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعد سفينته الدنيا فإياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعا عليك يقينا طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى تراهم وأمهم الثكلى تنوح وتندب
تنص بحزن ثم تلطم وجهها يراها رجال بعد ما هى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ويحثى عليك الترب والعين تسكب

(فصل) قول عائشة رضى الله عنها كانت بين يديه ركوة أو علبة العلبة قدح من خشب ضخم يحلب فيه قاله ابن فارس فى المجمل وقال الجوهرى فى الصحاح العلبة محلب من جلد والجمع علب وعلاب والمعلب الذى يتخذها

قال الكميت يصف خيلا :

سقينا دماء القوم طورا وتارة صبوحا لإقتار الجلود المعلب

وقيل: أسفله جلد وأعلاه خشب مدور مثل اطار الغربال، وهو الدائر به ، وقيل هو عس يحلب فيه والعس القدح الضخم وقال اللغوى أبو هلال الحسن بن عبدالله ابن سهل العسكرى فى كتاب التلخيص له : والعلبة قدح للاعراب مثل العس يتخذ

Marfat.com

من جنب جلد البعير والجمع علاب ، وقوله إن للموت سكرات أى شدائد وسكرة الموت شدته : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين، فمالنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون، قالوا: وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته ، فله فائدتان إحداهما : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا ويرى سهولة خروج روحه فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه ؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون فى خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم ، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانيه ويقاسيه الميت مطلقا لإخبار الصادقين عنه ، ماخلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتى ذكره ، الثانية : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله ، وأنبياؤه ورسله ، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه قادر على أن يخفف عنهم أجمعين ، كما قال فى قصة ابرهيم : أما إنا قد هونا عليك . فالجواب : أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، كما قال نبينا عليه السلام . خرجه البخارى وغيره فأحب الله أن يبتليهم تكميلا لفضائلهم ، ورفعة لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك فى حقهم نقصا ، ولا عذابا . بل هو كما قال ، كمال رفعة ، مع رضاهم بجميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد ، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ، ليرفع منازلهم ، ويعظم أجورهم قبل موتهم .

كما ابتلى إبراهيم بالنار وموسى بالخوف والاسفار وعيسى بالصحارى والقفار ونبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالفقر فى الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة فى أحوالهم وكمال فى درجاتهم ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم ومؤاخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا .

(فصل) ان قال قائل كل المخلوقات تجد هذه السكرات ؟ قيل له قال بعض العلماء قد وجب بحكم القيل الصدق والكلمة الحق أن الكأس مر المذاق وإن قل ذوقه

ولكن ثم فريقان وتقديرات وأوزان ، وإن الله سبحانه وتعالى لما انفرد بالبقاء وحده لا شريك له وأجرى سنة الهلاك والفناء على الخلق دونه خالف فى ذلك بين المخلوقات وفرق بين المحسوسات بحسب ما خالف بين المنازل والدرجات ، فنوع أرضى حيوانى، إنسانى وغير إنسانى، وفوقه عالم روحانى، وملأ علوانى رضوانى، كل يشرب من ذلك الكاس جرعته وينغص منه غصته قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) قال أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة وثبت ذلك فى ثلاثة مواضع من كتابه وإنما أراد سبحانه بالموتات الثلاث للعالمين فالمتحيز إلى العالم الدنيوى يموت والمتحيز إلى العالم الملكوتى يموت والمتحيز إلى العالم الجبروتى يموت فالأول آدم وذريته وجميع الحيوان على ضروبه، والملكوتى وهو الثانى أصناف الملائكة والجن وأهل الجبروت هم المصطفون من الملائكة قال الله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) فهم كروبيون وحملة العرش وأصحاب سرادقات الجلال كما وصفهم الله فى كتابه وأثنى عليهم حيث يقول (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وهم أهل حضرة القدس المعنيون بقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) وهم يموتون على هذه المكانة من الله تعالى والقربة، وليس زلفاهم بمانع لهم من الموت ،قال غيره وكما تفرقت الطرق بهذه العوالم كذلك تفرقت طرق الإحساسات فى اجتراع الغصص والمرارات فاحساس روحانى للروحانيات كما يجده النائم فى سنته ، أو الغصة الوجيعة تغصه فى نومته فينغص منها فى حال رقدته، ويتململ بذلك إلى حين يقظته، حتى إذا استيقظ لم يجده شيئا ووجد الأنس عنده فأزال ألمه ووافاه أمانه ونعمه ، وإحساس علوى قدسى كما يجده الوسنان من الروحانية وهو ما لا يدركه العقل البشرى إلا توهما ولا يبلغه التحصيل إلا تخيلا وتوسما، وإحساس بشرى ثقلى إنسى وجنى، وهو ما لا يكاد أن توصف شدائده، وغصصه فكيف وقد قالوا الغصة الواحدة منه كألف ضربة بالسيف فاعى أن ينعت ويوصف وهو الذى لا يمكن أن يعرف ، والخلق أيضاً فى هذا الاحساس فرق يختلفون باختلاف المنازل والطرق، فالفرقة الإسلامية ما تجد منه ما تجد غير الإسلامية ، ثم الإسلامية فى نفسها لا تجد منه ما تجد الإيمانية ، ثم

Marfat.com

ما تجده الإيمانية لا تجده النبوية الفرقانية ، ثم النبوية فى ذاتها ومقامات إحساساتها تختلف على حكم التكملة وصدق القيل باختلاف التقديم والتفضيل ، قال الله تعالى ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الآية وقد نبهت الخلة الذاتية عزت سبحاتها وتقدست صفاتها على خنة ذلك عن إبراهيم وأشارت إلى تهوين الأمر عليه وتبيين ما خفف عنه صلوات الله وسلامه عليه فقال أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم، وماوصفه الحق جل جلاله بالهون فلا أهون منه كما ما كبره وعظمه فلا أكبر ولا أعظم منه ، ولا فرق بين ان قال موتا هينا وملكا عظيما كبيرا ، وقال فى نعيم الجنة (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) فكما أنه لا أكبر من ملك الجنة كذلك لا أهون من موت الخلة والله أعلم

(فصل) إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشـــنع والكاس الذى طعمها أكره وأبشع وانه للحادثات الأهدم للذات والأقلع للراحات والأجلب للكريهات فان أمرا يقطع أوصالك ويفرق أعضاءك ويهدم أركانك لهو الأمر العظيم . والخطب الجسيم وان يومه لهو اليوم العظيم .

(ويحكى) أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن يعرض عليه ماؤه أى بوله مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصى فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته ، ولما استعرض باقى المياه أنيم فذهب ، فيئس الرشيد من نفسه (وانشد) .

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان أبرا مثله فيما مضى
مات المداوى والمداوى والذى جلب الدوا أو باعه ومن اشترى

(وبلغه) أن الناس أرجفوا بموته فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه فاسترخيت فخذاه فقال : أنزلونى صدق المرجفون، ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال : ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه، فمات من ليلته ، فما ظنك رحمك الله بنازل ينزل بك يذهب رونقك وبهاك

وينير منظرك ورؤياك ويمحو صورتك وجمالك ويمنع من اجتماعك واتصالك ويردك بعد النعمة والنضرة والسطوة والقدرة والنخوة والعزة ،إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك وأرحمهم بك وأعطفهم عليك فيقذفك فى حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها، مظلمة أرجاؤها، محكم عليك حجرها وصيدانها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك تمكن منك الأعدام وتخالط بالرغام، وتصير ترابا توطأ بالأقدام، وربما ضرب منك إناء فخار أو أحكم بك بناء جدار أوطلى بك حش ماء أو موقد نار .

(كما روى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال : الله أعلم كم فيك من عين كحيل وخد أسيل .

(ويحكى) أن رجلين تنازعا وتخاصما فى أرض فأنطق الله عز وجل لبنة من حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان فيما تتنازعان وفيما تتخاصمان؟ إنى كنت ملكا من الملوك ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت ترابا فبقيت كذلك ألف سنة ثم أخذنى خزاف يعنى فخاراً فعمل منى إناء فاستعملت حتى تكسرت ثم عدت ترابا فبقيت ألف سنة ثم أخذنى رجل فضرب منى لبنة فجعلنى فى هذا الحائط فبئس تنازعكما وفيم تخاصمكما ؟

(قال الشيخ) المؤلف رحمه الله قد ذكر أبو محمد عبد الحق فى هذا المعنى حكايات كثيرة فى كتاب العاقبة له والوجود شاهد بتجديد ما دثر وتغيير ما غبر ، وعن ذلك يكون الحفر والإخراج واتخاذ الأوانى والأبراج ،ولقد كنت فى زمن الشباب أنا وغيرى ننقل التراب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة وقد اختلطت بعظام من هناك وعظامهم إلى الذين يصنعون القرمد للسقوف .

(قال) علماؤنا رضوان الله عليهم وهذا التغير إنما يحل بجسدك وينزل ببدنك لا بروحك لأن الروح لها حكم آخر، وما مضى منك فغير مضاع ، وتفرقة لاتمتنع من الاجتماع ، قال الله تعالى : (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) وقال : (فما بال القرون الأولى قال : علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) .

Marfat.com

باب الموت كفارة لكل مسلم

أبو نعيم عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموت كفارة لكل مسلم ذكره القاضى أبو بكر ابن العربى فى سراج المريدين ، وقال : فيه صحيح حسن .

(فصل) إنما كان الموت كفارة، لما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع وقد قال صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها خرجه مسلم .

(وفى الموطأ) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيراً يصب منه ، وفى الخبر المأثور يقول الله تعالى : « إنى لا أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما فى جسده ومصيبة فى أهله وولده وضيقا فى معاشه واقتارا فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقى عليه شىء شددت عليه الموت حتى يفضى إلى كيوم ولدته أمه »

(قال) الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما فى الخبر يقول الله تعالى : وعزتى لا أخرج من الدنيا عبدا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة فى جسده وسعة فى رزقه ورغد فى عيشه وأمن فى سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقى له شىء هونت عليه الموت حتى يفضى إلى وليس له حسنة يتقى بها النار .

(قال) الشيخ المؤلف رحمه الله وفى مثل هذا المعنى ما خرجه أبو داود بسند صحيح فيما ذكر أبو الحسن بن القصار عن عبيد بن خالد السلمى وكانت له صحبة عن النبى صلى الله عليه وسلم: موت الفجأة أخذة أسف للكافر، ورواه أيضاً مرسلا .

(وروى) الترمذى عن عائشة : إنها راحة للمؤمن وأخذة اسف للكافر

(وروى) عن ابن عباس أن داود عليه السلام مات فجأة يوم السبت.

وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده

Marfat.com

درجته من الجنة وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفا فى الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار .

(وخرج) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نفس المؤمن تخرج رشحا وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها . ذكره أبو محمد عبد الحق ، وذكر ابن المبارك أن أبا الدرداء قال : أحب الموت اشتياقا الى ربى ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتى ، وأحب الفقر تواضعا لربى عز وجل

باب لايموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن

وفى الخوف من الله تعالى. مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله أخرجه البخارى .

(وذكره) ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله وزاد : فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى : (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) .

(ابن ماجه) عن أنس قال أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال : كيف تجدك ؟ فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمعان فى قلب عبد[1] فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو وأمنه مما يخاف ذكره ابن أبى الدنيا أيضا وخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب .

(وقد روى) بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا .

(وذكر) الترمذى الحكيم فى الأصل السادس والثمانين من نوادر الأصول

(١) عبد مؤمن فى

Marfat.com

حدثنا يحيي بن حبيب بن عدى قال حدثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن أنه قال بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال ربكم عز وجل : لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة .

حدثنا أبو بكر ابن سابق الأموى قال حدثنا أبو مالك الجنبى عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : يا موسى إنه لن يلقانى عبد فى حاضر القيامة إلا فتشته عما فى يديه الا ما كان من الورعين فإنى أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب . فمن استحيي من الله تعالى فى الدنيا مما صنع استحيي الله تعالى من تفتيشه وسؤاله ولم يجمع عليه حياءين ، كما لايجمع عليه خوفين .

(فصل) حسن الظن بالله تعالى ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء .

(وروى حماد بن سلمة) عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة .

(وروى) عن ابن عمر أنه قال : عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه حسن الظن بالله فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلا أى منبسطا لا خوف عليه .

(وقال) عبد الله بن مسعود والله الذى لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده .

وذكر ابن المبارك قال أخبر سفيان : أن ابن عباس قال : إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حيا فخوفوه . وقال الفضيل

Marfat.com

الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحا فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف .

وذكر ابن أبي الدنيا حدثنا يحيي أبو عبدالله البصرى . حدثنا سوار بن عبدالله قال حدثنا المعتمر . قال : قال أبى حين حضرته الوفاة : يامعتمر حدثنى بالرخص لعلى ألقى الله وأنا حسن الظن به .

قال : وحدثنا عمر بن محمد الناقد . قال : حدثنا خلف بن خليفة عن حصين عن إبراهيم قال : كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل .

وقال ثابت البنانى : كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهى تقول : يابنى قد كنت أحذرك مصرعك هـذا ، قال يا أماه إن لى ربا كثير المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لايعدمنى بعض معروفه . فقال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بالله فى حالته تلك .

وقال عمر بن ذر يوماً فى كلامه : وعنده ابن أبى رواد وأبو حنيفة ، أتعذبنا وفى أجوافنا التوحيد ، لاأراك تفعل . اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة فى الساعات التى غفرت لهم ، فإنهم قالوا (آمنا برب العالمين) فقال أبو حنيفة رحمك الله القصص بعدك حرام . وكان يحيي بن زكريا إذا لقى عيسى بن مريم عليهم السلام عبس ، وإذا لقيه عيسى تبسم ، فقال له عيسى : تلقانى عابساً كأنك آيس . قال له يحيي : تلقانى ضاحكا كأنك آمن . فأوحى الله إليهما ، إن أحبكما إلى أحسنكما ظنا بى . ذكره الطبرى .

وقال زيد بن أسلم : يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيقال انطلقوا به إلى النار . فيقول يارب : فأين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله تعالى : اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى .

وفى التنزيل : (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى باب سعة رحمة الله وعفوه يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

باب يلقن الميت لا إله إلا الله

مسلم عن أبي سعيد الخدرى . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقنوا موتاكم لا إله إلاالله) . وذكر ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم . قال : قال عثمان ابن عفان ؛ إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه مامن عبد يختم له بها عند موته إلا كانت له زاداً إلى الجنة . وقال عمر بن الخطاب : احضروا موتاكم ولقنوهم تذكروهم فإنهم يرون مالا ترون .

وذكر أبو نعيم من حديث إسماعيل بن عياش عن أبي معاذ عتبة بن حميد عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم (احضروا موتاكم ولقنوهم لاإله إلاالله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحير عندذلك المصرع وإن الشيطان أقرب مايكون من ابن آدم عند ذلك المصرع والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذى نفسى بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه) غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل .

(فصل) قال علماؤنا تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون . وذلك ليكون آخر كلامه لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام (من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل وصححه أبو محمد عبد الحق ، ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان ، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته . على مايأتى فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه ، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه . قال ابن المبارك: لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه، قال أبو محمد عبد الحق وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لح عليه بها أن يتبرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون سببا لسوء الخاتمة . وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . قال الحسن بن عيسى : قال لى ابن المبارك : لقنى يعنى الشهادة ولا تعد على إلا أن أتكلم بكلام ثان ، والمقصود أن يموت الرجل وليس

فى قلبه إلا الله عز وجل لأن المدار على القلب وعمل القلب هو الذى ينظر فيه . وتكون النجاة به . وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها، ولا خير عندها .

قال المؤلف : وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم كما ذكر أبو نعيم أن أبا زرعة لما كان فى السياق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر ابن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبى زرعة فقالوا تعالوا نتذاكر الحديث . فقال محمد بن مسلم : حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى عريب ولم يجاوزه . وقال أبو حاتم : حدثنا بندار ، حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد ابن جعفر عن صالح بن أبى عريب ولم يجاوزه والباقون سكوت . فقال أبوزرعة وهو فى السياق . حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى عريب عن كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وفى رواية حرمه الله على النار. وتوفى رحمه الله .

ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال : دخلت مع الشعبي[1] على مريض نعوده فوجدنا ألماً به، ورجل يلقنه الشهادة ويقول له قل : لا إله الا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبي ارفق به ، فتكلم المريض وقال : إن تلقنى أو لا تلقنى فإنى لا أدعها ثم قرأ (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) فقال الشعبي : الحمد لله الذى نجى صاحبنا هذا . وقيل للجنيد عند موته : قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فأذكره

وعن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حضر ملك الموت رجلا ، قال : فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص .

ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين بإسناده . وخرجه الطبرانى بمعناه . وسيأتى فى آخر أبواب الجنة إن شاء الله تعالى .

(١) مع عامر الشعبي

Marfat.com

باب من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير
وكيف الدعاء للميت وفى تغميضه

مسلم عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون . قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله إن أبا سلمة قد مات فقال : قولى (اللهم اغفرلى وله وأعقبنى منه عقبى حسنة) قالت فقلت فأعقبنى الله من هو خير لى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله ، فقال لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : (اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه)

(فصل) قال علماؤنا قوله عليه السلام إذا حضرتم المريض أوالميت فقولوا خيراً . أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من هناك ، ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه ويدعوا له ولمن يخلفه وينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه .

باب منه ومايقال عند التغميض

ابن ماجه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت .وذكر الخرائطى أبو بكر محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو موسى عمران ابن موسى قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة : قال حدثنا إسماعيل بن علية عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم الحسن قالت : كنت عند أم سلمة فجاءها نسان فقال

Marfat.com

فلان بالموت فقالت لها انطلقى فإذا احتضر فقولى السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وخرج من حديث سفيان الثورى عن سليمان التيمى عن بكر بن عبدالله المزنى قال : إذا غمضت الميت فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح . ثم تلا سفيان (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) قال أبو داود : تغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح . سمعت محمد بن احمد المقرى قال سمعت أبا ميسرة رجلا عابدا يقول : غمضت جعفر المعلم وكان رجلا عاقلا فى حالة الموت فرأيته فى منامى يقول مات يقول : أعظم ما كان على تغميضك قبل أن أموت .

باب ما جاء أن الميت يحضر الشيطان عند موته

وجلساؤه فى الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

روى أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فالذى عن يمينه على صفة أبيه ، يقول له : يا بنى إنى كنت عليك شفيقاً ولك محبا، ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان ، والذى على شماله على صفة أمه ، تقول له : يا بنى إنه كان بطنى لك وعاء، وثديى لك سقاء ، وحجرى لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان ، ذكره أبو الحسن القابسى فى شرح رسالة ابن أبى زيد له ، وذكر معناه أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة وإن عند استقرار النفس فى التراقى والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان(١) واستعملهم عليه ووكلهم به فيأتون المرء وهو فى تلك فيتمثلون له فى له على صورة من سلف من الأحباب الميتين الباغين له النصح فى دار الدنيا ، كالأب والأم والأخ والأخت والصديق الحميم فيقولون له أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك فى هذا الشأن فمت يهوديا فهو الدين المقبول عند الله تعالى ، فإن انصرم عنهم وأبى، جاءه آخرون وقالوا له مت نصرانيا فإنه دين المسيح وقد، نسخ الله به دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغه وهو معنى قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة) أى لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا زمانا، فإذا

(١) الانسان خاصة

Marfat.com

أراد الله بعبده هداية وتثبيتا جاءته الرحمة ، وقيل : هو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه فيتبسم الميت لا محالة ، وكثير من يرى متبسما فى هذا المقام فرحا بالبشير الذى جاءه رحمة من الله تعالى فيقول : يا فلان أما تعرفنى ؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الجليلة فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك وهو قوله تعالى (وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) ثم يقبض عند الطعنة على ما يأتى .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حضرت وفاة أبى أحمد وبيدى الخرقة لأشد لحييه فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده لا.بعد لا.بعد فعل هذا مرارا فقلت له ياأبت أى شيء ما يبدو منك؟ فقال إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله يقول يا أحمد فتنى وأنا أقول لا . بعد لا . بعد حتى أموت .

قال المؤلف رحمه الله ورضى عنه وقد سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي يقول: حضرت أخا شيخنا أبى جعفر احمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر فقيل له قل لا إله إلا الله ، فكان يقول: لا لا فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال : أتانى شيطانان عن يمينى وعن شمالى يقول أحدهما : مت يهوديا فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : مت نصرانيا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما لالا إلى تقولان هذا ؟ وقد كتبت بيدى فى كتاب الترمذى والنسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يأتى أحدكم عند موته فيقول : مت يهوديا مت نصرانيا، فكان الجواب لهما لا لكما .

قال المؤلف رحمه الله : ومثل هذا عن الصالحين كثير يكون الجواب للشيطان لالمن يلقنه الشهادة، وقد تصفحت كتاب الترمذى أبى عيسى وسمعت جميعه فلم أقف على هذا الحديث فيه، فإن كان فى بعض النسخ فالله أعلم .

وأما كتاب النسائى فسمعت بعضه وكان عندى كثير منه، فلم أقف عليه وهو نسخ .

وروى ابن المبارك وسفيان عن ليث عن مجاهد قال : ما من ميت إلا تعرض عليه أهل مجالسته الذين كان يجالس ، إن كَانَ أهل لهو فأهل لهو ، وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر

وقال الربيع بن سبرة بن معبد الجهنى وكان عابداً بالبصرة : أدركت الناس بالشام وقيل لرجل يافلان قل لا إله إلا الله قال اشرب واسقنى ، وقيل لرجل بالأهواز: يافلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول ده يازده دوازده تفسيره : عشرة احد عشر اثنا عشر كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان فغلب عليه الحساب والميزان ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق . قال الربيع : وقيل لرجل ههنا بالبصرة يافلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول :

يا رب قائلة يوما وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجاب

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن النجاد : هذا رجل قد استدلته امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله فقاله عند الموت .

وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية فى كتاب العاقبة له فقال وهذا الكلام له قصة وذلك أن رجلا كان واقفا بازاء داره وكان بابه يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر وهى تقول أين الطريق إلى حمام منجاب فقال لها هذا حمام منجاب وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها معه فى داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفى تلك الدار وقالت له يصلح معنا ما نطيب به عيشنا وتقربه أعيننا فقال لها : الساعة آتيك بكل ماتريدين وبكل ماتشتهين فخرج وتركها فى الدار ولم يقفلها وتركها محلولة على حالها ومضى فأخذ ما يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثرا فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها وجعل يمشى فى الطرق والأزقة وهو يقول :

يارب قائلة يوما إذا بلغت أين الطريق إلى حمام منجاب

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهى تقول :

هلا جعلت لها لما ظفرت بها حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر فنعوذ بالله من المحن والفتن ، قال المؤلف رحمه الله ومثل هذا فى الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهم بها أوسبب من أسبابها حتى لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاء عند الموت فقيل له قل لا إله إلا الله فجعل يقول ثلاثة ونصف أربعة ونصف غلبت عليه السمسرة ولقد رأيت بعض الحساب وهو فى غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يقول الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والجنان الفلانى اعملوا فيه كذا وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يقول عقلك الحمارة وقيل لآخر : قل لا إله إلا الله فجعل يقول البقرة الصفراء، غلب عليه حبها والاشتغال بها نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه ولقد حكى ابن ظفر فى كتاب النصائح له قال كان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى بزازا وكان لا يبيع فى طرفى النهار ولا فى يوم غيم فأخذ يوما ميزانه فرضه بين حجرين فقيل له : هلا أعطيته الصانع فأصلح فساده فقال: لو علمت فيه فساداً لما أبقيت من مالى قوت ليلة قيل له فلم كسرته قال حضرت الساعة رجلا احتضر فقلت له قل لا إله الا الله فامتغص فألححت عليه فقال ادع الله لى فقال هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها قلت أنما يمنعك إلا من قولها فقال نعم قلت وما كان عملك به قال ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً فى على غير أنى كنت أقيم المدة لا أنقده ولا اختبره فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتى بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه

باب ما جاء فى سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له (١) بعمل أهل الجنة.

وفى البخارى عن سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم.

قال أبو محمد عبد الحق اعلم أن سوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا تكون لمن

(١) يختم له عمله بعمل

ستقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولاعلم به والحمد لله وإنما تكون لمن كان له فساد فى العقل أو إصرار على الكبائر أوإقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أو يكون ممن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ فى غير طريقه فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كابليس الذى عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة وبلعام بن باعوراء الذى أتاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده إلى الأرض ، واتباع هواه وبرصيصا العابد الذى قال الله فى حقه كمثل الشيطان إذ قال للانسان ا كفر

(ويروى) انه كان بمصر رجل ملازم مسجداً للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وانوار الطاعة فرقى يوما المنارة على عادته للأذان وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذمى فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان ونزل اليها ودخل الدار فقالت له : ماشأنك ما تريد ؟ فقال: أنت أريد قالت لماذا قال لها قد سلبت لبى وأخذت بمجامع قلبى قالت لا أجيبك إلى ريبة قال لها اتزوجك قالت له أنت مسلم وأنا نصرانية وأبى لايزوجنى منك قال لها أتنصر قالت أن فعلت أفعل فتنصر ليتزوجها وأقام معهم فى الدار فلما كان فى اثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان فى الدار فسقط منه فمات فلا هو بدينه ولا هو بها فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة .

(ويروى) أن رجلا علق بشخص وأحبه فتمنع عنه واشتد نفاره فاشتد كلف اليائس إلى ان لزم الفراش فلم تزل الوسائط تمشى بينهما حتى وعد بان يعود ،فأخبره بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره ، وانجلى عنه بعض ماكان يجده ، فلما كان فى بعض الطريق رجع وقال والله لاادخل مداخل الريب ولاأعرض بنفسى لمواقع التهم فاخبر بذلك البائس المسكين فسقط فى يده ، ورجع إلى أسوأ ماكان به وبدت علامة الموت وامارته عليه .

(قال الراوى) فسمعته يقول وهو فى تلك الحال

سلام ياراحة العليل وبردذل الدنف النحيل

Marfat.com

رضاك أشهى إلى فؤادى من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت لهيافلان اتق الله تعالى فقال قد كان ما كان فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة

(قال المؤلف) رحمه الله روى البخارى عن سالم عن عبد الله قال كان كثيرا ما كان النبى ﷺ يحلف: لا ومقلب القلوب ومعناه يصرفها اسرع من مر الريح على اختلاف فى القبول والرد والارادة والكراهية وغير ذلك من الاوصاف وفى التنزيل (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قال مجاهد المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى مايصنع، بيانه (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) اى عقل واختار الطبرى ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى بانه امالك لقلوب العباد منهم وانه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا إلا بمشئة الله عز وجل .

(وقالت)عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ يكثر أن يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على طاعتك فقلت يارسول الله انك تكثران تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى قال وما يؤمننى ياعائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الجبار إذا أراد ان يقلب قلب عبده قلبه.

(قال العلماء) وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة غير مغالبة فلاتعجب بايمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك فان ذلك وان كان من كسبك فانه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيرك وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم فاصبحت وزهرها يابس هشيم إذ هبت عليها الريح العقيم كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم

(روى) النسائى عن عثمان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث انه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد فعلقت به امرأة غوية فأرسلت اليه جاريتها فقالت له إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفقت الجارية كلما دخل بابا اغلقته دونه حتى

Marfat.com

افضت إلى امرأة وضيئة أى جميلة عندها غلام وباطية خمر فقالت انى والله مادعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على أو تشرب من هذا الخمر كأسا او تقتل هذا الغلام قال فأسقينى من هذا الخمر فسقته كأسا قال زيدونى فلم يزل يشرب حتى وقع عليها وقتل الغلام فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه .

ويروى أن رجلا أسيرا أسلما وكان حافظا للقرآن حص بخدمة راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر المسلم وقيل له ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه . قال لا أرجع إليه أبدا فقتل . وفى الخبر قصته والحكايات كثيرة فى هذا الباب نسأل الله السلامة والممات على الشهادة .

وأنشد بعضهم :

قد جرت الأقلام فى ذى الورى بالحتم من أمر الحكيم العليم
فمن سعيد وشقى ومن مثر من المال وعار عديم
ومن عزيز رأسه فى السها ومن ذليل وجهه فى التخوم
ومن صحيح شيدت أركانه وآخر واهى المبانى سقيم
كل على منهاجه سالك ذلك تقدير العزيز العليم

وقال الربيع سئل الشافعى عن القدر فأنشأ يقول :

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا منئت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم غنى ومنهم فقير وكل بأعماله مرتهن

باب ماجاء فى رسل ملك الموت قبل الوفاة

ورد فى الخبر : أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ قال نعم : لى والله

Marfat.com

رسل كثيرة من الإعلال والأمراض والشيب والهرم وتغير السمع والبصر فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فإذا قبضته ناديته ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول ونذيراً بعد نذير ! ! فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول ، وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير فما من يوم تطلع شمسه إلا وملك الموت ينادى : يا أبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد . ويا أبناء الخمسين قد دنا وقت الأخذ والحصاد . ويا أبناء الستين نسيتم العقاب وغفلتم عن رد الجواب فما لكم من نصير (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق .

وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أعذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة) يقال أعذر فى الأمر أى بالغ فيه أى أعذر غاية الإعذار الذى لا إعذار بعده وأكبر الأعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ليتم حجته عليهم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال :(وجاءكم النذير) قيل هو القرآن وقيل هو الرسول . وعن ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى قالوا هو الشيب فإنه يأتى فى سن الاكتهال . فهو علامة لمفارقته سن الصبا الذى هو سن اللهو وأنشدوا :

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
تقول النفس غير لون هذا عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولست مسودا وجه النذير

وقال آخر :

وقائلة تخضب فالغوانى نوافر عن معاينة النذير

وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى عليه :

كم تصابى وقد علاك المشيب وتعامى جهلا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير وشباك الحمام منك قريب
يا مقيما قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
إن للموت سكرة فارتقبها لا يداويك إن أتتك طبيب

Marfat.com

كم توانى حتى تصير رهينا ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم فاعملن جاهداً لها أريب
وتذكر يوماً تحاسب فيه إن من يذكر الممات ينيب
ليس من ساعة من الدهر إلا للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترميك فيها بسهم إن تخطى يوماً فسوف يصيب

وله أيضاً رضى الله عنه :

ثلاث وستون قد جزتها فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى أو فما تزدجر
تمر لياليك مرا حثيثا وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى من العمر لاعتضت خيراً بشر
فمالك لا تستعد إذا لدار المقام ودار المقر
أترغب عن فجأة للبنون وتعلم أن ليس منها وزر
فإما إلى جنة أزلفت وإما إلى سقر تستعر

وللفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى ذمنين رحمه الله تعالى آمين :

الموت فى كل حين ينشر الكفنا ونحن فى غفلة عما يداوينا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هموا كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وروى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت ؟ فقال من الا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا قال : فإذاً أنت ملك الموت . قال نعم قال : أتيتنى ولم أستعد بعد ؟ قال ياداود أين فلان قريبك أين فلان جارك قال مات . قال أما كان لك فى هؤلاء عبرة لتستعد . وقيل النذير الحمى . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الحمى نذير الموت أى رائد الموت .

قال الأزهرى معناه أن الحمى رسول الموت أى كأنها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه . وقيل : موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان ، وذلك إنذار

Marfat.com

الرحيل فى كل وقت وأوان وحين وزمان

قال :

وأراك تحملهم ولست تردهم وكأننى بك قد حمات فلم ترد

وقيل كمال العقل الذى به تعرف حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات ، فالعاقل يعمل لآخرته ، ويرغب فيما عند ربه ، فهو نذير ، والنذير بمعنى الإنذار والإنذار والإعذار قريب بعضه من بعض وأكبر الإعذار إلى بنى آدم بعثة الرسل إليهم ثم الشيب أو غيره كما بينا ، وجعل الستين غاية الإعذار لأن الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله وترقب المنية ولقاء الله ففيه إعذار بعد إعذار ، وإنذار بعد إنذار .

الأول بالنبى صلى الله عليه وسلم .

والثانى بالشيب وذلك عند كمال الأربعين ، قال الله تعالى : (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) فذكر عز وجل ، أن من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها

قال مالك رحمه الله أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يأتى لأحدهم أربعون سنة فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس.

(تنبيه) هذا الباب هو الأصل فى اعذار الحكام إلى المحكوم عليه مرة بعد أخرى وكان هذا لطفاً بالخلق ولتنفيذ القيام عليهم بالحق

حكى عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحات كثيراً وكان يخلو فى بستان له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم فبينما هو فى البستان إذ رأى رجلا يتخلل الشجر فغضب وقال من أذن لهذا وجاء الرجل فجلس أمامه وقال ما ترى فى رجل ثبت عليه حق فزعم أن له منافع تدفعه عنه فقال يلزمه الحاكم بقدر ما يرى: قال السائل قد ضرب له الحاكم أجلا فلم يأت بمنفعة ولا أقلع عن اللدد والمدافعة : قال يقضى عليه : قال فإن الحاكم رفق به وأمهله اكثر من خمسين سنة فاطرق الفقيه وتحدر عرق وجهه وذهب السائل ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل : فقال : البواب ما دخل أحد عليكم ولا خرج من عندكم أحد : فقال لأصحابه

Marfat.com

انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك الا فى مجلس يذكر فيه العلم .

(فصل) وقد رأيت أن أصل بهذه الحكاية حكايات فى الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير .

حكى عن بعض المترفين أنه رفض ما كان فيه بغتة على غير تدريج فسئل عن السبب فقال ما معناه، كانت لى أمة لا يزيدنى طول الاستمتاع منهـــا الا غراما بها فقلبت شعرها يوما فإذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت : فقالت أرنى فأريتها : فقالت جاء الحق وزهق الباطل . ثم نظرت الى : وقالت اعلم أنه لو لم تفترص على طاعتك لما أويت اليك فدع لى ليلى أونهارى لأتزود فيه لآخرتى فقلت لا ولا كرامة فغضبت وقالت أتحول بينى وبين ربى وقد آذننى بلقائه اللهم بدل حبه لى بغضا : قال فبت وماشىء أحب الى من بعدها عنى وعرضتها للبيع فأتانى من أعطانى فيها ما أريد فلما عزمت على البيع بكت فقلت أنت أردت هذا فقالت والله ما اخترت عليك شيئا من الدنيا هل لك الى ما هو خير لك من ثمنى ؟ قلت وما هو قالت تعتقنى لله عز وجل فإنه املك لك منك لى وأعود عليك منك على ، فقلت قد فعلت فقالت أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف أملك وتزهدت فبغضت الى الدنيا ونعيمها .

(وقال) عبدالله بن أبى نوح رايت كهلا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال ينفض الغبار عن جدرانه بسعفة فسألت عنه فقيل إنه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وان له أولاد او موالى ونعمة موفورة وانه اطلع فى مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى وإذا اراد أهله ان يأخذوه ليداووه ويصونوه هرب منهم وعاذ بالقبر المكرم فتركوه فرقبته نهارا فلم أر منه اختلالا ورقبته ليلا فلما ذهب جنح من الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع فقام يصلى ويبكى حتى قرب طلوع الفجر فجلس يدعو وجاءت اليه دابة لا ادرى أشاة أم ظبية ام غيرها فقامت عنده وتفاجت فالتقم ضرعها فشرب ثم مسح ظهرها وقال اذهبى بارك الله فيك فولت تهرع فانسللت فسبقته إلى المسجد فاقمت ليالى أخرج بخروجه إلى البقيع ولا يشعر بى فسمعته يقول فى مناجاته اللهم انك ارسلت إلى

ولم تأذن لى فان كنت قد رضيتنى فائذن لى وان لم ترضنى فوفقنى لما يرضيك قال فلما حان رحيلى اتيته مودعا فتجهمنى فقلت انا صاحبك منذ ليال بالبقيع اصلى بصلاتك وأؤمن على دعائك قال هل أطلعت على ذلك أحدا قلت لا قال انصرف راشدا قلت ما الرسول الذى ارسل اليك قال اطلعت فى المرآة فرايت شيبة فى وجهى فعلمت انها رسول الله إلى فقلت ادع لى قال ما أنا أهل لذلك ولكن تعال نتوسل إلى الله برسوله فقمت معه تجاه القبر المكرم فقال ما حاجتك قلت العفو فدعا دعاء خفيفا فامنت ثم مال على جدار القبر فاذا هو ميت فتنحيت عنه حتى فطن الناس له .وجاء أولاده ومواليه فاحتملوه وجهزوه وصليت عليه فيمن صلى،ويقال ان ملكا من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمة أدبها بعض الحكماء فالبسته يوما ثيابه وأرته المرآة فرأى فى وجهه شعرة بيضاء فاستدعى بالمقراض وقصها فاخذتها الامة فقبلتها ووضعتها على كفها واصغت باذنها اليها فقال لها الملك إلى اى شىء تصغين فقالت انى اسمع هذه المبتلاة بفقد كرامة قرب الملك تقول قولا عجيبا قال ما هو قالت لايجترىء لسانى على النطق به قال قولى وانت آمنة ما لزمت الحكمة قالت ما معناه انها تقول ايها الملك المسلط الى أمد قريب انى خفت بطشك بى فلم أظهر حتى عهدت إلى بناتى أن يأخذن بثأرى وكأنك بهن قد خرجن عليك فإما أن يعجلن الفتك بك واما أن ينقصن شهوتك وقوتك وصحتك حتى تعد الموت غنما فقال اكتبى كلامك فكتبته فتدبره ، ثم نبذ ملكه فى حديث ، هذا المقصود منه وفى معناه قيل :

وزائرة للشيب لاحت بمفرقى فبادرتها خوفا من الحتف بالنتف
فقالت على ضعفى استطعت ووحدتى رويدك حتى يلحق الجيش من خلفى

وفى الإسرائيليات أن ابراهيم الخليل لما رجع من تقريب ولده الى ربه عز وجل رأت سارة فى لحيته شعرة بيضاء وكان عليه السلام أول من شاب على وجه الأرض فأنكرتها وأرته إياها فجعل يتأملها وأعجبته وكرهتها سارة ، وطالبته بإزالتها فأبى ، فأتاه ملك الموت فقال السلام عليك يا ابراهيم وكان اسمه ابرم فزاده فى اسمه هاء

Marfat.com

والهاء فى السريانية للتفخيم والتعظيم ففرح بذلك فقال : أشكر الهى واله كل شىء .
فقال له الملك : ان الله قد صيرك معظما فى أهل السموات وأهل الأرض وقد وسمك بسمة أهل النار فى اسمك وفى خلقك أما اسمك فإنك تدعى فى أهل السماء واهل الارض ابراهيم واما خلقك فقد أنزل وقاراً ونوراً على شعرك . فأخبر سارة بما قال له الملك وقال هذا الذى كرهتيه نور ووقار ، قالت انى كارهة له . قال : لكنى احبه . اللهم زدنى نوراً ووقاراً فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها .

وفى الآثار النبوية : من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله ليستحى أن يعذب ذا شيبة، والاخبار فى هذا الباب كثيرة وكذلك الشعر اكتفينا منه بما ذكرنا وبالله توفيقنا

وقال أعرابى فى الشيب والخضاب:

يا بؤس من فقد الشباب وغيرت منه مفارق رأسه بخضاب
يرجو عضارة وجهه بخضابه ومصير كل عمارة لخراب
شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
إنى وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الاحباب

باب متى تنقطع معرفة العبد من الناس

وفى التوبة وبيانها وفى التائب من هو (ابن ماجه) عن أبى موسى الأشعرى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس قال إذا عاين

(فصل) قوله إذا عاين يريد إذا عاين ملك الموت أو الملائكة والله أعلم وهو معنى قوله عليه السلام فى الحديث الآخر إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر خرجه الترمذى أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة أوهوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان كما قال تعالى فى محكم البيان (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) وقال تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن) فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرته بالروح ، وإنما يغرغر به اذا قطع الوتين .

Marfat.com

فشخص من الصدر الى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فاعلم . فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة وهو معنى قوله تعالى : (ثم يتوبون من قريب) .

قال ابن عباس والسدى : من قريب قبل المرض والموت .

وقال أبو مجلز والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم : قبل المعاينة للملائكة والسوق وأن يغلب المرء على نفسه ولقد أحسن محمود الوراق حيث قال :

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الألسن

بادربها غلق النفوس فإنها ذخر وغنم للنديب المحسن

قال علماؤنا رحمهم الله وانما صحت منه التوبة فى هذا الوقت لأن الرجاء باق ويصح الندم والعزم عن ترك الفعل . وقيل المعنى : يتوبون على قرب عهد من الذنب من غير اصرار والمبادرة فى الصحة أفضل وألحق لأمله من العمل الصالح والبعد كل البعد الموت . وأما ما كان قبل الموت فهو قريب عن الضحاك أيضاً وعن الحسن : لما هبط إبليس قال بعزتك لا أفارق ابن آدم مادام الروح فى جسده . قال الله تعالى : وعزتى لا أحجب التوبة عن ابن آدم مالم تغرغر نفسه ، والتوبة فرض على المؤمنين باتفاق المسلمين لقوله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقوله : (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا)

ولها شروط أربعة : الندم بالقلب وترك المعصية فى الحال ، والعزم على أن لا يعود إلى مثلها ، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره فإذا اختل شرط من هـــذه الشروط لم تصح التوبة . وقد قيل : من شروطها الاعتراف بالذنب وكثرة الاستغفار الذى يحل عقد الاصرار ويثبت معناه فى الجنان لا التلفظ باللسان . فأما من قال بلسانه أستغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر .

وروى عن الحسن البصرى أنه قال استغفارنا يحتاج إلى استغفار .

Marfat.com

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا مقوله فى زمانه فكيف فى زماننا هذا الذى يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم حريصا عليه لايقلع والسبحة فى يده زاعما أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف . وهو ممن اتخذ آيات الله هزؤا وفى التنزيل (ولا تتخذوا آيات الله هزوا)

وروى عن على رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد فرغ من صلاته وقال اللهم إنى أستغفرك وأتوب اليك سريعاً فقال له ياهذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة . قال يا أمير المؤمنين : وما التوبة ؟ قال اسم يقع على ستة معان : على الماضى من الذنوب ، الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم إلى أهلها وإذاب النفس فى الطاعة كما أدأبتها فى المعصية وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وأن تزين نفسك فى طاعة الله كما زينتها فى معصية الله والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

وقال أبوبكر الوراق التوبة أن تكون نصوحا وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا .

وقيل : التوبة النصوح هى رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات . وقيل غير هذا وبالجملة فالذنوب التى يتاب منها اما كفر أوغيره ، فتوبة الكافر ايمانه مع ندمه على سالف كفره وليس مجرد الإيمان نفس التوبة وغير الكفر . اماحق الله وإما حق لغيره . فحق الله تعالى يكفى فى التوبة منه الترك غير أن منها مالم يكتف الشرع فيها بمجرد الترك بل أضاف الى ذلك فى بعضها قضاء كالصلاة والصوم . ومنها ما أضاف اليها كفارة كالحنث فى الأيمان وغير ذلك . وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها الى مستحقيها فإن لم يوجدوا تصدق عنهم ومن لم يجد السبيل لخروج ماعليه لإعساره فعفو الله مأمول وفضله مبذول فكم ضمن من التبعات وبدل من السيئات بالحسنات وعليه أن يكثر من الأعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المؤمنين والمؤمنات فهذا الكلام فى حقيقة التوبة .

وقد روى مرفوعا فى صفة التائب من حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله وعليه وسلم قال وهو فى جماعة من اصحابه أتدرون من التائب قالوا اللهم لا قال

Marfat.com

إذا تاب العبد ولم يرض خصماؤه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير نفقته وزينته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير فراشه ووساده فليس بتائب ، ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : فإذا تاب عن هذه الخصال فذلك تائب حقا(١) . قال العلماء إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غصبهم من مال أو خانهم أو غلبهم أو اغتابهم أو خرق أعراضهم أو شتمهم أو سبهم فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك فإن انقرضوا فإن كان لهم قبله مال رده الى الورثة وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ويستغفر لهم بعد الموت ويدعو لهم عوض الذم والغيبة لاخلاف فى هذا . وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ماعليه من الحرام بالحلال . وان كانت ثيابه كبر وخيلاء استبدلها بأطمار متوسطه . وتغيير المجلس : هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والأحداث . ويجالس العلماء ومجالس الذكر والفقراء والصالحين ويتقرب الى قلوبهم بالخدمة وبما يستطيع ويصافحهم . وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجانب ماكان من شبهة أوشهوة . ويغير أوقات أكله ، ولا يقصد اللذيذ من الأطعمة . وتغيير النفقة : هو بترك الحرام وكسب الحلال . وتغيير الزينة بترك التزين فى الأثاث والبناء واللباس والطعام والشراب . وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ماكان يشغله بالبطالة والغفلة والمعصية . كما قال الله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وتغيير الخلق هو بأن ينقلب خلقه من الشدة إلى اللين ومن الضيق الى السعة ومن الشكاسة الى السماحة ، وتوسيع القلب يكون بالإنفاق ثقة بالقسام على كل حال وتوسيع الكف بالسخاء والإيثار بالعطاء . هكذا يبدل كل ماكان فيه كشرب الخمر بكسره وسقى اللبن والعسل والزنا بكفالة الأرملة واليتيمة وتجهيزهما ويكون مع ذلك نادما على ماسلف منه . ومتحسراً على ماضيع من عمره . فإذا كملت التوبة على هذه الخصال التى ذكرنا والشروط التى بينا تقبلها الله بكرمه وأنسى حافظيه وبقاع الأرض خطاياه وذنوبه . قال الله تعالى : (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

---

(١) هذا حديث موضوع .

والأصل فى هذه الجملة : حديث أبى هريرة فى الرجل الذى قتل مائة نفس ثم سأل هل له من توبة ؟ فقال له العالم : ومن يحول بينك وبينها انطلق الى أرض بنى فلان فإن بها ناساً صالحين يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا تعد الى أرضك فإنها أرض سوء .

الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح وفى مسند أبى داود الطيالسى : حدثنا زهير ابن معاوية عن عبدالكريم الجزرى عن زياد وليس بابن أبى مريم عن عبد الله بن مغفل قال : كنت مع أبى وأنا الى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبى أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله عز وجل تاب الله عليه، فقال نعم سمعته يقول الندم توبة .

وفى صحيح مسلم والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه .

وروى أبو حاتم البستى فى المسند الصحيح له عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذى نفسى بيده ثلاث مرات ثم سكت فأكب كل رجل منا يبكى حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (مامن عبد يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى أنها لتصفق . ثم تلا (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فدل القرآن على أن فى الذنوب كبائر وصغائر خلافا لمن قال كلها كبائر حسب ما بيناه فى سورة النساء وأن الصغائر كاللمسة والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا بوعده الصدق وقوله الحق لا انه يجب عليه ذلك ، لكن بضميمة أخرى الى الاجتناب وهى اقامة الفرائض كما نص عليه الحديث ومثله : ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات مابينهن اذا اجتنبت الكبائر، على هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح فى الباب وأما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها كما بينا ، وقد اختلف فى تعيينها

Marfat.com

ليس هذا موضع ذكرها، وسيأتى فى القصاص وفى أبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى.

باب لاتخرج روح عبد مؤمن أوكافر
حتي يبشر وأنه يصعد بها

ابن المبارك قال أخبرنا حيوة قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى قال إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ياولى الله الله يقرئك السلام ثم نزع بهـــذه الآية (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم).

وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام.

وعن البراء بن عازب فى قوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه

وقال مجاهد إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه

ابن ماجه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم :قال تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ادخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها (١) فإذا كان الرجل السوء قال اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله ازواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان : فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فإنها لا تفتح لك ابواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر، خرجه عن ابى بكر ابن ابى شيبة.

---

(١) الله تبارك وتعالى

Marfat.com

قال حدثنا شبابة بن سوار عن ابن أبي ذيب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد ابن يسار عن أبي هريرة وهذا إسناد صحيح ثابت اتفق على رجاله البخارى ومسلم ما عدا ابن ابى شيبة فإنه لمسلم وحده. خرجه عبد بن حميد أيضا عن بن أبي ديب قال محمد بن عمرو. فحدثنى سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى ايتها الروح الطيبة[1] مسلم عن أبي هريرة قال : إذا خرجت روح العبد[2] تلقاها ملكان يصعدان بها

قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك : قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق بها إلى ربه ثم يقول : إنطلقوا بها إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال: فيقال :انطلقوا بها إلى آخر الأجل قال أبوهريرة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه هكذا .

البخارى . عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ،ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقالت عائشة ـ أو بعض أزواجه:إنا لنكره الموت فقال: ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه ، أخرجه مسلم وابن ماجة من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضى الله عنه .

(فصل) هذا الحديث . وإن كان مفسرا مبينا .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها فى تفسير هذا الحديث أنها قالت لشريح بن هانى وقد سألها عما سمعه من أبي هريرة وليس بالذى تذهب إليه ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . خرجه مسلم .

(١) الطيبة فذكره مسلم (٢) العبد المؤمن تلقاها

Marfat.com

روى عنها أيضا فى تفسيره أنها قالت إذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قبل موته بعام ملكا فسدده ووفقه حتى يقول الناس: مات فلان خير ما كان فإذا أحضر ورأى ثوابه تهوع نفسه أو قال تهوعت نفسه ، فذلك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإذا أراد الله بعبده شرا قيض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وفتنه حتى يقول الناس مات فلان شر ما كان فإذا أحضر ورأى ماينزل به من العذاب تبلع نفسه فذلك حين يكره لقاء الله وكره الله لقاءه .

وخرج الترمذى فى أبواب القدر عن أنس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعمله يارسول الله قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت . قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ومنه الحديث الآخر : إذا أراد الله بعبده خير عسله . قالوا يارسول الله وما عسله ؟ قال : يفتح الله له عملا صالحا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله .

وعن قتادة فى تفسير قوله تعالى فروح وريحان قال : الروح الرحمة والريحان يتلقاه به الملائكة عند

وروى ابن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة : فى تفسير قوله تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان ويقول قدما إلى الله عز وجل، وأما الكافر، فيقولون: نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : (ارجعون لعلى أعمل صالحا) الآية وأما قوله فى الحديث حتى ينتهى إلى السماء التى فيها الله تعالى فالمعنى أمر الله وحكمه وهى السماء السابعة التى عندها سدرة المنتهى التى إليها يصعد مايعرج به من الأرض ومنها يهبط ماينزل به منها كذا فى صحيح مسلم من حديث الإسراء .

وفى حديث البراء أنه ينتهى به إلى السماء السابعة وسيأتى إن شاء الله تعالى .

وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم ونظر ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله (الرحمن على العرش استوى) فذكرت له هذا الحديث فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته وبين أيدينا رطب

Marfat.com

تأكله فقلت له الحديث صحيح خرجه ابن ماجه فى السنن ولاترد الأخبار بمثل هذا القول بل تتأول وتحمل على مايليق من التأويل والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها؛ فإن صدقوا هنا صدقوا هناك وإن كذبوا هنا كذبوا هناك ولا تحصل الثقة بأحد منهم فيما يرويه .

وقد خرج البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمن إذاحضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضباير ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال: أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية عنك إلى روح الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين .

وإن الكافر إذا حضرأتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحة انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذاخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: فقوله فى روح المؤمن: يذهب بها إلى عليين وهو معنى ماجاء فى حديث أبى هريرة المتقدم إلى السماء التى فيها الله والأحاديث تفسر بعضها بعضا ولا إشكال .

وأما قوله فى حديث محمد بن كعب أول الباب إذا استنقعت نفس المؤمن ، فقال شمر لاأعرفه وسمعت الزهرى يقول : يعنى إذا اجتمعت فى فيه حين تريد أن تخرج كما يستنقع الماء فى قراره، والنفس الروح هاهنا حكاه الهروى .

باب ماجاء فى تلاقى الأرواح فى السماء

والسؤال عن أهل الأرض وفى عرض الأعمال

ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير فى الدنيا فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد

قال: فيقبلون عليه فيسألونه: مافعل فلان مافعلت فلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قدمات قبله فيقول أنه هلك فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية قال: فتعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها وإن رأوا شرا قالوا: اللهم راجع بعبدك.

قال ابن المبارك: وأخبرنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني عبد الرحمن ابن جبير بن نفير أن أبا الدرداء كان يقول: إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن قال: يقول أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملا يخزى به عبدالله ابن رواحة.

وفي رواية: اللهم إني أعوذ بك من عمل يخزيني عند عبد الله بن رواحة.

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي قال: أخبرني عثمان بن عبد الله ابن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذن لي على ابنة أخي وهي زوجة عثمان وهي ابنة عمرو بن أوس فاستأذنت له فدخل عليها ثم قال: كيف يفعل بك زوجك؟ قالت أنه إلى لمحسن فيما استطاع، فالتفت إلى ثم قال: يا عثمان أحسن اليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس فقلت: وهل تأتي الأموات أخبار الأحياء؟ قال نعم مامن أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيرا سر به وفرح وهنى به وان كان شرا ابتأس وحزن حتى أنهم ليسألون عن الرجل قد مات فيقال أولم يأتكم فيقولون: لا خولف به إلى أمه الهاوية.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فتلقاه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون: مافعل فلان؟ فيقول أو لم يأتكم؟ فيقولون: لا والله ماجاءنا ولا مر بنا سلك به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية

وقال وهب بن منبه: إن لله في السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسائل الغائب أهله إذا قدم إليهم، ذكره أبو نعيم.

(فصل) هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فمثلها لا يقال من جهة الرأي.

Marfat.com

وقد خرج النسائى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث وفيه: فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه مافعل فلان مافعلت فلانة فيقولون دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم قالوا ذهب به الى أمه الهاوية ، وذكر الحديث وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى .

وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول قال : حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنا قبيصة عن سفيان عن أبان بن أبى عياش عن أنس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيرا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم لما هديتنا .

وخرج من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعرض الأعمال يوم الإثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وتشرقة . فاتقوا الله عباد الله ولا تؤذوا موتاكم

وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أرواحكم تعرض إذا مات مات أحدكم على عشائركم وموتاكم . فيقول بعضهم لبعضهم دعوه يستريح فإنه كان فى كرب . ثم يسألوه ماعمل فلان وما عملت فلانة ، فإن ذكر خيراً حمدوا الله واستبشروا وإن كان شراً قالوا اللهم اغفر له حتى أنهم ليسألون هل تزوج فلان هل تزوجت فلانة ؟ قال فيسألونه عن رجل مات قبله فيقول : ذاك مات قبلى ، أما مر بكم ؟ فيقولون لا والله . فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون . ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية حتى أنهم ليسألونه عن هر البيت ذكره الثعلبى .

وقد قيل فى قوله عليه الصلاة والسلام : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف إنه هذا التلاقى ، وقد قيل تلاقى أرواح النيام والموتى وقيل غير هذا والله أعلم .

Marfat.com

باب منه

روى من حديث ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الميت يؤذيه فى قبره ما يؤذيه فى بيته ، قيل : يجوز أن يكون الميت يبلغ من أفعال الأحياء وأقوالهم مايؤذيه بلطيفة يحدثها الله لهم من ملك يبلغ أوعلامة أو دليل أو ماشاء الله وهو القادر على ما يشاء .

وروى عن عروة قال : وقع رجل فى على عند عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال له عمر : مالك قبحك الله لقد أذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره .

قال علماؤنا : ففى هذا الحديث زجر عن سوء القول فى الأموات .

وفى الحديث : أنه نهى عن سب الأموات وزجر عن فعل ماكان يسوؤهم فى حياتهم ، وفيه أيضاً زجر عن عقوق الآباء والأمهات بعد موتهما بما يسوؤهما من فعل الحى .

فقد روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يهدى لصداق خديجة صلة منه لها وبرا وإذا كان الفعل صلة وبرا كان ضده قطيعة وعقوقا . وقيل : يجوز أن يكون معنى الحديث : الميت يؤذيه فى قبره من كان يؤذيه فى بيته إذا كان حيا فيكون ما بمعنى من ويكون ذلك مضمرا فى الكلام ، والإشارة إلى الملك الموكل بالإنسان .

فقد ورد فى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الملك يتباعد عن الرجل عند الكذبة يكذبها ميلين من نتن ماجاء به وكذلك كل معصية لله تؤذى الملك الموكل به . فيجوز أن يموت العبد وهو مصر على معاصى الله غير تائب منها ولا مكفر عنه خطاياه فيكون تمحيصه وتطهيره فيما يلحقه من الأذى من تغليظ الملك إياه أو تقريعه له والله سبحانه وتعالى أعلم .

Marfat.com

باب فى شان الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد

قال أبو الحسن القابسى رحمه الله : الصحيح من المذهب والذى عليه أهل السنة أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدى الله تعالى فيسألها فإن كانت من أهل السعادة قال لهم: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها فى الجنة على قدر ما يغسل الميت فإذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فإذا وصل إلى قبره وصلى عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان على ما يأتى

وعن عمرو بن دينار قال : مامن ميت يموت إلا روحه فى يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشى به فيجلس فى قبره .

قال داود : وزاد فى هذا الحديث . قال : يقال له وهو على سريره : اسمع ثناء الناس عليك . ذكره أبو نعيم الحافظ فى باب عمرو .

وقال أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة : فإذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه عليهما أثواب حسنة ولها رائحة طيبة فيلفونها فى حرير من حرير الجنة وهى على قدر النحلة شخص إنسانى ما فقد من عقله ولا من علمه المكتسب له فى دار الدنيا ، فيعرجون بها فى الهواى فلا يزال يمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر ، حتى ينتهى إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب فيقال الأمين من أنت ؟ فيقول : أنا صلصائيل وهـــذا فلان معى بأحسن أسمائه وأحبها إليه فيقولون نعم الرجل كان فلان وكانت عقيدته غير شاك . ثم ينتهى به إلى السماء الثانية ، فيقرع الباب . فيقال له: من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى : فيقولون: أهلا وسهلا بفلان . كان محافظا على صلاته بجميع فرائضها . ثم يمر حتى ينتهى إلى السماء الثالثة . فيقرع الباب فيقال له: من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته الأولى والثانية فيقال : مرحباً بفلان كان يراعى الله فى حق ماله ولا يتمسك منه بشىء ثم ينتهى حتى يمر إلى السماء الرابعة ، فيقرع الباب . فيقال: من أنت ؟ فيقول كدأبه فى مقالته . فيقال: أهلا بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام . ثم ينتهى إلى السماء الخامسة فيقرع الباب . فيقال: من أنت ؟

Marfat.com

فيقول كعادته يقال أهلا وسهلا بفلان ذى حجة الله الواجبة من غير سمعة ولا رياء ثم ينتهى إلى السماء السادسة فيقرع الباب . فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه فى مقالته . فيقال مرحبا بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه فيفتح له الباب . ثم يمر حتى ينتهى الى السماء السابعة فيقرع الباب فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته . فيقال مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار ويتصدق فى السر ويكفل الأيتام . ثم يفتح له فيمر حتى ينتهى إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول الأمين مثل قوله فيقول : أهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة كان كثير الاستغفار ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكرم المساكين ويمر بملأ من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه حتى ينتهى إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب . فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه فى مقالته . فيقال أهلا وسهلا بفلان كان عمله عمل صالح خالصا لوجه الله عز وجل ثم يفتح له فيمر فى بحر من نار ثم يمر فى بحر من نور ثم يمر فى بحر من ظلمة ثم يمر فى بحر من ماء ثم يمر به فى بحر من ثلج ثم يمر به فى بحر من برد طول كل بحر منها ألف عام . ثم يخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن وهى ثمانون ألفا من السرادقات لها شرارف لكل سرادق ثمانون ألف شرافة على كل شرافة ثمانون ألف قمر يسبح الله ويهلله[1] ويقدسه لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا لعبد من دون الله ولأحرقها نورا ، فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء أولئك السرادقات من هذه النفس التى جئتم بها ؟ فيقال : فلان ابن فلان فيقول الجليل جل جلاله: قربوه فنعم العبد كنت ياعبدى، فإذا أوقفه بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك ثم يعفو عنه .

كما روى عن يحيي بن أكثم القاضى وقد رؤى فى المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه . ثم قال : ياشيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقلت يارب ما بهذا حدثت عنك . قال : فبما حدثت عنى يايحيي ؟ فقلت : حدثنى الزهرى عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك أنك قلت : إنى لأستحى أن أعذب ذا شيبة شابت فى الإسلام فقال:

(١) يهللون الله ويسبحونه ويقدسونه

يا يحيي صدقت وصدق الزهرى وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك .

وعن ابن بنانة وقد رؤى فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال أوقفنى بين يديه الكريمتين وقال: أنت الذى تخلص كلامك حتى يقال : ما أفصحه فقلت: سبحانك إنى كنت أصفك . قال قل مما كنت تقول فى دار الدنيا ، قلت: أبادهم الذى خلقهم وأسكنهم الذى أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم وسيجمعهم كما فرقهم . قال لى: صدقت اذهب فانى قد غفرت لك .

وعن منصور بن عمار أنه رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال أوقفنى بين يديه وقال لى : بماذا جئتنى يامنصور ؟ قلت بستة وثلاثين حجة . قال ما قبلت منها شيئا ولا واحدة . ثم قال(١) بماذا جئتنى ؟ قلت بثلاثمائة وستين ختمة للقرآن قال : ماقبلت منها واحدة . ثم قال : فبماذا جئتنى يامنصور ؟ قال جئتك بك . قال سبحانه : الآن جئتنى اذهب فقد غفرت لك . ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسى سمع النداء ردوه فمنهم من يرد من الحجب ، وإنما يصل إلى الله عارفوه .

(١) بماذا جئتنى يامنصور قلت جئتك :

(فصل) وأما الكافر فتؤخذ نفسه عنفا فإذا وجهه كأكل الحنظل والملك يقول : اخرجى أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث ، فإذا له صراخ أعظم ما يكون ، كصراخ الحمير ، فإذا قبضها عزرائيل ناولها زبانية قباح الوجوه ، سود الثياب منتنو الرائحة بأيديهم مسوح من شعر فيلفونها فيستحيل شخصاً إنسانياً على قدر الجرادة ، فان الكافر أعظم جرماً من المؤمن ، يعنى فى الجسم فى الآخرة ، وفى الصحيح أن ضرس الكافر فى النار ، مثل أحد ، فيعرج به حتى ينتهى إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب ، فيقال : من أنت ؟ فيقول : أنا دقيائيل لأن اسم الملك الموكل على زبانية العذاب دقيائيل ، فيقال : من معك ؟ فيقول : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه فى دار الدنيا ، فيقال(٢) لا أهلا ولا سهلا . ولا مرحباً ، ولا يفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة ، فإذا سمع الأمين هذه المقالة ، طرحه من يده ، فيهوى به الريح فى مكان سحيق ، أى : بعيد ، وهو

(٢) ولا سهلا ولا تفتح لهم أبواب السماء لقوله تعالى « لا تفتح لهم أبواب السماء الآية

قوله عز وجل : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) ، فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية ، وصارت به إلى سجين ، وهى صخرة عظيمة تأوى إليهاأرواح الفجار. وأما النصارى واليهود ، فيردودون من الكرسى إلى قبورهم . هذا من كان منهم على شريعته ، ويشاهد غسله ودفنه .

وأما المشرك فلا يشاهد شيئا من ذلك ، لأنه قد هوى به .

وأما المنافق فمثال الثانى يرد مقوتا مطرودا إلى حفرته .

وأما المقصرون المؤمنون فتختلف أنواعهم ، فمنهم من ترده صلاته ، لأن العبد إذا قصر فى صلاته سارقا لها . تلف كما يلف الثوب الخلق ، ويضرب بها وجهه . ثم تعرج وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، ومنهم من ترد زكاته لأنه إنما يزكى ليقال : فلان متصدق ، وربما وضعها عند النساء ، ولقد رأيناه عافانا الله مما حل به ، ومن الناس من يرد صومه ، لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو رفث وخسران ، فيخرج الشهر وقد بهرجه ، ومن الناس من يرده حجه ، لأنه إنما حج ليقال فلان حج ، أو يكون حج بمال خبيث ، ومن الناس من يرده العقوق ، وسائر أحوال البر كلها ، لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات ، وتخليص العمل الذى للملك الوهاب ، فكل هذه المعانى جاءت بها الآثار والأخبار ، كالخبر الذى رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه فى رد الأعمال وغيره ، فإذا ردت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ فى غسله إن كان قد غسل فتقعد عند رأسه حتى يغسل فإذا أدرج الميت فى أكفانه صارت ملتصقة بالصدر من خارج الصدر ، ولها خوار وعجيج تقول : أسرعوا بى ، إلى رحمة الله أى رحمة لو تعلمون ما أنتم حاملونى إليه ، وإن كان يبشر بالشقاء تقول : رويداً إلى أى عذاب لو تعلمون ما أنتم حاملونى إليه ، فإذا أدخل القبر وهيل عليه التراب ناداه القبر : كنت تفرح على ظهرى ، فاليوم تحزن فى بطنى كنت تأكل الألوان على ظهرى ، فالآن يأكلك الدود فى بطنى ،

Marfat.com

ويكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب ثم ينادبه ملك يقال له رومان ، وهو أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى والله أعلم بغيبه وأحكم

باب كيفية التوفى للموتى

واختلاف أحوالهم فى ذلك ذكر الله التوفى فى كتابه مجملا ومفصلا ، فقال الله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) ، وقال : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) ، وقال : (توفته رسلنا وهم لا يفرطون) ، وقال : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) ، فهذا كله مجمل ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وقال : (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ، وقال : (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ، وهذا مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل . فيما قاله بعض علمائنا وقد ذكر المهدوى وغيره فى ذلك اختلافا ، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان والله أعلم .

وروى مسلم فى حديث فيه طول قال أبو زميل فحدثنى ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة السوط وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه خر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه لضربة السوط فأخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثانية فقتلوا يومئذ سبعين وأسرو سبعين وذكر الحديث .

وقال تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) أى بالعذاب أخرجوا أنفسكم إلى قوله يستكبرون وقد زادت السنة هذا النوع بيانا على ما يأتى

(فصل) إن قال قائل : كيف الجمع بين هذه الآى وكيف يقبض ملك الموت

Marfat.com

فى زمن واحد أرواح من يموت بالمشرق والمغرب؟ قيل له: اعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم يدع منه شيئا فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك وتارة إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يتولون ذلك أيضا وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وقال (وهو الذى يحييكم ثم يميتكم) وقال (الذى خلق الموت والحياة فكل مأمور من الملائكة فإنما يفعل مايفعل بأمره) .

وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا وإلى ملائكة العذاب إن كان كافرا. وهذا المعنى منصوص فى حديث البراء وسيأتى .

وفى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم إن ملك الموت ليهيب بالأرواح كما يهيب أحدكم بفلوه أو فصيله ألا هلم ألا هلم، يهيب يدعو، يقال: أهاب الرجل بغنمه أى صاح بها لتقف أو لترجع وأهاب بالبعير .

قال طرفة يصف ناقته :

تريع إلى صوت المهيب وتتقى بذى خصل روعات أكلب ملبدى

وقال العتال الكلابى :

أهابوا به فازداد بعداً وصده عن القرب منهم ضوء برق ووابله

يعنى نصل السهم .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يدعو الأرواح التى يتوفاها الله ويقبضها .

وفى الخبر أن ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة يكتب فيها له فى ليلة النصف من شعبان وهى الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم من الأرزاق والآجال فى قول بعض العلماء عكرمة وغيره والصحيح أن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان، وهو قول قتادة والحسن ومجاهد وغيرهم، يدل عليه قوله تعالى: (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) يعنى القرآن يعنى ليلة القدر وهذا بين .

وقال ابن عباس : إن الله يقضى الأقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر ، وكان هذا جمع بين القولين والله أعلم فإذا انقضى عمر ذلك الشخص الذى حان قبض روحه سقطت ورقة من سدرة المنتهى التى فيها اسمه على اسمه فى الصحيفة فعرف أن قد فرغ أجله وانقطع أكله .

وفى الخبر أن ملك الموت تحت العرش يسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش ، الصحف هنا ورق السدرة والله أعلم .

وكما فى الخبر قبله : فإذا نظر إلى الإنسان قد نفد رزقه وانقطع أكله ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كرباه وأدركته سكراته .

وفى خبر الإسراء عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : مررت على ملك آخر جالس على كرسى إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه وبيده لوح مكتوب فيه ، لا يلتفت عنه يمينا ولا شمالا فقلت ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا ملك الموت فقلت : يا ملك الموت كيف تقدر على قبض جميع أرواح من فى الأرض برها وبحرها ، قال : ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتى وجميع الخلائق بين عينى ويداى يبلغان المشرق والمغرب فإذا نفد أجل عبد نظرت اليه فإذا نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض غدوا فبطشوا به يعالجون نزع روحه فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف على شىء من أمره مددت يدى فأنزعه من جسده وألى قبضه .

وفى الخبر أنه ينزل عليه أربعة من الملائكة : ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى ذكره أبو حامد .

وقال : وربما كشف للميت عن لأمر الملكوتى قبل أن يغرغر فيعاين الملائكة على حقيقة عملهوعلى ما يتحيزون إليه من عالمهم ، فإن كان لسانه منطلقا حدث بوجودهم ، وربما أعاد على نفسه الحديث بما رأى وظن أن ذلك من فعل الشيطان به ، فيسكت حين يعقل لسانه وهم يجذبونها من أطراف البنان ورءوس الأصابع والنفس تنسل انسلال القداة من السقا .

والفاجر تسل روحه كالسفود من الصوف المبلول هكذا حكى صاحب الشرع عليه السلام ، والميت يظن أن بطنه ماتت شوكا كأنما نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإذا احتضرت نفسه إلى القلب مات لسانه عن النطق فلا أحد ينطق ، والنفس مجموعة فى صدره لسرين أحدهما أن الأمر عظيم قد ضاق صدره بالنفس المجتمعة فيه، ألا ترى أن الإنسان إذ أصابته ضربة فى الصدر بقى مدهوشا ، فتارة لا يقدر على الكلام ، وكل مطعون يطعن يصوت إلا مطعون الصدر فانه يخر ميتا من غير تصويت .

وأما السر الآخر فلان الذى فيه حركة الصوت المندفعة من الحرارة الغريزية فصار نفسه متغير الحالتين ، حال الارتفاع والبرودة ، لأنه فقد الحرارة ، فعند هذا الخبر تختلف أحوال الموتى ، فمنهم من يطعنه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سقيت سما من نار فتفر الروح وتفيض خارجة فيأخذها فى يده وهى ترعد أشبه شىء بالزئبق على قدر الجرادة شخصاً إنسانيا ، ثم يناولها الزبانية .

ومن الموتى من تجذب نفسه رويداً حتى تنحصر فى الحنجرة وليس يبقى فى الحنجرة إلا شعبة متصلة بالقلب فحينئذ يطعنها بتلك الحربة الموصوفة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : لم أجد لهذه الحربة فى الأخبار ذكر إلا ماذكره أبو نعيم الحافظ .

قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمود قال : حدثنا محمد بن احمد بن يحيى قال : حدثنا سلمة بن شبيب ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم . قال : حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال : إن لملك الموت عليه السلام حربة تبلغ مابين المشرق والمغرب فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال : الآن يزار بك عسكر الأموات .

وروى سليمان بن مهير الكلابى قال : حضرت مالك بن أنس وأتاه رجل فسأله ياأباعبد الله البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق مالك طويلا ثم قال : لها نفس ؟ قال : نعم ، قال : ملك الموت يقبض أرواحها (الله يتوفى الأنفس حين موتها) ذكره الخطيب أبو بكر رحمه الله .

Marfat.com

باب ماجاء فى صفة ملك الموت
عند قبض روح المؤمن والكافر

قال علماؤنا رحمهم الله : وأما مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على القلب منه من الروع والفزع فهو أمر لايعبر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتبدا له ويطلع عليه وإنما هى أمثال تضرب وحكايات تروى.

روى عن عكرمة أنه قال : رأيت فى بعض صحف شيث أن آدم عليه السلام قال : يارب أرنى ملك الموت حتى أنظر اليه ، فأوحى الله تعالى اليه :إن له صفات لا تقدر على النظر إليها وسأنزله عليك فى الصورة التى يأتى فيها الأنبياء والمصطفين فأنزل الله عليه جبريل وميكائيل وأتاه ملك الموت فى صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح ، منها جناح جاوز السموات وجناح جاوز الأرضين وجناح جاوز أقصى المشرق وجناح جاوز أقصى المغرب، وإذا بين يديه الأرض بما اشتملت عليه من الجبال والسهول والغياض والجن والإنس والدواب وماأحاط بها من البحار وما علاها من الاجواء فى ثغره نحرة كالخردلة فى فلاة من الأرض ، وإذا له عيون لايفتحها إلا فى مواضع فتحها وأجنحة لاينشرها إلا فى مواضع نشرها ، وأجنحة للبشرى ينشرها للمصطفين وأجنحة للكفار فيها سفافيد وكلاليب ومقاريض، فصعق آدم صعقة لبث فيها إلى مثل تلك الساعة من اليوم السابع ثم أفاق وكان فى عروقه الزعفران . ذكر هذا الخبر ابن ظفر الواعظ المكنى أبوهاشم محمد بن محمد فى كتاب النصائح .

وروى عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له : اصرف وجهك عنى فصرف ، ثم نظر إليه فرآه فى صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له : والله لولم يلق المؤمن من السرور شيئا سوى وجهك كفاه ثم قال له : أرنى كيف تقبض روح الكافر فقال له : لا تطيق ذلك قال : بلى أرنى، قال : اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود

رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء كأقبح ماأنت راء من الصور ، تحت كل شعرة من جسده لهيب نار، فقال له والله لولم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه. وجهك وشخصك

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وسيأتى هذا المعنى مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الملائكة فى حديث البراء وغيره إن شاء الله تعالى .

وقال ابن عباس أيضا: كان إبراهيم عليه السلام رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا هو برجل فى جوف البيت فقال : من أدخلك دارى ؟ فقال :أدخلنيها ربها، قال إبراهيم : أنا ربها، قال : أدخلنيها من هو أملك بها منك ، قال: فمن أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت . قال أتستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن؟ قال : نعم ، ثم التفت ابراهيم فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته فقال : ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه صلى الله عليه وسلم .

(فصل) قال علماؤنا : لايتعجب من كون ملك الموت يرى على صورتين لشخصين، فما ذلك إلا مثل مايصيب الإنسان بتغير الخلقة فى الصحة والمرض والصغر والكبر والشباب والهرم، وكصفاء اللون بملازمة الحمام وشحوبة الوجه بتغير اللون بلفح الهواجر فى السفر ، غير أن قضية الملائكة عليهم السلام يجرى ذلك منهم فى اليوم الواحد والساعة الواحدة ، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا فى الأوقات المتباعدة والسنين المتطاوله ، وهذا بين فتأمله .

باب ماجاء أن ملك الموت عليه السلام هو القابض لأرواح الخلق

وأنه يقف على كل بيت فى كل يوم خمس مرات وعلى كل ذى روح كل ساعة
وأنه ينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة

قال الله تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) .

(١) وروى ابن عمر قال : إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية

(١) وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما

بويلها ، فيقول ملك الموت عليه السلام : فيم هذا الجزع فوالله ما أنقصت لاحد منكم عمرا ولاذهبت لأحد منكم برزق ولاظلمت لأحد منكم شيئاً، فإن كانت شكايتكم وسخطكم على فإنى والله مأمور ، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه فى ذلك مقهور . وإن كان ذلك على ربكم فأنتم كفرة وإن لى فيكم عودة ثم عودة، فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم : خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى فى كتاب اللؤلؤيات له .

وروى معناه مرفوعا فى الخبر المشهور المروى فى الأربعين عن أنس بن مالك قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مامن بيت الا وملك الموت يقف على بابه فى كل يوم خمس مرات ، فإذا وجد الإنسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمرته غمراته، فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها، فيقول ملك الموت عليه السلام : ويلكم مم الفزع ومم الجزع ؟ ماأذهبت لأحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا وإن لى فيكم عودة ثم عودة حتى لاأبقى منكم أحداً .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادى: يا أهلى ويا ولدى لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى، جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيرى فالمهناة له والتبعة على فاحذروا ماحل بى .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ارفق بصاحبى فإنه مؤمن ، فقال ملك الموت عليه السلام : يامحمد طب نفسا وقر عينا فإنى بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن مامن أهل بيت مدر ولا شعر فى بر ولا بحر ، إلا وأنا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم لأنفسهم، والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها .

Marfat.com

قال جعفر بن محمد : بلغنى أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ذكره الماوردى

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفى هذا الخبر مايدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذى روح ،وأن تصرفه كله بأمر الله عزوجل وبخلقه واختراعه .

قال ابن عطية : وروى فى الحديث أن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت كأنه بعدم حياتها قال : وكذلك الأمر فى بنى آدم إلا أنه نوع شرف بتصرف ملك الموت وملائكة معه فى قبض أرواحهم ، فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه قبض الأرواح وانسلالها من الأجسام وإخراجها منه وخلق جندا يكونون معه يعملون عمله بأمره .

فقال تعالى : (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) .

وقال تعالى : (توفته رسلنا) والبارى سبحانه خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل.

قال الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) .(الذى خلق الموت والحياة) . (يحيي ويميت) . فملك الموت يقبض الأرواح والأعوان يعالجون ، والله يزهق الروح . وهذا هو الجمع بين الآى والحديث ، لكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف الخلق للملك .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : كما فى حديث ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح) الحديث أخرجه مسلم وغيره .

وقوله : يجمع خلقه فى بطن أمه . قد جاء مفسرا عن ابن مسعود ، رواه الأعمش عن خيثمة .

قال : قال عبد الله : إن النطفة إذا وقعت فى الرحم فأراد الله سبحانه أن يخلق منها بشراً طارت فى بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر ، ثم تمكث أربعين ليلة ، ثم تنزل دما فى الرحم فذلك جمعها .

Marfat.com

وفى صحيح مسلم أيضاً : عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يقول : إذا مر بالنطفة ثنتان ورأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها[1] وشعرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم يقول : أى رب أذكر أم أنثى . وذكر الحديث وما قبله يفسره ويبينه ، لأن النطفة لا يبعث الملك إليها إلا بتمام ثنتين وأربعين ليلة فتأمله . ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لاحقيقية ، وإنما صدر عنه فعل ما فى المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدرة الله تعالى وخلقه واختراعه . ألا تراه سبحانه وتعالى قد أضاف إليه الخلقة الحقيقية ، وقطع عنها نسب جميع الخليقة . فقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) إلى غير ذلك من الآيات . مع مادلت عليه قاطعات البراهين إذ لاخالق لشىء من المخلوقات إلا رب العالمين . وهكذا القول فى قوله : ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح أى أن النفخ فيه سبب يخلق الله فيه الروح والحياة . وكذلك القول فى سائر الأسباب المعتادة فإنه بإحداث الله تعالى لا بغيره فتأمل ذلك مذاهو الأصل وتمسك به فبه النجاة من مذاهب أهل الضلال[2] والطبائع وغيرهم ، وأن الله هو القابض لأرواح جميع الخلق على الصحيح وأن ملك الموت وأعوانه وسائط . وقد سئل مالك بن أنس عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق مليا ثم قال : ألها نفس ؟ قال نعم قال ملك الموت يقبض أرواحها (الله يتوفى الأنفس حين موتها) .

وفى الخبر : أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة : أنا أحيي الموتى . فأوحى الله إليهما : كونا على عملكما وماسخرتما له من الصنع . وأنا المميت والمحي لا يميت ولا يحي سواى : ذكره أبو حامد فى الإحياء .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن ثابت البنانى قال : الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة تأتى على ذى روح إلا وملك الموت قائم عليها ، فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب ، وهذا عام فى كل ذى روح .

وفى خبر الإسراء عن ابن عباس فقلت : يا ملك الموت كيف تقدر على قبض أرواح جميع من فى الأرض برها وبحرها : الحديث وقد تقدم .

---

(١) سمعها وبصرها وشعرها (٢) أهل الضلال والقائلين بالطبائع

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن ملك الموت لينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة قال : إذا ضحك العبد الذى بعث اليه قال : يقول عجبا بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك والله أعلم

باب ماجاء فى سبب قبض ملك الموت لأرواح الخلق

روى الزهرى ووهب بن منبه وغيرهما ما معناه : إن الله أرسل جبريل ليأتيه من تربة الأرض فأتاها ليأخذ منها فاستعاذت بالله من ذلك فأعاذها ، فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه فأعاذها فبعث عزرائيل فاستعاذت منه فلم يعذها فأخذ منها، فقال الرب تبارك وتعالى اما فاستعاذت بى منك قال : نعم قال : فهلا رحمتها كما رحمها صاحباك ؟ قال : يارب طاعتك أوجب على من رحمتى إياها . قال الله عز وجل : اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم فبكا . فقال : مايبكيك ؟ فقال يارب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين وإنك لم تخلق خلقا أكره إليهم من الموت ، فإذا عرفونى أبغضونى وشتمونى .

قال الله تعالى : إنى سأجعل للموت عللا وأسباباً ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها ، فخلق الله الأوجاع وسائر الحتوف .

وقد روى هذا الخبر عن ابن عباس ، قال : رفعت تربة آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الأرض السابعة شىء ، لأن فيها نار جهنم قال : فلما أتى ملك الموت بالتربة قال له ربه : أما استعاذت بى منك ، الحديث بلفظه ومعناه ذكره القتيبي وزاد فقالت الأرض ؛ يارب خلقت السماوات فلم تنقص منها شيئا وخلقتنى فنقصتنى .

فقال لها الرب : وعزتى وجلالى لأعيدنهم إليك برهم وفاجرهم ، فقالت : وعزتك لأنتقمن ممن عصاك .

قال : ثم دعا بمياه الأرض ماحها وعذبها وحلوها ومرها وطيبها ومنتنها فعتق منه تربة آدم ، فأقام يخمره أربعين صباحا ، وقال آخرون : أربعين سنة لم ينفخ فيه

الروح ، فكانت الملائكة تمر به فيقفون ينظرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : إن ربنا لم يخلق خلقاً أحسن من هذا وإنه خلق لأمر كائن ويمر به إبليس اللعين فيضرب بيده عليه فيسمع له صلصلة ، وهو الصلصال الفخار ، فقال إبليس : إن فضل هذا علي لم أطعه ، وإن فضلت عليه أهلكته ، هذا من طين وأنا من نار .

وقد قيل : إن الذى أتى بتربة الأرض إبليس وإن الله بعثه بعد ملكين ، فاستعاذت بالله منه ، فقالت : إنى أعوذ بالله منك ، ثم أخذ منها وصعد إلى ربه فقال : ألم تستعذ بى منك ؟ فقال: بلى يا رب ، فقال الله عز وجل : وعزتى لأخلقن مما جئت بيداك خلقا يعبدونك والله أعلم

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

ابن ماجة ، عن أم سلمة ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة ، وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر. خرجه مسلم أكمل من هذا وقد تقدم .

وروى مسلم عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ، قالوا بلى ، قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه ، وفى غير الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن ما رئى قط ، فذلك حين يمد بصره إليه .

(فصل) فى قوله : إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، وقوله فذلك حين يتبع بصره نفسه مايستغنى به عن قول كل قائل فى الروح والنفس ، وانهما اسمان لمسمى واحد ، وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

باب ما جاء فى تزاور الأموات فى قبورهم

واستحبسان الكفن لذلك

مسلم عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه .

وخرج أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى السجستانى الحافظ فى كتاب **الابانة** عن مذهب السلف الصالح فى القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان .

أخبرنا هبة الله بن إبراهيم بن عمر قال: **حدثنا ابن الحسن عن** بن بندار قال : **أبو عروة حدثنا** قال حدثنا محمد بن المصفى قال : حدثنا معاوية قال حدثنا إبراهيم ابن معاوية عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون فى قبورهم) .

وقال ابن المبارك : أحب إلى أن يكفن فى ثيابه التى كان يصلى فيها .

باب الإسراع بالجنازة وكلامها

البخارى عن أبى سعيد الخدرى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم . فإن كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى . وإن كانت غير صالحة قالت: ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ولو سمعه صعق) وقد تقدم من حديث أنس أنها تقول : ياأهلى وياولدى .. الحديث .

البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه . وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) أخرجه مسلم أيضاً .

(فصل) : صعق مات. والإسراع قيل معناه : الإسراع بحملها إلى قبرها فى المشى وقيل : تجهيزها بعد موتها لئلا تتغير ، والأول أظهر لما رواه النسائى . قال :

أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا خالد قال : حدثنا عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال : شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة وخرج زياد يمشي بين يدى السرير ، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون : رويداً رويدا بارك الله فيكم . فكانوا يدبون حتى إذا كنا ببعض الطريق لحقنا أبوبكرة رضى الله عنه يمشي على بغلة . فلما رأى الذين يصنعون حمل عليهم ببغلته وأهوى عليهم بالسوط . فقال : خلوا فوالذى كرم وجه أبي القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنا لنكاد نرمل بها رملا . فانبسط القوم . صححه أبو محمد عبد الحق .

وروى أبو داود من حديث أبي ماجدة عن ابن مسعود قال : سألنا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عن المشي مع الجنازة . فقال (دون الخبب إن يكن خيراً تعجل اليه وإن يكن غير ذلك فبعدا لأهل النار) ذكره أبو عمر بن عبد البر .

وقال : والذى عليه جماعة أهل العلم فى ذلك الإسراع فوق السجية والعجلة أحب إليهم من الإبطاء ، ويكره الإسراع الذى يشق على ضعفة من يتبعها . وقال إبراهيم النخعى : نصوا بها قليلا ولا تندبوا دبيب اليهود والنصارى. السجية العادة .

باب بسط الثوب على القبر عند الدفن

أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبع جنازة ، فلما صلى عليها دعى بثوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تتطلعوا فى القبر فإنها أمانة فلعسى يحل العقدة فيرى حية سوداء متطوقة فى عنقه فإنها أمانة ولعله يؤمر به فيتسمع صوت السلسلة .

وذكر عبد الرازق عن ابن جريج عن الشعبي عن رجل أن سعد بن مالك ، قال : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بثوب فستر على القبر حين دفن سعد بن معاذ ، قال : وقال سعد : إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فى قبر سعد بن معاذ وستر على القبر بثوب فكنت فيمن أمسك الثوب .

(فصل) اختلف العلماء فى هذا الباب ، فكان عبد الله بن يزيد وشريح وأحمد

Marfat.com

ابن حنبل يكرهون مد الثوب على الرجل ، وكان احمد واسحاق يختاران أن يفعل ذلك بقبر المرأة ، وكذلك قال أصحاب الرأى ، ولا يضر عندهم أن يفعلوا ذلك بقبر الرجل .

وقال أبو ثور: لا بأس بذلك فى قبر الرجل والمرأة . وكذلك قال الإمام الشافعى وستر المرأة عند ذلك آكد من ستر الرجل ، ذكره ابن المنذر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويستر الرجل والمرأة للعلة التى جاءت فى حديث أنس اقتداء بفعله عليه السلام فى ستر سعد بن معاذ والله أعلم .

ولقد أخبرنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن أحمد القصرى رحمه الله أنه توفى بعض الولاة بقسطنطينة فحفر له، فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر إذا بحية سوداء داخل القبر فهابوا أن يدخلوه فيه فحفروا له قبرا آخر ، فلما أرادوا أن يدخلوه إذا بتلك الحية فيه، فلم يزالوا يحفرون له نحوا من ثلاثين قبرا وإذا بتلك الحية تتعرض لهم فى القبر الذى يريدون أن يدفنوه فيه . فلما أعياهم ذلك سألوا : مايصنعون ؟ فقيل لهم: ادفنوه معها نسأل الله السلامة والستر فى الدنيا والآخرة .

باب ما جاء فى قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده

وأنه يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويدعى ويستغفر له ويتصدق عليه

ذكره أبو حامد فى كتاب الاحياء وأبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له .

قال محمد بن أحمد المروروذى سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

وقال على بن موسى الحداد : كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى يقرأ ، فلما دفنا الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة على القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد : يا أبا عبدالله : ما تقول فى مبشر بن اسماعيل . قال : ثقة ؟ قال : هل كتبت عنه شيئا ؟ قال : نعم . قال : أخبرنى مبشر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحجاج

Marfat.com

عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصى بذلك .

قال أحمد : فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن بحديث العسيب الرطب الذى شقه النبي صلى الله عليه وسلم باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا. خرجه البخارى ومسلم .

(١) وفى مسند الطيالسى: فوضع على أحدهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال :إنه يهون عليهما مادام فيهما من بلولتهما شيء، قالوا: ويستفاد من هذ غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن؟

وقد خرج السلفى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطى من الاجر بعدد الأموات .

وقال الحسن من دخل المقابر فقال: اللهم رب الأجساد البالية والعظام الناخرة خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة فأدخل عليها روحا منك وسلاما منى إلا كتب له بعددهم حسنات .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس أنه ، قال : خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلمون ، كلما أخلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم ، فإن المعلم إذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار ذكره الثعلبي .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : أصل هذا الباب الصدقة التى لا اختلاف فيها فكما يصل للميت ثوابها فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء والاستغفار إذ كل ذلك صدقة فإن الصدقة لا تختص بالمال .

قال صلى الله عليه وسلم : وقد سئل عن قصر الصلاة فى حالة الأمن فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته .

وقال عليه السلام يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فإن كل تسبيحة صدقة

(١) وفى مسند أبو داود الطيالسى

Marfat.com

وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزىء عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ، ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لأن القراءة تحفة الميت من زائره .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما الميت فى قبره إلا كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا ومافيها ، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار .

وقد حكى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصرى رحمه الله فقالت : إن ابنتى ماتت وقد أحببت أن أراها فى المنام فعلمنى صلاة أصليها لعلى أراها فعلمها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل فى عنقها والقيد فى رجلها فارتاعت لذلك فأعلمت الحسن فاغتم عليها ، فلم تمض مدة حتى رآها الحسن فى المنام وهى فى الجنة على سرير وعلى رأسها تاج . فقالت له ياشيخ : أما تعرفنى ؟ قال : لا ، قالت له : أنا تلك المرأة التى علمت أمى الصلاة فرأتنى فى المنام قال لها فاسبب أمرك ؟ قالت : مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فى المقبرة خمسمائة وستون إنسانا فى العذاب فنودى : ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : مات أخ لى فرأيته فى المنام فقلت : ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعالى لرأيت أنه سيضربنى به . والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة ، ذكرها أبو محمد عبدالحق فى كتاب العاقبة له . وقد ذكر فى هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رضى الله عنه فى كتاب عيون الأخبار له حكاية فيها طول ، رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهال ودعاء بالموت والإنتقال .

عجيب حكاية

روى عن الحرث بن نبهان أنه قال : كنت أخرج إلى الجبانات فأرحم على أهل القبور وأتفكر وأعتبر وأنظر إليهم سكوتا لايتكلمون وجيرانا لايتزاورون ، وقد صار لهم من بطن الأرض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى : يا أهل القبور بحيت من الدنيا آثاركم ، وما بحيت عنكم أوزاركم ، وسكنتم دار البلاء

Marfat.com

فتورمت أقدامكم قال : ثم يبكى بكاء شديداً ثم يميل إلى قبة فيها قبر فينام فى ظلها .

قال : فبينما أنا نائم إلى جانب القبر إذ أنا بحس مقمعة يضرب بها صاحب القبر وأنا أنظر إليه والسلسلة فى عنقه ، وقد ازرقت عيناه واسود وجهه وهو يقول : ياويلى ماذا حل بى لورآنى أهل الدنيا ماركبوا معاصى الله أبداً . طولبت والله باللذات فأوبقتنى وبالخطايا فأغرقتنى فهل من شافع لى أومخبر أهلى بأمرى ؟ !

قال الحارث : فاستيقظت مرعوبا وكاد أن يخرج قلبى من هول مارأيت ، فمضيت إلى دارى وبت ليلتى وأنا متفكر فيما رأيت ، فلما أصبحت قلت دعنى أعود إلى الموضع الذى كنت فيه لعلى أجد به أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذى رأيت . قال : فمضيت إلى المكان الذى كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً فأخذنى النوم فنمت ، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب على وجهه ويقول : ياويلتاه ماذا حل بى بسماعى فى الدنيا عملى طال فيها أجلى حتى غضب على رب الأرباب ؛ فالويل لى إن لم يرحمنى ربى .

قال الحارث : فاستيقظت وقد توله عقلى بما رأيت وسمعت ، فمشيت إلى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر لعلى أجد أحدا من زوار القبور فأعلمه بما رأيت ثم نمت فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه وهو يقول : ماأغفل أهل الدنيا عنى، ضوعف على العذاب وتقطعت عنى الحيل والأسباب وغضب على رب الأرباب وغلق فى وجهى كل باب ، فالويل لى إن لم يرحمنى ربى العزيز الوهاب .

قال الحارث : فاستيقظت من منامى مرعوبا وهممت بالانصراف فإذا بثلاث جوار قد أقبلن فتبا عدت لهن عن القبر وتواريت لكى أسمع كلامهن ، فتقدمت الصغرى ووقفت على القبر وقالت : السلام عليك ياأبتاه كيف هدوؤك فى مضجعك وكيف قرارك فى موضعك ذهبت عنا بودك وانقطع عنا سؤالك فما أشد حسرتنا عليك ، ثم بكت بكاء شديدا . ثم تقدمت بنتان فسلمتا على القبر ، ثم قالتا : هذا قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا آنسك الله بملائكة رحمته وصرف عنك عذابه ونقمته ، يا أبتاه جرت بعدك أمور لو عاينتها لأوهمتك ولو اطلعت

Marfat.com

عليها لأحزنتك ، كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترها .

قال الحارث : فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قلت سرعا اليهن فسلمت عليهن وقلت أيها الجوارى إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل أبيكن المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ما أحزننى واطلعت من حاله على ما آلمنى؟ .

قال الحارث : فلما سمعن كلامى كشفن وجوههن وقلن :أيها العبد الصالح . وما الذى رأيت ؟ قلت لهن : لى ثلاثة أيام أختلف[1] إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة[2] فيه، فلما سمعن ذلك منى قلن لى : بشارة ما أضرها ومصيبة ما أحزنها ، نحن نقضى الأوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار ، فوالله لاقر بنا قرار ولا ضمتنا للذة العيش دار أو نتضرع للجبار فلعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار . ثم مضين يتعثرن فى أذيالهن .

قال الحارث: فمضيت إلى دارى فبت ليلتى ، فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده فغلبنى[3] النوم، فإذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال وفى رجليه نعل من ذهب ومعه حور وغلمان .

قال الحارث: فسلمت عليه وقلت له: رحمك الله من أنت :؟ قال:أنا الرجل الذى عاينت من أمرى ما أحزنك واطلعت منه على ما أفجعك فجزاك الله خيرا فما أيمن طلعتك على . فقلت له : وكيف حالك ؟ فقال لى . لما اطلعت على وأخبرت بناتى بالامس بحالى أعرين أبدانهن وأسبان شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن فى التراب وأهملن دموعهن بالانسكاب واستوهبونى من العزيز الوهاب فغفر لى الذنوب والأوزار واستنقذنى من النار وأسكننى دار القرار بجوار محمد المختار، فإذا رأيت بناتى فأعلمهن بأمرى وماكان من قصتى ليزول عنهن روعهن ويفارقهن حزنهن وتعلمهن أنى قد صرت إلى جنات وحور ومسك وكافور وعندى غلمان وسرور وقد عفا عنى العزيز الغفور .

قال الحارث : فاستيقظت فرحاً مسروراً لما رأيت وسمعت . ثم مضيت إلى دارى وبت ليلتى ، فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام فسلمت عليهن

(١) أيام وأنا اختلفه (٢) فيه قال فلما (٣) فغلبنى النوم فنمت فاذا

Marfat.com

وقلت لهن: أبشرن فقد رأيت أباكن فى خير عظيم وملك مقيم ، وقد أعلمنى أن الله تعالى أجاب دعاءكن ولم يخيب مسعاكن وقد وهب لكن أباكن فاشكرنه على ما أولاكن .

قال فقالت الصغرى : اللهم يامؤنس القلوب ويا ساتر العيوب ويا كاشف الكروب ويا غافر الذنوب ويا عالم الغيوب ويا مبلغ الأمل المطلوب ، قد علمت ما كان من مسألتى ورغبتى واعتذارى فى خلوتى واستقالتى من ذلتى وتنصلى من خطيئتى وأنت اللهم تعلم همتى والمطلع على نيتى والعالم بطويتى ومالك رقبتى والآخذ بناصيتى وغايتى فى طلبتى ورجائى عند شدتى ومؤنسى فى وحدتى وراحم عبرتى ومقيل عثرتى ومجيب دعوتى، فإن كنت قصرت عما أمرتنى وركبت إلى ماعنه نهيتنى فبحلمك حملتنى وبسترك سترتنى ، فبأى لسان أذكرك وعلى أى نعمك أشكرك ضاق بكثرتها ذرعى فيا أكرم الأكرمين ومنتهى غاية الطالبين ومالك يوم الدين الذى يعلم ما أخفى فى الضمير ويدبر أمر الصغير والكبير ، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك وشفعتنى فى عبدك فاقبضنى إليك وأنت على كل شىء قدير ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها .

قال : ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها : يارب فرج كربى وخلص من الشك قلبى . يامن أقامنى من صرعتى وأقالنى من عثرتى ودلنى من حيرتى وأعاننى فى شدتى إن كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فألحقنى بأختى . ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها .

قال : ثم قامت الثالثة : فنادت بأعلى صوتها يا أيها الجبار الأعظم والملك الأكرم والعالم بمن سكت وتكلم ، لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم العزيز من أعززته والذليل من أذللته والشريف من شرفته والسعيد من أسعدته والشقى من أشقيته ، والقريب من أدنيته والبعيد من أبعدته والمحروم من أحرمته ؛ والرابح من أوهبته والخاسر من عذبته ، أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلمك المكنون الذى بعد عن إدراك الأفهام وغمض عن مناولة الأوهام باسمك الذى جعلته على الليل فدجى وعلى النهار فأضاء وعلى الجبال فدكدكت وعلى الرياح

Marfat.com

فتناثرت وعلى السموات فارتفعت وعلى الأصوات فخشعت وعلى الملائكة فسجدت . اللهم إنى أسألك إن كنت قضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فألحقنى بصواحباتى ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين أجمعين . آخر الحكاية والحمد لله رب العالمين .

وروى من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من دخل المقابر فقرأ بسورة يس خفف الله عنهم كان له بعدد من فيها حسنات .

ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة .

وقد روى إباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن ، وذكر النسائى من حديث معقل بن يسار المدنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقرءوا يس عند موتاكم ، وهذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت فى حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره .

قال أبو محمد عبد الحق حدثنى أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن أفرتك وكان هو وأبوه صالحين معروفين . قال : مات أبى رحمه الله فحدثنى بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه قال لى : زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ، ثم قلت يافلان هذا قد أهديته لك فماذا لى ؟ قال : فهبت على نفحة مسك غشيتنى وأقامت معى ساعة ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى حتى مشيت نصف الطريق .

قال أبو محمد: ورأيت لبعض من يوثق به قال ؛ ماتت لى امرأة فقرأت فى بعض الليالى آيات من القرآن فأهديتها لها ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها وسألته فلما كان فى اليوم الثانى حدثتنى امرأة تعرفها وتعرفنى قالت لى: رأيت البارحة فلانة فى النوم- تعنى الميتة المذكورة - فى مجلس حسن فى دار حسنة وقد أخرجت لنا أطباقا من تحت سرير كان فى البيت والأطباق مملوءة قوارير أنوار فقالت لى: هذا أهداه لى صاحب بيتى قال : وما كنت أعلمت بذلك أحدا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفى هذا المعنى حديث مرفوع من حديث أنس .

Marfat.com

يأتى فى باب ما يتبع الميت إلى قبره وقد قيل : إن ثواب القراءة للقارىء وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة . قال تعالى : (وإذا قرىء القرآن فأستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ولا يبعد فى كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعا ، ويلحقه ثواب مايهدى إليه من قراءة القرآن وإن لم يسمعه كالصدقة والدعاء والاستغفار لما ذكرنا ، ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال ، وما تقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل القرآن .

قال صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين . رواه الترمذى وقال فيه حديث حسن غريب وقال عليه السلام (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، والقراءة فى معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين حسب ماذكرنا وبالله التوفيق .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) وهذا يدل على أنه لاينفع أحدا عمل أحد . قيل له : هذه آية اختلف فى تأويلها أهل التأويل .

فروى عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم) فيجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء فى الأبناء والأبناء فى الآباء . يدل على ذلك قوله تعالى : (لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) وقال الربيع بن أنس : (وأن ليس للإنسان إلا ماسعى) يعنى الكافر . وأما المؤمن فله ماسعى وماسعى له غيره .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وكثير من الأحاديث تدل على هذا القول . ويشهد له . وأن المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم (من مات وعليه صيام صام وليه عنه) وقال عليه السلام للذى حج عن غيره قبل أن يحج عن نفسه (حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة) .

Marfat.com

وروى أن عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد موته وأعتقت عنه ، وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أمى توفيت ، أفأتصدق عنها ؟ قال : نعم ، قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : سقى الماء ، وفى الموطأ عن عبد الله ابن أبى بكر ، عن عمته ، أنها حدثته عن جدته أنها جعلت على نفسها مشياً إلى مسجد قباء ، فماتت ولم تقضه ، فأفتى عبد الله بن عباس أن يمشى عنها .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويحتمل أن يكون قوله تعالى : (وان ليس للإنسان إلا ما سعى) خاصا فى السيئة بدليل ما فى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قال الله عز وجل : (إذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبتها له عشرا إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة) والقرآن دال على هذا . قال الله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) الآية ، وقال فى الآية الأخرى : (كمثل جنة بربوة) وقال : (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وهذا كله تفضل من الله تعالى ، وطريق العدل أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، إلا أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لم يجب له كما أن زيادة الأضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة .

كما قيل لأبى هريرة : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ، فقال : سمعته يقول : إن الله ليجزى عن الحسنة الواحدة ألفى ألف حسنة ! فهذا تفضل ، وقد تفضل الله على الأطفال بادخالهم الجنة بغير عمل . فما ظنك بعمل المؤمن عن نفسه أو عن غيره

وقد ذكر الخرائطى فى كتاب القبور ، قال : سنة فى الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرءوا معه سورة البقرة .

Marfat.com

ولقد أحسن من قال :

زر والديك وقف على قبريهما فكأننى بك قد حملت إليهما

فى أبيات يقول فى آخرها :

وقرأت من آى الكتاب بقدر ما تسطيعه وبعثت ذاك إليهما

وإنما طولنا النفس فى هذا الباب ، لأن الشيخ الفقيه القاضى الإمام مفتى الأنام عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ، كان يفتى بأنه لا يصل للميت ثواب ما يقرأ ، ويحتج بقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ؛ فلما توفى رحمه الله ، رآه بعض أصحابه ممن كان يجالسه وسأله عن ذلك ، فقال له : إنك كنت تقول إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليه ، فكيف الأمر؟ فقال له : كنت أقول ذلك فى دار الدنيا ، والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى فى ذلك وأنه يصل إليه ذلك .

باب يدفن العبد فى الأرض التى خلق منها

أبو عيسى الترمذى ، عن مطر بن عكامس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة ، بها حاجة .

قال أبو عيسى : وفى الباب عن أبى عزة ، وهذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف لمطر بن عكامش عن النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث .

وعن أبى عزة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض ، جعل له إليها حاجة ، أو قال بها حاجة ، قال : هـذا حديث حسن صحيح ، وأبو عزة له صحبة ، واسمه يسار بن عبيد ، وأنشدوا :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة دعته إليها حاجة فيطير

وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول ، عن أبى هريرة ، قال

Marfat.com

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوف ببعض نواحى المدينة ؛ وإذا بقبر يحفر ، فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : لمن هذا ؟ قيل : لرجل من الحبشة ، فقال : لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن فى الأرض التى خلق منها ، وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إذا كان أجل العبد بأرض أو ثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب ؛ هذا ما استودعتنى خرجه ابن ماجة أيضا :

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فائدة هذا الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظالمة ؛ وقضاء الدين ؛ وإتيان الوصية بما له وعليه فى الحضر فضلا عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، فانه لا يدرى أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأنشد بعضهم :

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فمن لم تأته منا أتاها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

وقد روى فى الآثار القديمة : أن سليمان عليه السلام كان عنده رجل يقول : يا نبى الله : ان لى حاجة بأرض الهند فأسألك أن تأمر الريح أن يحملنى إليها فى هذه الساعة ، فنظر سليمان إلى ملك الموت عليه السلام ، فرآه يتبسم ، فقال : مم تتبسم ؟ قال : تعجبا ، إنى أمرت بقبض روح هذا الرجل فى بقية هذه الساعة بالهند ، وأنا أراه عندك ، فروى أن الريح حملته فى تلك الساعة إلى الهند ، فقبض روحه بها والله أعلم .

باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب حفرته

وفى الرزق والأجل ، وبيان قوله تعالى : مخلقة وغير مخلقة

أبو نعيم ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته .

قال أبو عاصم النبيل : ما نجد لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فضيلة مثل هذه لأن طينتهما طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرجه فى باب ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، وقال : هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه إلا من حديث أبى عاصم : النبيل ، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة .

وروى مرة ، عن ابن مسعود ، أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه ، ثم يقول : يا رب ، مخلقة أو غير مخلقة ، فإن قال مخلقة ، قال : يا رب ، ما الرزق ؟ ما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقول : أنظر فى أم الكتاب ، فينظر فى اللوح المحفوظ ، فيجد فيه رزقه ، وأثره ، وأجله ، وعمله ، ويأخذ التراب الذى يدفن فى بقعته ويعجن به نطفته .

فذلك قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) خرجه الترمذى الحكيم ، أبو عبد الله فى نوادر الأصول .

وذكر عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : ان النطفة إذا استقرت فى الرحم أخذها الملك بكفه ، فقال : أى رب أمخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال غير مخلقة لم تكن نسمة ، وقذفتها الأرحام دما ، وإن قال : مخلقة ، قال : أى رب أذكر ، أم أنثى ؟ أشقى ، أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وما الرزق ؟ وبأى أرض تموت ؟ فيقول اذهب إلى أم الكتاب ، فانك ستجد هذه النطفة فيها ، فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله : فيقال : من رازقك ؟ فتقول الله ، فتخلق ، فتعيش فى أجلها ، وتأكل رزقها ، وتطأ أثرها ، فإذا جاء أجلها ماتت ، فدفنت فى ذلك المكان ، فالأثر هو التراب الذى يؤخذ فيعجن به ماؤه .

Marfat.com

وقال محمد بن سيرين : لو حلفت حلفت صادقاً باراً ، غير شاك ولا مستثن ، ان الله ما خلق نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولا أبا بكر ، ولا عمر ، إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وممن خلق من تلك التربة عيسى بن مريم عليه السلام على ما يأتى بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى ؛ وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب) .

وقوله : (هو الذى خلقكم من طين) .

وقوله : (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) ولا تعارض فى شىء من ذلك على ما بينا فى كتاب « جامع أحكام القرآن » ، والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان ، وهذا الباب يجمع لك ذلك كله فتأمله .

باب مايتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

مسلم عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .

وروى أبو نعيم من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمن ابن هانئ النخعى عن العزرمى محمد بن عبد الله عن قتادة وخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى فى سننه من حديث الزهرى .

حدثنى أبو عبد الله الأغر عن أبى هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه

Marfat.com

أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته تلحقه بعد موته .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انك لتصدق عن ميتك بصدقة فيجىء بها ملك من الملائكة فى أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادى ياصاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها . قال : فيدخلها إليه فى قبره ويفسح له فى مداخله وينور له فيه فيقول جزى الله أهلى عنى خير الجزاء قال : فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لى ولدا ولا أحدا يذكرنى بشىء فهو مهموم والاخر يفرح بالصدقة .

وقال بشار بن غالب : رأيت رابعة العدوية . يعنى العابدة فى المنام وكنت كثير الدعاء لها . فقالت لى : يابشار هديتك تأتينا فى أطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يابشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال : هذه هدية فلان إليك وقد تقدم لهذا الباب مافيه كفاية والحمد لله .

وقال إسماعيل بن رافع مامن ذى رحم أوصل لذى رحمه من رجل اتبع ذا رحم بحج أو عتق أو صدقة .

باب ماجاء فى هول المطلع

تقدم من حديث جابر بن عبد الله قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له رجل : إنى لأرجو أن لاتمس جلدك النار فنظر إليه ثم قال : ان من غررتموه لمغرور والله لو أن لى ماعلى الأرض لافديت به من هول المطلع .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث أضحكنى مؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك بملء فيه لايدرى أأرضى الله أم أسخطه وأبكانى فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت والوقوف بين يدى الله يوم تبدو السريرة علانية ثم لايدرى إلى الجنة أو إلى النار اخرجه ابن المبارك .

Marfat.com

قال : حدثنا غير واحد عن معاوية بن قرة قال . قال أبو الدرداء : فذكره .

قال : وأخبرنا محمد ، بلغ به أنس بن مالك قال : ألاأحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن أول يوم يجئك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه ويوم تعرض فيه على ربك آخذا كتابك إما بيمينك وإما بشمالك وليلة تستأنف فيها الميت فى القبور ولم تبت فيها ليلة فقط وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة .

باب ماجاء أن القبر أول منازل الآخرة

وفى البكاء عنده ، وفى حكمه والاستعداد له

ابن ماجه عن هانىء بن عثمان قال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا ؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مارأيت منظراً قط إلا والقبر افظع منه ، أخرجه الترمذى وزاد رزين قال وسمعت عثمان ينشد على قبر شعرا :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

ابن ماجة عن البراء .

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال ياإخوانى لمثل هذا فأعدوا .

(فصل) القبر واحد القبور فى الكثرة وأقبر فى القلة ويقال للمدفن مقبر .

قال الشاعر :

لكل أناس مقبر بفنائهم وهم ينقصون والقبور تزيد

واختلف فى أول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هابيل وقيل بنو إسرائيل وليس بشىء وقد قيل كان قابيل يعلم الدفن ولكن ترك أخاه بالعراء استخفافا به فبعث الله غراباً يبحث التراب على هابيل ليدفنه فقال عند ذلك (ياويلتا

أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين) حيث رأى إكرام الله لهابيل بأن قيض الله الغراب حتى وأراه فلم يكن ذلك ندم توبة وقيل ندمه إنما كان على فقده لا على قتله .

قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة ويقال إنه لما قتله قعد يبكى عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل القاتل بأخيه كذلك فبقى ذلك سنة لازمة فى بنى آدم وفى التنزيل (ثم أماته فأقبره) أى جعل له قبراً يوارى فيه اكراماله ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافى قاله الفراء .

وقال أبو عبيدة: أقبره جعل له قبرا وأمر أن يقبر قال أبو عبيدة: ولما قتل عمر ابن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه وحكم القبر أن يكون مسنما مرفوعا على وجه الأرض قليلا غير مبنى بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهى عنه .

وروى مسلم عن جابر ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه وخرجه الترمذى أيضا عن جابر ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

قال علماؤنا رحمهم الله : وكره مالك تجصيص القبور ، لأن ذلك من المباهاة ، وزينة الحياة الدنيا وتلك منازل الآخرة ، وليس بموضع المباهاة ، وإنما يزين الميت فى قبره عمله ، وأنشدوا :

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسئول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول

وفى صحيح مسلم ، عن أبى الهياج الأسدى ، قال : قال لى على بن أبى طالب

Marfat.com

رضى الله عنه : ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

وقال أبو داود فى المراسيل عن عاصم بن أبى صالح : رأيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم شبراً أو نحواً من شبر ، يعنى فى الارتفاع .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : يسنم القبر ليعرف كى يحترم ويمنع من الارتفاع الكثير الذى كانت الجاهلية تفعله ، فانها تعلى عليه ؛ وتبنى فوقها تفخيما لها وتعظيما ؛ وأنشدوا :

أرى أهل القبور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخراً على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت الترب عنهم فما تدرى الغنى من الفقير
ولاالجلد المباشر ثوب صوف من الجلد المباشر للحرير
إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغنى على الفقير

ياهذا ، أين الذى جمعته من الأموال وأعددته للشدائد والأهوال لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرا وبدلت من بعد غناك وعزك ذلا وفقرا، فكيف أصبحت يارهين أوزاره ويامن سلب من أهله وديارە ماكان أخفى عليك سبيل الرشاد وأقل اهتمامك لحمل الزاد إلى سفرك البعيد وموقفك الصعب الشديد أو ما علمت يا مغرور أن لا بد من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال وليس ينفعك ثم قيل ولا قال بل يعد عليك بين يدى الملك الديان ما بطشت اليدان ومشت القدمان ونطق به اللسان وعملت الجوارح والأركان فان رحمك الله فإلى الجنة وإن كانت الأخرى فإلى النيران يا غافلا عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان أتحسب أن الأمر صغيرا وتزعم أن الخطب يسيرا وتظن أن سينفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى عنك ندمك إذا زلت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرك حين يضمك محشرك ، كلا والله ساءما تتوهم ، ولا بدلك أن ستعلم لابالكفاف تقنع ، ولامن الحرام تشبع ، ولا للعظاة تسمع ،

ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تتقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء ، يعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يا نائماً فى غفلة وفى خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم ان ستترك سدى ، وأن لا تحاسب غداً ، أم تحسب أن الموت يقبل الرشا ، أم تميز بين الأسد والرشا ، كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى ، وان ليس الإنسان إلا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، فانتبه من هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار وأنت مقيم على الأوزار عامل بعمل النجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، **وراقب الله فى الخلوات** الأرض والسموات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أوما سمعت الرسول حيث يقول لما جلس على **القبور** يا إخوانى ، لمثل هذا فأعدوا ، أوما سمعت الذى خلقك فسواك ، يقول : وتزودوا ؛ فان خير الزاد التقوى .

وأنشدوا :

تزود من معاشك للمعاد ... وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيرا ... فان المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر :

الموت بحر طامح موجه ... تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنى قائل فاسمعى ... مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان فى قبره ... غير التقى والعمل الصالح

Marfat.com

وقال آخر :

أسلمنى الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عنى فيا وحشتا
وغادرونى معدما يائسا مابيدى اليوم إلا البكا
وكل ما كأن لم يكن وكلما حذرته قـــد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى قد صار فى كفى مثل الهبا
ولم أجد لى مؤنسا هاهنا غير يقين صادق أو نقا
فلو ترانى وترى حالتى بكيت لى يا صاح مما ترى

وقال آخر :

ولدتك إذا ولدتك أمك باكيا والقوم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

وروى عن محمد القرشى أنه قال : سمعت شيخنا يقول : أيها الناس : إنى لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، فاعملوا فى ظلمة الليل لظلمة القبر ، وصوموا فى الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظائم الأمور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير .

وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه : أيها المقبور فى حفرته ، المتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت وبأى أخوانك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ويقول : استبشر والله باعماله الصالحة ، واغتبط والله بإخوانه المعاونين له على طاعة الله ، وكان إذا نظر إلى القبر صرخ كما يصرخ الثور ، وسيأتى أن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه ، وما فيه من الموعظة إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء فى اختيار البقعة للدفن

أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى ، قال : حدثنى رجل من آل عمر ، عن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول

من زار قبرى ، أو قال : من زارنى ؛ كنت له شهيدا أو شفيعا ، ومن مات بأحد الحرمين ، بعثه الله عز وجل فى الآمنين يوم القيامة ، وخرجه الدارقطنى عن حاطب . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من زارنى بعد موتى ، فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن مات بأحد الحرمين ، بعث فى الآمنين يوم القيامة .

وخرج البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة ، قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاء صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال: أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه ، وقل له : يضع يده على متن جلد ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أى رب ، ثم مه ، قال : ثم الموت ، قال ، فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنت ، ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر

وفى رواية ، قال : جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك ؛ قال : فلطم موسى عين ملك الموت . ففقأها ، وذكر نحوه .

الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال : من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بهـا ، فانى أشفع لمن مات بها ؛ صححه أبو محمد عبد الحق .

وفى الموطأ أن عمر رضى الله عنه ، كان يقول : اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ووفاة فى بلد نبيك .

وكان سعد بن أبى وقاص ؛ وسعيد بن زيد ؛ قد عهدا ان يحملا من العقيق الى البقيع مقبرة المدينة فدفنا بها ؛ وذلك والله اعلم لفضل علموه هناك ؛ قال : فان فضل المدينة غير منكور ولا مجهول ؛ ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين والفضلاء من الشهداء وغيرهم لكفى .

Marfat.com

وروى عن كعب الأحبار انه قال لبعض اهل مصر ؛ لما قال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : نعم ؛ جراب من تراب سفح المقطم ؛ يعنى : جبل مصر ؛ قال : فقلت له : يرحمك الله ؛ وما تريد منه ؟ قال : أضعه فى قبرى ؛ فقال له : تقول هذا وأنت بالمدينة ؛ وقد قيل فى البقيع ما قيل ، قال : انا نجد فى الكتاب الأول انه مقدس ما بين القصير الى اليحموم .

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم : البقاع لا تقدس أحدا ولا تطهره ؛ وإنما الذى يقدسه من وضر الذنوب ودنسها التوبة النصوح مع الأعمال الصالحة ، أما انه قد يتعلق بالبقعة تقديس ما ، وهو إذا عمل العبد فيها عملا صالحا ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تكفر سيآته ، وترجح ميزانه ؛ وتدخله الجنة ؛ وكذلك تقديسه إذا مات على معنى التتبع لصالح العمـــل ؛ لا أنها توجب التقديس ابتدا .

وقد روى مالك ؛ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : ما أحب أن أدفن بالبقيع ، لأن أدفن فى غيره أحب إلى ، ثم بين العلة ، فقال : مخافة أن تنبش لى عظام رجل صالح ؛ او تجاور فاجرا ، وهذا تستوى فيه سائر البقاع ، فدل على أن الدفن بالأرض المقدسة ليس بالمجتمع عليه ، وقد يستحسن الإنسان أن يدفن بموضع قرابته واخوانه وجيرانه ؛ لا لفضل ولا لدرجة .

طما نجيب اعتراض اور اسکا جواب

(فصل) ان قال قائل : كيف جاز لموسى[1] ان يقدم على ضرب ملك الموت حتى فقأ عينه ، فالجواب من وجوه ستة :

الأول : انها كانت عينا متخيلة ؛ لا حقيقة لها ، وهذا القول باطل . لأنه يؤدى الى ان ما يراه الأنبياء ، من صور الملائكة لا حقيقة لها ، وهذا مذهب السالمية .

الثانى : انها كانت عيناً معنوية فقأها بالحجة ، وهذا مجاز لا حقيقة له .

الثالث : انه لم يعرفه ، وظنه رجلا دخل منزله بغير اذنه ، يريد نفسه فدافع

(١) لموسى عليه السلام ان يقدم :

Marfat.com

عنها ؛ فلطمه : ففقأ عينه ؛ وتجب المدافعة فى مثل هذا بكل ممكن ؛ وهذا وجه حسن ؛ لأنه حقيقة فى العين والصك ؛ قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة إلا أنه اعترض بما فى الحديث نفسه ؛ وهو ان ملك الموت عليه السلام لما رجع إلى الله تعالى ؛ قال : يا رب ارسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ؛ فلو لم يعرفه[1] لما صدر هذا القول من ملك الموت .

(١) يعرفه موسى لما صدر .

الرابع : ان موسى عليه السلام كان سريع الغضب ، وسرعة غضبه كان سبباً لصكه ملك الموت ؛ قاله ابن العربى فى الأحكام ، وهذا فاسد ، لأن الأنبياء معصومون ان يقع منهم ابتداء مثل هذا فى الرضا والغضب .

عصمة الأنبياء

الخامس ما قاله ابن مهدى رحمه الله أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء ، فكأن موسى عليه السلام لطمة وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه .

السادس وهو أصحها إن شاء الله وذلك أن موسى عليه السلام كان عنده ما أخبر نبينا عليه السلام من ان الله تعالى لا يقبض روحه حتى يخيره ، خرجه البخارى وغيره ، فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذى اعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه فلطمه ففقئت عينه امتحانا لملك الموت إذ لم يصرح له بالتخيير ، ومما يدل على صحة هذا أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم ، والله بغيبه أعلم واحكم ، ذكره ابن العربى فى قبسه بمعناه والحمد لله .

وقد ذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك الموت عليه السلام يأتى الناس عيانا حتى أتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه الحديث بمعناه وفى آخره فكان يأتى الناس بعد ذلك فى خفية .

باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم

خرج أبو سعيد المالينى فى كتاب المؤتلف والمختلف وأبو بكر الخرائطى فى كتاب القبور من حديث سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية

Marfat.com

عن على رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه وعجلوا إنجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل : يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال : هل ينفع فى الدنيا قالوا : نعم . قال : كذلك ينفع فى الآخرة ذكره الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار ، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن عمه نافع بن مالك عن أبيه عن أبى هريرة .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بالجار السوء .

(فصل) قال علماؤنا : ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم وتسكنه فى جوارهم تبركا بهم وتوسلا إلى الله عز وجل بقربهم وأن تجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجاورته والتألم بمشاهدة حاله حسب ماجاء فى الحديث .

حكايات ١ يروى أن امرأة دفنت بقرطبة أعادها الله فاتت أهلها فى النوم فجعلت تعتبهم وتشكوهم وتقول : ما وجدتم أن تدفنونى إلا إلى قرن الجير فلما أصبحوا نظروا فلم يروا فى ذلك الموضع كله ولا بقربه قرن جير فبحثوا وسألوا عن من كان مدفونا بإزائها ، فوجدوه رجلا سيافا كان لابن عامر وقبره إلى قبرها فاخرجوها من جواره ، ذكر هذا أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له .

٢ وعن أعرابى أنه قال لولده : مافعل الله بك ؟ قال : ماضرنى الا أنى دفنت بإزاء فلان وكان فاسقا قد روعنى مايعذب به من أنواع العذاب .

٣ وروى أبو القاسم اسحق بن ابراهيم بن محمد الختلى فى كتاب الديباج له وحدثنى أبو الوليد رباح بن الوليد الموصلى . قال : حدثنا (١) عبد الملك بن عبد العزيز عن طاووس ابن ذكوان اليمانى أنه أخبرهم أنه قدم حاجا فمر بالأبطح عند المقابر مع رفقاء له فقال : بينا أنا أصلى فى جوف الليل وعلى برد لى احرش أخذته باليمن بسبعين دينارا

(١) وحدثنه عن عبد الملك

Marfat.com

وقبر قريب منى محفور اذ رأيت شمعا قد اقبل به مع جنازة فإذا قائل يقول فى قبر قريب من القبر المحفور اللهم انى أعوذ بك من الجار السوء . قال : فركعت ثم سجدت وسلمت ثم خرجت حتى لقيت أصحاب الجنازة فسلمت وقلت . لاتقربونا وتنحوا عنا عافاكم الله قالوا مانستطيع ذلك وقد حفرنا قبرنا هذا ولا نستطيع أن نذهب الى غيره فقلت من اولى بالجنازة فقالوا : هذا ابنه . فقلت له : هل لك ان تتنحى عنا وتناولنى ثوبك هذا الذى عليك فألبسه وأعطيك بردى هذا فإنى قد أخذته باليمن بسبعين دينارا وهو هاهنا خير من سبعين فإن كان على ابيك دين قضيته عنه وان لم يكن انتفع بذلك الورثة وتكف عنا .انكره . قال : فانكر القوم قولى أن يكون على رجل برديلتف به ثمنه سبعون دينارا فاحتجت إلى أن أخبرهم من أنا . فقلت تعرفون طاووس اليماني ؟ قالوا نعم . قلت : فأناطاوس اليمانى وما قلت لكم فى البرد إلا حقا . فناولنى الرجل رداءه وأخذ ردائى وانصرف عنا وأقبلت حتى وقفت على صاحب القبر . فقلت ماكان(١) ليجاورك جار تكرهه وأنا أستطيع رده ثم عدت إلى صلاتى .

باب ماجاء فى كلام القبر كل يوم
وكلامه للعبد إذا وضع فيه

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . قال ؛ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا يكثرون ، فقال: أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى يعنى الموت فاكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه . فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود . فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى ، فإذ وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لامرحبا ولا أهلا . أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلى . فإذ وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك . قال : فيلتئم عليه حتى

(١) ماكان لك ليجاورك :

Marfat.com

يلتقى وتختلف أضلاعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض . قال ويقيض الله له تسعين تنينا أو قال : تسعة وتسعون لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا . فينهشنه حتى يفضى به إلى الحساب . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إنما القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب

وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسن الجعفى عن مالك بن مغول عن عبدالله ابن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لسانا ينطق به فيقول : ابن آدم كيف نسيتنى أما علمت أنى بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة .

قال : وحدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن القبر ليبكى يقول فى بكائه : أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الدود .

وذكر أبو عمر بن عبد البر روى يحيى بن جابر الطائى عن ابن عائذ الأزدى عن غضيف بن الحارث قال : أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال : فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ماغرك بى ؟ ! ألم تعلم أنى بيت الوحدة ، ألم تعلم أنى بيت الظلمة ، ألم تعلم أنى بيت الحق . يا ابن آدم ما غرك بى ؟ ! لقد كنت تمشى حولى فداداً . قال ابن عائذ . قلت لغضيف ما الفداد يا أبا إسماعيل ؟ قال كبعض مشيتك يا ابن أخى . قال غضيف . فقال صاحبى- وكان أكبر منى- لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمنا(١) قال : يوسع له فى قبره ويجعل منزله أخضر ويعرج بروحه إلى السماء ذكره فى كتاب التمهيد .

وذكر أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له عن أبى الحجاج الثمالى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ماغرك بى ؟ ! ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الدود ماغرك إذ كنت تمر بى فداداً قال : فإن كان صالحا أجاب عنه مجيب القبر . فيقول : أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول: القبر فإنى أعود عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى رب العالمين ذكر هذا الحديث

(١) كان مؤمناً فماذا له ؟ قال

Marfat.com

أبو أحمد الحاكم فى كتاب الكنى وذكره أيضا قاسم بن أصبغ قال : قيل لابى الحجاج ما الفداد ؟ قال : الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى . يعنى الذى يمشى مشية المتبختر .

وذكر ابن المبارك قال اخبرنا داود بن ناقد قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغنى أن الميت يقعد فى حفرته وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شىء أول من حفرته فتقول : ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت صفيعى وظلمانى ونتنى وهولى هـذا ما أعددت لك فما أعددت لى الوخط والوخذ سرعة السير فى المشى

وقال سفيان الثورى : من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار .

وقال أحمد بن حرب : تتعجب الأرض ممن يمهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم وتقول: يا ابن آدم ألا تذكر طول زمانك فى جوفى وما بينى وبينك شىء .

وقيل لبعض الزهاد ما أبلغ العظات قال : النظر إلى الأموات ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول

وعظتك أجداث صمت ونعتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سلبت
وارتك نفسك فى القبور وأنت حى لم تمت

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعتها حتى وصلوا بها إلى حفرته فنادت امرأة فقالت: يا أهل القبور لو عرفتم من نقل اليكم لاعززتموه قال الحسن: فسمعت صوتا من الحفرة وهو يقول : قد والله نقل الينا بأوزار كالجبال وقد أذن لى أن أكله حتى يعود رميما . قال ؛ فاضطربت الجنازة فوق النعش وخر الحسن مغشياً عليه .

باب ماجاء فى ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا

النسائى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا الذى تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبوب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه . قال أبو عبدالرحمن النسائى يعنى سعد بن معاذ .

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ

وذكر هناد بن السرى ، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبى مليكة قال : ما أجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذى منديل من مناديله خير من الدنيا ومافيها . قال : وحدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال : لقد بلغنى أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض قط .

قال ولقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة حتى صار مثل الشعرة

وخرج على بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية عن نافع قال : أتينا صفية بنت أبى عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهى فزعة . فقلنا ما شأنك ؟ قالت : جئت من عند بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم فحدثتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن كنت لأرى أن أحدا لو أعفى من عذاب القبر لعفى منه سعد(١) لقد ضم فيه ضمة

وخرج أيضاً عن زاذان أن أبى عمر قال : لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سرى عنه فقال له أصحابه رأينا وجهك يارسول الله تربد آنفا ثم سرى عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذكرت ابنتى وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها . وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها مابين الخافقين إلا الانس والجن

وخرج أيضا بسنده عن إبراهيم النخعى عن رجل . قال : كنت عند عائشة رضى الله عنها فرت جنازة صبى صغير فبكت . فقلت لها ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟

(١) سعد بن معاذ الخ

Marfat.com

فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الخبر وإن كان موقوفا على عائشة رضى الله عنها فمثله لايقال من جهة الرأى .

وقد روى عمر بن شبة فى كتاب المدينة على ساكنها (١) فى ذكر وفاة فاطمة ابنة أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب (٢) قال بينما هو صلى الله عليه وسلم فى أصحابه أتاه آت . فقال : إن أم على وجعفر وعقيل قد ماتت فقال قوموا بنا إلى أمى قال : فقمنا كأن على رؤوسنا الطير . فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه وقال : إذا كفنتموها فأشعروه إياها تحت أكفانها ؛ فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ومرة يتقدم ومرة يتأخر حتى انتهينا بها إلى القبر فتمعك فى اللحد ثم خرج وقال : أدخلوها بسم الله وعلى اسم الله . فلما دفنوها قام قائما وقال : جزاك الله من أم وربيبة خيرا . وسألناه عن نزع قميصه وتمعكه فى اللحد ؟ فقال : أردت أن لا تمسها النار أبدا إن شاء الله تعالى وأن يوسع الله عليها قبرها ، وقال : ماعفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد . قيل يارسول الله ولا القاسم ابنك ؟ قال ولا إبراهيم وكان أصغرهما ورواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم الأحول عن أنس بمعناه وليس فيه السؤال بتمعكه إلى آخره .

قال أنس ؛ لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم على بن أبى طالب رضى الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها فقال رحمك الله بأبى كنت أمى بعد أمى تجوعين وتشبعينى وتعرين وتكسونى وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينى تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثا فلما بلغ الذى فيه الكافور سكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه

---

(١) ساكنها أفضل الصلاة وازكى السلام (٢) على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ثم قال الحمدلله الذى يحيي ويميت وهو حى لا يموت ، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد . ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى إنك أرحم الراحمين وكبر عليها أربعا وادخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين .

باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه وهم من شر الناس له

روى أبو هدبة قال بن هدبة . قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد الميت إذا وضع فى قبره وأقعد قال : يقول أهله واسيداه واشريفاه وا أميراه ؛ قال : يقول الملك : اسمع ما يقولون أنت كنت سيدا أنت كنت أميرا أنت كنت شريفاً ؟ قال يقول الميت : ياليتهم يسكتون . قال : فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه .

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم . قال بعض العلماء أو أكثرهم إنما يعذب الميت ببكاء الحى إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره كما قال :

إذا مت فانعينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يابنة معبد

وكذلك إذا وصى به . وقد روى مايدل على أن الميت يصيبه عذاب ببكاء الحى عليه وإن لم يكن من سنته ولا من اختياره ولا مما أوصى به واستدلوا بحديث أنس المذكور . وبما روى من حديث قيلة بنت مخرمة وذكرت عند النبى صلى الله عليه وسلم ولداً لها مات ثم بكت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيغلب أحيدكم أن يصاحب صويحبه فى الدنيا معروفا فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه استرجع ، ثم قال : اللهم اثبنى فيما أمضيت وأعنى على ما أبقيت فو الذى نفس محمد بيده إن أحيدكم ليبكى فيستعبر له صويحبه ياعباد الله لاتعذبوا موتاكم . ذكره ابن أبى خيثمة وأبو بكر بن أبى شيبة وغيرهما وهو حديث معروف إسناده لا بأس به وسياقه يدل على أن بكاء هذه لم يكن من اختيار لابنها لأن ابنها صاحب من أصحاب

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان هذا البكاء المعروف فى الجاهلية الذى كان من اختيار الميت ومما يوصى به .

وذكر أبو عمر بن عبدالبر فى كتاب الاستيعاب من حديث أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الميت يعذب ببكاء الحى عليه إذا قالت النائحة واعضداه وانا صراه واكاسياه جبذ الميت وقيل له : أنت عضدها أنت ناصرها أنت كاسيها .

وذكر البخارى من حديث النعمان بن بشير قال : أغمى على عبدالله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق ماقلت شيئا إلا قيل لى أأنت كذلك ، فلما مات لم تبك عليه وهذا ايضاً لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ولا من اختياره ولا مما أوصى به فنصابه فى الدين أجل وأرفع من أن كان يأمر بهذا أو يوصى به .

وروى أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زادان عن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليعذب الميت بصياح أهله عليه ، فقال له رجل : يموت بخراسان ويناح عليه ها هنا . فقال عمران : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت ؛

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وهذا بظاهره أن بنفس الصياح يقع التعذيب وليس كذلك وإنما هو محمول على ماذكرناه والله أعلم .

وقال الحسن إن من شر الناس للميت أهله يبكون عليه ولا يقضون دينه .

باب ما ينجى من ضغطة القبر وفتنته

روى أبو نعيم من حديث أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة قال هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر ابن حماد البجلى .

Marfat.com

باب ما يقال عند وضع الميت فى قبره

وفى اللحد فى القبر . اللحد هو أن يحفر للميت فى جانب القبر إن كانت الأرض صلبة وهو أفضل من الشق فإنه الذى اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .

روى ابن ماجة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى أبى عبيدة وكان يضرح كضريح أهل مكة وبعثوا إلى أبى طلحة وكان هو الذى يحفر لأهل المدينة وكان يلحد فبعثوا إليهما رسولين ، فالوا اللهم خر لرسولك فوجدا أبا طلحة فجىء به ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد لنا والشق لغيرنا خرجه بن ماجة والترمذى وقال حديث حسن غريب وأنشدوا :

ضعوا خدى على لحدى ضعوه ... عمر التراب الترب فوسدوه
وشقوا عنه أكنانا رفاتا ... وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت ... صديحة ثالث لنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه ... على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا هذا فلان ... هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى ... تقادم عهده فنسيتموه

وقال آخر :

وألحدوا محبوبهم وانثنوا ... وهمهم تحصيل ما خلفا
وغادروه مسلما مفردا ... فى رمسه رهنا بما أسلفا
ولم يزود من جميع الذى ... باع به أخراه(١) إلا لفا

وخرج أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول عن سعيد بن المسيب قال : حضرت ابن عمر فى جنازة فلما وضعها فى اللحد قال بسم الله وفى سبيل الله ، فلما أخذوا فى تسوية اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى الكثيب

(١) معناه أى قليل

Marfat.com

عليها ، قام جانب القبر ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك رضوانا فقلت لابن عمر شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم شيئا قلته من رأيك ؟ قال إنى إذا لقادر على القول بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه ابن ماجة أيضاً فى سننه

وقال أبو عبد الله الترمذى رحمه الله : حدثنى أبى رحمه الله . قال : حدثنا الفضل بن ذكين عن سفيان عن الأعمش عن عمرو بن مرة ، قال : كانوا يستحبون إذا وضع الميت فى اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم .

وروى عن سفيان الثورى أنه قال : إذا سئل الميت من ربك ترائى له الشيطان فى صورة فيشير إلى نفسه إنى أنا ربك ، قال أبو عبد الله . فهذه فتنة عظيمة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا بالثبات ، فيقول : اللهم ثبت عند المسألة منطقه وافتح أبواب السماء لروحه فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيره من الشيطان فهذا تحقيق لما روى عن سفيان ذكره فى الأصل التاسع والأربعين والمائتين .

باب الوقوف عند القبر

قليلا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له

مسلم عن بن شماسه المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت ، الحديث : وفيه فإذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل. اخرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة ، قال : حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه وقال فيه ، وشدوا على إزارى فإنى مخاصم وشنوا على التراب شناً فإن جنبي الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتمونى فاقعدوا عند قبرى قدر نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم أبو داود عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل .

وأخرج أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دفن ميتاً وقف وسأل له التثبيت ، وكان يقول : ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه

وخرج أبو نعيم الحافظ فى باب عطاء بن ميسرة الخراسانى أبى عثمان عنه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قبر رجل من أصحابه حين فرغ منه فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم نزل بك وأنت خير منزول به، جافى الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه، واقبله منك بقبول حسن وثبت عند المسائل منطقه غريب من حديث عطاء .

(فصل) قال الآجرى أبو بكر محمد بن الحسين فى كتاب النصيحة : يستحب الوقوف بعد الدفن قليلا والدعاء للميت مستقبل وجهه بالثبات فيقال : اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيراً ، وقد أجلسته لتسأله ، اللهم فثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبته فى الحياة الدنيا، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره ، وقال أبو عبد الله الترمذى : فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له ، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل للميت لأنه يستقبله هول المطلع سؤال وفتنة فتانى القبر على ما يأتى ، والجزور بفتح الجيم من الإبل والجزرة من الضأن والمعز خاصة قاله فى الصحاح .

(فصل) قول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار توصيه منه باجتناب هذين الأمرين ، لأنهما من عمل الجاهلية ، ولنهى النبى صلى الله عليه وسلم . قال العلماء ، ومن ذلك الضجيج بذكر الله سبحانه وتعالى أو بغير ذلك حول الجنائز والبناء على المقـــابر ، والاجتماع فى الجبانات والمساجد

Marfat.com

للقراءة وغيرها لأجل الموتى وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت وضيعة الطعام والمبيت عندهم . كل ذلك من أمر الجاهلية ونحو منه الطعام الذى يصنعه أهل الميت اليوم فى يوم السابع فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة للميت والترحم عليه ، وهذا محدث لم يكن فيما تقدم ، ولا هو مما يحمده العلماء . قالوا : وليس ينبغى للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر ، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الخدود ونشر الشعور وشق الجيوب واستماع النوح وكذلك الطعام الذى يصنعه أهل الميت كما ذكرنا فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لاخلاق لهم .

وقال أحمد بن حنبل هو من فعل الجاهلية ، قيل له : أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقال: لم يكونوا هم اتخذوا إنما اتخذ لهم . فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ولايرخص لهم، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى الله عز وجل ، وأعانهم على الإثم والعدوان ، والله تعالى يقول : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » قال العلماء معناه : أدبوهم وعلموهم . وروى بن ماجة فى سننه عن جرير بن عبد الله البجلى ، قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة . وفى حديث شجاع بن مخلد قال : كانوا يرون إسناده صحيح . وذكر الخرائطى عن هلال بن خباب قال الطعام على الميت من أمر الجاهلية .

وخرج الآجرى عن أبى موسى قال ماتت أخت لعبد الله بن عمر فقلت لامرأتى اذهبى فعزيهم وبيتى عندهم فقد كان بيننا وبين آل عمر الذى كان ، فجاءت فقال : ألم آمرك أن تبيتى عندهم فقالت أردت أن أبيت فجاء ابن عمر فأخرجنا وقال أخرجن لاتبيتن أختى بالعذاب . وعن أبى البخترى قال : بيتوتة الناس عنـــد أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهليه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ، وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة ، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال . قال ابن عباس رضى الله عنه لا يأتى على الناس عام إلا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيى البدع ، ولن يعمـــل بالسنن وينكر البدع إلا من هون الله عليه إسخاط الناس

Marfat.com

بمخالفتهم فيما أرادوا ونهيهم عما اعتادوا ومن يسر لذلك أحسن الله تعويضه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لن تدع شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يزال فى هذه الأمة عصابة يقاتلون على أمر الله لا يضرهم جدال من جادلهم ولا عداوة من عاداهم .

(فصل) ومن هذا الباب ما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ، وفيهما أيضا عن أبى بردة بن أبى موسى قال : وجع أبو موسى وجعا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال أنا برىء مما برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، برىء من الصالقة والحالقة والشاقة

وفى صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد وأبى بردة بن أبى موسى قالا : أغمى على أبى موسى وأقبلت امرأته تصيح برنة ، قالا ثم أفاق ، قال ألم تعلمى وكان يحدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا برىء ممن حلق وسلق وخرق ابن ماجة عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن[2] الخامشة وجهها والشاقة جيبها ، والداعية بالويل والثبور . إسناده صحيح . وقال حاتم الأصم إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه وأظهر حزنه فعزيته فقد شركته فى اثمه وإنما هو صاحب منكر يحتاج أن تنهاه وقال أبو سعيد البلخى من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا ، أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا :

عجبت لجازع باك مصاب ... بأهل أو حميم ذى اكتئاب
شقيق الجيب داعى الويل جهلا ... كأن الموت كالشىء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبى الله منه لم يحاب
له ملك ينادى كل يوم ... لدوا للموت وابنو للخراب

(١) وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء
(٢) وسلم قال أنا برىء ممن حلق وسلق

باب ما جاء فى تلقين الإنسان بعد موته

شهادة الإخلاص فى لحده

ذكر أبو محمد عبد الحق يروى عن أبى أمامة الباهلى قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقـــل يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ، ثم يقول : يا فلان بن فلانة الثالثة فإنه يقول : ارشدنا رحمك الله ، ولـكنـكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأنك رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبالقرآن إماما ، فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ، وقد لقن حجته ويكون الله حجيجهما دونه ، فقال رجل يارسول الله فإن لم تعرف أمه ؟ قال : ينسبه إلى أمه حواء .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هكذا ذكره أبو محمد فى كتاب العاقبة لم يسنده إلى كتاب ولا إلى إمام ، وعادته فى كتبه نسبة ما يذكره من الحديث إلى الأئمة ، وهذا والله أعلم . نقله من إحيـاء علوم الدين للامام أبى حامد رضى الله عنـه . فنقله كما وجد ولم يزد عليه وهو حديث غريب . خرجه الثقفى فى الأربعين له ، أنبأناه الشيخ المسن الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن على بن فتوح ابن أبى الحسن القرشى عرف بابن رواح بمسجده بثغر الاسنكدرية حماه الله ، والشيخ الفقية الإمام مفتى الأنام أبو الحسن على بن هبة الله الشافعى بمنية بنى خصيب على ظهر النيل بها قالا جميعا : حدثنا الشيخ الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد السلفى الأصبهانى قال : أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم ابن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفى باصبهان . أخبرنا أبو على الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدان التاجر بنيسابور . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم . حدثنـــا أبو الدرداء هاشم بن يعلى الأنصارى ،

Marfat.com

حدثنا عتبة بن السكن الفزارى حمصى عن أبى زكريا عن حماد بن زيد عن سعيد الأزدى قال دخلت على أبى أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال لى ياسعيد إذا أنا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا فقال : إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يافلان بن فلانة فإنه سيسمع فليقل يافلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعدا فليقل يافلان بن فلانة فإنه سيقول أرشدنا يرحمك الله فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله باعث من فى القبور فإن منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : مانضيع عند رجل لقن حجته فيكون الله حجيجهما دونه حديث أبى أمامة فى النزع غريب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه إلا من حديث سعيد الأزدى قال أبو محمد عبد الحق : وقال شيبة بن أبى شيبة أوصتنى أمى عند موتها فقالت لى: يابنى إذا دفنتنى فقم عند قبرى وقل ياأم شيبة : قولى لاإله إلا الله ثم انصرف فلما كان من الليل رأيتها فى المنام فقالت لى : يابنى لقد كدت أن أهلك لولا أن تداركتنى لاإله إلا الله فلقد حفظتنى فى وصيتى يابنى .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ، وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر(١) ينبغى أن يرشد الميت فى قبره حين يوضع فيه إلى جواب السؤال ، ويذكر بذلك فيقال : له قل الله ربى والإسلام دينى ومحمد رسولى فإنه عن ذلك يسأل كما جاءت به الأخبار على مايأتى إن شاء الله وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك فيقال : قل هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب ولا يعارض هذا بقوله تعالى : (وما أنت بمسمع من فى القبور) . وقوله : (إنك لاتسمع الموتى) لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نادى أهل القليب وأسمعهم وقال : ماأنتم بأسمع منهم ولكنهم لايستطيعون جوابا ، وقد قال فى الميت : إنه ليسمع قرع نعالهم وأن هذا يكون فى حال دون حال ووقت دون وقت وسيأتى استيفاء هذا المعنى فى باب ماجاء أن الميت يسمع مايقال إن شاء الله .

سماع الموتى

(١) عمر القرطبى رحمه الله ينبغى

باب ما جاء فى نسيان أهل الميت ميتهم وفى الأمل

أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مشيعى الجنازة قد وكل بهم ملك فهم مهتمون محزونون حتى إذا أسلموه فى ذلك القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى به وهو يقول : ارجعوا أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون فى شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم ، ويروى أن الله عز وجل لما مسح على ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريته قالت الملائكة : رب لاتسعهم الأرض قال الله تعالى : إنى جاعل موتا : قالت : رب لايهنيهم العيش . قال : إنى جاعل أملا فالأمل رحمة من الله تعالى تنتظم به أسباب المعاش وتستحكم به أمور الدنيا ويتقوى به الصانع على صنعته والعابد على عبادته ، وإنما يذم من الأمل ماامتد وطال حتى أنسى العاقبة وثبط عن صالح لأعمـــال . قال الحسن : الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما مامشى المسلمون فى الطرق يريدلو كانوا من التيقظ وقصر الأمل وخوف الموت بحيث لاينظرون إلى معايشهم وما يكون سببا لحياتهم لهلكوا ونحوه . قال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لخشيت ذهاب عقلى ولكن الله سبحانه من على عباده بالغفلة عن الموت ولولاالغفلة ماتهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق .

باب ماجاء فى رحمة الله تعالى بعبده إذا أدخل فى قبره

قال عطاء الخراسانى : أرحم ما يكون الرب بعبده إذا أدخل فى قبره وتفرق الناس عنه وأهله وروى عن ابن عباس مرفوعا . وقال أبو غالب كنت أختلف إلى أبى أمامة الباهلى بالشام : فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبى أمامة وعنده عم له وهو يقول ياعدو الله : ألم آمرك ، ألم أنهك ، فقال الفتى : ياعماه لو أن الله دفعنى إلى والدتى كيف كانت صانعة بى ؟ قال : تدخلك الجنة . قال : الله أرحم بى من والدتى ، وقبض الفتى . فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع . قلت له مالك ؟ قال : فسح له فى قبره وملىء نورا .

---

(١) ارجعوا إلى دنياكم انساكم الله موتاكم وينسون

وكان أبو سليمان الدارانى يقول فى دعائه : يامن لا يأنس بشىء أبقاه ولا يستوحش من شىء أفناه ، ويا أنيس كل غريب ، ارحم فى القبر غربتى ، ويا ثانى كل وحيد ، آنس فى القبر وحدتى . ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مفاوز السلمى الكاتب أحد البلغاء بشرق الأندلس حيث يقول :

أيها الواقف اعتباراً بقبرى استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا من ذنوبى كلومها باديمى
قلت لا تجزعوا على فإنى حسن الظن بالرءوف الرحيم
ودعونى بما اكتسبت رهيناً غلق الرهن عند مولى كريم

باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد

وبيان قوله تعالى : (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)

وقوله تعالى : (لتركبن طبقا عن طبق)

أبو نعيم عن ابى جعفر محمد بن على عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن ابن آدم لفى غفلة عما خلقه الله عزوجل إن الله لاإله غيره إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه وأثره وأجله ، واكتب شقياً أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيآته ، فإذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان ، ثم جاءه ملك الموت عليه السلام ، فيقبض روحه ، فإذا أدخل حفرته رد الروح فى جسده ، ثم يرتفع ملك الموت ، ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ، ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة ، انحط عليه ملك الحسنات وملك السيآت فأنشطا كتاباً معقوداً فى عنقه ، ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ، ثم قال الله عز وجل : (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتركبن طبقا عن طبق) قال حالا بعد حال .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : ان قدامكم أمر عظيم فاستعينوا بالله العظيم .

Marfat.com

قال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث أبى جعفر وحديث جابر تفرد به عنه جابر بن يزيد الجعفى وعنه المفضل.

(١)

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : جابر الجعفى متروك لايحتج بحديثه فى الأحكام ووجد بمدينة قرطبة على قبر الوزير الكبير أبى عامر بن شهيد مكتوب وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبى مروان الزجاجى وكأنه يخاطبه ودفنا فى بستان كانا كثيراً مايجتمعان فيه :

ياصاحبي قم فقد أطلنا ... أنحن طول المدى هجود
فقال لى لن نقوم منها ... ما دام من فوقنا الصعيد
نذكر كم ليلة نعمنا ... فى ظلها والزمان عيد
وكم سرور هما علينا ... سحابة نزهة تجود
كل كأن لم يكن تقضى ... وشؤمه حائر عتيد
حصله كاتب حفيظ ... وضمه صادق شهيد
ياحسرتا إن تنكبتنا ... رحمة من بطشه شديد
يارب عفوا فأنت مولى ... قصر فى حقه العبيد

باب فى سؤال الملكين للعبد
وفى التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار

البخارى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ماكنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعا . قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح فى قبره أربعون ذراعا . وقال مسلم : سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول

(١) جابر بن يزيد الجعفى

فى هـذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى كنت أقول مايقول الناس . فيقال لادريت ولاتليت ويضرب بمطارق من حديدضربة بين أذنيه فيصيح صيحةيسمعها من يليه إلا الثقلين .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ليس عند مسلم : ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره وإنما هو عند البخارى . فحديثه أكمل وقول الملكان (ولاتليت) .

قال النحويون الأصل فى هذه الكلمة الواو أى ولا تلوت إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت . وقد جاء من حديث البراء : لادريت ولاتلوت ، على مارواه الإمام أحمد بن حنبل : أى لم تدر ولم تتل القرآن . فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشعوف ، ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت فى الإسلام ؟ فيقال ماهذا الرجل ؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عندالله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول لا ، ماينبغى لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله ، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعا مشغوبا فيقال له : فيما كنت فيقول لا أدرى . فيقال له ماهذا الرجل ؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ماصرفه الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ، فيقال هـذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى .

الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا اقبر الميت -أو قال أحدكم- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول ما كان يقول فيه هو عبد الله ورسوله أشهد أن لاإله إلاالله وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى

(١) وأشهدأن محمدا

الذى لا يوقظه إلا أحب أهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدرى . فقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . قال حديث حسن غريب .

أبوداود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل نخلا لبنى النجار ، فسمع صوتا ففزع ، فقال من أصحاب هذه القبور ؟ قالوا يارسول الله ناس ماتوا فى الجاهلية ، فقال نعوذ بالله من عذاب القبر ومن فتنة الدجال . قالوا ومم ذاك يارسول الله ؟ قال إن المؤمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك ، فيقول له ما كنت تعبد فإن هداه الله قال كنت أعبد الله فيقال ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول هو عبد الله ورسوله . فما يسأل عن شىء غيرها فينطلق به إلى بيت كان له فى النار فيقال له هذا بيتك كان فى النار ، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتا فى الجنة فيقول دعونى حتى أذهب فأبشر أهلى فيقال له اسكن .

وإن الكافر إذا وضع فى قبره اتاه ملك فينهره ويقول له ما كنت تعبد ؟ فيقول لا أدرى فيقال له ما كنت تقول فى هـــذا الرجل فيقول لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين .

وخرج أبو داود أيضا عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكث به فى الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ، قال : وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيك ، قال : ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيقول : ربى الله ، فيقولان : مادينك ، فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ، فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ، قال : قرأت كتاب الله فآمنت وصدقت . قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى

Marfat.com

فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها قال ويفسح له مد بصره .

قال : وإن الكافر فذكر موته قال ، وتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ما هذا الرسول الذى بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لاأدرى قال فينادى مناد أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها قال . ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، زاد فى حديث جرير قال ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً . قال فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح .

(فصل) ذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة . وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره قال يا ابن مسعود ماسألنى عنه أحد إلا أنت فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول يا عبد الله أكتب عملك فيقول ليس معى دواة ولا قرطاس فيقول : هيهات كفنك قرطاسك ، ومدادك ريقك وقلمك إصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب فى الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ، ثم يطوى الملك القطعة ويعلقها فى عنقه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » أى عمله ، فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر ، وهما ملكان أسودان ، يخرقان الأرض بأنيابهما ، لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض ، كلامهما كالرعد القاصف ، وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما كالريح العاصف ، بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ، لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا ، فإذا أبصرتهما النفس ارتعدت وولت هاربة فتدخل فى منخر الميت فيحي الميت من الصدر ، ويكون كهيأته عند الغرغرة ، ولا يقدر على حراك ، غير أنه يسمع وينظر قال : فيبتديانه بعنف وينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيث ما تحرك انفسح

فيه ووجد فرجة فيقولان له ، من ربك وما دينك ومن نبيك وما قبلتك ، فمن وفقه الله وثبته بالقول الثابت قال ، ومن وكلكما على ومن أرسلكما إلى ، وهذا لا يقوله إلا العلماء الأخيار فيقول أحدهما للآخر صدق كنى شرنا ثم يضربان عليه القبر كالقبة العظيمة ويفتحان له بابا إلى الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حريرها وريحانها ويدخل عليه من نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله فى صورة أحب الأشخاص اليه يؤنسه ويحدثه ويملأ قبره نورا ولا يزال فى فرح وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة ، ويسأل متى تقوم الساعة ، فليس شىء أحب اليه من قيامها ودونه فى المنزلة المؤمن العامل الخير ليس معه حظ من العلم ولا من أسرار الملكوت يلج عليه عمله عقيب رومان فى أحسن صورة طيب الريح ، حسن الثياب فيقول له أما تعرفنى ، فيقول من أنت الذى من الله على بك فى غربتى ، فيقول : أنا عملك الصالح فلا تحزن ولا توجل فعما قليل يلج عليك منكر ونكير يسألانك فلا تدهش ، ثم يلقنه حجته فبينما هو كذلك ، إذ دخلا عليه فينتهرانه ويقعدانه مستنداً ويقولان من ربك ، نسق الأول فيقول : الله ربى ومحمد نبى ، والقرآن إمامى والكعبة قبلتى وإبراهيم أبى وملته ملتى غير مستعجم فيقولان له : صدقت ، ويفعلان به كالأول إلا أنهما يفتحان له باباً إلى النار فينظر إلى حياتها وعقاربها وسلاسلها وأغلالها وحميمها وجميع غمومها وصديدها وزقومها فيفزع فيقولان له لاعليك سوء هذا موضعك قد أبدله الله تعالى بموضعك هذا من الجنة ثم سعيدا ثم يغلقون عنه باب النار ولم يدر مامر عليه من الشهور والأعوام والدهور ومن الناس من يحجم فى مسألته فإن كانت عقيدته مختلفة امتنع أن يقول : الله ربى وأخذ غيرها من الألفاظ فيضربانه ضربة يشتعل منها قبره نارا ثم تطفأ عنه أياما ثم تشتعل عليه أيضا هذا دأبه مابقيت الدنيا . ومن الناس من يعتاص عليه ويعسر أن يقول الإسلام دينى لشك كان يتوهمه أو فتنة تقع به عند الموت فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه قبره نارا كالأول ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : القرآن إمامى لأنه كان يتلوه ولا يتنظ به ولا يعمل بأوامره ولا ينتهى بنواهيه يطوف عليه دهره ولا يعطى منه نفسه خيره فيفعل به مايفعل بالأولين ، ومن الناس من يستحيل عمله جزواً يعذب

Marfat.com

به فى قبره على قدر جرمه ، وفى الأخبار أن من الناس من يستحيل عمله خنوء وهو ولد الخنزير ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : نبيي محمد لأنه كان ناسيا لسنته ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : الكعبة قبلتى لقلة تجربه فى صلاته أو فساده فى وضوئه أو التفات فى صلاته أو اختلال فى ركوعه وسجوده ويكفيك ماروى فى فضائلها أن الله لايقبل صلاة من عليه صلاة ومن عليه ثوب حرام ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول إبراهيم أبى لأنه سمع كلاماً يوما أوهمه أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانيا فإذا هو شاك مرتاب فيفعل به مايفعل بالآخرين . وقال أبو حامد وكل هذه الأنواع كشفناها فى كتاب الإحياء .

وأما الفاجر فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لاأدرى ! فيقولان له : لادريت ولا عرفت ثم يضربانه بتلك المقامع حتى يتلجلج فى الأرض السابعة ثم تنفضه الأرض فى قبره ثم يضربانه سبع مرات ثم يفترق أحوالهم فمنهم من يستحيل عمله كلبا ينهشه حتى تقوم الساعة وهم الخوارج ، ومنهم من يستحيل خنزيرا يعذب به فى قبره وهم المرتابون ، وهم أنواع وأصله أن الرجل إنما يعذب فى قبره بالشىء الذى كان يخافه فى الدنيا . فمن الناس من يخاف من الجرو أكثر من الأسد ، وطبائع الخلق متفرقة . نسأل الله السلامة والغفران قبل الندامة .

(فصل) جاء فى حديث البخارى ومسلم سؤال الملكين وكذلك فى حديث الترمذى ونص على اسميهما ونعتهما . وجاء فى حديث أبى داود سؤال ملك واحد، وفى حديثه الآخر سؤال ملكين ولا تعارض فى ذلك والحمد لله بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص فرب شخص يأتيانه جميعا ويسألانه جميعا فى حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة فى حقه أشد وأعظم وذلك بحسب مااقترف من الآثام واجترح من سىء الأعمال ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر يأتيه أحدهما على الانفراد فيكون ذلك أخف فى السؤال وأقل فى المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال ، وقد يحتمل حديث أبى داود وجها آخر وهو أن الملكين يأتيان جميعا ويكون السائل أحدهما وإن تشاركا فى

Marfat.com

الإتيان فيكون الراوى اقتصر على الملك السائل وترك غيره لأنه لم يقل فى الحديث أنه لايأتيه إلى قبره إلا ملك واحد ولو قاله هكذا صريحا لكان الجواب عنه ماقدمناه من أحوال الناس والله اعلم ، وقد يكون من الناس من يوقى فتنتهما ولا يأتيه احد منهما على مايأتى بيانه ان شاء الله تعالى ، واختلفت الأحاديث أيضا فى كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها فلا تناقض ووجه آخر وهو أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال فيكون الإنسان مسئولا عن الجميع . كما جاء فى حديث البراء المذكور والله اعلم . وقرا، المسئول هاءهاء هى حكاية صوت المبهور من تعب او جرى او حمل ثقيل .

باب ذكر حديث البراء المشهور

الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفى قبورهم أخرجه أبو داود الطيالسى وعبد بن حميد فى مسنديهما وعلى بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية وهناد ابن السرى فى زهده واحمد بن حنبل فى مسنده وغيرهم وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهمم بتخريج طرقه على بن معبد فأما ابو داود الطيالسى فقال : حدثنا أبو عوانة عن الأعمش وقال هناد وأحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو ، وقال : أبو داود حدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء يعنى ابن عازب وحديث إبى عوانة أتمهما ، قال : البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ، لما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، كأنما على رؤوسنا الطير ، قال عمرو بن ثابت : وقع ولم يقله أبو عوانة ، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى الأرض ، ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول أخرجى أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه فتسيل كما تسيل قطر السقاء ، قال : عمرو فى حديثه لم يقله أبو عوانة .

وان كنتم ترون غير ذلك وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها . فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين ، قال : فذلك قوله تعالى توفته رسلنا وهم لا يفرطون ، قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ماهذه الروح ، فيقال فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به أبواب سماء الدنيا فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقال اكتبوا كتابه فى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ، فيكتب كتابه فى عليين . ثم يقال ردوه إلى الأرض فانى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال : فيرد إلى الأرض وتعاد روحه فى جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه ، فيقولان من ربك **وما دينك ومن نبيك فيقول** ربى الله ودينى الاسلام ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ، فيقول : هو رسول الله . فيقولان : وما يدريك ، فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » قال : وينادى مناد من السماء أن قد صدق عبدى فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان **الله وجنات فيها** نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير ، من أنت فوجهك الوجه الذى جاء بالخير ، فيقول هذا يومك الذى كنت توعد أو الأمر الذى كنت توعد أنا عملك الصالح فوالله ماعلمتك إلا كنت سريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى ، قال : فان كان فاجرا وكان **فى قبل من الدنيا** وانقطاع من الآخرة جاءه ملك ، فجلس عند رأسه فقال : أخرجى أيتها النفس الخبيثة أبشرى بسخط من الله وغضبه فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فاذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين ، قال : فتفرق فى جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصب كالسفود

Marfat.com

الكثير الشعب فى الصوف المبلول ، فتوخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلاتمر على جند فيما بين السماء والأرض ، ألا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون هذا فلابأسوء أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه إلى الأرض إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى قال : فيرمى به من السماء . قال : وتلا هذه الآية « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه ، الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق» ، قال : فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه ، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه . فيقولان : من ربك وما دينك ، فيقول : لا أدرى . فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد ، فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون ذلك قال فيقال لادريت ، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بعذاب الله وسخطه ، فيقول : من أنت فوجهك الذى جاء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث فوالله ماعلمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله ، قال عمرو فى حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم فيقيض له أصم أبكم بيده مرزبة لوضرب بها جبل صار ترابا ، أو قال رميما فيضربه به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى لفظ أبى داود الطيالسى وخرجه على بن معبد من عدة طرق بمعناه وزاد فيه ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربه فيدق بها من ذؤابته إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره ، وزاد فى بعض طرقه عند قوله مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان لم ينقلوها فيضرب بها ضربة فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح ، ويضرب بها ضربة يسمعها من على الأرض غير الثقلين ، ثم يقال افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار ، فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار ، وزاد فيه عند قوله وانقطاع من الدنيا نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسرابيل من قطران يحتوشونه فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل تقطع معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك فى السماء وكل ملك فى الأرض .

(١) معبد الجهنى من

وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب صاحب ، ابن المبارك
فى رقائقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول إذا قتل العبد فى
سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ثم يرسل الله
عز وجل بريطة من الجنة فيقبض فيها روحه ، وصورة فى الجنة
فيركب فيها روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم والملائكة على أرجاء
السماء يقولون قد جاء روح من الأرض طيبة ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح
لها ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها ويشيعها حتى يؤتى بها الرحمن ، فيقولون :
يا ربنا هذا عبدك توفيته فى سبيلك فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة بعد ثم يطهر
ويغفر له ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء ، فيجدهم فى قباب من حرير فى رياض خضر
عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح فى أنهار الجنة يأكل من كل رائحة فى أنهار
الجنة فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه فيجدون فى لحمه طعم كل
رائحة ويبيت الثور فى أفناء الجنة فإذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه
فيأكلون[1] فى لحمه طعم كل رائحة فى الجنة ثم يعودون وينظرون إلى منازلهم من الجنة
ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة فإذا توفى العبد المؤمن بعث الله عز وجل
إليه ملكين وأرسل إليه بخرقة من الجنة ، فقال: أخرجى أيتها النفس المطمئنة أخرجى
إلى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح من مسك ما وجدها
أحد بأنفه قط والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من قبل الأرض روح
طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا دعا لها وصلى عليها حتى
يؤتى بها الرحمن فتسجد الملائكة ثم يقولون هذا عبدك فلان قد توفيته وكان
يعبدك لا يشرك بك شيئا ، فيقول مروه فليسجد فتسجد النسمة ثم يدعى ميكائيل
فيقول اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم
يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعا عرضه وسبعين ذراعا طوله وينبذ له فيه
الرياحين ويستر بالحرير فان كان معه شىء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن معه
جعل له فى قبره نور مثل نور الشمس ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه
إلا أحب أهله إليه ، قال : فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته ، وإذا توفى
العبد الفاجر أرسل الله إليه ملكين وأرسل بقطعة من نجاد أنتن من كل نتن وأخشن

(١) فيأكلون فيجدون فى لحمه

Marfat.com

من كل خشن ، فقالا: أخرجى أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى حميم وعذاب ورب عليك غضبان أخرجى وساء ماقدمت لنفسك فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون قد جاء من الأرض روح خبيثة ونسمة خبيثة فتغلق دونها أبواب السماء ولاتصعد إلى السماء ثم يؤمر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات أمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لاتذر على عظمه لحما ، ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بفطاطيس من حديد لايسمعون صوته فيرحمونه ، ولايبصرونه فيرحمونه ولا يخطئون حين يضربونه ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشيا يدعو بأن يدوم ذلك ولا يخلص إلى النار .

وخرج أبو عبد الرحمن النسائى بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ماأطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه مافعل فلان مافعلت فلانة ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال : ماأتاكم ؟ قالوا : ذهب به إلى أمه الهاوية . وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله فيخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : ماأنتن هذه الريح حتى يأتوا به أرواح الكفار ، وخرج أبو داود الطيالسى قال : حدثنا حماد عن قتادة عن أبى الجوزاء عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم وتسل نفسه فى حريرة بيضاء فيقولون : ماوجدنا ريحا اطيب من هذه فيسألونه فيقولون : ارفقوا به فإنه خرج من غمم الدنيا فيقولون : مافعل فلان مافعلت فلانة قال : وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض ماوجدنا ريحا انتن من هذه فيهبط به إلى اسفل الأرض . قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وهنا فصول ستة فى الرد على الملحدة .

Marfat.com

(الفصل الأول) تأمل ياأخى وفقنى الله وإياك هذا الحديث وماقبله من الأحاديث ترشدك إلى ان الروح والنفس شيء واحد وانه جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج وفى اكفانه يلف ويدرج وبه إلى السماء يعرج لايموت ولا يفنى وهو بماله اول وليس له آخر وهو بعينين ويدين وانه ذو ريح طيب وخبيث وهذه صفة الأجسام لاصفة الأعراض ، وقد قال بلال فى حديث الوادى اخذ بنفسى يارسول الله الذى أخذ بنفسك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقابلا له فى حديث زيد بن أسلم فى حديث الوادى ياأيها الناس إن الله قبض ارواحنا ولوشاء ردها إلينا فى حين غير هذا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الروح إذا قبض تبعه البصر وقال : فذلك حين يتبع بصره نفسه وهذا غاية فى البيان ولا عطر بعد عروس ، وقد اختلف الناس فى الروح اختلافا كثيرا أصح ماقيل فيه ماذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة أنه جسم ، وقد قال تعالى : الله يتوفى الأنفس حين موتها . قال أهل التأويل : يريد الأرواح وقد قال تعالى: فلولا إذا بلغت الحلقوم يعنى النفس عند خروجها من الجسد ، وهذه صفة الجسم ولم يجر لها ذكر فى الآية لدلاله الكلام عليها كقول الشاعر :

أماوى مايغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وكل من يقول إن الروح يموت ويفنى فهو ملحد وكذلك من يقول بالتناسخ أنها إذا خرجت من هذا ركبت فى شيء آخر حمار أو كلب أو غير ذلك وإنما هى محفوظة بحفظ الله إما منعمة وإما معذبة على مايأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

(الفصل الثانى) الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق به لازم حسب ماأخبر به الصادق وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف فى قبره برد الحياة إليه ويجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل مايسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما آتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة وهوان وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار ، وهذا مذهب أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ماذكرنا وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم

Marfat.com

جرا ، ولقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بفتنة الميت فى قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان يارسول الله أيرجع إلى عقلى ؟ قال نعم قال إذا أكفيكهما والله لإن سألانى سألتهما فأقول لهما أنا ربى الله فمن ربكما أنتما .

وخرج الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول من حديث عبد الله ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما فتانى القبر . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أترد علينا عقولنا يارسول الله ؟ فقال نعم كهيئاتكم اليوم ، فقال عمر فى فيه الحجر . وقال سهل بن عمار : رأيت يزيد بن هارون فى المنام بعد موته فقلت له مافعل الله بك ؟ فقال انه أتانى فى قبرى ملكان فظان غليظان ، فقالا مادينك ومن ربك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء وقلت ألمثلى يقال هذا . وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا . وقالا أكتبت عن حرين بن عثمان ؟ قلت نعم . فقالا إنه كان يبغض عليا فأبغضه الله .

وفى حديث البراء فتعاد روحه فى جسده : وحسبك وقد قيل إن السؤال والعذاب إنما يكون على الروح دون الجسد وما ذكرناه لك أولا أصح والله أعلم .

(الفصل الثالث) أنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة ، واحتجوا بأن قالوا : إنا نكشف القبر فلم نجد فيه ملائكة عميا صما يضربون الناس بمطاطيس من حديد ولا نجد فيه حيات ولاثعابين ولا نيرانا ولا تنانين وكذلك لو كشفنا عنه فى كل حالة لوجدناه فيه لم يذهب ولم يتغير وكيف يصح اقعاده ونحن لو وضعنا الزئبق بين عينيه لوجدناه بحاله . فكيف يجلس ويضرب ولا يتفرق ذلك وكيف يصح إقعاده وماذكرتموه من الفسحة ونحن نفتح القبر فنجد لحده ضيقا ونجد مساحته على حد ماحفرناها لم يتغير علينا ، فكيف يسعه ويسع الملائكة السائلين له ؟ وإنما ذلك كله إشارة إلى حالات ترد على الروح من العذاب الروحانى ، وإنها لاحقائق لها على موضوع اللغة .

والجواب : أنا نؤمن بما ذكرناه ولله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم

ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك بل يغيبه عنا فلا يبعد فى قدرة الله تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز ، ثم لو شئنا لأزلنا الزئبق عن عينيه ، ثم نضجعه ونرد الزئبق مكانه ، وكذلك يمكننا ان نعمق القبر ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلا عن القعود كذلك يمكننا أن نوسع القبر مائتى ذراع فضلا عن سبعين ذراعا ، والرب سبحانه ابسط منا قدرة واقوى منا قوة واسرع فعلا وأحصى منا حساباً (إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ولا رب لمن يدعى الإسلام إلا من هذه صفته ، فاذا كشفنا نحن عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان ، نعم بل لو كان الميت بيننا موضوعا فلا يمتنع ان يأتيه الملكان ويسألانه من غير ان يشعر الحاضرون بهما ، ويجيبهما من غير ان يسمع الحاضرون جوابهما ومثال ذلك نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب ، ولا يشعر بذلك احد بمن جوابهما من المنتبهين ، ثم إذا استيقظا اخبر كل واحد منهما عما كان فيه .

وقد قال بعض علمائنا إن دخول الملك القبور جائز ان يكون تأويله اطلاعه عليها وعلى اهلها واهلها مدركون له عن بعد من غير دخول ولاقرب ، ويجوز ان يكون الملك للطافة اجزائه يتولج فى خلال المقابر فيتوصل اليهم من غـــير نبش ويجوز ان ينبشها ثم يعيدها الله الى مثل حالها على وجه لايدركها اهل الدنيا .

ويجوز ان يكون الملك يدخل من تحت قبورهم من مداخل لايهتدى الإنسان اليها .

وبالجملة فأحوال المقابر واهلها على خلاف عادات اهل الدنيا فى حياتهم ، فليس تنقاس احوال الآخرة على احوال الدنيا وهذا مما لاخلاف فيه ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك . فإن قالوا كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخطئة ناقلية ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لايسأل ولايحي وكذلك يشاهد الميت على سريره وهو لايجيب سائلا ولا يتحرك ومن افترسته السباع ونهشه الطيور وتفرقت أجزاؤه فى أجواف الطير وبطون الحيتان وحواصل الطيور وأقاصى التخوم ومدارج الرياح فكيف تجتمع أجزاؤه

Marfat.com

أم كيف تتألف أعضاؤه وكيف تتصور مسائلة الملكين لمن هذا وصفه أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار والجواب عن هذا من وجوه أربعة : (أحدها) أن الذى جاء بهذاهم الذين جاؤا بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا مانقلوه لنا من ذلك . (الثانى) ماذكره القاضى لسان الأمة وهو أن المدفونين فى القبور يسألون والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجرى عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليهم السلام لهم ومن أنكر ذلك فلينكر نزول جبريل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام وقد قال الله تعالى : فى وصف الشياطين إنه يراكم هووقبيله من حيث لاترونهم . (الثالث) قال بعض العلماء : لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لانشعر به كما انا نحسب المغمى عليه ميتا وكذلك صاحب السكتة وندفنه على حسبان الموت ، ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعدان يخلق الله الحياة فى أجزائه . قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويعيده كما كان كما فعل بالرجل الذى أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يدرى حتى تنسفه الرياح الحديث وفيه فأمر الله البر فجمع مافيه وأمر البحر فجمع مافيه ثم قال : ماحملك على مافعلت قال : خشيتك . أو قال مخافتك خرجه البخارى ومسلم ، وفى التنزيل فخذ أربعه من الطير الآية . (الرابع) قال أبو المعالى المرضى عندنا أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو غيره فيحييها ويوجه السؤال عليها وذلك غير مستحيل عقلا قال بعض علمائنا وليس هذا بأبعد من الذر الذى أخرجه الله تعالى من صلب آدم عليه السلام واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى .

(الفصل الرابع) فإن قالوا ماحكم الصغار عندكم قلناهم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه هذا ماتقتضيه ظواهر الأخبار وقد جاء أن القبر ينضم عليه كما ينضم على الكبار ، وقد تقدم وذكر هناد بن السرى قال حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان كان ليصلى على المنفوس ماأن عمل خطيئة قط فيقول : اللهم اجره من عذاب القبر .

Marfat.com

(الفصل الخامس) فإن قالوا فما تاويلكم فى القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة قلنا : ذلك محمول عندنا على الحقيقة لاعلى المجاز وأن القبر يملا على المؤمن خضرا وهو العشب من النبات ، وقد عينه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال : هو الريحان كما فى حق الكافر يفرش له لوحان من نار ، وقد تقدم وقد حمله بعض علمائنا على المجاز والمراد خفة السؤال على المؤمن وسهولته عليه وأمنه فيه وطيب عيشه ووصفه بانه جنة تشبيها بالجنة والنعيم فيها بالرياض يقال : فلان فى الجنة إذا كان فى رغد من العيش وسلامة فالمؤمن يكون فى قبره فى روح وراحة وطيب عيش ، وقد رفع الله عن عينيه الحجاب حتى يرى مدبصره كما فى الخبر ، وأراد بحفرة النار ضغطة القبر وشدة المسائلة والخوف والأهوال التى تكون فيها على الكفرة وبعض أهل الكبائر والله أعلم ، والأول أصح لأن الله سبحانه ورسوله يقص الحق ولا استحالة فى شيء من ذلك .

(الفصل السادس) روى أبو عمر فى التمهيد عن ابن عباس قال : سمعت عمر ابن الخطاب يقول أيها الناس إن الرجم حق فلا تخدعن عنه وان آية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم وان أبا بكر قد رجم وإنا قد رجمنا بعدهما وسيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالساعة ويكذبون يقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا . قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هؤلاء هم القدرية والخوارج ، ومن سلك سبيلهم وافترقوا فى ذلك فرقا فصار أبو الهذيل و بشر إلى أن من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين ، وأن المسائلة إنما تقع فى تلك الأوقات وأثبت البلخى وكذلك الجبائى وابنه عذاب . القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه للكافرين والفاسقين وقال : الأكثرون من المعتزلة لايجوز تسمية ملائكة الله تعالى بمنكر ونكير ، وإنما المنكر مايبدوا من تلجلجه إذا سئل ، وتقريع الملكين له هو النكير ، وقال صالح عذاب القبر جائز وأنه يجرى على الموتى من غير رد الأرواح إلى الأجساد ، وأن الميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم وهذا مذهب جماعة من

Marfat.com

الكرامية وقال بعض المعتزلة إن الله يعذب الموتى فى قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون ، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران أو المغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام ، فإذا عاد اليهم العقل وجدوا تلك الآلام ، وأما الباقون من المعتزلة مثل ضرار بن عمرو وبشر المريسى ويحيى بن كامل وغيرهم ، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلا ، وقالوا إن من مات فهو ميت فى قبره إلى يوم البعث ، وهذه أقوال كلها فاسدة ترده الأخبار الثابتة ، وفى التنزيل : النار يعرضون عليها غدوا وعشيا. وسيأتى من الأخبار مزيد بيان وبالله التوفيق والعصمة والله أعلم .

باب ماجاء فى صفة الملكين

صلوات الله عليهما وصفة سؤالهما

قد تقدم من حديث الترمذى أنهما أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر ، وللآخر النكير ، وروى معمر عن عمرو بن دينار وعن سعد بن ابراهيم عن عطاء ابن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت وانطلق بك قومك وقاسوا ثلاثة أذرع وشبر فى ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ؛ ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم أهالوا عليك التراب فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران كالريح العاصف يجران شعورهما معهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها ، فقال عمر يا رسول الله إن فرقنا فحق لنا أن نفرق انبعث على ما نحن عليه قال نعم قال إذا أكفيكهما ، وروى نقلة الأخبار عن ابن عباس فى خبر الاسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال قلت : يا جبريل وماذاك قال منكر ونكير يأتيان كل إنسان من البشر حين يوضع فى قبره وحيداً فقلت يا جبريل صفهما لى قال نعم من غير أن أذكر لك طولهما وعرضهما ذكر ذلك منهما أفظع من ذلك غير أن أصواتهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ، وأنيابهما كالصياصى يخرج لهب النار من أفواههما

Marfat.com

ومناخرهما ومسامعهما يكسحان الأرض بأشعارهما ويحفران الأرض بأظفارهما مع كل واحد منهما عمود من حديد ، لو اجتمع عليه من فى الأرض ما حركوه يأتيان الإنسان إذا وضع فى قبره وترك وحيداً يسلكان روحه فى جسده بإذن الله تعالى ثم يقعدانه فى قبره فينتهرانه انتهاراً يتقعقع منه عظامه وتزول أعضاؤه من مفاصله فيخر مغشيا عليه ثم يقعدانه فيقولان له إنك فى البرزخ فاعقل حالك واعرف مكانك ، وينتهرانه ثانية ويقولان : يا هذا ذهبت عنك الدنيا وأفضيت إلى معادك فأخبرنا من ربك . وما دينك[1] ، فان كان مؤمنا بالله لقنه الله حجته فيقول الله ربى ونبيي محمد ، ودينى الإسلام ، فينتهرانه عند ذلك انتهارا يرى أن أوصاله تفرقت وعروقه قد تقطعت ويقولان له . يا هذا ثبت يا هذا ثبتك الله فيما تقول فيثبته الله عنده بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويلقيه الأمان ويدرأ عنه الفزع

فلا يخافهما ، فإذا فعل ذلك بعبده المؤمن استأنس اليهما وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمهما ويقول تهددانى كى ما أشك فى ربى وتريدانى أن أتخذ غير مولاى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وهو ربى وربكما ورب كل شىء ونبيي محمد ودينى الإسلام ثم ينتهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول ربى الله فاطر السموات والأرض ، إياه كنت أعبد ولم أشرك به شيئا ولم أتخذ غيره أحداً أفتريدان أن تردانى عن معرفة ربى وعبادتى إياه ، نعم هو الله الذى لا إله إلا هو قال : فإذا قال ذلك ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعا له حتى يستأنس اليهما أنس ما كان فى الدنيا إلى أهل وده ويضحكان اليه ويقولان له صدقت وبررت أقر الله عينيك وثبتك ، أبشر بالجنة وبكرامة الله ثم يدفع عنه قبره هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر و يفتح له باباً إلى الجنة فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها فى قبره ما يتعرف به كرامة الله تعالى فإذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله ، ثم يفرشان له فراشا من استبرق الجنة ويضعان له مصباحا من نور عند رأسه ومصباحا من نور عند رجليه يزهران فى قبره ثم تدخل عليه ريح أخرى فحين يشمها يغشاه النعاس فينام فيقولان له ارقد رقدة العروس قرير العين لا خوف عليك ولا حزن ثم يمثلان عمله الصالح فى أحسن ما يرى من صورة وأطيب

(١) وما دينك ومن نبيك فان

Marfat.com

ريح[1] فيقولان هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك فى أحسن ما ترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك فى قبرك فلا تكون وحيدا ويدرأ عنك هوام الأرض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك فى قبرك ولا فى شىء من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى فنم سعيداً طوبى لك وحسن مآب ثم يسلمان عليه ويطيران عنه وذكر الحديث وما يلقى الكافر من الهوان الشديد والعذاب الأليم وحسبك بما تقدم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى وهذا الحديث وإن كان فى إسناده مقال لأنه يروى عن عمرو بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم فهو حديث مرتب على أحوال مبينة ومحتو على أمور مفسرة .

(فصل) قوله أتاك فتانا القبر منكر ونكير إنما سميا فتانى القبر لأن فى سؤالهما انتهارا وفى خلقهما صعوبة ألا ترى أنهما سميا منكرا ونكيرا فإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق الطير ، ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع وليس فى خلقتهما أنس للناظرين اليهما ، جعلهما الله تكرمة للمؤمن ليتنبه وتبصرة وهتكا لستر المنافق فى البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب قاله أبو عبد الله الترمذى .

(فصل) إن قال قائل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفو الأماكن متباعدو القبور فى الوقت الواحد والجسم الواحد لا يكون فى المكانين فى الوقت الواحد وكيف تنقلب الأعمال أشخاصا وهى فى نفسها أعراض . فالجواب : عن الأول ما جرى من ذكرهما فى هذا الخبر من عظم جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين فى الجهة الواحدة منهم فى المرة الواحدة مخاطبة واحدة يخيل لكل واحد أن المخاطب هو دون من سواه ويكون الله يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لهما ويسمع هو مخاطبتهما ان لو كانوا معه فى قبر واحد وقد تقدم أن عذاب القبر يسمعه كل شىء إلا الثقلين والله سبحانه وتعالى يسمع من يشاء وهو على كل شىء قدير . والجواب عن الثانى : أن الله يخلق من

(١) ريح فيكون عند رأسه ويقولان

Marfat.com

ثواب الأعمال أشخاصا حسنة وقبيحة لأن العرض نفسه ينقلب جوهرا إذ ليس من قبيل الجواهر . ومثل هذا ماصح فى الحديث أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح ومحال أن ينقلب الموت كبشا لأن الموت عرض وإنما المعنى أن الله سبحانه يخلق شخصا يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار . وهكذا كلما ورد عليك فى هذا الباب التأويل فيه ماذكرت لك والله سبحانه أعلم . وسيأتى له مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

باب اختلاف الآثار فى سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

جاء فى حديث البخارى ومسلم : أنه يفسح له سبعون ذراعا وفى الترمذى سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا . وفى حديث البراء مدالبصر . وخرج على بن معبد عن معاذة قالت : قلت لعائشة رضى الله عنها ألا تخبرينا عن مقبورنا مايلقى وما يصنع به ؟ فقالت : إن كان مؤمنا فسح له فى قبره أربعون ذراعا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال . وأما الكافر فلا يزال عليه قبره ضيقا فنسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . سمعت بعض علمائنا يقول : إن حفارا كان بقرافة مصر يحفر القبور فحفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها غشيه النعاس فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر . فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخا فى فرسخ . ثم وقفا على الثانى : فقال أحدهما اكتب ميلا فى ميل . ثم وقفا على الثالث . فقال اكتب فترا فى فتر . ثم انتبه فجىء برجل غريب لايؤبه له فدفن فى القبر الأول . ثم جىء برجل آخر فدفن فى القبر الثانى . ثم جىء بامرأة مترفة من وجوه أهل البلد حولها ناس كثير فدفنت فى القبر الضيق الذى سعته فترا فى فتر الفتر مابين الإبهام والسبابة . نعوذ بالله من ضيق القبر وعذابه .

Marfat.com

باب ماجاء فى عذاب القبر وأنه حق

وفى اختلاف عذاب الكافرين فى قبورهم وضيقها عليهم

قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) قال أبو سعيد الخدرى وعبد الله بن مسعود ضنكا قال عذاب القبر . وقيل فى قوله عز وجل : (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) هو عذاب القبر لأن الله ذكره عقب قوله (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل على أن العذاب الذى هم فيه هو عذاب القبر ولذلك قال : (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لأنه غيب . وقال : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) فهذا عذاب القبر فى البرزخ وسيأتى . وقال ابن عباس فى قوله تعالى : (كلا سوف تعلمون) ماينزل بكم من العذاب فى القبر (ثم كلا سوف تعلمون) فى الآخرة إذا حل بكم العذاب فالأول فى القبر والثانى فى الآخرة فالتكرير للحالتين وروى زر بن حبيش عن على رضى الله عنه قال : كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون) يعنى فى القبور . وقال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهو المعيشة الضنك . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون فيمن أنزلت هذه الآية ؟ (فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال عذاب الكافر فى القبر والذى نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا . أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة أرؤس ينفخن فى جسمه ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة ويحشر من قبره إلى موقفه أعمى . وذكر أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن واحدا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت خضرا . وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفا . ثم يؤمر به يعنى الكافر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى

لاتذر على عظمه لحما **ترسل عليه** ملائكة صم عمى يضربونه بفطاطير . الحديث وقد تقدم .

(فصل) لا تظن **يرحمك الله** أن هـذا **معارض** الحديث المرفوع أنه يسلط على الكافر أعمى أصم فإن : أحوال الكفار تختلف . فمنهم من يتولى عقوبته واحد ومنهم من يتولى عقوبته جماعة . وكذلك فلا تناقض بين هـذا وبين أكل الحيات لحمه . فإنه يمكن أن يتردد بين هذين العذابين كما قال تعالى : (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) فمرة يطعمون الزقوم وأخرى يسقون الحميم ومرة يعرضون على النار ، وأخرى على الزمهرير أجارنا الله من عذاب القبر ومن عذاب النار برحمته وكرامته . وآخر يفرش له لوحان من نار . وآخر يقال له نم نومة المنهوس كما أخرجه على بن معبد عن أبى حازم عن أبى هريرة موقوفا قال : إذا وضع الميت فى قبره أتاه آت من ربه فيقول له من ربك فان كان من أهل التثبيت ثبت . وقال الله ربى . ثم يقال له مادينك فيقول الإسلام . فيقول من نبيك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيرى بشراه ويبشر . فيقول دعونى أرجع إلى أهلى فأبشرهم فيقال له نم قرير العين إن لك إخوانا لم يلحقوا ، وإن كان من غير أهل الحق والتثبيت قيل له من ربك ؟ فيقول هاه كالواله ، ثم يضرب بمطراق يسمع صوته الخلق إلا الجن والإنس ويقال له نم كنومة المنهوس . قال أهل اللغة المنهوس بالسين المهملة الملسوع نهسته الحية تنهسه . قال : الراجز وذات قرنين طحون الضرس تنهس لو تمكنت من نهس تدير عينا كشهاب القبس والمنهوس مرة ينتبه لشدة الألم عليه ومرة ينام كالمغمى عليه قال النابغة :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع
تسهد من ليل التمام سليمها كحلى النساء فى يديه قعاقع
يبادرها الراقون من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع

Marfat.com

باب منه فى عذاب الكافر فى قبره

ذكر الوائلى الحافظ فى كتاب الإبانة له من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر . قال : بينا أنا أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من الأرض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود **فقال يا عبد الله اسقنى فقال** ابن عمر لا درى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل يا عبد الله فقال لى الأسود لاتسقه فإنه كافر ثم اجتذبه **فدخل به الأرض** . قال ابن عمر : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : أوقد رأيته ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام وهو عذابه إلى يوم القيامه .

باب ما يكون منه عذاب القبر

واختلاف أحوال العصاة فيه بحسب اختلاف معاصيهم

أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى هريرة عن النبى صل الله عليه وسلم قال: أكثر عذاب القبر **فى البول** البخارى ومسلم عن ابن عباس قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ، ثم قال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا ، وفى رواية كان لا يستتر عن البول أو من البول رواهما مسلم . وفى كتاب أبى داود وكان لا يستنزه من بوله وفى حديث هناد بن السرى لا يستبرى من البول من الاستبراء . وقال البخارى وما يعذبان فى كبير وانه لكبير وأخرجه أبو داود الطيالسى عن أبى بكرة قال بينما أنا أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبى هذين القبرين ليعذبان الآن فى قبورهما فأيكما يأتينى من هذا النخل بعسيب فاستبقت أنا وصاحبى فسبقته وكسرت من النخل عسيبا فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فشقه نصفين من أعلاه فوضع على إحداهما نصفا وعلى الآخر نصفا وقال إنه يهون عليهما مادام من بلولتهما شىء إنهما يعذبان فى الغيبة والبول .

Marfat.com

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا الحديث والذى قبله يدل على أن التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطبا لا زيادة معه . وقد خرج مسلم من حديث جابر الطويل ، وفيه فلما انتهى إلى قال يا جابر هل رأيت مقامى قلت نعم يا رسول الله قال فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصنا فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامى فأرسل غصناً عن يمينك وغصنا عن يسارك . قال جابر فقمت فأخذت حجرا فكسرته وحسرته فاندلق لى فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصنا ، ثم أقبلت أجر هما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت غصنا عن يمينى وغصنا عن يسارى ، ثم لحقته فقلت قد فعلت ذلك يا رسول الله فعم ذاك قال انى مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتى أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين فنى هذا الحديث زيادة على رطوبة الغصن وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم ، والذى يظهر لى أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة كما قال من تكلم على ذلكَ يدل عليهما سياق الحديث ، فإن فى حديث ابن عباس وأبى بكرة عسيبا واحدا شقه النبى صلى الله عليه وسلم بيده نصفين وغرسهما بيده وحديث جابر بخلافهما ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه . وقد خرج أبو داود الطيالسى حديث ابن عباس فقال : حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على قبرين فقال انهما ليعذبان فى غير كبير ، أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس وأما الآخر فكان صاحب نميمة ، ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فوضع نصفا على هذا القبر ونصفا على هذا القبر وقال عسى أن يخفف عنهما ما دامتا رطبتين ثم قيل يجوز أن يكونا كافرين ، وقوله إنهما ليعذبان فى غير كبير يريد بالإضافة إلى الكفر والشرك وإما أن كانا مؤمنين فقد أخبرك أنهما يعذبان بشىء كان منهما ليس بكفر لكنهما لم يتوبا منه ، وإن كانا كافرين فهما يعذبان فى هذين الذنبين زيادة على عذابهما بكفرهما وتكذيبهما وجميع خطاياهما وإن يكونا كافرين أظهر والله أعلم . فإنهما لو كانا مؤمنين لعلما لقرب العهد بتدافن المسلمين يومئذ قاله ابن برجان فى كتاب الإرشاد الهادى الى إلى التوفيق والسداد .

Marfat.com

قال الشيخ المؤلف رحمه الله والأظهر أنهما كانا مؤمنين وهو ظاهر الأحاديث والله أعلم . الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أمر بعبد من عباد الله عز وجل أن يعذب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا ، فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتنى قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره البخارى عن سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا قال فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى أحد منكم رؤيا قلنا لا قال لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه . ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله . قلت : ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه . قلت ما هذا ؟ قالا انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة . فقلت ماهذا ؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان . فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فيرجع كما كان . فقلت ماهذا ؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارا لم أر قط أحسن منها فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجانى منها فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت : طوفتمانى الليلة فاخبرانى عما رأيت قالا نعم الذى رأيت يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله

Marfat.com

القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذين رأيتهم فى الثقب فهم الزناة ، والذى رأيتـــه فى النهر أكلِ الربا والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس . والذى يوقد النـار مالك خازن النار ، والدار الأولى دار عامة المؤمنين . وأما هـــذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسى ، فإذا فوقى مثل السحاب قالا ذلك منزلك ، ففلت : دعانى أدخل منزلى قال : انه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك .

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم لا أبين فى أحوال المعذبين فى قبورهم من حديث البخارى ، وإن كان مناما فمنامات الأنبياء عليهم السلام وحى بدليل قول ابراهيم عليه السلام يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فأجابه ابنه : يا أبت افعل ما تؤمر ، وأما حديث الطحاوى فنص أيضا ، وفيه رد على الخوارج ومن يكفر بالذنوب . قال الطحاوى وفيه ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر ، لأن من صلى صلاة بغير طهور فلم يصل ، وقد أجيبت دعوته ولو كان كافرا ماسمعت دعوته لأن الله عز وجل يقول « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » وأما حديث البخارى ومسلم فيدل على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب ، إذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب ، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياسا على البول ، وهذا قول أكثر العلماء ، وبه قال ابن وهب ورواه عن مالك وهو الصحيح فى الباب ومن صلى ولم يستنثر فقد صلى بغير طهور (تنبيه على غلط) ذكر بعض أصحابنا فيما نقل الينا عنه أن القبر الذى غرس عليه النبى صلى الله عليه وسلم العسيب هو قبر سعد بن معاذ ، وهذا باطل ، وإنما صح أن القبر ضغطه كما ذكرنا ثم فرج عنه ، وكان سبب ذاك ما رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثنى أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول ، وذكر هناد بن السرى حدثنا ابن فضيل عن أبى سفيان عن الحسن قال أصاب سعد بن معاذ جراحة فجعله النبى صلى الله عليه وسلم عند امرأة تداويه فمات من الليل فأتاه جبريل فأخبره فقال انه مات من الليلة

Marfat.com

فيكم رجل اهتز العرش لحب لقاء الله إياه ، فإذا هو سعد[1] قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره فجعل يكبر ويهلل ويسبح ، فلما خرج قيل له يا رسول الله ما رأيناك صنعت هكذا قط قال إنه ضم فى القبر ضمة حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله تعالى أن يرفه عنه وذلك أنه كان لا يستبرى من البول ، وقال السالمى أبو محمد عبد الغالب فى كتابه ، وأما الأخبار فى عذاب القبر فبالغة مبلغ الاستفاضة منها قوله صلى الله عليه وسلم فى سعد بن معاذ لقد ضغطته الأرض ضغطة اختلفت لها ضلوعه ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فلم ننقم من أمره شيئا إلا أنه كان لا يستتر فى أسفاره من البول .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فقوله صلى الله عليه وسلم ، ثم فرج عنه دليل على أنه جوزى على ذلك التقصير منه لا أنه يعذب بعد ذلك فى قبره ، هذا لا يقوله أحد إلا شاك مرتاب فى فضله وفضيلته ونصحه ونصيحته رضى الله عنه أترى من اهتز له عرش الرحمن وتلقت روحه الملائكة الكرام فرحين بقدومها عليهم ومستبشرين بوصولها اليهم يعذب فى قبره بعد ما فرج عنه هيهات هيهات لا يظن ذلك إلا جاهل بحقه غبي بفضيلته وفضله رضى الله عنه وأرضاه وكيف يظن ذلك وفضائله شهيرة ومناقبه كثيرة خرجها البخارى ومسلم وغيرهما وهو الذى أصاب حكم الرحمن فى بنى قريظة من فوق سبع سموات ، أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البخارى ومسلم وغيرهما :

باب منـــه

عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هـذه الآية « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام » الآية قال أتى بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل حتى أتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل من هؤلاء فقال المهاجرون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو

(١) هو سعد بن معاذ قال

خير الرازقين، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة ، قال ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم فى قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال يا جبريل من هؤلاء قال هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فيأتى المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء إلا قصفته قالت ماهذا يا جبريل قال يقول الله عز وجل «ولا تقعدوا بكل صراط توعدون» ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال يا جبريل ماهذا؟ قال هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم شيء من ذلك قال يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل يتكلم الكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع ، وذكر الحديث. وخرج من حديث أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك الحديث وفيه قال فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له اسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائه ألف ملك قال وقال الله تعالى « وما يعلم جنود ربك إلا هو » فاستفتح جبريل ثم قال فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الكافرين فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين ، ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأخونة يعنى بالخوان المائدة التى يؤكل عليها وعليها لحم مشرح ليس

Marfat.com

يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد اروح وأنتن عندها ناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجيء السابلة فتطأهم قال فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنيهة فإذا انا با قوام مشافرهم كمشافر الإبل قال فيفتح على أفواههم ويلقمون ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا . قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك . قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل آما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء. قال هؤلاء الهمازون اللمازون من أمتك وذكر الحديث ، وذكر أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم .

باب ماجاء فى بشرى المؤمن فى قبره

قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام لاسبيل لكم عليه . فقد أطال ظمأه لله عز وجل فى دار الدنيا فيأتون من قبل جسمه . فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز رجل لاسبيل لكم عليه . فيأتون من قبل يديه . فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى

Marfat.com

يد الله عز وجل ابتغاء **لوجهه لا سبيل** لكم عليه . قال : فيقال له : نم هنيئا طبت حيا وطبت ميتا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا لمن أخلص لله فى عمله وصدق الله فى قوله وفعله وأحسن نيته له فى سره وجهره فهو الذى تكون أعماله حجة له ودافعة عنه فلا تعارض بين هذا الباب وبين ماتقدم من الأبواب فإن الناس مختلفو الحال فى خلوص **الاعمال والله** أعلم .

باب ماجاء فى التعوذ من عذاب القبر وفتنته

النسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى امرأة من اليهود . وهى تقول : إنكم تفتنون فى القبور . فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنما يفتن يهود . قالت عائشة فلبثنا ليالى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من عذاب القبر . وروى الائمة عن أسماء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : وإنه قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قريباً ، أو مثل فتنة الدجال لا أدرى أى ذلك ؟ قالت أسماء : يؤتى **أحدكم فيقال له ماعلمك** بهذا الرجل . فأما المؤمن أوالموقن لا أدرى أى ذلك قالت أسماء فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات . ثم يقال له نم قد نعلم إنك لتؤمن به فنم صالحا . وأما المنافق أو المرتاب لاأدرى أى ذلك ؟ قالت أسماء : فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلت لفظ مسلم . وخرج البخارى عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدا أخرجها الاثبات الثقات .

Marfat.com

باب ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر

مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة كذا كان الجريرى يقول : فقال من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل أنا قال فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا فى الإشراك . فقال إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع . وخرج أيضاً عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت دخلت على عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم . قالت فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة قالتا إن أهل القبور يعذبون في قبورهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم قالت فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر خرجه البخارى أيضا وقال : تسمعه البهائم كلها . وخرج هناد بن السرى فى زهده ، حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على فذكرت ذلك له : فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إنهم ليعذبون فى قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم .

(فصل) قال علماؤنا وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام لولا أن لاتدافنوا الحديث فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلاهية ولطائفه الربانية لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر على القرب من القبر للدفن أو يهلك الحى عند سماعه إذ لايطاق سماع شىء من عذاب الله فى هذه الدار لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس وأين صعقة الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق

الحديد التى يسمعها كل من يليه . وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الجنازة ولو سمعها إنسان لصعق .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير ضرب ولاهوان . فكيف إذا حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه .

حكاية : قال أبو محمد عبد الحق ، حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله . أنهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرق أشبيليه فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم . فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة ، ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة كذلك فعلت مرة بعد أخرى . قال أبو الحكم رحمه الله فذكرت عذاب القبر وقول النبى صلى الله عليه وسلم انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارىء هذا الحديث فى عذاب القبر ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم ابن الحجاج رضى الله عنه .

باب ماجاء أن الميت يسمع ما يقال

مسلم عن أنس بن مالك : أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله . قال : فقال عمر فوالذى بعثه بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال يافلان بن فلان هل وجدتم ماوعدكم الله ورسوله حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا . فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أجساداً لاأرواح فيها ؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لايستطيعون أن يردوا على شيئا . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

ترك قتلى بدر ثلاثا فقام عليهم فناداهم . فقال يا أباجهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ماوعدكم ربكم حقا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا . فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا ؟ قال : والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولكنهم لايقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر .

(فصل) اعلم رحمك الله أن عائشة رضى الله عنها قد أنكرت هذا المعنى . واستدلت بقوله تعالى : (فإنك لاتسمع الموتى) وقوله : (وما أنت بمسمع من فى القبور) ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون فى وقت ما أوفى حال ما فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص . وقد وجد هنا بدليل ماذكرناه . وقد تقدم وبقوله عليه الصلاة والسلام إنه ليسمع قرع نعالهم وبالمعلوم من سؤال الملكين للميت فى قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لاينكر وقد ذكر ابن عبد البر فى كتاب التمهيد والاستذكار من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام صححه أبو محمد عبد الحق وجيفوا معناه أنتنوا .

باب قوله تعالى «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا» الآية

مسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى عذاب القبر يقال له من ربك فيقول الله ربى ونبيي محمد فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وفى رواية أنه قول البراء ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لايقال من جهة الرأى فهو محمول على أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله كما فى الرواية الأولى وكما خرجه النسائى وابن ماجه فى سننهما والبخارى فى صحيحه وهذا لفظ البخارى حدثنا جعفر

Marfat.com

ابن عمر قال حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اقعد العبد المؤمن فى قبره أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية وخرجه أبو داود أيضا فى سننه فقال فيه عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم إذا سئل فى القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنو بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وقد مضى هذا المعنى فى حديث البراء الطويل مرفوعا والحمد لله وقد روى هذا الخبر أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدرى قال أبو سعيد الخدرى كنا فى جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأيها الناس ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال ماتقول فى هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب إلى النار فيقول له هذا منزلك لو كفرت بربك، وأما الكافر والمنافق فيقول له ماتقول فى هذا الرجل ؟فيقول لا أدرى فيقال له لادريت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له هذا منزلك لو أمنت بربك فأما إذ كفرت فان الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب إلى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين. قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء .

شرح الصدور ص ٥٤

(فصل) صحت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فى عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها وجاء فيما تقدم من الآثار أن الكافر يفتن فى قبره ويسأل ويهان ويعذب قال أبو محمد عبد الحق : واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفا على المنافقين ، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته وزلله وإن كانت تلك النصوص المتقدمة

Marfat.com

فى عذاب القبر إنما جاءت فى الكافر والمنافق ، قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب التمهيد: الآثار الثابتة تدل على أن الفتنة فى القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق ممن كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام ممن حقن دمه بظاهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام والله أعلم ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويرتاب المبطلون.. قال ابن عبد البر وفى حديث زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ومنهم من يرويه تسأل وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، وهذا أمر لا يقطع عليه ، والله أعلم . وقال : أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول ، وإنما سؤال الميت فى هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل ، واعتزلوا وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة وأمانا للخلق، فقال : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، امسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل فى دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ فى قلبه ، فامهلوا ، فمن هاهنا ظهر امر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا من المسلمين فى ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر ليستخرج سترهم بالسؤال ، وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الثابت فى الحياة الدنيا ويضل الله الظالم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قول أبى محمد عبد الحق أصوب والله أعلم ، فإن الأحاديث التى ذكرناها من قبل تدل على أن الكافر يسأله الملكان ويختبرانه بالسؤال ويضرب بمطارق من حديد على ما تقدم والله أعلم .

باب ما ينجى المؤمن
من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك خمسة أشياء رباط قتل بطن زمان . الأول : روى روى مسلم عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه

رباط

وأمن من الفتان فالرباط من أفضل الأعمال التى يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء فى حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة . الحديث . وقد تقدم وهو حديث صحيح ، انفرد بإخراجه مسلم ، وكذلك ما أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم من أنه يلحق الميت بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه كالصدقة بنفاذها والعلم بذهابه والولد الصالح بموته والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر والرباط يضاعف أجره لصاحبه إلى يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام وان مات أجرى عليه عمله وقد جاء مفسرا مبينا فى كتاب الترمذى عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال حديث حسن وأخرجه أبو داود بمعناه وقال : ويؤمن من فتانى القبر ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هى فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ماكان يعمله من الأعمال الصالحة أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من فتنة القبر ويبعثه الله أميناً من الفزع الأكبر وفى هذا الحديث وحديث فضالة بن عبيد قيد ثان وهو الموت حالة الرباط والله أعلم ، وروى عن عثمان ابن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط ليلة فى سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها ، وروى عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً أراه . قال : من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها ، فإن رده الله إلى أهله سالما لم يكتب عليه سيئة ألف سنة ويكتب له من الحسنات ويجرى له أجر الرباط إلى يوم

Marfat.com

القيامة ، فدل هذا الحديث على أن رباط يوم فى شهر رمضان يحصل به الثواب الدائم وإن لم يمت مرابطا والله أعلم . اخرجه عن محمد بن اسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السلمى حدثنا عمرو بن صبيح عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبى بن كعب فذكره (مسألة) الرباط هو الملازمة فى سبيل الله مأخوذ من ربط الخيل ثم سمى كل ملازم لثغر من ثغور المسلمين مرابطا فارساً كان أو راجلا ، واللفظة مأخوذة من الرباط ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم فى منتظرى الصلاة ، فذلكم الرباط إنما هو تشبيه بالرباط فى سبيل الله ، والرباط اللغوى هو الأول وهو الذى يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما ، فأما سكان الثغور دائما بأهلهم الذين يعمرون ويكتسبون هناك ، فهم ، وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين . قاله علماؤنا ، وقد بيناه فى كتاب جامع أحكام القرآن من سورة آل عمران والحمد لله . (الثانى) روى النسائى عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة ، وخرج ابن ماجه فى سننه والترمذى فى جامعه وغيرهما عن المقدام بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه لفظ الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وقال ابن ماجة يغفر له فى أول دفعة من دمه قال : ويحلى حلة الإيمان بدل ويوضع على رأسه تاج الوقار . قال ابن ماجة حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسماعيل بن عياش قال حدثنى بحير بن سعد وقال الترمذى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقية بن الوليد عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام ابن معدى كرب فذكره .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ووقع فى بعض نسخ الترمذى وابن ماجه ستة خصال وهى فى متن الحديث سبع وعلى ماذكر ابن ماجه ويحلى بحلة الإيمان تكون

ثمانية ، وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ثمانية خصال .

سورة الملك

الثالث روى الترمذى عن ابن عباس قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر . قال حديث حسن غريب . وخرج أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل عن صاحبها . وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها يعنى قارئها فى القبر . وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان . وأنبأنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن عمر الأنصارى القرطبى بثغر الاسكندرية حماه الله قال : حدثنى الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى المعافرى ابن أخى الشيخ الإمام أبى بكر قال حدثنى الشيخ الشريف أبو محمد يونس بن ابى الحسن بن أبى البركات الهاشمى البغدادى ، حدثنا أبو الوقت عن الداوودى عن الحموى عن أبى إسحاق إبراهيم ابن خزيم الشاشى عن عبدالله بن حميد الكشى عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى يا ابن عباس رحمك الله قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك احفظها وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت فى جوفه وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى ، وأخبرناه عاليا الشيخ المحدث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الأنصارى التلمسانى بثغر الاسكندرية عن شيخه الشريف أبى محمد يونس عن أبى الوقت . وقد تقدم أن قراءة الرجل قل هو الله أحد فى مرض الموت تنجى من ذلك .

بسطت

الرابع : روى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

من مات مريضا مات شهيداً ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة

وخرج النسائى عن جامع بن شداد قال سمعت عبد الله بن يسار يقول : كنت جالسا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكرا أن رجلا مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يشهدا جنازته . فقال أحدهما للآخر ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقتله بطنه لم يعذب فى قبره . أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده قال : حدثنا شعبة ، قال أخبرنى جامع بن شداد فذكره وزاد فقال الآخر بلى .

الخامس : روى الترمذى عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر قال هذا حديث حسن غريب وليس إسناده بمتصل ربيعة ابن سيف إنما يروى عن عبد الرحمن الحبلى عن عد الله بن عمرو ولا نعرف لربيعة ابن سيف سماعا من عبد الله بن عمرو .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد خرجه أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول متصلا عن ربيعة بن سيف الاسكندرى عن عياض بن عقبة الفهرى عن عبد الله بن عمرو[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة القبر وخرجه على بن معبد عنه أعنى عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقى فتنة القبر وأخرجه أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى الوجيهى وهو مدنى فيه لين عن محمد عن جابر .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله اعلم رحمك الله أن هذا الباب يعارض ماتقدم من الأبواب بل يخصها ويبين من لايسأل فى قبره ولا يفتن فيه ممن يجرى عليه السؤال ويقاسى تلك الأهوال وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد صلى الله عليه

(١) عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله

وسلم وقد روى ابن ماجه فى سننه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل الميت فى قبره مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس فيمسح عينيه ويقول دعونى أصلى ولعل هذا ممن وقى فتنة القبر فلا تعارض والحمد لله

(فصل) قوله عليه السلام فى الشهيد كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة معناه أنه لو كان فى هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا إلتقى الزحفان وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفسا وهيجان حمية الله والتعصب له لإعلاء كلمته فهذا قد أظهر صدق مافى ضميره حيث برز للحرب والقتل فلماذا يعاد عليه السؤال فى القبر قاله الترمذى الحكيم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وإذا كان الشهيد لايفتن فالصديق أجل خطرا وأعظم أجرا فهو أحرى أن لايفتن لأنه المقدم ذكره فى التنزيل على الشهداء فى قوله تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء)وقد جاء فى المرابط الذى هو أقل مرتبة فى الشهيد أن لايفتن فكيف بمن هو أعلا مرتبة منه ومن الشهيد والله أعلم فتأمله

(فصل) قوله عليه السلام من مات مريضا مات شهيداً عام فى جميع الأمراض لكن قيده فى الحديث الآخر من يقتله بطنه وفيه قولان أحدهما انه الذى يصيبه الذرب وهو الاسهال تقول العرب أخذه البطن إذا أصابه الداء وذرب الجرح إذا لم يقبل الدواء وذربت معدته فسدت (الثانى) أنه الاستسقاء وهو أظهر القولين فيه لأن العرب تنسب موته إلى بطنه تقول قتله بطنه يعنون الداء الذى أصابه فى جوفه وصاحب الاستسقاء قل أن يموت إلا بالذرب فكأنه قد جمع الوصفين وغيرهما من الأمراض والوجود شاهد للثبت بالبطن ان عقله لايزال حاضرا وذهنه باقيا إلى حين موته ومثل ذلك صاحب السل إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة أو من يموت بالسام والبرسام والحميات المطبقة أو القولنج أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الآلام ولورم أدمغتهم ولفساد أمزجتها فاذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه حاضر وهو عارف والله أعلم

Marfat.com

بـاب

ابو نعيم قال (حدثنا) عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن سعيد قال حدثنا محمد بن حرب الواسطى قال حدثنا نصر بن حماد قال حدثنا همام قال حدثنا محمد بن حجادة عن طلحة ابن مصرف قال سمعت خيثمة بن عبد الرحمن يحدث عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء صدقته دخل الجنة غريب من حديث طلحة لم نكتبه إلا من حديث نصر عن همام .

رمضان

باب ماجاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى

البخارى ومسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هـــذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة

(فصل) قوله عرض عليه مقعده ويروى عرض على مقعده (قال) علماؤنا وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال فى الدنيا وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب أو من تهدد به من غير أن يرى الآلة ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته (وجاء فى التنزيل) فى حق الكافرين (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا) فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح فى ذلك وهل كل مؤمن يعرض على الجنان فقيل ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ومن أراد الله إنجاءه من النار وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلطين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فله مقعدان يراهما جميعا كما أنه يرى عمله شخصين فى وقتين أو فى وقت واحد قبيحا وحسنا وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيف ما كان والله أعلم ثم قيل هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد اليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان ويقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به

Marfat.com

مقعدا من الجنة وكيف ما كان فان العذاب محسوس والألم موجود والأمر شديد وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلا فى النائم فإن روحه تعذب أو تنعم والجسد لايحس بشىء من ذلك (وقال) عبد الله بن مسعود أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم هذه داركم فذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وعنه أيضا أن أرواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها (وروى) شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت ميمون بن ميسره يقول كان أبو هريرة إذا أصبح ينادى أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار وإذا أمسى ينادي أمسينا والحمدلله وعرض آل فرعون على النار فلا يسمع أبا هريرة أحد ألا تعوذ بالله من النار وقد قيل إن أرواحهم فى صخرة سوداء تحت الأرض السابعة على شفير جهنم فى حواصل طير سود والغداة والعشى إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح فان قيل فقد قال الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قلنا الجواب عنهما واحد وسيأتى له مزيد بيان فى وصف الجنان ان شاء الله تعالى.

باب ما جاء أن أرواح الشهداء فى الجنة دون أرواح غيرهم

يدل على ذلك قوله عليه السلام فى حديث ابن عمر هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة وهذه حالة مختصة بغير الشهداء (وفى حديث) مسلم عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية (ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فأطلع اليهم ربهم إطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا أى شىء نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا.

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وهنا اعتراضات خمس .

الأول : إن قيل ما قولكم فى الحديث الذى ذكرتم مامن أحد يمر بقبر أخيه

Marfat.com

المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام . قلنا : هو عموم يخصه ماذكرنا فهو محمول على غير الشهداء

الثانى : فإن قيل : فقد روى مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك الأنصارى أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه . قلنا : قال أهل اللغة تعلق بضم اللام تأكل . يقال علقت يعلق علوقا ، ويروى يعلق بفتح اللام وهو الأكثر ومعناه تسرح وهذه حالة الشهداء لاغيرهم بدليل الحديث المتقدم . وقوله تعالى : (بل أحياء عند ربهم يرزقون) ولايرزق إلا حى فلا يتعجل الأكل والنعيم لأحد إلا للشهيد فى سبيل الله باجماع من الأئمة حكاه القاضى أبوبكر بن العربى فى سراج المريدين وغير الشهيد بخلاف هذا الوصف إنما يملأ عليه قبره خضرا ويفسح له فيه . وقوله : نسمة المؤمن أى روح المؤمن الشهيد . يدل عليه قوله فى نفس الحديث حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم القيامة .

الثالث : فان قيل : فقد جاء أن الأرواح تتلاقى فى السماء والجنة فى السماء يدل عليه قوله عليه السلام : إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء . وفى رواية أبواب الجنة . قلنا لايلزم من تلاقى الأرواح فى السماء أن يكون تلاقيها فى الجنة بل أرواح المؤمنين غير الشهداء تارة تكون فى الأرض على أفنية القبور ، وتارة فى السماء لافى الجنة . وقد قيل إنها تزور قبورها كل يوم جمعة على الدوام ولذلك تستحب زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة ويكره السبت فيما ذكر العلماء والله أعلم .

قال ابن العربى : وبحديث الجرائد يستدل الناس على أن الأرواح فى القبور تعذب أو تنعم وهو أبين فى ذلك من حديث ابن عمر فى الصحيح . إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى لأن عرض مقعده ليس فيه بيان عن موضعه الذى يراه منه وحديث الجرائد نص على أن أولئك يعذبون فى قبورهم وكذلك حديث اليهود .

Marfat.com

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل على ماذكرناه والله أعلم أن يكون قوله عليه السلام مامن أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه فى الدنيا وروحه فى قبره إلا عرفه ورد عليه السلام حتى لاتتناقض الأخبار والله أعلم

الرابع : فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو أن رجلا قتل فى سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل وعليه دين مادخل الجنة حتى يقضى عنه وهذا يدل على أن بعض الشهداء لايدخلون الجنة من حين القتل ولا تكون أرواحهم فى جوف طير ولاتكون فى قبورهم فأين تكون قلنا قد خرج ابن وهب باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا فلعلهم هؤلاء أو من منعه من دخول الجنة حقوق الآدميين إذ الدين ليس مختصا بالمال على مايأتى . ولهذا قال علماؤنا أحوال الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون وقد تقدم قوله عليه السلام من مات مريضا مات شهيدا وغدى وريح عليه برزقه من الجنة وهذا نص فى أن الشهداء مختلفو الحال وسيأتى كم الشهداء إن شاء الله تعالى .

الخامس : فان قيل فقد روى ابن ماجه عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لشهيد البحر مثل شهيدى البر والمائد فى البحر كالمتشحط فى دمه فى البر ومابين الموجتين كقاطع الدنيا فى طاعة الله عز وجل وان الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فانه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ولشهيد البحر الذنوب كلها والدين . قلنا : الدين إذا أخذه المرء فى حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك وفاء فان الله تعالى لايحبسه عن الجنة إن شاء الله شهيدا كان أوغيره لأن على السلطان فرضا أن يؤدى عنه دينه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك دينا أو ضياعاً فعلى الله ورسوله ومن ترك مالا فلورثته فان لم يؤد عنه السلطان فان الله تعالى يقضى عنه ويرضى خصمه والدليل على ذلك ما رواه ابن ماجه فى سننه عن عبد الله بن عمرو قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين يقتضى أو يقبض من صاحبه

يوم القيامة إذا مات إلا من تدين فى ثلاث خلال الرجل تضعف قوته فى سبيل الله فيستدين ليتقوى به لعدو الله وعدوه ورجل يموت عنده رجل مسلم لا يجد ما يكفنه فيه ويواريه الأبدين ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة . وأما من ادان فى سفه أو سرف فمات ولم يوفه أو ترك له وفاء ولم يوص به أو قدر على الأداء فلم يوفه . فهذا الذى يحبس به صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات على ما أتى فيحتمل أن يكون قوله عليه السلام فى شهيد البحر عاماً فى الجميع وهو الأظهر لأنه لم يفرق بين دين ودين ويحتمل أن يكون قوله فيمن أدان ولم يفرط فى الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله خرجه البخارى على أن حديث أبى إمامة فى إسناده لين وأعلى منه إسناداً وأقوى ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القتل فى سبيل الله يكفر كل شىء إلا الدين ولم يخص برآ من بحر وكذلك ما رواه أبو قتادة أن رجلا قال يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله أيكفر الله عنى خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقال أرأيت أن قتلت فى سبيل الله يكفر الله عنى خطاياى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فان جبريل قال لى ذلك وخرج أبو نعيم الحافظ باسناده عن قاضى البصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الله يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول يا ابن آدم فيم أضعت حقوق الآدميين فيم أذهبت أموالهم فيقول يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقا وإما حرقا فيقول الله عز وجل أنا أحق من قضى عنك اليوم فترجح حسناته على سيئاته فيؤمر به الى الجنة رواه من طرق وقال يزيد بن هارون فى حديثه فيدعو الله تعالى بشىء فيضعه فى ميزانه فيثقل غريب من حديث شريح تفرد به صدقة بن أبى موسى عن أبى عمران الجونى

(قال) الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا نص فى قضاء الله سبحانه الدين إذا لم يؤخذ على سبيل الفساد والحمد لله الموفق للسداد والمبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ماأبهم واستغلق من مشكل على العباد وقد قال بعض العلماء إن أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى وإنما قيل لها جنة المأوى لأنها تأوى إليها أرواح المؤمنين وهى تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون من طيب ريحها وهى تسرح فى الجنة وتأوى إلى قناديل من نور تحت العرش وماذكرناه أولا أصح والله أعلم وقد روى ابن المبارك أخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال حدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال أرواح المؤمنين فى طير كالزرازير يتعارفون يرزقون من الجنة أخبرنا ابن لهيعة قال حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن منصور بن أبى منصور حدثه قال سألت عبدالله بن عمرو فقلت أخبرنى عن أرواح المسلمين أين هى حين يتوفون قال ماتقولون أنتم ياأهل العراق قلت لاأدرى قال فانها صور طير بيض فى ظل العرش وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة وذكر الحديث (قال) الشيخ المؤلف رحمه الله فهذه حجة من قال إن أرواح المؤمنين كلهم فى الجنة والله أعلم على أنه يحتمل أن يدخله من التأويل ماتقدم والله أعلم فيكون المعنى أرواح المؤمنين الشهداء وكذا فقلت أخبرنى عن أرواح المؤمنين الشهداء والله أعلم .

(فصل) وقع فى حديث ابن مسعود أرواحهم فى جوف طير خضر وفى حديث مالك نسمة المؤمن طائر . وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة قال سئل عبد الله بن مسعود عن أرواح الشهداء فقال أرواح الشهداء عند الله كطير خضر فى قناديل تحت العرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها وذكر الحديث وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرواح الشهداء طير خضر تعلق فى شجر الجنة وهذا كله مطابق لحديث مالك فهو أصح من رواية من روى أن أرواحهم فى جوف طير خضر قاله أبو عمر فى الاستذكار وقال أبو الحسن القابسى أنكر العلماء قول من قال فى حواصل طير لأنها رواية غير صحيحة لأنها إذا كانت كذلك فهى محصورة مضيق عليها .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله الرواية صحيحه لأنها فى صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل فيحتمل أن تكون الفاء بمعنى على فيكون المعنى أرواحهم على جوف طير خضر كما قال تعالى ولأصلبنكم فى جذوع النخل أى على جذوع النخل وجايز أن يسمى الظهر جوفا إذ هو محيط به ومشتمل عليه قال أبو محمد عبد الحق وهو حسن جدا

وذكر شبيب بن إبراهيم فى كتاب الإفصاح المنعم على جهات مختلفة منها ماهو طائر يعلق من شجر الجنة . ومنها ماهو فى حواصل طير خضر . ومنها مايأوى فى قناديل تحت العرش . ومنها ماهو فى حواصل طير بيض . ومنها ماهو فى حواصل طير كالزرازير . ومنها ماهو فى أشخاص صور من صور الجنة . ومنها ماهو فى صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم . ومنها ماتسرح وتعود إلى جثتها تزورها . ومنها ماتتلقى أرواح المقبوضين وعمن سوى ذلك ماهو فى كفالة ميكائيل . ومنها ماهو فى كفالة آدم . ومنها ما هو فى كفالة إبراهيم عليه السلام . وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لاتتدافع والله بغيبه أعلم وأحكم

باب كم الشهداء ولم سمى شهيدا ومعنى الشهادة

خرج الآجرى وغيره عن أبى مالك الأشجعى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فصل فى سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأى حتف شاء الله إنه شهيد وإن له الجنه وأخرجه أبو بكر ابن أبى شيبة بمعناه عن عبدالله بن عتيك عن النبى صلى الله عليه وسلم . الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهداء خمسة : المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله عز وجل . وقال هذا حديث حسن صحيح . النسائى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله وسلم الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله. المطعون والمبطون والغرق والحرق وصاحب ذات الجنب والذى يموت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع. قيل هى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه . وقيل إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة سواء ألقت

Marfat.com

ولدها أو ماتت وهو فى بطنها . وقيل التى تموت بكرا لم يمسها الرجال . وقيل التى تموت قبل أن تحيض وتطمث . فهذه قولان لكل قول وجهان وفى جمع لغتان ضم الجيم وكسرها وفى بعض الآثار المجنوب شهيد يريد صاحب الجنب يقال منه رجل جنب بكسر النون وفتح الجيم إذا كانت به ذات الجنب وهى الذوصة . وفى كتاب الترمذى وأبى داود والنسائى عن سعيد بن زيد . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد قال الترمذى حديث حسن صحيح وروى النسائى من حديث سويد بن مقرن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قتل دون مظلمة فهو شهيد وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موت غربة شهادة وأخرجه الدارقطنى ولفظه موت الغريب شهادة ، وذكره أيضا من حديث ابن عمر وصححه وأخرجه أبو بكر الخرائطى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات غريباً مات شهيدا وخرجه أيضا من حديث محمد ابن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شيهدا . وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من مات مريضا مات شهيدا .

وروى الترمذى عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى فإن مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك قال حديث حسن غريب . وذكر الثعلبى عن يزيد الرقاشى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ آخر سورة الحشر إلى آخرها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل فمات من ليلته مات شهيدا . وخرج الآجرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس إن استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وروى الشعبى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر فى حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد خرجه أبو نعيم .

Marfat.com

وروى من حديث أبى هريرة وأبى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا . وبعضهم يقول : ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة . ذكره أبو عمر فى كتاب بيان العلم . وخرج مسلم من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا أعطيها وإن لم تصبه . وعن سهل بن حنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه وخرج الترمذى الحكيم من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من أحد إلا وله كرايم من ماله يأبى لهم الذبح وإن لله خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح أقوام يجعل موتهم على فرشهم ويقسم لهم أجور الشهداء .

(فصل) الشهداء جمع الشاهد والشهيد القتيل فى سبيل الله كذا قال أهل اللغة الجوهرى وغيره وسمى بذلك لأنه مشهود له بالجنة فالشهيد بمعنى مشهود له فعيل بمعنى مفعول وقال ابن فارس اللغوى فى المجمل والشهيد القتيل فى سبيل الله قالوا لأن ملائكة الله تشهده وقيل سمى شهيداً لأن أرواحهم أحضرت دار السلام لأنهم أحياء عند ربهم[1] وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة فالشهيد بمعنى الشاهد أى الحاضر للجنة وقيل سمى بذلك لسقوطه بالأرض والأرض الشاهدة ، وقيل سمى بذلك لشهادته على نفسه لله عز وجل حين لزمه الوفاء بالبيعة التى بايعه فى قوله الحق (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فاتصلت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيداً . ولذلك قال عليه السلام والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ، وقال فى شهداء أحد : أنا شهيد على هؤلاء لبذلهم نفوسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، هذا الكلام فى الشهيد . فأما الشهادة فصفة سمى حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتمامها وهى : الحضور والوعى والأداء . أما الحضور فهو شهود الشاهد المشهود . والوعى زم ما شاهده وعلمه فى شهوده لك والأداء هو الإتيان بالشهادة على وجهها فى موضع الحاجة إلى ذلك

(١) ربهم يرزقون وأرواح

هذا موضع الشهادة والشهادة على الكمال إنما هى لله سبحانه وتعالى وأن جميع الشاهدين سواه يؤدون شهادتهم عنده قال الله سبحانه وتعالى : (وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق) والشهداء هم العدول وأهل العدالة فى الدنيا والآخرة وهم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم فى الدنيا .

باب منه

روى النسائى عن العرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنـــا فى الذين يتوفون من الطاعون فيقول الشهداء : قتلوا كما قتلنا ؟ ويقول المتوفون على فرشهم : إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا ؟ فيقول ربنا عز وجل أنظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم فإذا جراحهم أشبهت جراحهم .

وروت عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فناء أمتى بالطعن والطاعون . قالت : أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير تخرج فى المراق والإباط من مات منها مات شهيدا أخرجه أبو عمر فى التمهيد والاستذكار

باب ماجاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب .

(فصل) يقال عجم وعجب بالميم والباء لغتان وهو جزء لطيف فى أصل الصلب وقيل هو رأس العصعص كما رواه ابن أبى داود فى كتاب البعث من حديث أبى سعيد الخدرى قيل يارسول الله وما هو ؟ قال مثل حبة خردل ومنه تنشئون

Marfat.com

وقوله منه خلق ومنه يركب أى أول ماخلق من الإنسان هو ثم أن الله تعالى يبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى .

باب لاتا كل الأرض أجساد الأنبياء

ولا الشهداء وأنهم أحياء

قال الله تعالى : (بل أحياء عند ربهم يرزقون) ولذلك لايغسلون ولا يصلى عليهم ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم ليس هذا موضع ذكرها .

مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله ابن عمرو الأنصاريين ثم السلميين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه (١) ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة قال أبو عمر هذا حديث لم يختلف عن مالك فى انقطاعه وهو حديث يتصل من وجوه صحاح عن جابر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم ممن قتل شهيدا فى سبيل الله أو قتل على الحق كأنبيائهم وفى الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود وأن الغلام الذى قتله الملك دفن قال فيذكر انه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل قال حديث حسن غريب وقصة الأخدود مخرجة فى صحيح مسلم وكانوا بنجران فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناها مستوفاة فى البروج فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وأى القرآن وروى نقلة الأخبار أن معاوية رحمه الله لما أجرى العين التى استنبطها بالمدينة فى وسط المقبرة وأمر الناس بتحويل موتاهم وذلك فى أيام خلافته وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة فوجدوا على حالهم حتى أن الكل رأوا المسحاة وقد أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسال منه الدم وأن جابر بن عبد الله

(١) جرحه فسال الدم كما فى رواية

Marfat.com

أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس وهذا أشهر فى الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار. وقد روى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما انهدم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة بدت لهم قدم فخافوا أن يكون قدم النبي صلى الله عليه وسلم فجزع الناس حتى روى لهم سعيد ابن المسيب رضى الله عنه أن أجساد الأنبياء لاتقيم فى الأرض أكثر من أربعين يوما ثم ترفع وجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فعرف أنها قدم جده عمر رضى الله عنه وكان رحمه الله قتل شهيدا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه قتيلا وان مات لم يدود فى قبره وظاهر هذا أن المؤذن المحتسب لاتأكله الأرض أيضا وخرج أبو داود وابن ماجه فى فى سننهما عن أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء لفظ أبى داود وقال ابن العربى حديث حسن.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وخرجه أبو بكر البزار عن شداد بن أوس واتفقوا فى السند عن حسين بن على عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبى الأشعث الصنعانى فقال عن أوس بن أوس أو عن شداد بن أوس[1] وقال البزار لا يعلم أحدا يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس ولا نعلم له طريقا غير هذا الطريق عن شداد بن أوس ولا رواه إلا حسين بن على الجعفى وقال أبو محمد عبد الحق ويقال ان عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم قاله البخارى وأبو حاتم وهو منكر الحديث ضعيفه.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد خرجه ابن ماجه من غير هذا الطريق فقال حدثنا عمرو ابن سواد المصرى حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا على الصلاة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن

(١) أوس بن اوس وقال البزار

يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم عل الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حى يرزق صلى الله عليه وسلم ورواه أبو جعفر الطبرى فى تهذيب الآثار من حدبث سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسىء عن أبى الدرداء قال أبو محمد عبدالحق وزيد بن أيمن لا أعلم رواه عنه إلا سعيد بن هلال .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قال البخارى فى التاريخ زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى مرسل روى عنه سعيد بن أبى هلال والله أعلم.

باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ

والصعق وكم بين النفختين وذكر البعث والنشر والنار

مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لاأدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عزوجل ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدفى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فتبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا قال فأول من يسمعه رجل يلوط حوض أبله فيصعق ويصعق الناس ثم قال يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال ياأيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم أنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين

Marfat.com

أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا اربعين شهرا قال أبيت قالوا اربعين عاما قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وفى رواية لاتأكله الأرض أبدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعند ابن وهب فى هذا الحديث فأربعون جمعة قال أبيت وإسناده مقطع .

(فصل) هذان الحديثان مع صحتهما فى غاية البيان فيما ذكرناه وتزيدهما أيضا بيانا فى أبواب ويأتى ذكر الدجال مستوعبا فى الأشراط ان شاء الله تعالى وأصغى معناه أمال ليتا يعنى صفحة العنق ويلوط معناه يطين ويصلح وقول أبى هريرة أبيت فيه تأويلان : (الأول) أبيت أى امتنعت من بيان ذلك وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أى سمعه من النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(الثانى) أبيت أى أبيت ان أسأل عن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك والأول أظهر وإنما لم يبينه لأنه لم ترهق لذلك حاجة ولأنه ليس من البينات والهدى الذى أمر بتبليغه وفى البخارى عنه أنه قال حفظت وعاءين من علم فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم قال أبو عبد الله البلعوم مجرى الطعام وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاما والله أعلم وسيأتى وذكر هناد بن السرى قال حدثنا وكيع عن سفيان عن السدى سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية له مابين أيدينا وماخلفنا ومابين ذلك فلم يجبنى فسمعنا أنه مابين النفختين حدثنا وكيع عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية ومابين ذلك قال مابين النفختين والله أعلم.

باب فى قول الله تعالى

ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله

وهم الملائكة أو الشهداء أو الأنبياء أو حملة العرش أو جبريل أو ميكائيل أو ملك الموت صعق مات روى الأئمة عن ابى هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه قال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله فقال قال الله عز وجل ونفخ

Marfat.com

فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فأكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادرى ارفع راسه قبلى او كان ممن إستثنى الله ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب لفظ ابن ماجه اخرجه عن ابى بكر بن أبى شيبه عن على بن مسهر واخرجه الترمذى عن ابى كريب محمد بن العلا قال حدثنا عبدة بن سليمان جميعا عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال الترمذى حديث حسن صحيح واخرجه البخارى ومسلم بمعناه .

(فصل) واختلف العلماء فى المستثنى من هو فقيل الملائكة وقيل الأنبياء وقيل الشهداء واختاره الحليمى قال وهو مروى عن ابن عباس ان الاستثناء لأجل الشهداء فإن الله تعالى يقول أحياء عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الأقوال على ما يأتى وقال شيخنا أبو العباس والصحيح انه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : قد ورد حديث أبى هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح على ما يأتى وأسند النحاس فى كتاب معانى القرآن له حدثنا الحسين ابن عمر الكوفى قال حدثنا هناد بن السرى قال حدثنا وكيع عن شعبة عن عمارة ابن أبى حفصة عن حجر الهجرى عن سعيد بن جبير فى قول الله عز وجل ألا من شاء الله قال هم الشهداء هم ثنية الله عز وجل متقلدوا السيوف حول العرش وقال الحسن استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النفختين قال يحيى بن سلام فى تفسيره بلغنى ان آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله عز وجل لملك الموت مت فيموت وقد جاء هذا مرفوعا فى حديث أبى هريرة الطويل على ما يأتى وقيل هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت وقال الحليمى من زعم ان الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل وميكائيل وملك الموت أو زعم انه لأجل الولدان والحور العين فى الجنة أو زعم انه لأجل موسى فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال انا أول من تنشق عنه الأرض فأرفع رأسى فإذا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى افاق قبلى أو كان ممن استثنى الله عز وجل فإنه لم يصح شىء منها أما الأول فإن حملة

Marfat.com

العرش ليسوا من سكان السموات ولا الأرض لأن العرش فوق السموات كلها فكيف يكون حملته فى السموات وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصافين المسبحين حول العرش وإذا كان العرش فوق السموات لم يكن الاصطفاف حوله فى السموات وكذلك القول الثانى لأن الولدان والحور فى الجنة والجنان وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السموات ودون العرش وهى بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك انها بمعزل عما خلق الله تعالى للفناء وصرفه إلى موسى فلا وجه له لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية ولهذا لم يعتد فى ذكر اختلاف المتأولين فى الاستثناء بقول من قال إلا من شاء الله أى الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور لأن الاستثناء انما يكون لمن يمكن دخوله فى الجملة فأما من لا يمكن دخوله في الجملة فيها فلا معنى لاستثنائه منها والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثنائهم وهذا فى موسى موجود فلا وجه لاستثنائه وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو ان قال الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى افاق قبلى أو جوزى بصعقة الطور فظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور فإن حمل الحديث عليها فذاك وان حمل على صعقة الموت عند نفخ الصور وصرف ذكر يوم القيامة إلى انه أراد أوائله قيل المعنى ان الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى افاق قبلى أوجوزى بصعقة الطور أى فلا أدرى أبعثه قبلى كان وهبا له وتفضيلا من هذا الوجه كما فضل فى الدنيا بالتكليم أو كان جزاء له بصعقة الطور أى قدم بعثه على بعث الانبياء الآخرين بقدر صعقته عند ما تجلى ربه للجبل إلى ان افاق ليكون هذا جزاء له وما عدا هذا فلا يثبت قال شيخنا أحمد بن عمر وظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان ذلك انما هو بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضى ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الأنبياء

Marfat.com

وهذا باطل بما تقدم من ذكر موته وقال القاضى عياض يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض قال فتستقل الأحاديث والآيات والله أعلم قال شيخنا أبو العباس وهذا يرده ماجاء فى الحديث أنه عليه السلام حين يخرج من قبره يلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا إنما هو عند نفخة البعث قال شيخنا أحمد بن عمر والذى يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى إن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء فى الدنيا وإذا كان هذا فى الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى مع انه قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء وخصوصا بموسى وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بما يقتضى أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى ان غيبوا عنا بحيث لاندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال فى الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ فى الصور نفخة الصعق صعق كل من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله فأما صعق غير الأنبياء فموت وأما صعق الأنبياء فالأظهر انه غشية فإذا نفخ فى الصور نفخة البعث فمن مات حي ومن غشى عليه افاق وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم والبخارى فأكون أول من يفيق وهى رواية صحيحة وحسنة فنبينا صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم قبل الأنبياء وغيرهم إلا موسى فإنه حصل له فيه تردد هل بعث قبله من غشيته او بقى على الحالة التى كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقا لأنه حوسب بغشية الطور وهذه فضيلة عظيمة فى حق موسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة احد الأمرين المشكوك فيهما فضيلة موسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا لأن الشيء الجزئى لا يوجب امرا كليا والله اعلم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ما اختاره شيخنا هو ما ذكره الحليمى

Marfat.com

واختاره فى قوله فإن حمل عليها الحديث فذاك قال الحليمى واما الملائكة الذين ذكرناهم صلوات الله عليهم فإنا لم ننف عنهم الموت ولا أحلناه وإنما أبينا ان يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذى ذكرناه ثم قد وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يميت آخر من يميت جبريل ويحييه مكانه ويحي هؤلاء الملائكة الذين ذكرناهم واما اهل الجنة فلم يأت عنهم خبر والأظهر انهـــا دار الخلد فالذى يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت والذى خلق فيها أولى أن لايموت فيها أبدا وايضا فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار واهل الجنة لم يبلغنا ان عليهم تكليفا فإن أعفوا عن الموت كما أعفوا من التكليف لم يكن بعيدا . فإن قيل : فقد قال الله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) وهو يدل على أن الجنة نفسها تفنى ثم تعاد يوم الجزاء فلم أنكرتم أن يكون الولدان والحور يموتون ثم يحيون . قيل ؛ يحتمل أن يكون معنى قوله : (كل شىء هالك إلا وجهه) أى ما من شىء إلا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه أى إلا هو سبحانه فإنه تعالى قديم والقديم لايمكن أن يفنى وماعداه محدث والمحدث إنما يبقى قدر مايبقيه محدثه فإذا حبس البقاء عنه فنى . ولم يبلغنا فى خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فالجنة مثله .

(فصل) قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : ومن قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب . للعلماء فيه تأويلات أحسنها وأجملها ما ذكره القاضى أبو بكر ابن العربى قال أخبرنى غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرمين أبى المعالى عبدالملك ابن عبدالله بن يوسف الجوينى أنه سئل هل البارى فى جهة ؟ فقال لاهو متعال عن ذلك . قيل له ما الدليل عليه ؟ قال الدليل عليه قول النبى صلى الله عليه وســـلم : لاتفضلونى على يونس بن متى فقيل له ماوجه الدليل من هذا الخبر؟ فقال لاأقوله حتى يأخذ ضيفى هذا ألف دينار يقضى بها دينا ، فقام رجلان فقالا هى علينا فقال لايتبع بها أثنين لانه يشق عليه فقال واحد هى علىّ فقال : إن يونس بن متى رمى بنفسه فى البحر فالتقمه الحوت وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) كما أخبر الله ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

جلس عى الرفرف الأخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه به وأوحى اليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس فى ظلمة البحر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولايخفى عليه حالهم كيف ماتصرفت من غير مسافة بينه وبينهم فيسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء تحت الأرض السفلى كما يسمع ويرى تسبيح حملة عرشه من فوق السبع السموات العلى سبحانه لا إله إلاهو عالم الغيب والشهادة أحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا ولقد أحسن أبو العلاء ابن سليمان المعرى حيث يقول :

يامن يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى لحمها والمخ فى تلك العظام النحل
آجالها محتومة أرزاقها مقسومة بعطا وإن لم تسأل
فلقد سألتك بالنبى محمد الهاشمى المدثر المزمل
امنن على بتوبة تمحو بها ما كان منى فى الزمان الأول

باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده

البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه . ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض . وعن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوى الله السماء يوم القيامة . ثم يأخذهن بيده اليمنى . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون . ثم يطوى الأرض بشماله . ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون . انفرد به مسلم . وعن عبد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول: أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من

Marfat.com

أسفل حتى أنى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فصل) هذه الأحاديث تدل على أن الله سبحانه يفنى جميع خلقه أجمع كما تقدم . ثم يقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فيجيب نفسه المقدسة بقوله : لله الوحدا القهار .

وقيل إن المنادى ينادى بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها على مايأتى لمن الملك اليوم فيجيبه العباد لله الواحد القهار رواه أبو وائل عن ابن مسعود واختاره أبو جعفر النحاس قال والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله والقول الأول أظهر لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين . إذقد ذهب كل ملك وملكه وكل جبار ومتكبر وملكه وانقطعت نسبتهم ودعاويهم وهذا أظهرر . وهوقول الحسن ومحمد بن كعب وهومقتضىقوله الحق : أنا الملك أينملوك الأرض وفى حديث أبى هريرة . ثم يأمر الله عزوجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من فىالسموات ومن فىالأرض إلا من شاء الله . فإذا اجتمعوا أمواتا جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت . فيقول الله سبحانه وهو أعلم من بقى ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحى الذى لاتموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا . فيقول الله عز وجل ليمت جبريل ومكائيل فينطق الله عز وجل العرش . فيقول أى رب يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول اسكت انى كتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان قال : ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار جل جلاله . فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو أعلم من بقى؟ فيقول بقيت أنتالحى الذى لاتموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا . فيقول : ليمت حملة العرش . فيموتون فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل . ثم يقول : ليمت إسرافيل . فيموت . ثم يأتى ملك الموت فيقول يارب قد مات حملة عرشك . فيقول وهو أعلم : من بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلق خلقتك لما رايت فت .

Marfat.com

فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد » فكان كما كان اولا طوى السماء كطى السجل للكتاب . ثم قال انا الجبار لمن الملك اليوم فلم يجبه احد فيقول جل ثناؤه وتقدست اسماؤه لله الواحد القهار .

قل الشيخ المؤلف رحمه الله : حديث ابى هريرة هذا فيه طول وهذا وسطه ويأتى آخره فى الباب بعد هذا ويأتى اوله بعد ذلك ان شاء الله تعالى فيتصل جميعه ان شاء الله تعالى . ذكره الطبري وعلى بن معبد والثعلبي وغيرهم وفى حديث لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تلبثون مالبثتم . ثم تبعث الصيحة فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شيء لا مات والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك يطوف فى البلاد وقد خلت عليه البلاد وذكر الحديث وهو حديث فيه طول خرجه ابو داود الطيالسى فى مسنده وغيره .

قال علماؤنا قوله فأصبح ربك يطوف بالبلاد وقد خلت عليه البلاد انما هو تفهيم وتقريب الى ان جميع من فى الأرض يموت وأن الأرض تبقى خالية وليس يبقى الا الله كما قال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام) وعند قوله سبحانه (لمن الملك اليوم) هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشر والحشر على مايأتى وفى فناء الجنة والنار عند فناء جميع الخلق قولان : احدهما : يفنيهما ولا يبقى شىء سواه وهو معنى قوله الحق (هو الأول والآخر) وقيل انه مما لايجوز عليهما الفناء وأنهما باقيان بإبقاء الله سبحانه والله اعلم . وقد تقدم فى الباب قبل هذا الإشارة الى ذلك . وقد قيل انه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل الجنة لله الواحد القهار .

(فصل) فى بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليد والأصابع ان قال قائل ما تأويل اليد عندكم واليد حقيقتها فى الجارحة المعلومة عندنا وتلك التى يكون القبض والطى بها ؟ قلنا : لفظ الشمال أشد فى الإشكال وذلك فى الإطلاق على الله محال .

Marfat.com

والجواب : أن اليد فى كلام العرب لها خمسة معان : تكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى : (واذكر عبدنا داود ذا الأيدى) وتكون بمعنى الملك والقوة ومنه قوله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) وتكون بمعنى النعمة تقول العرب كم يد لى عند فلان أى كم من نعمة أسديتها اليه وتكون بمعنى الصلة ومنه قوله تعالى (مما عملت أيدينا انعاما) أى مما عملنا نحن . وقال تعالى : (أويعفو الذى بيده عقدة النكاح) أى الذى له النكاح وتكون بمعنى الجارحة . ومنه قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وقوله فى الحديث بيده عبارة عن قدرته واحاطته بجميع مخلوقاته يقال مافلان إلا فى قبضتى . بمعنى مافلان الا فى قدرتى والناس يقولون الأشياء فى قبضة الله يريدون فى ملكه وقدرته وقد يكون معنى القبض والطى افناء الشىء واذهابه فقوله عز وجل (والأرض جميعا قبضته) يحتمل أن يكون المراد به الأرض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة (١) . وقوله : (والسماء مطويات بيمينه) ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب . يقال قد انطوى عنا ماكنا فيه وجاءنا غيره وانطوى عنا دهر بمعنى المضى والذهاب (فإن قيل) فقد قال فى الحديث ويقبض أصابعه ويبسطها وهذه حقيقة الجارحة . (قلنا) هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية والله تعالى متعال عن ذلك وإنما المعنى حكاية الصاحب عن النبى صلى الله عليه وسلم يقبض أصابعه ويبسطها وليس معنى اليد فى الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع فدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى كان يقبض أصابعه ويبسطها قال الخطابى وذكر الأصابع لم يوجد فى شىء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتهما . (فإن قيل) فقد ورد ذكر الأصابع فى غير ما حديث فما جوابكم عنها فقد روى البخارى ومسلم قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع والخلائق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بمينه) ورويا عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن قلوب ابن آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب

(١) قبضته يوم القيامة

Marfat.com

واحد يصرفها حيث شاء . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك . ومثله كثير (قيل له)اعلم أن الأصبع قد يكون بمعنى الجارحة والله تعالى يتقدس عن ذلك ويكون بمعنى القدرة على الشيء ويسارة تقليبه كما يقول من استسهل شيئا واستخفه مخاطبا لمن استثقله أنا أحمله على أصبعى وأرفعه بأصبعى وأمسكه بخنصرى . وكما يقول من أطاع بحمل شيء أنا أحمله على عينىوأفعله على رأسى يعنى به الطواعية ، وما أشبه ذلك قدقال فى معناه وهوكثير . ومما قال عنترة وقيل ابن زيادة التيمى :

الرمح لا أملأ كفى به واللبد لا أتبع تزواله

يريد أنه لايتكلف أن يجمع كفه فيشتمل على الرمح لكن يطعن به خلسا بأصابعه لخفة ذلك عليه وقوله : لا أتبع تزواله : أى إذا مال لم أمل معه .

يقول أنا ثابت على ظهر الخيـل لايضرنى فقد بعض الآلة ولا تغير السرج عما يريده الراكب يصف نفسه بالفروسية فى الركوب والطعن . فلما كانت السموات والأرض أعظم الموجودات قدرا وأكبرها خلقاً كان إمساكها بالنسبة إلى الله تعالى كالشيء الحقير الذى نجعله نحن بين أصابعنا ونهزه بأيدينا ونتصرف فيه كيف شئنا فتكون الإشارة بقوله : ثم يقبض أصابعه ويبسطها وبقوله . ثم يهزهن كما جاء فى بعض طرق مسلم وغيره أى هى فى قدرته كالحبة مثلا فى كف أحدنا التى لانبالى بإمساكها ولا بهزها ولا تحريكها ولا القبض والبسط عليها ولا نجـد فى ذلكَ صعوبة ولا مشقة ، وقد يكون الأصبع أيضا فى كلام العرب بمعنى النعمة وهوالمراد بقوله عليه السلام إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين نعمتين من نعم الرحمن يقال لفلان على أصبع أى أثر حسن إذا أنعم عليـه نعمة حسـنة وللراعى عل ماشيته أصبع أى أثر حسن وأنشد الأصمعى للراعى :

ضعيف العصى بادى العروق ترى له عليهـا إذا ما أجدب الناس أصبعا

وقال آخر :

صـلاة وتسـبيح وإعطاء سائل وذى رحم تبـل منك أصبـع

Marfat.com

أى أثر حسن . وقال آخر :

من يجعل الله عليه أصبعا فى الخير والشر يلقاه معا

فإن قيل كيف جاز إطلاق الشمال على الله تعالى وذلك يقتضى النقص ؟ قيل : هو مما انفرد به عمر بن حمزة عن سالم وقد روى هذا الحديث نافع وعبدالله بن مقسم عن ابن عمر لم يذكرا فيه الشمال ورواه أبو هريرة وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه واحد منهم الشمال . قال البيهقى : وروى ذكر الشمال فى حديث آخر فى غير هذه الصفة إلا أنه ضعيف بمره وكيف يصح ذلك وصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سمى كلتا يديه يمينا وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ماوقع له أو على عادة العرب فى ذكر الشمال فى مقابلة اليمين . قال الخطابى ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليد شمال لأن الشمال محل النقص والضعف . وقد روى كلتا يديه يمين وليس معنى اليد عندنا الجارحة ، وإنما هى صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ماجاءت ولا نكيفها وننتهى إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة وقد يكون اليمين فى كلام العرب بمعنى القدرة والملك . ومنه قوله تعالى: (أو ماملكت أيمانكم) يريد بها الملك ، وقال لأخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة أى أخذنا قدرته وقوته . قال الفراء : اليمين القوة والقدرة وأنشد :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وقال آخر :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتى بيمينى

فقلت شنيفا ثم فاران بعده وكان على الآيات غير أمين

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وعلى هذا التأويل تخرج الآية والحديث والله أعلم . وقد تكون اليمين فى كلام العرب بمعنى التبجيل والتعظيم يقال فلان عندنا باليمين أى بالمحل الجليل ومنه قول الشاعر :

Marfat.com

أقول لناقتى إذ بلغتنى لقد أصبحت عندى باليمين

أى بالمحل الرفيع وأما قوله كلتا يديه يمين فانه أراد بذلك التمام والكمال وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما فى التياسر من النقصان وفى التيامن من التمام فان قيل فأين يكون الناس عند طى الأرض والسماء قلنا يكونون على الصراط على ما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى .

باب البرزخ

روى هناد بن السرى قال حدثنا محمد بن فضيل ووكيع عن فطر قال سألت مجاهدا عن قول الله تعالى ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون قال هو ما بين الموت والبعث وقيل للشعبى مات فلان قال ليس هو فى الدنيا ولا فى الآخرة هو فى برزخ والبرزخ فى كلام العرب الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى وجعل بينهما برزخا أى حاجزا وكذلك هو فى الآية من وقت الموت إلى البعث فمن مات فقد دخل فى البرزخ وقوله تعالى ومن ورائهم برزخ أى من أمامهم وبين أيديهم .

باب ذكر النفخ الثانى للبعث فى الصور

وبيانه وكيفية البعث وبيانه وأول من تنشق عنه الأرض وأول من يحيى من الخلق وبيان السن الذى يخرجون عليه من قبورهم وفى لسانهم وبيان قوله تعالى وألقت مافيها وتخلت قال الله عز وجل يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وقال فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا وسماه الله تعالى أيضا بالناقور فى قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور قال المفسرون الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتى بيانه قال الله تعالى مخبرا عن كفار قريش ماينظرون أى ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الداينون بدين أبى جهل وأصحابه إلا صيحة واحدة يعنى النفخة الأولى التى يكون بها هلاكهم تأخذهم وهم

Marfat.com

يخصمون أى يختصمون فى أسوافهم وحوائجهم قال الله تعالى : (لاتأتيكم إلابغتة) فلا يستطيعون توصية أى أن يوصوا ولا إلى أهلهم يرجعون أى من أسواقهم وحيث كانوا إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم خامدون . ونفخ فى الصور فإذاهم من الأجداث وهى النفخة الثانية نفخة البعث والصور قرن من نور يجعل فيه الأرواح يقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلايق على ما يأتى قال مجاهد هو كالبوق ذكره البخارى فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده فإذاهم من الأجداث أى القبور ينسلون أى يخرجون سراعاً يقال نسل ينسل وينسل بالضم أيضاً إذا أسرع فى مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين وفى الخبر أن بين النفختين أربعين عاماً وسيأتى وفى البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى : (فإذا نقر فى الناقور) الصور قال : والراجفة النفخة الأولى والرادفة الثانية وروى عن مجاهد أنه قال للكافرين هجمة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم فإذا صيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون مايراد بهم لقوله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون) وقد أخبر الله عز وجل عن الكفار أنهم يقولون (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) فيقول لهم الملائكة أو المؤمنون على اختلاف المفسرين (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) وقيل : إن الكفار هم القائلون (هذا ماوعد الرحمن) وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم لبعض (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا : (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) فكذبنا به أقروا حين لم ينفعهم الاقرار ثم يؤمر بحشر الجميع الى الموقف للحساب وقال عكرمة إن الذين يغرقون فى البحر تقتسم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شىء إلا العظام فتلقيها الأمواج إلى الساحل فتمكث حينا ثم تصير حائلة نخرة ثم تمر بها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر ثم يجىء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فيجىء الريح فيلقى ذلك الرماد على الأرض فإذا جاءت النفخة فإذاهم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء (إن كانت إلا صيحة واحدة) أى نفخة واحدة فإذاهم جميع لدينا محضرون قال علماؤنا رحمهم الله فالنفخ فى الصور إنما هو سبب

لخروج أهل القبور وغيرهم فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ويجمع ماتفرق منها فى البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير كهيئاتها الأولى ثم يجعل فيها الأرواح فتقوم الناس كلهم أحياء حتى السقط فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن السقط ليظل محبنطئاً على باب الجنة ويقال له ادخل الجنة فيقول لا حتى يدخل أبواى وهذا السقط هو الذى تم خلقه ونفخ فيه الروح قال الله تعالى :(وإذا الموؤدة سئلت) فدل على أن الموؤدة تحشر وتسأل ومن قبرها تخرج وتبعث وأما من لم ينفخ فيه الروح فهو وسائر الأموات سواء قاله الحاكم أبو الحسين بن الحسن الحليمى رحمه الله فى كتاب منهاج الدين له وبالحقيقة إنما هو خروج الخلق بدعوة الحق قال الله تعالى : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) فتقومون فتقولون سبحانك اللهم وبحمدك قالوا فيوم القيامة يوم يبدأ بالحمد ويختم به قال الله تعالى : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) وقال فى آية أخرى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ابن ماجة قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا عباد بن العوام عن حجاج بن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صاحبى الصور بأيديهما أو فى أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماالصور قال قرن ينفخ فيه قال هذا حديث حسن وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فكان ذلك ثقل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال حديث حسن وروى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطرق صاحب الصور منذ وكل به مستعداً بحداء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه كأن عينيه كوكبان دريان أخرجه أبو الحسن بن صخر فى فوائده وغيره وخرج ابن المبارك ومؤمل ابن اسماعيل وعلى بن معبد عن ابن مسعود حديثا ذكر فيه قال : ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فتنفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ماشاء ربك ثم يكون بين النفختين ماشاء الله أن يكون فليس من بنى

Marfat.com

آدم خلق إلا وفى الأرض شىء منه زاد مؤمل بن اسماعيل قال سفيان يعنى الثورى عجب الذنب قال فيرسل الله ماء من تحت العرش منياً كمنى الرجال فتنبت جثمانهم ولحمانهم كما تنبت الأرض من الثرى ثم قرأ عبـــد الله (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) قال ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه ثم يقومون فيجيبون إجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين وقال ابن المبارك ومؤمل ثم يقومون فيحيون تحية واحدة وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا ابن مهدى عن سفيـان عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن عبد الله بن مسعود قال فيقومون فيجثون تجثية رجل واحد قياماً لرب العـالمين قوله فيحيون التحية تكون فى حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم وهذا هو المعنى الذى فى هذا الحديث ألا تراه يقول قياماً لرب العالمين والوجه الآخر أن ينكب على وجهه باركا وهذا هو الوجه المعروف عند النـاس وقد حمله بعض الناس على قوله فيخرون لله سجداً لرب العـالمين فجعل السجود هو التحية وهذا هو الذى يعرفه الناس من التحية وروى عن على بن معبد أيضاً عن أبى هريرة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى طائفة من أصحابه وساق الحديث بطوله إلى قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (لله الواحـد القهار ثم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فيبسطها بسطاً ثم يمدها مد الأديم العكاظى (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا) ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذاهم فى هذه الأرض المبدلة فى مثل ماكانوا فيه من الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش (١) فتمطر السماء عليكم أربعين سنة حتى يكون الماء من فوقكم اثنا عشر ذراعا ثم يأمر الله عز وجل الأجساد فتنبت كنبات الطرائيث وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادكم فكانت كما كانت يقول الله عزوجل ليحي حملة العرش فيحيون . ثم يقول : ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل فيأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور ، ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا والأخرى مظلمة فيأخذها الله فيلقيها فى الصور ثم يقول

(١) العرش يقال له الحيوان فتمطر

لإسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت مابين السماء والأرض فيقول الله عزوجل وعزتى وجلالى ليرجع كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد . ثم تدحل فى الخياشيم فتمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق الأرض عنكم . وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون منها شبابا كلكم أبناء ثلاث وثلاثين والسان يومئذ بالسريانية سراعا إلى ربهم يفسلون مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ذلك يوم الخروج وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا فتوقفون فى موقف عراة غلفا غرلا مقدار سبعين عاما لاينظر الله إليكم ولا يقضى بينكم فتبكى الخلائق حتى تنقطع الدموع . ثم تدمع دما ويعرقون حتى تبلغ منهم الأذقان ويلجمهم فيضجون ويقولون من يشفع لنا إلى ربنا وساق الحديث بطوله فى الشفاعة وسيأتى حديث الشفاعة من صحيح مسلم وغيره إن شاء الله تعالى. وخرج الخلى أبو القاسم اسحاق بن إبراهيم فى كتاب الديباج له حدثنى أبو بكر خليفة بن الحارث بن خليفة ، حدثنا محمد بن جعفر المدائنى عن سلام بن مسلم الطويل عن عبد الحميد عن نافع عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الأرض فأجلس جالسا فى قبرى فيفتح لى باب إلى السماء بحيال رأسى حتى أنظر إلى العرش ثم يفتح لى باب من تحتى حتى أنظر إلى الثرى[1] ثم يفتح لى باب عن يمينى حتى أنظر إلى الجنة ومنازل أصحابى وإن الأرض تحركت تحتى فقلت مابالك أيتها الأرض قالت إن ربى أمرنى أن ألقى مافى جوفى وأن أتخلى فأكون كما كنت إذ لاشىء فى فذلك قوله عزوجل (وألقت مافيها وتخلت وأذنت لربها وحقت) أى سمعت وأطاعت وحق لها أن تسمع وتطيع يأيها الإنسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ذلك الإنسان . وروى فى تفسير قوله تعالى (يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) أن هذا خطاب للأرواح بأن ترجع إلى أجسادها إلى ربك أى صاحبك كما تقول رب الغلام ورب الدار ورب الدابة أى صاحب الغلام[2] وصاحب الدابة (فادخلى فى عبادى) أى فى أجسادهم

(١) انظر إلى الأرض السابعة حتى انظر الى الثرى (٢) الغلام وصاحب الدار وصاحب

Marfat.com

من متاخرهم كما ورد فى الخبر المتقدم وقد روى أن الله تعالى خلق الصور حين فرغ من خلق السموات والأرض وأن عظم دارته كغلظ السماء والارض وفى حديث أبى هريرة والذى نفسى بيده إن عظم دارة فيه لكعرض السماء والأرض وسيأتى وروى أن له رأسين رأسا بالمشرق ورأسا بالمغرب فالله أعلم. فصل الصور بالصاد قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء وهى نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى : (فإذا نقر فى الناقور) أى فى الصور فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أشد وأعظم . ثم تمكث الناس أربعين عاما ثم ينزل الله ماء كمنى الرجال على ماتقدم فتكون منه الأجسام بقدرة الله تعالى حتى يجعلهم بشرا كما روى فى قصة الذين يخرجون من النار قد صاروا حمما أنهم يغتسلون من نهر بباب الجنة فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل وعن ذلك عبر فى حديث أبى هريرة المتقدم فى صحيح مسلم وغيره فينبتون نبات البقل فإذا تهيأت الأجسام وكملت نفخ فى الصور نفخة البعث من غير نقر لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لاتنفيرها من أجسادها فالنفخة الأولى للتنفير وهى نظير صوت الرعد الذى قد تقوى فيموت منه ونظير الصيحة الصيحة الشديدة التى يصيحها الرجل بصبى فيفزع منه فيموت فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التى هى فيه فتأتى كل روح إلى جسدها فيحييها الله كل ذلك فى لحظة كما قال تعالى : (فإذا هم قيام ينظرون ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلاخلاف بينهم . قال بعضهم بأوصافها فيعاد الوصف أيضا كما يعاد الجسم واللون . قال القاضى أبو بكر بن العربى وذلك جائز فى حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فيه أخبار كثيرة فى الباب بعد هذا .

(فصل) وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أى ينفخ فى صور الموتى بدليل الأحاديث المذكورة والتنزيل يدل على ذلك . قال الله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى) ولم يقل فيها فعلم أنه ليس جمع صورة قال الكلبى لا أدرى ماالصور ويقال

Marfat.com

هوجمع صورة مثل بسرة وبسر أى ينفخ فى صور الموتى الأرواح وقرأ الحسن يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وإلى هذا التأويل فى أن الصور بمعنى الصور جمع صورة ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو مردود بما ذكرنا وأيضا لاينفخ فى الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرة واحدة وإسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصور الذى هو القرن والله سبحانه يحيي الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى : (فنفخنا فيه من روحنا ونفخت فيه من روحي) قال ابن زيد يخلق الله الناس فى الأرض الخلق الآخر ثم يأمر السماء فتمطر عليهم أربعين يوما فينبتون فيها حتى تنشق عن رؤسهم كما تنشق عن رأس الكمأة فمثلها يومئذ مثل الماخض تنتظر أن يأتيها أمر الله فتطرحهم على ظهرها . فلما كانت تلك النفخة طرحتهم . قال علماؤنا والأمم مجمعون على أن الذى ينفخ فى الصور إسرافيل عليه السلام .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد جاء حديث يدل على أن الذى ينفخ فى الصور غير إسرافيل خرجه أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثنا عفان ابن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عبد الله ابن الحارث قال كنا عند عائشة وعندها كعب الأحبار فذكر كعب إسرافيل فقالت عائشة ياكعب أخبرنى عن إسرافيل ؟ فقال كعب عندكم العلم قالت أجل فأخبرنى . فقال: له أربعة أجنحة جناحان فى الهواء وجناح قد تسربل به وجناح على كاهله والعرش على كاهله والقلم على أذنه فإذا نزل الوحى كتب القلم ، ثم درست الملائكة وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى ملتقم الصور محنيا ظهره شاخصا ببصره ينظر إلى إسرافيل وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحيه أن ينفخ فى الصور . قالت عائشة هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : غريب من حديث كعب لم يروه عنه إلا عبد الله ابن الحارث ورواه خالد الحذاء عن الوليد أبى بشر عن عبد الله بن رباح عن كعب نحوه .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وما خرجه أبو عيسى الترمذى وغيره

Marfat.com

يدل على أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه وحده . وحديث أبى عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه يدل على أن معه غيره . وقد خرج أبو بكر البزار فى مسنده وأبو داود فى كتاب الحروف من كتاب السنن من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور فقال : عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل فلعـــل لأحدهما قرنا آخر ينفخ فيه والله أعلم . وذكر أبو السرى هناد بن السرى التيمى الكوفى . قال : حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى عمرة قال مامن صباح إلا وملكان يقولان : يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر وملكان موكلان يقولان : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ، وملكان موكلان يقولان : سبحان الملك القدوس ، وملكان موكلان بالصور قال : وحدثنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال مامن صباح مثله سواء وزاد بعد قوله وملكان موكلان بالصور ينظران متى يؤمران فينفخان وعطية لا يحتج احد بحديثه على ما ذكره ابو محمد عبد الحق وغيره .

(فصل) واختلف فى عدد النفخات فقيل ثلاثة نفخة الفزع لقوله تعالى (ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وهذا اختيار ابن العربى وغيره وسيأتى وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هى نفخة الصعق لأن الأمرين لازمين لها أى فزعوا فزعا ماتوا منه . والسنة الثابتة على ماتقدم من حديث أبى هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) فاستثنى هنا كما استثنى فى نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة . وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين النفختين أربعون سنة . الأولى يميت الله بها تعالى كل حى والأخرى يحيى الله بها كل ميت . وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى . وقال الحليمى اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ماتفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الأرض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته الشمس وذرته الرياح فإذا جمعها

وأكل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح فى الصور وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل ذى روح إلى جسده بإذن الله تعالى وجاء في بعض الأخبار ما بين أن من أكله طائر أو سبع حشر من جوفه وهو ما رواه الزهرى عن أنس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة يوم أحد وقد جذع ومثل به فقال لولا أن تجد صفية فى نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير . وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرنا . قال أبو الهيثم من أنكر أن يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والصراط والميزان وطلب لها تأويلات .

باب منه فى صفة البعث وما آية ذلك

وأول مايخلق من الإنسان رأسه قال الله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقال سبحانه (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء) إلى قوله (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شى قدير) وقال (فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور والآيات فى هذا المعنى كثيرة . وخرج أبو داود الطيالسى والبيهقى وغيرهما عن أبى رزين العقيلى قال : قلت يارسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك فى خلقه ؟ قال أما مررت بوادى قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فتلك آية الله فى خلقه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا حديث صحيح لأنه وافق لنص التنزيل والحمد لله وفى حديث لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر إلهك ماتدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلق من قبل رأسه وذكر الحديث .

Marfat.com

باب يبعث كل عبد على ما مات عليه

مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد على ما مات عليه . وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم خرجه البخارى مالك عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله[1] الا جاء يوم القيامة وجرحه يبعث دماً اللون لون الدم والعرف عرف مسك خرجه البخارى ومسلم ، أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال يارسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو فقال يا عبد الله إن قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا وإن قتلت مرائيا مكاثراً بعثت مرائيا مكاثرا على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال . وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكراً ونكيراً سكران ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه . مسلم عن ابن عباس أن رجلا كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ماببا فى رواية ملبداً أخرجه البخارى . وروى عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر قال إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى ذكره الحليمى الحافظ فى كتاب المنهاج له وسيأتى بكماله . وذكر أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم بن محمد الختلى فى كتاب الديباج له . حدثنا أبو محمد عبد الله بن يونس بن بكير حدثنا أبى عن عمرو بن سمير عن جابر عن محمد بن على عن ابن عباس وعلى بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخبرنى جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للمسلم عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يبرقون من قبورهم ينفضون رؤسهم هذا يقول لا إله إلا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادى ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله مسودة وجوههم

(١) فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا

Marfat.com

قال وحدثنى يحيى بن عبد الحميد الحمانى حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا فى قبورهم ولا فى منشرهم كأنى بأهل لااله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . وروى النسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من نار يدها على رأسها تقول ياويلاه أخرجه بمعناه مسلم وابن ماجه عن أبى مالك الأشعرى قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الياحة من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثيابا من نار ودرعا من لهب النار لفظ ابن ماجه وقال مسلم تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . وأسند الثعلبى فى تفسيره عن أبى هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوايح يجعلن يوم القيامة صفين صفاعن اليمين وصفاعن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يؤمر بهم إلى النار أنبأناه الشيخ الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب شهر بابن رواح والشيخ الامام على بن هبة الله الشافعى قالا حدثنا السلفى قال حدثنا الرئيس أبو عبد الله الثقفى قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خولة الأبهرى الأديب فيما قرىء عليه وأنا أسمع منه سنة ثلاث وأربع مائة قال أخبرنا أبو عمر وأحمد ابن محمد بن حكيم المدنى أخبرنا أبو أمية محمد بن ابراهيم الطرسوسى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا سليمان بن داود اليمانى حدثنا يحى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه النوايح يجعلن يوم القيامة صفين فى جهنم صفاعن يمينهن وصفاعن شمائلهن ينبحن على أهل جهنم كما تنبح الكلاب غريب من حديث أبى نصر يحى بن كثير عن أبى سلمة تفرد به عنه سليمان بن داود وقال أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم تخرج النايحة من قبرها شعثاء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين ثابرة الشعر كالحة الوجه وعليها جلباب من لعنة الله وذرع من غضب الله إحدى يديها مغلولة إلى عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها وهى تنادى ياويلاه ياثبوراه وياحزناه وملك وراءها يقول آمين آمين ثم يكون من بعد ذلك حظها

النار .ابن ماجة عق عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النياحة على الميت من أمر الجاهلية وإن النايحة إذا لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ممم يعلى عليها بذرع من لهب النار(١) وفى التنزيل الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال أهل التأويل لمعنى لايقومون،ن قبورهم قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع والسدى والضحاك وابن زيدوغيرهم . قال بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه وقالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتا عند جميع أهل الحشر فجعل الله هذه العلامة لآكلة الربا وذلك أنه أرباه فى بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر والعافية فى الدنيا والآخرة وقال تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وسيأتى : وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة ذكره صاحب القوت وهوصحيح المعنى يدل عل صحته ما ذكرناه وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى باب بيان الحشر إلى الموقف إن شاء الله تعالى .

باب فى بعث النبي صلى الله عليه وسلم من قبره

ابن المبارك قال أخبرنا ابن لهيعة قال حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن نبيه بن وهب أن كعبا دخل على عائشة رضى الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب مامن فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفاً بالنهار وحتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم والأخبار دالة ثابتة على أن جميع الناس يخرجون عراة ويحشرون كذلك على مايأتى إن شاء الله تعالى وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول حدثنا بشر بن خالد قال حدثنا سعيد بن مسلمة عن اسماعيل بن أمية عن

(١) اطفار وفى كتاب الشهاب :بيعث شاهد لزور مولغا بلسانه فى النار

Marfat.com

نافع عن بن عمر قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبى بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة .

باب ماجاء فى بعث الأيام والليالى

ويوم الجمعة عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة أهلها محفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضىء لهم يمشون فى ضوئها ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم يسطع كالمسك يخوضون فى جبـــال الكافور ينظر اليهم الثقلان مايطرقون تعجباً يدخلون الجنة لايخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون خرجه القاضى الشريف أبو الحسن على بن عبد الله بن ابراهيم الهاشمى العيسوى من ولد عيسى بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وإسناده صحيح وقال أبو عمران الجونى مامن ليلة تأتى إلا تنادى اعملوا فى ماإستطعتم من خير فان أرجع إليكم إلى يوم القيامة ذكره أبو نعيم

باب ماجاء أن العبد المؤمن إذا قام من قبره

(يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا وعمله) تقدم من حديث جابر مرفوعا فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتاباً معقوداً فى عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ذكره أبو نعيم وذكر أبو نعيم أيضا عن ثابت البنانى أنه قرأ (حم السجدة) حتى إذا بلغ (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة) وقف فقال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا فيقولان له (لاتخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التى كنت توعد) قال فأمن الله خوفه وأقر الله عينه فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة فالمؤمن فى قرة عين لما هداه الله له ولما كان يعمل له فى الدنيا وقال عمرو بن قيس الملاىء أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا إلا أن الله قد طيب ريحك

Marfat.com

وحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طال ماركبتك فى الدنيا اركبنى اليوم وتلا (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وأن الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتن ريح فيقول هل تعرفنى فيقول لا إلا أن الله قد قبح صورتك ونتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السيء طال ماركبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون) ولا يصح من قبل إسناده قاله القاضى أبو بكر بن العربى .

باب أين يكون الناس

(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)

مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يامحمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودى أين يكون الناس (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر الحديث بطوله وسيأتى وخرج مسلم أيضاً وابن ماجه جميعا قالا حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا على بن مسهر عن داود ابن أبى هند عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط وأخرجه الترمذى قال حدثنا ابن أبى عمر قال حدثنا سفيان عن داود بن هند عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت يارسول الله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فأين يكون المؤمنون يومئذ قال على الصراط ياعائشة قال هذا حديث حسن صحيح وخرج عن مجاهد قال : قال ابن عباس أتدرى ماسعة جهنم قلت لا قال أجل والله ماتدرى حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) قال فقلت فأين الناس يارسول الله قال على جسر جهنم قال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

Marfat.com

(فصـــل) هذه الأحاديث نص فى أن الأرض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضـا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال كثير من الناس أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها ورواه بن مسعود رضى الله عنه خرجه ابن ماجه وسيأتى ذكره فى الأشراط إن شاء الله . وذكر ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال : حدثنى ابن عباس قال إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد فى سعتها كذا وكذا وذكر الحديث . وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم ذكره الثعلبي فى تفسيره وروى على بن الحسين رضى الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه ذكره الماوردى وما بدأنا بذكره أصح لأنه نص ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم . فإن قال قائل : إن بدل فى كلام العرب معناه تغيير الشيء ومنه قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) وقال (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم) ولا يقتضى هذا إزالة العين وإنما معناه تغيير الصفة ولو كان المعنى الإزالة لقال يوم تبدل الأرض مخففا من أبدلت الشيء إذا أزلت عينه وشخصه قيل له ماذكرته صحيح ولكن قد قرىء قوله عز وجل (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها) مخففا ومثقلا بمعنى واحد . قال : (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقال (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) وكذا ذكر تاج اللغة أبو نصر الجوهرى فى الصحاح وأبدلت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمنا وتبديل الشيء أيضا تغييره فقد دل القرآن وكلام العرب على أن بدل وأبدل بمعنى واحد وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم أحد المعنيين فهو أعلى ولا كلام معه . قال ابن عباس وابن مسعود تبدل الأرض أرضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط . وقال ابن مسعود أيضا تبدل الأرض نارا والجنة من ورائها يرى أكوابها وكواعبها . وقال أبو الجلد جيلان بن فروة أنى لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشعل نارا يوم القيامة . وقال على رضى الله عنه تبدل الأرض فضة والسماء ذهبا وقال جابر سألت أبا جعفر محمد بن على عن قول

Marfat.com

الله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة . ثم قرأ (وماجعلنا هم جسدا لايأكلون الطعام) وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا المعنى الذى قاله سعيد بن جبير ومحمد بن كعب مروى فى الصحيح وسيأتى واليه ذهب ابن برجان فى كتاب الإرشاد له وأن المؤمن يطعم يومئذ من بين رجليه ويشرب من الحوض فهذه أقوال الصحابة والتابعين دالة على ماذكرنا وأما تبديل السماء فقيل تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها قاله ابن عباس وقيل إختلاف أحوالها فتارة كالمهل وتارة كالدهان حكاه ابن الانبارى وقال كعب تصير السماء دخانا وتصير البحار نيرانا وقيل تبديلها ان تطوى كطى السجل للكتاب وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة فى كتاب الافصاح له أنه لاتعارض بين هذه الآثار وأن الأرض والسماوات تبدل كرتين إحداهما هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولاكواكبها وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمهل ثم تكشط عن رءوسهم ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض ثم تصير البحار نيرانا ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة والبنية غير البنية ثم إذا نفخ فى الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض وبدلت السماء سماء أخرى وهو قوله تعالى وأشرقت الأرض بنور ربها وبدلت الأرض تمد مد الأديم العكاظى وأعيدتُ كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها وفى بطنها وتبدل أيضاً تبديلا ثانيا وذلك إذا وقفوا فى المحشر فتبدل لهم الأرض التى يقال لها الساهرة يحاسبون عليها وهى أرض عفراء وهى البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط ولا جرى عليها ظلم قط وحينئذ يقوم الناس على الصراط وهو لايسع جميع الخلائق وإن كان قد روى أن مسافته ألف سنة صعودا وألف سنة هبوطا وألف سنة استواء ولكن الخلق أكثر من ذلك فيقوم من فضل على الصراط على متن جهنم وهى كإهالة جامدة وهى الأرض التى قال عبد الله أنها أرض من نار يعرق فيها البشر فإذا حوسب الناس عليها أعنى الأرض المسماة بالساهرة وجاوزوا الصراط جعل أهل الجنان من وراء الصراط وأهل النيران فى النار وقام الناس على

Marfat.com

حياض الأنبياء يشربون بدلت الأرض كقرصة النقى فأكلوا من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أى قرصا واحدا يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة وإدامهم زيادة كبد ثور فى الجنة وزيادة كبد النون على ما يأتى :

باب منه أمور تكورة قبل الساعة

ذكر على بن معبد عن أبى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى طائفة من أصحابه فقال إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر فقال أبو هريرة قلت يارسول الله وما الصور قال قرن فقلت وكيف هو قال هو عظيم والذى نفسى بيده إن عظم دارة فيه لكعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها يقول الله عز وجل ماينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق مأخوذة من فواق الحالب وهى المهلة بين الحلبتين وذلك أن الحالب يحلب الناقة أو الشاة ثم يتركها سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم يحلب ومنه سمى الفواق فواقاً لأنه ريح يتردد فى المعدة بين مهلتين أى أن هذه النفخة ممتدة لا تقطيع فيها ويكون ذلك يوم الجمعة فى النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرابا ثم ترتج الأرض بأهلها رجاً وهى التى يقول الله عز وجل يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفه فتكون الأرض كالسفينة فى البحر تضربها الأمواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل[1] وتشيب الولدان وتتطاير الشياطين هاربة حتى تأتى الأقطار فتتلقاها الملائكة هاربة فتضرب بها وجوهها ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهى التى يقول الله عز وجل يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمرا عظيما لم يروا

(١) الحوامل ما فى بطونها وتشيب

Marfat.com

مثله فيأخذهم من ذلك من الكرب ما الله به عليم ثم ينظرون إلى السماء فإذا هي كالمهل. ثم انشقت وانخسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ، ثم كشطت السماء عنهم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والموتى لا يعلمون شيئا من ذلك . قلت يارسول الله فمن استثنى الله عز وجل ؟ حين يقول (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) قال أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون إنما يصل الفزع إلى الأحياء يقيهم الله شر ذلك اليوم ويؤمنهم منه وهو عذاب يلقيه الله شرار خلقه وهو الذى يقول الله تعالى (يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) أى شديد فتمكثون فى ذلك ماشاء الله إلا أنه يطول عليهم كأطول يوم ، ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق الحديث بطوله وقد تقدم وسطه وآخره .

(فصل) هذا الحديث ذكره الطبرى والثعلبى وصححه ابن العربى فى سراج المريدين وقال يوم الزلزلة وهو الاسم الثانى عشر يكون عن النفخة الأولى بهذا الحديث الصحيح الواحد المفرد . ولما نبأ النبى صلى الله عليه وسلم بذكر الزلزلة التى تكون عن النفخة الأولى ذكر مايكون فى ذلك اليوم من الأهوال العظام التى يعظمها قوله شىء عظيم ومن فزعها مالا تطيق حمله النفوس وهو قوله لآدم إبعث بعث النار فيكون ذلك فى أثناء ذلك اليوم ولا يقتضى أن يكون ذلك متصلا بالنفخة الأولى التى يشيب فيها الوليد وتضع الحوامل وتذهل المراضع ولكن يحتمل أمرين أحدهما أن يكون آخر الكلام منوطا بأوله تقديره يقال لآدم ابعث بعث النار اثناء يوم يشيب فيه الوليد وتضع الحوامل وتذهل المراضع من أوله (الثانى) أن شيب الوليد ووضع الحوامل وذهول المراضع يكون فى النفخة الأولى حقيقة وفى هذا القول الثانى تكون صفته بذلك إخبارا عن شدته وإن لم يوجد عن ذلك الشىء فيه وهذه طريقة العرب فى فصاحتها . قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ماذكره ابن العربى من صحة الحديث وكلامه فيه، فيه نظر لما بينته آنفا وقد قال أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له ورد فى هذا الباب حديث منقطع لا يصح ذكره الطبرى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ينفخ فى الصور ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع فذكره : قال وهو

Marfat.com

عنده فى سورة يس قال الشيخ المؤلف رحمه الله : قد تقدم أن الصحيح فى النفخ إنما هو مرتان لاثلاث ، وحديث مسلم فى قول الله تعالى لآدم يا آدم ابعث النار إنما هو بعدالبعث يوم القيامة ونفخة الفزع هى نفخة الصعق على ماتقدم أو نفخة البعث على ماقيل على مايأتى ولأنه لوكانت نفخة الفزع غير نفخة الصعق لاقتضى ذلك أن يكون بقاء الناس بعدها أحياء ماشاء الله ويكون هناك ليل ونهار حتى تأتى نفخة الصعق التى يموت لسماعها جميع الخلق كما فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى هذا لايكون قوله ابعث فى أثناء اليوم الذى يكون مبدؤه نفخة الفزع على ماذكره ابن العربى والله أعلم ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة فإنا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وماعليها من جبال ومياه كالسفينة فى البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها وقد قال علقمة والشعبي الزلزلة من أشراط الساعة وهى فى الدنيا وكذلك قال أنس ابن مالك والحسن البصرى وقد ذكر القشيرى أبو نصر عبد الرحيم بن عبدالكريم فى تفسيره أن المراد بنفخة الفزع : النفخة الثانية أى يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا ويعاينون من الأمر مايهولهم ويفزعهم والله أعلم ونحو ذلك ذكره الماوردى واختاره وقد قيل إن هذه الزلزلة تكون قبل الساعة فى النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها والله أعلم وقوله تعالى : ترونها الضمير المنصوب فى ترونها للزلزلة أوالقيامة قولان فعلى الأول أن ذلك فى الدنيا قبل نفخة الصعق لعظم تلك الزلزلة وقوة حركتها بالأرض لأن القيامة لارضاع فيها ولا حمل فترى الناس سكارى يعنى من الخوف وعلى القول الثانى يكون فيه وجهان أحدهما أن يكون ذلك مثلا والمعنى أنه يكون يوما لايهم أحداً فيه إلا نفسه والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصيحة الشديدة ويكون الهول عظيما والوجه الآخر أن يكون ذلك حقيقة لامثلا ويكون المعنى أن من كانت محشورة مع ولد رضيع فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهلت عن من ولدت وأن الحوامل إذا بعثن أسقطن من فزع يوم القيامة الاحمال التى كانت أحياء فماتت بموت أمهاتها أحياء ثم لايعتن بالإسقاط لأن الموت لايتكرر عليهن مرتين لأنه لاموت

Marfat.com

فى القيامة وإنما هو يوم الحياة وتضع الحوامل حملها ثم يحتمل أن يحيي الله كل حمل كان قد أتم خلقه ونفخ فيه الروح ويسويه ويعدله فإن الأم تذهل عنه ولو لم تذهل ماقدرت على إرضاعه لأنه لاغذاء يومئذ لها ولا لبن واليوم يوم الحساب لايقبل فيه من عذر ولا علة فكيف تخلا والإشتغال بالولد مع ماعليها من الحساب وهى بصدده من الجزاء والحمل الذى لم ينفخ فيه قط إذا سقط يكون مع الوحوش ترابا ولم يبتدأ إحياؤه لأن اليوم يوم الإعادة فمن لم يمت فى الدنيا لم يحى فى الآخرة قاله الحليمى فى منهاج الدين ، وقال الحسن فى قوله تعالى وترى الناس سكارى أى من العذاب والخوف وماهم بسكارى من الشراب ومما يبين ماقلناه أن إبليس قال : انظرنى إلى يوم يبعثون سأل النظرة والإمهال إلى يوم البعث والحساب طلب أن لايموت لأن يوم البعث لاموت بعده فقد قال تعالى إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال ابن عباس والسدى وغيرهما انظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم وكان طلب الانظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وما وقع فى هذا الحديث من انشقاق السماء وتناثر نجومها وطمس شمسها وقمرها فقد ذكر المحاسبي وغيره أن ذلك يكون بعد جمع الناس فى الموقف وروى عن ابن عباس وسيأتى وقاله الحليمى فى كتاب منهاج الدين فصل : فأما التكوين يوم القيامة قبل الحساب فقد قال الله تعالى يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم إلى قوله عذاب الله شديد وقال إذا زلزلت الأرض زلزالها إلى آخرها والذى ثبت بسياق الآيات ان هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم لأنه لايراد بها إلا أذعار الناس والتهويل عليهم فينبغى أن يشاهدوها ليفزعوا منها ويهولهم أمرها ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات ولأنه تعالى قال يومئذ تحدث أخبارها أى تخبر عما عمل عليها من خير وشر يومئذ يصدر الناس أشتاتا فدل ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس أحياء واليوم يوم الجزاء وقال تعالى : فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة يعنى الآخرة وحملت الأرض والجبال إلى قوله لاتخفى منكم خافية فدلت هذه السورة على ان اصطدام الأرض والجبال لايكون إلا بعد الإحياء فدلت هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون

Marfat.com

يعد النشأة الثانية . والله أعلم ، وأما قوله فيه يوم التناد فقال الحسن وقتادة ذلك يوم ينادى أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء يوم تولون مدبرين يعنى عن النار أى غير قادرين وغير معجزين فى تفسير مجاهد وقيل معناه يوم ينادى أهل النار بالويل والثبور ويولون مدبرين من شدة العذاب وقيل إن ذلك نداء بعض الناس لبعضهم فى المحشر وتوليهم مدبرين إذا رأوا عنقا من النار ، وقال قتادة معنى تولون مدبرين منطلقا بكم إلى النار مالكم من الله من عاصم أى مانع يمنعكم فإن قيل فقد قال الله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة إلى أن قال فإنما هى زجرة واحدة وهذا يقتضى بظاهره أنها ثلاث قيل له ليس كذلك ، وإنما المراد بالزجرة النفخة الثانية التى يكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم ، قال مجاهد هما صيحتان ، أما الأولى فتميت كل شىء بإذن الله ، وأما الأخرى فيحيا كل شىء بإذن الله . وقال مجاهد أيضا الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة . وقال عطا الراجفة القيامة والرادفة البعث ، وقال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة فهذا يبين لك ما قلناه من أن المراد بالزجرة النفخة الثانية ، والله أعلم ، واختلفوا فى الساهرة اختلافا كثيرا ، فقال ابن عباس ، وأما الساهرة فأرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها طرفة عين خلقها الله يومئذ وهو قوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وقال بعضهم الساهرة اسم الأرض السابعة يأتى بها فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال قتادة هى جهنم أى فإذا هؤلاء الكفار فى جهنم وقيل صحراء قريب من شفير جهنم . وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقيل غير هذا ، وإنما قيل لها ساهرة لأنهم لا ينامون عليها حينئذ ومعنى فإذا هم بالساهرة أى على وجه الأرض بعد ما كانوا فى بطنها والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ، قال أمية بن أبى الصلت وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم .

باب الحشر ومعناه الجمع

وهو على أربعة أوجه حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة أما الذى فى الدنيا فقوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر قال الزهرى : كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم فى الدنيا وكان أول حشر حشروا فى الدنيا إلى الشام قال ابن عباس من شك أن الحشر فى الشام فليقرأ هذه الآية وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم : اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر قال قتادة : هذا أول الحشر (الثانى) مارواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا أخرجه البخارى أيضا وقال قتادة الحشر الثانى نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل منهم من تخلف قال القاضى عياض هذا الحشر فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما ذكره مسلم بعد هذا فى آيات الساعة قال فيه وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تزجر الناس وفى رواية تطرد الناس إلى محشرهم ، وفى حديث آخر لاتقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله فتقيل معهم حيث قالوا وتمسى معهم حيث أمسوا وتصبح معهم حيث أصبحوا . قال وفى بعض الروايات فى غير مسلم فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وذكره الحليمى فى منهاج الدين له من حديث ابن عباس وذكر أن ذلك فى الآخرة فقال يحتمل قوله عليه السلام تحشر الناس على ثلاث طرائق إشارة إلى الأبرار والمخلطين والكفار فالأبرار هم الراغبون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه والراهبون هم الذين بين الخوف والرجا فأما الأبرار فإنهم يؤتون بالنجائب كما فى الحديث على ما يأتى فى هذا الباب وأما المخلطون فهم الذين أريدوا فى هذا الحديث وقيل انهم يحملون على الأبعرة وأما الفجار

الذين تحشرهم النار فإن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة فتقيض لهم نارا تسوقهم ولم يرد فى هذا الحديث إلاذكر البعير فأما أن ذلك من أبل الجنة أو من الإبل التى تحيا وتحشر يوم القيامة فهذا لم يأت بيانه والأشبه ألايكون من نجائب الجنة لأن من خرج من جملة الأبرار فكان مع ذلك من جملة المؤمنين فإنهم بين الخوف والرجاء لأن من هؤلاء من يغفر الله تعالى ذنوبه فيدخل الجنة ومنهم من يعاقبه بالنار ثم يخرجه منها ويدخله الجنة . وإذا كانوا كذلك لم يلق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة ثم ينزل الله بعضهم إلى النار لأن من أكرمه الله بالجنة مرة لم يهنه بعد ذلك بالنار قال وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: يحشر الناس الحديث وفى آخره أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك فهذا إن ثبت مرفوعا فالركبان هم المتقون السابقون الذين يغفر الله ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبهم إلا أن المتقين يكونون على نجائب الجنة والآخرون على دواب سوى دواب الجنة والصنف الثانى الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم من النار إلى الجنة وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم وقد يحتمل على هذا أن يمشوا وقتا ثم يركبوا أو يكونوا ركبانا فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديثان والصنف الثالث المشاة على وجوههم هم الكفار وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف مسلمون وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما العتاة وأعلام الكفر فهؤلاء يحشرون على وجوههم والآخرون الاتباع فهم يمشون على أقدامهم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وإلى هذا القول ذهب أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة فى قوله عليه السلام كيف تحشر الناس يارسول الله قال اثنان على بعير وخمسة على بعير وعشرة على بعير ومعنى هذا الحديث والله أعلم أن قوما يأتلفون فى الاسلام برحمة الله يخلق الله لهم من أعمالهم بعيرا يركبون عليه وهذا من ضعف العمل لكونهم يشتركون فيه كقوم خرجوا فى سفر بعيد وليس مع واحد منهم ما يشترى به مطية توصله فاشترك فى ثمنها رجلان أو ثلاثة فابتاعوا مطية يتعقبون عليها فى الطريق ويبلغ بعير مع عشرة فاعمل هداك الله عملا يكون لك به بعير خالص

Marfat.com

من الشركة واعلم أن ذلك هو المتجر الرابح فالمتقون وافدون كما قال الجليل يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا وفى غريب الراوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه كان رجل من بنى إسرائيل كثيرا ما يفعل الخير حتى أنه ليحشر فيكم قالوا له وما كان يصنع قال ورث من أبيه مالا كثيرا فاشترى بستانا فحبسه للمساكين وقال هذا بستانى عند الله تعالى وفرق دنانير عديدة فى الضعفاء وقال بهذا أشترى جارية من الله تعالى وعبيدا واعتق رقابا كثيرة وقال هؤلاء خدمى عند الله تعالى والتفت ذات يوم الى رجل ضرير البصر فرآه تارة يمشى وتارة يكبو فابتاع له مطية يسير عليها وقال هذه مطيتى عند الله تعالى أركبها والذى نفسى محمد بيده لكانى أنظر اليها وقد جىء بها اليه مسرجة ملجمة يركبها تسير به إلى الموقف .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ما ذكره القاضى عيـــاض من أن ذلك فى الدنيا أظهر والله أعلم لما فى الحديث نفسه من ذكر المساء والمبيت والصباح والقائلة وذلك ليس فى الآخرة وقد خرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك قال هذا حديث حسن فقوله يتقون بوجوههم كل حدب وشوك يدل على أنه فى الدنيا إذ ليس فى الآخرة ذلك على ما يأتى من صفة ارض المحشر والله أعلم وخرج النسائى عن ابى ذر قال ان الصادق المصدوق حدثنى ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم ويحشر الناس فوجا يمشون ويسعون يلقى الله الافة على الظهر فلا تبقى حتى أن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها . وذكر عمر بن شيبة فى كتاب المدينة على ساكنها السلام عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : آخر من يحشر رجلان رجل من جهينة وآخر من مزينة فيقولان أين الناس فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب فينزل اليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقانهما بالناس . وهذا كله مما يدل على أن ذلك فى الدنيا كما قال القاضى عياض ، وأما الآخرة

Marfat.com

فالناس أيضا مختلفو الحال على ماذكروه ، وسنذكر من ذلك مافيه كفاية فى الباب بعدهذا إن شاءالله. والحشر الثالث حشرهم إلى الموقف على مايأتي بيانه في الباب بعدهذا قال الله تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) والرابع حشرهم إلى الجنة والنار قال الله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أى ركباناً على النجب وقيل على الأعمال كما تقدم . وقد وردت أخبار منها مارواه النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال أما إنهم ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثالها رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة وسمى المتقون وفدا لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لايتباطئون لكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات

قال الله تعالى (وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) فيزيدهم ذلك إسراعا وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم فى الدنيا بالطاعات (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أى عطاشا وقال (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) وقال (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما) وقال (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) . مسلم عن أنس أن رجلا قال يارسول الله الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا أخرجه البخارى أيضاً .

(فصل) قال أبوحامد وذكر هذا الفصل وفى طبع الآدمى إنكار مالم يأنس به ولم يشاهده ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنكر المشى من غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر رحمك الله فى قلبك صورتك وأنت قد وقفت عارياً ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء .

Marfat.com

باب بيان الحشر إلى الموقف كيف هو وفى أرض المحشر

وذكر الصخرة وقوله تعالى« واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب »الآية.

أبو نعيم قال حدثنا أبى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا محمد قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس لأضعن عليك عرشى ولأحشرن عليك خلقى وليأتينك يومئذ داود راكبا . وقال بعض العلماء فى قوله تعالى (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب قال إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس فينادى أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة وياعظاما نخرة ويا أكفانا فانية ويا قلوباً خاوية ويا أبدانا فاسدة ويا عيونا سائلة قوموا لعرض رب العالمين . قال قتادة المنادى هو صاحب الصور ينادى من الصخرة من بيت المقدس . قال كعب وهى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل باثنى عشر ميلا ذكره القشيرى والأول ذكره الماوردى وقيل إن المنادى جبريل والله أعلم قال عكرمة ينادى منادى الرحمن فكأنما ينادى فى آذانهم يوم يسمعون الصيحة بالحق يريد النفخ فى الصور (ذلك يوم الخروج يوم تشقق الأرض عنهم سراعا إلى المنادى صاحب الصور إلى بيت المقدس أرض المحشر ذلك حشر علينا يسير أى هين سهل (فإن قيل) فإذا كانت الصيحة للخروج فكيف يسمعونها وهم أموات (قيل له) إن نفخة الإحياء تمتد وتطول فتكون أوائلها للإحياء وما بعدها للإزعاج من القبور فلا يسمعون مايكون للإحياء ويسمعون مايكون الإزعاج ويحتمل أن تتطاول تلك النفخة والناس يحيون منها أولا فأولا وكلما حي واحد سمع مايحي به من بعده إلى أن يتكامل الجميع للخروج وقد تقدم أن الأرواح فى الصور فإذا نفخ فيه النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده فإذاهم من الأجداث أى القبور إلى ربهم ينسلون وهذا يبين لك ما ذكرنا وبالله توفيقنا ، وقال محمد بن كعب القرظى يحشر الناس يوم القيامة فى ظلمة وتطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد فيتبع الناس الصوت يومئذ فذلك قول الله عز وجل يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له الآية وقال الله عز وجل إذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت وإذا

Marfat.com

البحار فجرت فجر عذبها فى ملحها وملحها فى عذبها فى تفسير قتادة وإذا القبور بعثرت أى أخرج ما فيها من الأموات ، وقال تعالى إذا السماء انشقت وأذنت لربها أى سمعت وأطاعت وحقت أى وحق لها أن تفعل وإذا الأرض مدت تمد مد الأديم وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء كأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة قط ، وألقت مافيها من الأموات فصاروا على ظهرها (مسلم)عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفرا كقرصة النقى ليس فيهـا علم لأحد ، وخرج أبو بكر أحمد بن على الخطيب عن عبد الله بن مسعود يحشر الناس يوم القيامة أجوع ماكانوا قط وأظمأ ماكانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا فمن أطعم لله أطعمه ومن سقا لله سقاه ومن كسا لله كساه ومن عمل لله كفاه ومن نصر الله أراحه الله فىذلك اليوم وروى من حديث معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أرأيت قول الله يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالبكاء والدموع ثم قال تحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا تقدرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف ، وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران ، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمـام ، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس ، وأما المنكسون رءوسهم ووجوههم فأكلة الربا والعمى من يجور فى الحكم ، والصم البكم الذين يعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع النـــار السعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق

الله تعالى من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء ، وقال أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه بيمينه فيطرحه من يده ويقول سحقا لك شغلتنى عن ذكر الله فيعود اليه ويقول أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وكذلك يبعث السكران سكران والزامر زامراً وكل واحد على الحال الذى صده عن سبيل الله قال ومثله الحديث الذى روى فى الصحيح أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه والقدح بيده وهو أنتن من كل جيفة على الأرض يلعنه كل من يمر به من الخلق وقال أيضا فى هذا الكتاب فإذا استوى كل احد قاعداً على قبره فمنهم العريان ومنهم المكسو والأسود والأبيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون كالشمس لا يزال كل واحد منهم مطرقا برأسه ألف عام حتى تقوم من الغرب نار لها دوى تساق فيدهش لها رءوس الخليقة إنساً وجناً وطيراً ووحشاً فيأتى كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له قم فانهض إلى المحشر فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله بغلا ومنهم من يشخص عمله حمارا ومنهم من يشخص له كبشا تارة يحمله وتارة يلقيه ويجعل لكل واحد منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه ومثله يسرى بين يديه فى الظلمات وهو قوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة لا يستطيع البصر نفاذها يحار فيها الكفار ويتردد المرتابون والمؤمن ينظر إلى قوة حلكتها وشدة حندسها ويحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور المهتدى به فى تلك الشدة يسعى بين أيديهم وبأيمانهم لأن الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال المعذب الشقى ليستبين له سبيل الفائدة كما فعل بأهل الجنة وأهل النار حيث يقول فاطلع فرآه فى سواء الجحيم وكما قال سبحانه وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين لأن أربعا لا يعرف قدرها إلا أربع لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء ولا الصحة(١) إلا أهل البلاء ولا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ(٢) ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف بنانه ونوره يطفأ تارة ويشتعل أخرى وإنما هم عند البعث على قدر إيمانهم وأعمالهم وقد مضى فى باب يبعث كل عبد على مامات عليه ما فيه كفاية والحمد لله .

(١) ولا يعرف قدر الصحة (٢) وفى نسخة (ولا يعرف قدر النعيم الا أهل الجحيم

Marfat.com

باب الجمع بين آيات وردت فى الكتاب فى الحشر ظاهرها التعارض

منها قوله تعالى ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون بينهم وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وفى آية ثالثة أنهم يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وهذا كلام وهو مضاد للبكم والتعارف تخاطب وهو مضاد للصمم والبكم معا ، وقال تعالى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين والسؤال لا يكون إلا بالإسماع وإلا لناطق يتسع للجواب وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ، وقال فإذاهم من الأجداث إلى ربهم ينسلون وقال يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه (والجواب) لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالهم حالة واحدة ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً ولكن لهم مواقف وأحوال واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم وجملة ذلك أنها خمسة أحوال ، أولها : حال البعث[1] ، والثانية حال السوق إلى موضع الحساب ، والثالثة حال المحاسبة ، والرابعة حال السوق إلى دار الجزاء والخامسة حال مقامهم فى الدار التى يستقرون فيها فأما حال البعث من القبور فإن الكفار يكونون كاملى الحواس والجوارح لقول الله تعالى يتعارفون بينهم وقوله يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا وقوله فإذاهم قيام ينظرون وقوله: قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين إلى قوله يرجعون ، والحالة الثانية حال السوق إلى موضع الحساب وهم أيضا فى هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون ومعنى فاهدوهم أى دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة ، والحالة الثالثة وهى حال المحاسبة وهم يكونون فيها أيضا كاملى الحواس ليسمعوا مايقال لهم ويقرءوا كتبهم الناطقة بأعمالهم وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعوها وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون (مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) وأنهم يقولون

(١) البعث من القبور

لجلودهم لم شهدتم علينا وليشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين فى الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها وأما الحالة الرابعة وهى السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم ويحتمل أن يكون قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق والحالة الخامسة حال الإقامة فى النار وهذه الحال تنقسم إلى بدء ومآل فبدوها أنهم إذا قطعوا المسافة التى بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكما وصما إذلالا لهم وتمييزا عن غيرهم ثم ردت الحواس اليهم ليشاهدوا النار ، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين فيستقرون فى النار ناطقين سامعين مبصرين ولهذا قال الله تعالى وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين) وقال (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم وقالت أولاهم لأخراهم وقال (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وأن أهل الجنة ينادونهم أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم وأنهم يقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيقول لهم إنكم ماكثون ، وأنهم يقولون لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون لهم أولم تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، وأما العقبى والمآل فإنهم إذا قالوا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فقال الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وكتب عليهم الخلود بالمثل الذى يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى الموت ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت سلبوا فى ذلك الوقت أسماعهم ؛ وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام لكن سلب السمع يقين لأن الله تعالى يقول لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ، فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق ويحتمل أن تكون الحكمة فى سلب

Marfat.com

الاسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته فلما كانت حجة الله عليهم فى الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم فى الاخرى بسلب الاسماع يبين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه وإن قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تسترا منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه وقد أخبر الله تعالى عن الكفار فى وقت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فقال : ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا العبر فلم يعتبروا والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا والله أعلم .

باب ما جاء فى حشر الناس الى الله عز وجل

حفاة عراة غرلا وفى أول من يكسى منهم وفى أول ما يتكلم من الإنسان

مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه يؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم قال فيقال إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم . أخرجه البخارى أيضا والترمذى عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكره قال وأشار بيده إلى الشام فقال ههنا إلى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم خيرهم على الله وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه وفى رواية أخرى ذكرها ابن أبى شيبة وإن أول ما يتكلم من الإنسان فخذه وكفه .

Marfat.com

(فصل) قوله غرلا أى غير مختونين النقى الحوارى وهو الدرمك من الدقيق والعفر بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلا والفدام مصفاة الكوز والإبريق قاله الليث قال أبو عبيدة يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق وقوله أول من يكسى إبراهيم فضيلة عظيمة لإبراهيم وخصوص له كما خص موسى عليه السلام بأن النبى صلى الله عليه وسلم يجده معلقا بساق العرش مع أن النبى صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل منه مطلقا . أفضل من وافى القيمة على ما يأتى بيانه فى أحاديث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالى .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر فى كتاب المفهم له ويجوز أن يراد بالناس من عداه من الناس فلم يدخل تحت خطاب نفسه والله أعلم . قلت هذا حسن لولا ما جاء منصوصا خلافه فقد روى ابن المبارك فى رقائقه أخبرنا سفيان عن عمر بن قيس عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن على رضى الله عنه قال أول من يكسى خليل الله إبراهيم قبطيتين ثم يكسى محمد صلى الله عليه وسلم حلة حبرة عن يمين العرش ذكره البيهقى أيضا وروى عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه قال إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى وأول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم خليل الله ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل عليهم السلام ثم يكسى المؤذنون وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحمر أزمتها من زبرجد أخضر رحالها من الذهب ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر ذكره الحليمى فى كتاب منهاج الدين له ، وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث الأسود وعلقمة وأبى وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال جاء ابنا مليكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه السلام يقول اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد غيرى يغبطنى فيه الأولون والآخرون وذكر الحديث وخرج البيهقى بإسناده فى كتاب الأسماء والصفات عن ابن عباس رضى الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم محشورون حفاة عراة وأول من يكسى من الجنة إبراهيم عليه السلام يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ويؤتى بى فأكسى حلة من الجنة لايقوم لها البشر ثم أوتى بكرسى فيطرح لى على ساق العرش وهذا نص بأن إبراهيم أول من يكسى ثم نبينا بإخباره صلى الله عليه وسلم فطوبى ثم طوبى لمن كسى فى ذلك الوقت من ثياب الجنة فإنه من لبسه فقد لبس جنة تقيه مكاره الحشر وعرقه وحر الشمس وغير ذلك من أهواله

فصل وتكلم العلماء فى حكمة تقديم إبراهيم عليه السلام بالكسوة فروى أنه لم يكن فى الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه السلام فتعجل له كسوته أمانا له ليطمئن قلبه ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة فى التستر وحفظا لفرجه من أن يماس مصلاه ففعل ماأمر به فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة ويحتمل أن يكون الذين ألقوه فى النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله وكان ماأصابه من ذلك فى ذات الله عز وجل فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار فى الدنيا والآخرة وجزاه بذلك العرى[1] أول من يدفع عنه العرى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وهذا أحسنها والله أعلم وإذا بدىء فى الكسوة بابراهيم وثنى بمحمد صلى الله عليه وسلم أوتى محمد بحلة لايقوم لها البشر لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة فيكون كأنه كسى مع إبراهيم عليهما السلام قاله الحليمى وقوله تجدون على أفواهكم الفدام ، الفدام مصفاة الكوز والإبريق قاله الليث قال أبو عبيد يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تكلم أفخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذى يجعل على الإبريق قال سفيان وفدامهم أن يؤخذ على ألسنتهم وهذا مثل .

باب منـــه

وبيان قوله تعالى لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه

مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال والنساء جميعا

(١) العرى ان جعله أول

Marfat.com

ينظر بعضهم إلى بعض قال ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت إمرأة أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يافلانة لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه قال حديث حسن صحيح .

فصل هذا الباب والذى قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلا أى غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده قال العلماء يحشر العبد غدا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه عضو يرد فى القيامة عليه حتى الختان وقد عارض هذا الباب ماروى أبو داود فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه لما حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول إن الميت يبعث فى ثيابه التى دفن فيها قال أبو عمر بن عبد البر وقد احتج بهذا الحديث من قال إن الموتى يبعثون جملة على هيئاتهم وحمله الأكثر من العلماء على الشهيد الذى أمر أن يزمل فى ثيابه ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عليه شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة(١) قالوا ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث فى الشهيد فتأوله على العموم والله أعلم قلت ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله الحق ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقوله كما بدأكم تعودون ولأن الملابس فى الدنيا أموال ولا مال فى الآخرة زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال فى الدنيا وكل نفس يومئذ فإنما يقيها المكاره ماوجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله عليها فأما الملابس فلا غنى فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة على ماتقدم فى الباب قبل وذهب أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة إلى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بالغوا فى أكفان موتاكم فإن أمتى تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة ورواه أبو سفيان مسندا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الحديث لم أقف عليه والله اعلم بصحته وان صح فيكون معناه فان أمتى الشهداء تحشر بأكفانها حتى لاتتناقض الأخبار والله

(١) وعائشة رضى الله عنهما قالوا

Marfat.com

أعلم ولا يعارض هـــذا الباب ما تقدم أول الكتاب من أن الموتى يتزاورون فى قبورهم بأكفانهم فإن ذلك يكون فى البرزخ فإذا قاموا من قبورهم خرجوا عراة ماعدا الشهداء والله أعلم .

بـاب

ذكر أبو بكر أحمد بن على بن ثابت عن عبد الله بن إبراهيم بن أبى عمرو الغفارى قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشر يوم القيامة بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى أقف بين الحرمين فيأتى أهل المدينة ومكة غريب من حديث مالك تفرد به عبد الله بن إبراهيم عنه ويقال لم يروه غير عبـــد العزيز بن عبد الله الهاشمى البغدادى عن الغفارى .

باب قول النبى صلى الله عليه وسلم

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت وفى أسماء يوم القيامة

الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت قال : هذا حديث حسن .

(فصل) قلت وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها وتكور شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم وقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم وشمائلهم أو من وراء ظهورهم فى موقفهم على مايأتى بيانه قال الله تعالى إذا السماء انشقت وقال إذا السماء انفطرت وقال ويوم تشقق السماء بالغمام فتراها واهية منفطرة متشققة كقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض وقيل إن الباء بمعنى عن

Marfat.com

أى تشقق عن سحاب أبيض ويقال انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم وذلك إذا بطمت المياه وبرزت النيران فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن وتتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعه وقد قيل إن السماء تتلون فتصفر ثم تحمر أو تحمر ثم تصفر كالمهرة تميل فى الربيع إلى الصفرة فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة ثم إلى الغبرة قاله الحليمى وقوله تعالى إذا الشمس كورت قال ابن عباس رضى الله عنه تكويرها إدخالها فى العرش وقيل ذهاب ضوءها قاله الحسن وقتادة وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى وقال الربيع بن خيثم كورت رمى بها ومنه كورته فتكور أى سقط قلت وأصل التكوير الجمع مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أى لاتها وجمعها فهى تكور ثم يمحى ضوءها ثم يرمى بها والله أعلم وقوله تعالى وإذا النجوم انكدرت أى انتثرت قيل تتناثر من أيدى الملائكة لأنهم يموتون وفى الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدى الملائكة وقال ابن عباس رضى الله عنه انكدرت تغيرت وأصل الانكدار الإنصباب فتسقط فى البحار فتصير معها نيرانا إذا ذهبت المياه وقوله وإذا الجبال سيرت هو مثل قوله يوم تسير الجبال أى تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا أى رملا سائلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون سرابا مثل السراب الذى ليس بشىء وقيل إن الجبال بعد اندكاكها أنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل قال الحليمى وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك فى أحماء جهنم أثر فى كل واحد من السماء والأرض ماذكر قوله وإذا العشار عطلت أى عطلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم والعشار الإبل الحوامل واحدها عشرا وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ماتضع وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز مايكون على العرب فأخبر أنها تعطل يوم القيامة ومعناه أنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبؤا بها ولم يهمهم أمرها ويحتمل تعطل العشار إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها فى الدنيا وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها

Marfat.com

سيلا وقيل العشار السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر وقيل العشار الديار تعطل فلا تسكن وقيل الأرض التى يعشر زرعها تعطل فلا تزرع والقول الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر وقوله وإذا الوحوش حشرت أى جمعت والحشر الجمع وقد تقدم وقوله وإذا البحار سجرت أى أوقدت وصارت نارا رواه الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه وقال قتادة : غار ماؤها فذهب وقال الحسن والضحاك فاضت قال ابن أبى زمنين سجرت حقيقته ملئت فيفضى بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً وهو معنى قول الحسن ويقال أن الشمس تلف ثم تلقى فى البحار فتها تحمى وتنقلب نارا قال الحليمي ويحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار فى قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ تكون أكثرها لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة فإذا كورت وألقيت فى البحر فصارت نارا ازدادت امتلاءا وقوله وإذا النفوس زوجت تفسير الحسن أن تلحق كل شيعة شيعتها اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد من دون الله شيئا يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين وقال عكرمة المعنى تقرن بأجسادها أى ترد إليها وقيل يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان وقيل يقرن المؤمنون بالحور العين والكافرون بالشياطين وقوله وإذا الموؤدة سئلت يعنى بنات الجاهلية كانوا يدفنوهن احياء لخصلتين إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به الثانية مخافة الحاجة والإملاق وسؤال الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلها كما يقال للطفل إذا ضرب لم ضربت وما ذنبك وقال الحسن أراد الله أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب وبعضهم يقرأ وإذا الموؤدة سألت تعلق الجارية بأبيها فتقول بأى ذنب قتلتنى وقيل معنى سئلت يسأل عنها كما قال إن العهد كان مسئولا وقوله وإذا الصحف نشرت أى للحساب وسيأتى وقوله وإذا السماء كشطت قيل معناه طويت كما قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب أى كطى الصحيفة على مافيها فاللام بمعنى على يقال كشطت السقف أى قلعته فكان المعنى قلعت فطويت والله أعلم والكشط والقشط سواء وهو القلع وقيل السجل كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم ولا يعرف فى الصحابة من اسمه سجل وقوله وإذا الجحيم سعرت أى أوقدت وقوله وإذا الجنة أزلفت أى قربت لأهلها وأدنيت علمت نفس ماأحضرت أى من عملها وهو مثل قوله علمت

Marfat.com

نفس ماقدمت وأخرت ومثل قوله « ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر » فهو يوم الانشقاق ويوم الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار ويوم الانتثار ويوم التسيير قال الله تعالى وتسير الجبال سيرا وإذا الجبال سيرت ويوم التعطيل ويوم التسجير ويوم التفجير ويوم الكشط والطى ويوم المد لقوله تعالى وإذا الأرض مدت إلى غير ذلك من أسماء القيامة وهى الساعة الموعود أمرها ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله عز وجل على رسوله يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة وكلما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا مهيع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جعلوا له خمسمايه اسم وله نظائر فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى فى كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة منها ماذكرناه مما وقع فى هذه السور الثلاث وقيل إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدى الله تعالى ويوم الجمعة فيها زهرا مضيئة يعرفها الخلائق فيوم القيامة يوم يتضمن الأيام كلها فسمى بكل حال يوما فقيل يوم ينفخ فى الصور ثم قيل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ثم قيل يوم ينظر المرء ماقدمت يداه فهذه حالة أخرى ثم قيل يوم تعرضون ثم قيل يوم يصدر الناس أشتاتا فهذه أحوال فقد يجرى يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال منها كاليوم المتجدد ولذلك كررت فى قوله تعالى وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين لأن ذلك اليوم ومن بعده يوم واليوم العظيم متضمن لهذه الأيام فهو لله يوم وللخلائق أيام قد عرفت أيامهم فى يومه وقد بطل الليل والنهار قاله الترمذى الحكيم ومما قيل فى معنى ماذكرنا من النظم قول بعضهم :

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ... ورأيتها مثل الجحيم تفور

Marfat.com

وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة احشرت وتقول للأملاك أين نسير
وإذا تقاة المسلمين تزوجت من حور عين زانهن شعور
وإذا الموءودة سئلت عن شأنها وبأى ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السما بيمينه طى السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عندذاك تساقطت تبدى لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحايف نشرت فتطايرت وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ورأيت أفلاك السماء تدور
واذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب دهور

ومنها الساعة قال الله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وهوا فى القرآن كثير والساعة كلمة يعبر بها فى العربية عن جزء من الزمان غير محدود وفى العرف على جزء من أربعة وعشرين جزء أمن يوم وليلة واللذين هما أصل الأزمنة وتقول العرب أنقل كذا الساعة وأنا الساعة فى أمر كذا تريد الوقت الذى أنت فيه والذى يليه تقريبا له وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة. فى الحقيقة عن الوقت الذى أنت فيه وهو المسمى بالآن وسميت به القيامة إما لقربها فإن كل آت قريب وإما أن تكون سميت بها تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التى تصهر الجلود وتكسر العظام وقيل إنما سميت بالساعة لأنها تأتى بغته فى ساعة وقيل إنما سميت بالساعة لأن الله تعالى يأمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجساد فى مدافنها ومواضعها حيث كانت من بحر أو بر وتستقل وتتحرك بحياتها بماء الحيوان وليست فيها أرواح ثم تدعى الأرواح

Marfat.com

فأرواح المؤمنين تتوقد نوراً وأرواح الكافرين تتوهج ظلمة فإذا دعى الأرواح ألقاها فى الصور ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ فى الصور فإذا نفخ فيه خرجت من من الصور ثم أمرت أن تلحق الأجساد فتبعث إلى الأجساد فى أسرع من اللمحة وإنما سميت الساعة لسعى الأرواح إلى الأجساد فى تلك السرعة فهى سايع وجمعها ساعة كقولك بايع وباعة وضايع وضاعة وكايل وكالة فوصف أن سائر أموره فى السرعة كلمح البصر[1] قاله الترمذى الحكيم وذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت **العظاة** دما ومنها القيامة قال الله تعالى لا أقسم بيوم القيامة وهى فى العربية مصدر قام يقوم ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب واختلف فى **تسميتها** بذلك على أربعة أقوال الأول لوجود هذه الأمور فيها . الثانى لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها قال الله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا الثالث لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يوم يقوم أحدكم فى رشحه إلى نصف أذنيه قال بن عمر رضى الله عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلاث مائة سنة الرابع لقيام الروح والملائكة صفا قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال علماؤنا واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته ولكنها قيامة صغرى وكبرى فالصغرى هى ما يقوم على كل إنسان فى خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن كان خيرا فخير وإن كان شراً فشر والقيامة الكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبى صلى الله عليه وسلم لقوم من الأعراب وقد سألوه متى القيامة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم أخرجه مسلم وغيره ، وقال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى ... غداة أقيل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا ... خروجى وتعجيلى اليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتى ... غداة أتى يومى على وساعتى

(١) البصر وامر الساعة أقرب من لمح البصر قال

Marfat.com

ومنها يوم النفخة قال الله تعالى يوم ينفخ فى الصور وقد مضى القول فيه ومنها يوم الزلزلة ويوم الراجفة قال الله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وقدتقدم ومنها يوم الناقور كقوله تعالى فإذا نقر فى الناقور وقد تقدم القول فيه والحمد لله ، ومنها القارعة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها يقال قد أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده ، قالت الخنساء :

تعرفنى الدهر نهشا وحزا وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا

أرادت أن الدهر أوجعها بكبريات نوايبه وصغرياتها ومنها يوم البعث وحقيقته إثارة الشىء عن خفاء وتحريكه عن سكون ، قال عنترة :

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ليلا وقد مال الكرا بطلاها

وقال امرؤ القيس :

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعاً بين عات ونشوان

وقد تقدم القول فيه وفى صفته والحمد لله ، ومنها يوم النشور وهو عبارة عن الإحياء يقال قد أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى وانظر إلى العظام كيف ننشرها أى نحييها وقد يكون معناه التفريق من ذلك قولك أمرهم نشر ومنها يوم الخروج قال الله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لاخروج ولا دخول على ما يأتى ومنها يوم الحشر وهو عبارة عن الجمع وقد يكون مع الفعل إكراه قال الله تعالى وأرسل فى المدائن حاشرين أى من يسوق السحرة كرها وقد مضى القول فى الحشر مستوفى والحمد لله ، ومنها يوم العرض قال الله تعالى يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية وقال وعرضوا على ربك صفا وحقيقته إدراك الشىء بإحدى الحواس ليعلم حاله وغايته السمع والبصر ولا يزال الخلق قياما فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ماشاء الله أن يقوموا حتى يلهموا أو يهتموا فيقولون قد كنا نستشفع فى الدنيا فهلم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون إئتوا آدم الحديث وسيأتى قال ابن العربى وفى كيفية العرض أحاديث كثيرة المعول منها على تسعة أحاديث فى تسعة أوقات الأول الحديث المشهور الصحيح رواه أبو هريرة وأبو سعيد

الخدرى رضى الله عنهما واللفظ له قال إن ناسا فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة ضحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ما تضارون فى رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب ألا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم ، وذكر الحديث وسيأتى تمامه إن شاء الله تعالى ، الثانى صح من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نوقش الحساب عذب قلت يارسول الله أليس الله يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك

Marfat.com

الحساب ذلك العرض وسيأتى ، الثالث روى الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات وسيأتى ، الرابع روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال عن النبى صلى الله عليه وسلم يجاء بابن آدم يوم القيامة كانه بذج الحديث ، وسيأتى ، الخامس ثبت عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد الخدرى واللفظ له يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له ألم أجعل لك سمعا وبصراً ومالا وولدا وتركتك ترأس وترتع فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا فيقول لا فيقال له اليوم أنساك كما نسيتنى وهذا حديث صحيح . قلت خرجه مسلم والترمذى مطولا ، السادس ثبت من طرق صحاح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له عبدى تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا فلا يزال يقرره حتى يرى أنه قد هلك ثم يقول له عبدى أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، السابع وفى الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها وذكر الحديث ، الثامن وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول أى رب إذ أخرجتنى منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها وروى مسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا آبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك وذكر حديث الشفاعة قال الله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وذلك قوله فى الحديث المتقدم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا قال القاضى أبو بكر بن العربى وهذا مما أغفله الأئمة فى التفسير ، التاسع العرض على الله ولا أعلمه فى الحديث إلا قوله فى النص المتقدم حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين وذكر الحديث قلت إذا تتبعت الأحاديث فى هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة ، وقد خرج مسلم عن أبى بردة الأسلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى

Marfat.com

عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتى وقوله فى الحديث الآخر إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله وخرج مسلم عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان الحديث وسيأتى وخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب الحديث وسيأتى ويتضمن من غير رواية البخارى عرض اللوح المحفوظ ثم إسرافيل ثم جبرائيل ثم الأنبياء نبيا نبيا صلوات الله عليهم أجمعين وسيأتى وخرج الترمذى وابن ماجة حديث الرجل الذى ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا وسيأتى وهذا كله من باب العرض على الله وإذا تتبعت الأحاديث كانت أكثر من هذا فى مواطن مختلفة وأشخاص متباينة والله أعلم وفى بعض الخبر أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا يكشف مساويهم على رؤوس الخلائق قلت وأما ماوقع ذكره فى الحديث من كشف الساق وذكر الصورة فيأتى إيضاحه(١) وكشفه فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وأما ماجاء من طول هذا اليوم ووقوف الخلائق فيه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقد جاء من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت ما أطول هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا ذكره قاسم بن اصبغ وقيل غير هذا وسيأتى ومنها يوم الجمع وحقيقته فى العربية ضم واحد إلى واحد فيكون شفعاً أو زوجا إلى زوج فيكون جمعا قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقال ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه وهو فى القرآن كثير ومنها يوم التفرق قال الله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون وهو معنى قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق

(١) إيضاحه ذلك وكشفه ان شاء الله

Marfat.com

فى السعير ومنها يوم الصدع والصدر ايضا قال الله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا وقال يومئذ يصدعون ومعناهما معنى الاسم الذى قبله ومنها يوم البعثرة ومعناه تتبع الشىء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى **الاجسام** من التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما فى الحديث الصحيح ان الله تعالى يجمع الأولين والآخرين فى صعيد واحد خرجه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ومنها ما روى أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم وهو صحيح أيضا وسيأتى وقال صلى الله عليه وسلم يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ومنها يوم الفزع وحقيقته ضعف النفس عن حمل المعانى الطارئة عليها خلاف العادة فإن استمر كان جبنا وعند ذلك تتشوق النفس إلى مايقويها فلأجل ذلك قالوا فزعت من كذا أى ضعفت عن حمله عند طريانه على خلاف العادة وفزعت إلى كذا أى تشوقت نفسى عند ذلك إلى مايقويها على مانزل بها والآخرة كلها خلاف العادة وهى فزع كلها وفى التنزيل لايحزنهم الفزع الأكبر وقد اختلف فيه فقيل هو قوله لابشرى يومئذ للمجرمين وقيل إذا طبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار وقال الحسن هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار وعنه أن الفزع الأكبر النفخة الآخرة وتتلقاهم الملائكة بالبشارة حتى يخرجوا من قبورهم ومنها يوم التناد بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من ند إذا ذهب وهو قوله تعالى يوم تولون مدبرين وهو الذهاب فى غير قصد وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض[1] وهى التى يقول الله ماينظرون إلا صيحة واحدة مالها من فواق فيسير الله الجبال ويرج الأرض بأهلها رجا وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة فيميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين قال ابن العربى وقد رويت فى ذلك أثار كثيرة هذا أمثلها فدعوها فالمعنى الواحد يكفينا منها

(١) والارض الحديث وقد تقدم

Marfat.com

ومن هولها ومن تحقيق المعنى لها قلت قد بينا أقوال العلماء فى ذلك عند ذكر حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى باب أين تكون الناس فتأمله هناك ومنها يوم الدعاء وهو النداء أيضا والنداء على ثمانية وجوه فيما ذكر ابن العربى الأول نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع الثانى نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم الثالث يدعى كل أناس بإمامهم وهو قوله لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قال المؤلف ويقال بكتابهم وقيل بنبيهم قال سرى السقطى تدعى الأمم يوم القيامة بأنبياثها فيقال يا أمة موسى يا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله فانهم ينادون ياأولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً (الرابع) نداء الملك ألا أن فلان بن فلان قد سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا وان فلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وسيأتى (الخامس) النداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت (السادس) نداء أهل النار يا حسرتنا وياويلتنا (السابع) قول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (الثامن) نداء الله تعالى أهل الجنة فيقول ياأهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أعطيتكم أفضل من ذلك رضائى قال المؤلف رضى الله عنه ونداء تاسع ذكره أبو نعيم عن مروان بن محمد قال قال أبو حامد الأعرج يخاطب نفسه يا أعرج ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فتقوم معهم فأراك ياأعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة وفى التنزيل يوم يناديهم فيقول أين شركائى الآية التى فى القصص وحم السجدة ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين والنداء فى الأخبار كثير يأتى بيانها وذكرها فى باب من يدخل الجنة بغير حساب ومنها يوم الواقعة وأصل. وقع فى كلام العرب كان ووجد وجاءت الشريعة فى تأكيد ذلك بثبوت ما وجد قال الله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم والمراد بالقول هنا إخبار البارى عن الساعة وأنها قريبة ومن أعظم علاماتها الدابة وسيأتى ذكرها وما للعلماء فيها من الأشراط إن شاء الله تعالى وقوله كاذبة مصدر كالباقية والعاقبة أى ليس لوقعتها مقالة كاذبة ومنها الخافضة الرافعة أى

Marfat.com

ترفع قوما فى الجنة وتخفض أخرى فى النار والخفض والرفع يستعملان عندالعرب فى المكان والمكانة والعز والإهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب فى إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفى التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده فرفع أولياءه فى أعلا وجعل أعداءه فى أسفل الدركات قال الله تعالى يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث جابر رضى الله عنه نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس قال ابن العربى وهذا حديث فيه تخليط فى كتاب مسلم لم يتقنه رواية ومعناه أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنهم وفى رواية أكون أنا وأمتى يوم القيامة على تل فيكسونى ربى حلة خضراء ثم يؤذن لى فذلك المقام المحمود قلت وهذا الرفع فى المكان بحسب الزيادة فى المكانة قال ابن العربى وهى أنواع فرفع محمدا صلى الله عليه وسلم بالشفاعة فى أول الخلق وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها ورفع العادلين بالحديث الصحيح المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم يقال اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها وسيأتى ورفع الشهداء فقال فى الحديث الصحيح إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله الحديث وسيأتى ورفع كافل اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد فى الجوار وقال صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وانعما ورفع عائشة(١)

---

(١) قبح الله النواصب فما لذكر هذا معنى لولا حقد فى نفس هذا الخبيث على فاطمة صلى الله عليها وسلم وهل يعقل أن لا تكون سيدة نساء أهل الجنة مع أبيها فى الجنة التى يعطى فيها أقل الناس منزلة قدر الدنيا وضعفها فيضيق منزل النبى صلى الله عليه وسلم عن وجود ابنته معه **احمد بن الصديق**

على فاطمة رضى الله عنهما فإن عائشة مع النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة مع على رضى الله عنهما ومنها يوم الحساب ومعناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة ويعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فقيل ان الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معا ولا يحاسبهم واحدا بعد واحد والمحاسبة حكم فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه قال الله تعالى الا له الحكم وقال وهو خير الحاكمين وفى الخبر أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له ياشيخ ماأنصفت عذوتك بالنعم صغيرا فلما كبرتك عصيتنى اما إنى لاأكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ماكان قبل وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه وصطكت ركبتاه فيقول الرب جل جلاله أما استحييتنى أما راقبتنى أماخشيت نقمتى أما علمت انى مطلع عليك خذوه إلى امه الهاوية وقيل إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما ان الحكام يحكمون بأمر الله تعالى وقد قال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى قوله ولا يكلمهم الله وان من لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حسابا يسيرا من غير ترجمان إكراما لهم كما أكرم موسى عليه السلام فى الدنيا بالكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة ويميزهم بذلك عن اهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لاحداث خلائق كثيرة معا قال الله تعالى ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أى الا كخلق نفس واحدة ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة وفى صحيح مسلم حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر وليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفس محمد بيده لاتضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أيافل ألم أكرمك وأسودك وازوجك واسخر

Marfat.com

لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول افظننت أنك ملاق فيقول لا فيقول إنى أنساك كما نسيتنى ثم يلقى الثانى فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وتصدقت وصمت ويثنى بخير مااستطاع قال فيقول هاهنا إذا ثم يقول الآن نبعث شاهداً عليك فيقول فى نفسه من ذا الذى يشهد على فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقى فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذى يسخط الله عليه وقد قال الله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أى حاسبا فعيلا بمعنى فاعل وإذا نظر فيها ورأى أنه قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له لا إله إلا الله فى كفة فرجحت له السموات والأرض وفى رواية فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وسيأتى وقال من نوقش الحساب عذب ومنها يوم السؤال والبارى سبحانه وتعالى يسأل الخلق فى الدنيا والآخرة تقريرا لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة قال الله تعالى سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة وقال واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر وقال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهو فى القرآن كثير وقال ليسأل الصادقين عن صدقهم وقال وإذا الموؤودة سئلت وقال فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قيل عن لا إله إلا الله وقال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وقال عليه السلام لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتى ، وروى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع ومسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ومنها يوم الشهادة ويوم يقوم الأشهاد والشهادة على أربعة أنواع شهادة محمد وأمته تحقيقا لشهادة الرسل على قومها (الثانى) شهادة الأرض والأيام والليالى بما عمل فيها وعليها (الثالث) شهادة الجوارح قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وذلك بين أيضا فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه (الرابع) حديث أنس رضى الله عنه وفيه ويختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله وسيأتى

Marfat.com

بيان هذا الباب كله إن شاء الله تعالى ومنها يوم الجدال قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها أى تخاصم وتحاج عن نفسها وجاء فى الخبر أن كل أحد يقول يوم القيامة نفسى نفسى من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يسأل فى أمته على ما يأتى وفى حديث عمر رضى الله عنه أنه قال لكعب الأحبار يا كعب خوفنا هيجنا حدثنا نبهنا فقال كعب يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأتت عليك تارات ولا يهمك إلا نفسك وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى منتخب إلا وقع جاثياً على ركبتيه حتى إن ابراهيم الخليل ليدلى بالخلة فيقول رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك اليوم إلا نفسى قال يا كعب أين نجد ذلك فى كتاب الله تعالى قال قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال ابن عباس رضى الله عنه فى هذه الآية ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح رب الروح منك أنت خلقته لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها ولا أذن أسمع بها ولا عقل أعقل به حتى جئت فدخلت فى هذا الجسد فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى فيقول الجسد رب أنت خلقتنى بيدك فكنت كالخشبة ليس لى يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ولا بصر أبصر به ولا سمع أسمع به فجاء هذا كشعاع الشمس فبه نطق لسانى وبه أبصر عينى وبه مشت رجلى وبه سمعت أذنى فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى قال : فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد أدخلا بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا ينالها فنادى المقعد للأعمى إيتنى فاحملنى آكل وأطعمك فدنا منه فحمله فاصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب قالا عليهما ، قال عليكم جميعاً العذاب .

قال المؤلف رضى الله عنه وأرضاه ومن هذا الباب قول الأمم كيف يشهد علينا من لم يدركنا إلى غير ذلك مما فى معناه حسب ما ياتى ومنها يوم القصاص وفيه أحاديث كثيرة ياتى ذكرها فى باب إن شاء الله تعالى ومنها يوم الحاقة وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها قاله الطبرى كانه جعلها من باب ليل نائم كما تقدم

Marfat.com

وقيل سميت حاقة لأنها كانت من غير شك وقيل سميت بذلك لأنها أحقت لأقوام الجنة وأحقت لأقوام النار ومنها يوم الطامة معناها الغالبة من قولك طم الشيء إذا علا وغلب ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء قال الحسن للطامة النفخة الثانية وقيل حين يسار أهل النار إلى النار ومنها يوم الصاخة قال عكرمة الصاخة النفخة الأولى والطامة النفخة الثانية قال الطبرى أحسبه من صخ فلان فلانا إذا أصمه قال ابن العربى الصاخة التى تورث الصمم وإنها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض أحداث الأسنان حدثى الأزمان :

* أصم بك الناعى وإن كنت أسمعا *

وقال آخر :

أصمنى سيرهم أيام فرقتهم فهل سمعتم بسير يورث الصمما

ولعمرو الله ان صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة وبهذا كله كان يوما عظيما كما قال الله تعالى فى وصفه بالعظيم وكل شيء كبر فى أجزائه فهو عظيم وكذلك ما كبر فى معانيه وبهذا المعنى كان البارى عظيما لسعة قدرته وعلمه وكثرة ملكه الذى لايحصى ولما كان أمر الآخرة لا ينحصر كان عظيما بالإضافة إلى الدنيا ولما كان محدثا له أول صار حقيرا بالإضافة إلى العظيم الذى لايحد ومنها يوم الوعيد وهو أن البارى سبحانه أمر ونهى ووعد وأوعد فهو أيضا يوم الوعد والوعد للنعيم والوعيد للعذاب الأليم وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة والوعد الخبر عن المثوبة عند الموافقة وقد ضل فى هذه المسألة المبتدعة وقالوا إن من أذنب ذنبا واحدا فهو مخلد فى النار تخليد الكفار أخذا بظاهر هذا اللفظ فى آى فلم يفهموا العربية ولا كتاب الله وأبطلوا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتى الرد عليهم فى أبواب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ومنها يوم الدين وهو فى لسان العرب الجزاء قال الشاعر .

حصادك يوما مازرعت وإنما يدان الفتى يوما كما هو دائن

وقال آخر :

واعلم يقينا أن ملكك زائل واعلم بأن بانك كما تدان

Marfat.com

ومنها يوم الجزاء قال الله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وهو أيضاً يوم الوفاء قال الله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أى حسابهم وجزاؤهم والجنة جزاء الحسنات والنار جزاء السيئات وقال الله تعالى فى المعنيين جزاء بما كانوا يكسبون وجزاء بما كانوا يعملون وقال فى جهة الوعيد كذلك نجزى كل كفور ومنها يوم الندامة وذلك أن المحسن إذا رآى جزاء حسناته والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثرا وندم المسىء أن لا يكون استعتب فإذا صار الكافر إلى عذاب لا نفاد له تحسر فلذلك سمى يوم الحسرة قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وذلك عند ذبح الموت على ما ياتى وهم فى غفلة يعنى الآن عن ذلك اليوم والحسرة عبارة عن استكشاف المكروه بعد خفائه ومنها يوم التبديل قال الله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقد تقدم القول فى ذلك مستوفى ومنها يوم التلاق قال الله تعالى لينذر يوم التلاق وهو عبارة عن اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين وهو أنواع أربعة الأول لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا كما تقدم الثانى عمله وقد تقدم الثالث لقاء أهل السموات لأهل الأرض فى المحشر وقد تقدم الرابع لقاء الخلق للبارى سبحانه وتعالى وذلك يكون فى عرصات القيامة وفى الجنة على ما يأتى ومنها يوم الآزفة تقول العرب أزف كذا أى قرب قال الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

وهى قريبة جدا وكل آت قريبٌ وإن بعد مداه قال الله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة ومنها يوم المآب ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شىء فيرجع إليه وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله فلما خلق فيه علما وخلق فيه ايثارا واختيارا ظن الناس أنه شىء أو أن له فعلا فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب فى وقت لا ينفعه الإياب ولم يزل عن الله تعالى فى حال فهو الأواب ومنها يوم المصير وهو يوم المآب بعينه قال الله تعالى ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى وآخر ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال الله تعالى فى حق الكافرين قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار

Marfat.com

ومنها يوم القضاء وهو أيضا يوم الحكم والفصل وسيأتى أن أول مايقضى فيه الدماء وقال ﷺ مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الحديث وفيه كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد والفصل هو الفرق والقطع فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسىء والمحسن قال الله تعالى يوم القيامة يفصل بينكم الآية وهو يوم الحكم لأن انفاذ الحكم هو انفاذ العلم قال الله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم الآية وقال ذلك حكم الله يحكم بينكم ومنها يوم الوزن قال الله تعالى والوزن يومئذ الحق الآية وسيأتى الكلام فى الميزان ووزن الأعمال فيه فى أبواب إن شاء الله ومنها يوم عقيم وهو فى اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الأبوين وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع بالبعدية فيها كهيئة الولادة ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم ومنها يوم عسير وهذا فى حق الكافرين خاصة والعسر ضد اليسر فهو عسير على الكافرين فإنهم لا يرون فيه أملا ولا يعطون رجاء حتى إذا خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك فيقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتى بيانه فى أبواب النار إن شاء الله تعالى وأما المؤمنون فتنحل عقدهم بيسر إلى يسر فينحل طول الوقوف إلى تعجيل الحسنات وتثقيل الموازين وجواز الصراط والظلال بالأعمال ولا تنحل للكافرين من هذه العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلى جهنم دار القرار ومنها يوم مشهود سمى بذلك لأنه يشهده كل مخلوق وقيل سمى بذلك لأن الشهداء يشهدون فيه على ما يأتى والله أعلم ومنها يوم التغابن سمى بذلك لأن الناس يتغابنون فى المنازل عند الله فريق فى الجنة وفريق فى السعير وحقيقته فى لسان العرب ظهور الفضل فى المعاملة لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار لعملين وحالين وكل واحد منهما لله ولا يعطى أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الأخرى قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد وقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له فى الآخرة من نصيب ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور وحظه فى الآخرة موفور ومنها يوم عبوس قطرير والقمطرير

Marfat.com

الشديد وقيل الطويل وأما العبوس فهو الذى يعبس فيه سمى باسم ما يكون فيه كما يقال ليل قائم ونهار صائم وكلوح الوجه وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغير السحنة عن عادتها الطلقة يقال يوم طلق إذا كانت شمسه نيرة فاترة وإذا كانت شمسه مدجية قد غطاها السحاب قيل يوم عبوس وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال فى الصور القبيحة كما تقدم وآخر ذلك كلوح النار وهو الكلوح الأعظم يشوى الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتى ومع العبوس تشخص الأبصار وهو ثبوتها راكده على منظر واحد لهول لا ينتقل منه إلى غيره كما قال سبحانه ليوم تشخص فيه الأبصار ومنها يوم تبلى السرائر ومعناه اخراج المخبآت بالاختبار بوزن الأعمال فى الصحف وبكشف الساق عند السجود على ما يأتى ومنها يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وهو مثل قوله واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغنى أحد عن أحد شيئا بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه ولذلك كان يوم الفصل ويوم الفرار قال الله تعالى إنه يوم الفصل كان ميقاتا وقال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه أما إنه يجزى ويقضى ويعطى ويغنى بغير اختياره من حسناته ماعليه من الحقوق على ما يأتى بيانه فى أحاديث المفلس(١) ومنها يوم يدعون إلى نار جهنم دعا والدع الدفع أى يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها على وجوههم كما قال تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم ومنها يوم التقلب وهو التحول قال الله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر فلا هى ترجع إلى أماكنها ولا هى تخرج فأما تقلب الأبصار فالزرق بعد الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب(٢) بين الطمع فى النجاة والخوف من الهلاك والإبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بهم وقيل إن قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم فى الآخرة ومنها يوم الشخوص والاقناع قال الله تعالى إنما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار لا تغمض فيه من هول ماترى فى ذلك اليوم قاله الفراء

(١) المفلس ان شاء الله تعالى ومنها (٢) تتقلب القلوب بين

وقال ابن عباس رضى الله عنه تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغتمضون مهطعين أى مديمى النظر قال مجاهد والضحاك مقنعى رؤسهم أى رافعى رؤسهم واقناع الرأس رفعه قاله ابن عباس ومجاهد وقال الحسن وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد (فإن قيل) فقد قال الله تعالى فى غير هذه الآية خاشعا أبصارهم وقال خشعا أبصارهم فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظرا طويلا حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر .

فالجواب أنهم يخرجون حال المضى إلى الموقف خاشعة أبصارهم وفى هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لاقلوب لهم ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ولا يرتد إليهم طرفهم كأنهم قد نسوا الغمض أوجهلوه فهو تعسير عليهم ومنها يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وذلك حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وتطبق عليهم جهنم على ما يأتى بيانه فى أبواب النار ومنها يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وان أذن لهم بأن يمكنوا منها لا بأن يقال لهم اعتذروا كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية وكقوله ربنا أخرجنا منها الآية ومنها ولا يكتمون الله حديثا ومنها يوم الفتنة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون أى يعذبون من قولك فتنت الذهب اذ رميت به فى النار ومنها يوم لا مرد له من الله يريد يوم القيامة أى لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعل له أجلا ووقتا ومنها يوم الغاشية وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بإفزاعها أى تعمهم بذلك ومنه غاشية السرج ومنها فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ومنها يوم لا بيع فيه ولا خلال قال الله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال وقال تعالى يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والخلة والخلال الصداقة والمودة ومنها يوم لا ريب فيه وان وقع فيه ريب الكفار أى شك فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال الله تعالى أفى الله شك فليس فى البارى شك لقيام الأدلة عليه ولشهادة أفعاله ولاقتضاء المحدث أن يكون له محدث ولكن قد

Marfat.com

شك فيه قوم ونفاه آخرون ولم يوجب ذلك شكا فيه لقيام الأدلة عليه فكذلك يوم القيامة لاريب ولا شك فيه مع النظر فى الدليل والعلم فإذا خلق الله تعالى الرين على القلب كان الشك قال الله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ومنها يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ومنها يوم الأذان دخل طاووس على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الأذان فقال ومايوم الأذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاووس هذا دل الصفة فكيف دل المعاينة ومنها يوم الشفاعة قال الله تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه وقال تعالى ولايشفعون إلا لمن ارتضى وقال لاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقال فما لنا من شافعين وسيأتى بيانه ومنها يوم العرق وسيأتى بيانه فى أحاديث فى الباب بعد هذا بحول الله وقوته ومنها يوم القلق والجولان وهو عبارة عن عدم الاستقرار والثبوت يقال قلق الرجل يقلق قلقا إذا لم يستقر ومثله جال يجول إذا لم يثبت ومنها يوم الفرار قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه فيفر كل واحد من صاحبه حذرا من مطالبته إياه اما لما بينهم من التبعات أو لئلا يروا ماهو فيه من الشدة وقال عبد الله بن طاهر الأبهرى يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى وقال الحسن أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم وأول من يفر من أمه نوح وأول من يفر من امرأته لوط قال فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرى نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة وصحبه الكرام البررة وجعلنا ممن حشر فى زمرتهم ولا خالف بنا عن طريقهم ومذهبهم بمنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال المؤلف وقد سرد تسمية هذه الأيام من غير تفسير غير واحد من العلماء منهم ابن نجاح فى سبل الخيرات وأبو حامد الغزالى فى غير موضع من كتبه كالإحياء وغيره والقتبي فى كتاب عيون الأخبار وهذا تفسيرها حسب ماذكره القاضى أبو بكر بن

Marfat.com

العربى فى سراج المريدين وربما زدنا عليه فى ذلك والحمد لله على ذلك ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ماذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الإزدحام والتضايق واختلاف الأقدام والخزى والهوان والذل والافتقار والصغار والانكسار ويوم الميقات والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء وسيأتى التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى فى الباب بعد هذا .

باب مايلقى الناس فى الموقف من الأهوال العظام والأمور الجسام

قال المحاسبي فى كتاب التوهم والأهوال يحشر الله الأمم من الإنس والجن عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله فى أرضه . ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خطية أصابتها حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار للملك الجبار ، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان ، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم (١) وهى خمسمائة عام فياهول صوت انشقاقها فى سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقال (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتها إلى الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحدارهم من السماء لعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسى رؤوسهم لعظيم هول يومهم قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة

(١) رؤوسهم وجميع ذلك بعينك أهل الموقف ينظرون الى هوله انشقت بعظمها فوق رؤوسهم

والخضوع لربهم وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم فى العدة وعظم الأجسام والأصوات حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أوقوس فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضح بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الأمم وتضايقت ودفع بعضها بعضا واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش قد اجتمع عليهم فى مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الأرض ثم على أقدامهم ثم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء فمنهم من يبلغ العرق منكبيه وحقويه ومنهم إلى شحمة أذنيه ومنهم من قد ألجمه العرق فكاد أن يغيب فيه . قلت : ذكر المحاسبى وغيره أن انفطار السماء وانشقاقها بعد جمع الناس فى الموقف وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم . وقد جاء ذلك مرفوعا فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه وقد تقدم وماذكره المحاسبى مروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد فى سعتها كذا وكذا وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وإنسهم فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء عن أهلها فينتشرون على وجه الأرض فلأهل السماء أكثر من أهل جميع الأرض جنهم وإنسهم بالضعف الحديث بطوله ذكره ابن المبارك فى رقائقه .قال: أخبرنا عوف عن أبى المنهال سيار بن سلامة الرياحى قال أخبرنا شهر بن حوشب . قال : حدثنى ابن عباس فذكره . قال ابن المبارك وأخبرنى جويبر عن الضحاك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر السماء التى تليها فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الأعلى فى بهائه وجلاله وملكه وبجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة

Marfat.com

فذلك قوله تعالى (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) والسلطان العذر وذلك قوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفا صفا وقال وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها) يعنى على حافاتها يعنى بأرجائها ماتشقق منها فبينا هم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب . قلت ولا يصح إسنادهما فإن شهرا وجويبرا قد تكلم فيهما وضعفوهما قال البخارى فى التاريخ جويبر بن سعيد الباخى عن الضحاك قال لى على قال يحيى كنت أعرف جويبر أبحديثين ثم أخرج هذه الأحاديث بعد فضعفه وأما شهر فقال مسلم فى صدر كتابه سئل ابن عوف عن حديث شهر وهو قائم على أسكفة الباب فقال إن شهرا نزكوه ان شهرا نزكوه قال مسلم يقول أخذته ألسنة الناس تكلموا فيه وقال عن شعبة وقد لقيت شهرا فلم أعتد به وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة نحوا مما ذكر المحاسى عن ابن عباس رضى الله عنه والضحاك فقال إن الخلائق إذا اجتمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوهم إلى الأرض الثانية وهى أرض بيضاء من فضة نورية وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقة واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة فإذا هم مثلهم عشرون مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فإذا هم أكثر منهم ثلاثون ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة أكثر منهم بأربعين ضعفا ، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستون مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعون مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام وتخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر وإلى الحلقوم وإلى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ومنهم من

تصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء وكيف لايكون الفلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها ويضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الارض وذابت الصخر ونشفت الأنهار فبينما الخلائق يموجون فى تلك الأرض البيضاء التى ذكر الله تعالى حيث يقول « يوم تبدل الأرض غير الأرض » وهم على أنواع فى المحشر على ماتقدم فى حديث معاذ والملوك كالذر كما قد ورد في الخبر في وصف المتكبرين وليس هم كهيئة الذر غير أن الأقدام عليهم حتى صاروا كالذر فى مذلتهم وانخفاضهم وقوما يشربون ماء باردا عذبا صافيا لان الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤوس من أنهار الجنة يسقونهم

وعن بعض السلف أنه نام فرأى القيامة قد قامت وكأنه فى الموقف عطشان وصبيان صفا يسقون الناس قال فناديتهم ناولونى شربة فقال لى واحد منهم الك فينا ولد فقلت لا فقال فلا إذا ولهذا فضل التزويج ولهذا الولد الساقى شروط ذكرناها فى الأحياء وقوم قدموا على رؤوسهم ظل يمنعهم من الحر وهى الصدقة الطيبة لايزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقور الذى وصفناه فى كتاب الإحياء وهو من بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخشع الأبصار لعظيم نقره وتشتاف الرؤوس من المؤمنين والكافرين يظنون أن ذلك عذاب يزدادبهم في هول يوم القيامة فاذا بالعرش تحمله ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسبيح لهم هرج عظيم لاتطيقه العقول حتى يستقر العرش فى تلك الأرض البيضاء التى خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة فتطرق الرؤوس وتخنس وتشفق البرايا وترغب الأنبياء وتخاف العلماء وتفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله سبحانه الذى لايطيقه شىء إذ غشاهم نور حتى غلب على نور الشمس التى كانوا فى حرها فلا يزالون يموج بعضهم فى بعض ألف عام والجليل لايكلمهم كلمة واحدة فحينئذ يذهب الناس إلى آدم فيقولون ياأبا البشر الأمر علينا شديد وأما الكافر فيقول يارب أرحنى ولو إلى النار من شدة مايرى من الهول يقولون أنت الذى خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه

Marfat.com

اشفع لنا فى فصل القضاء وذكر أمر الشفاعة من نبى إلى نبي وان مابين اتيانهم من نبي إلى نبي ألف عام حتى تنتهى الشفاعة إلى نبينا محمدصلى الله عليه وسلم على ما يأتى بيانه من أمر الشفاعة فى أحاديث ان شاء الله تعالى ونحو من هذا ذكره الفقيه أبوبكربن برجان فى كتاب الارشاد له قال فاذا كان يومئذ جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد وكورت الشمس وانكدرت النجوم ومارت السماء فوق الخلائق مورا وتفطرت من عظيم هول ذلك اليوم وتشققت بالغمام المنزل عليهن من فوقهن ثم صارت وردة كالدهان وكشطن سماء سماء ونزلت الملائكة تنزيلا وقام الخلائق وطال قيامهم أقل ماقيل فى قيامهم مقدار أربعين عاما إلى ثلثمائة عام وأى ماكان فاليوم يسعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب إبل الحديث وفيه ردت عليه أولاها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وسيأتى بكماله وهم فى قيامهم ذلك فى الظلمة دون الجسر كما فى صحيح مسلم من حديث ثوبان عراة غرلا أعطش ماكانوا وأجوع ماكانوا عليه قط عراة فلا يسقى ذلك اليوم إلا من سقى لله عز وجل ولا يطعم إلا من أطعم لله ولا يكسى يومئذ إلا من كسى لله ولا يكفى إلا من اتكل على الله ومصداق هذا من كتاب الله عز وجل قوله الحق يوفون بالنذر إلى قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم أى من إزالة الجوع والعطش والعرى إلى غير ذلك من أهوال القيامة وأفزاعها على مايأتى بيانه فى هذا الباب الذى يليه .

أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى معاوية عن عاصم عن أبى عثمان عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين قال فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل قال سلمان حتى يقول الرجل غرغر فاذا رأوا ماهم فيه قال بعضهم لبعض ألاترون ما أنتم فيه ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم الحديث بطوله وسيأتى مرفوعا من حديث أبى هريرة وأخرجه ابن المبارك قال أنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان قال تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحرية ولا يرى فيها عورة مؤمن ولا مؤمنة ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة وأما الآخرون أو قال الكافر فتطبخهم طبخا فإنما تقول

Marfat.com

أجوافهم غق غق قال نعيم الطحرية الخرقة وأخرجه هناد بن السرى حدثنا قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمى فذكره سواء إلا أنه قال ولايجد حرها بدل ولا يضر وقال وأما الكافر أو الآخرون فتطبخهم طبخا حتى يسمع لأجوافهم غق غق .

مسلم عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم بن عامر فوالله ما أدرى مايعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما قال وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه وأخرجه الترمذى وزاد بعد قوله تكحل به العين فتصهرهم الشمس وذكر ابن المبارك أخبرنا مالك ابن مغول عن عبيد الله بن العيزار قال إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل فى القرن والسعيد الذى يجد لقدميه موضعا يضعها عليه وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لايكون بينها وبين رؤوسهم إما قال ميلا أو ميلين ثم يزاد فى حرها بضعة وستون ضعفا وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى ألا إن فلان بن فلان قد ثقلت ميزانه وسعد سعادة لايشقى بعدها أبدا ألا إن فلان بن فلان خفت موازينه وشقى شقاء لايسعد بعده أبدا مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعا وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم يشك ثورايهما قال أخرجه البخارى وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يوم يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه أخرجه البخارى والترمذى وقال حديث صحيح مرفوعا وموقوفا وروى هناد بن السرى قال حدثنا محمد بن فضيل عن ضرار بن مرة عن عبد الله بن المكتب عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل ياأبا عبد الرحمن قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال ان العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه وخرج الوائلى من حديث

Marfat.com

ابن وهب قال حدثنى عبدالرحمن بن ميسرة عن أبى هانىء عن أبى عبدالرحمن الحبلى عن عبدالله ابن عمرو رضى الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم إذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لاينظر إليكم قال الوائلى غريب جيد الإسناد وقد خرج مسلم لابن وهب عن أبى هانىء نفسه عن الحبلى عن عبدالله أحاديث ابن المبارك قال أخبرنا الأوزاعى قال سمعت بلال بن سعد يقول إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله عز وجل يقول الإنسان يومئذ أين المفر وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وفى حديث جويبر عن الضحاك فينزل الملك وبجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة فذلك قوله يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان والسلطان العذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفنى جبريل يوم القيامة حتى أبكانى فقلت ياجبريل ألم يغفرلى ربى ذنبى ماتقدم وما تأخر فقال لى يامحمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ماينسيك المغفرة ذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله

(فصل) قلت ظاهر مارواه ابن المبارك عن سلمان أن الشمس لايضر حرها مؤمن ولا مؤمنة العموم فى المؤمنين وليس كذلك لحديث المقداد المذكور بعده وإنما المراد لايضر حرها مؤمنا كامل الإيمان أو من استظل بظل عرش الرحمن كما فى الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله الحديث رواه الأئمة مالك وغيره وسيأتى فى الباب بعد هذا وكذلك ماجاء أن المرء فى ظل صدقته وكذلك الأعمال الصالحة أصحابها فى ظلها إن شاء الله وكل ذلك من ظل العرش والله أعلم وأما غير هؤلاء فمتفاوتون فى العرق على مادل عليه حديث مسلم قال ابن العربى وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف ساقيه وإلى جانبيه مثلا يمنة من يبلغ كعبيه ومن الجهة الشمال من يبلغ ركبتيه ومن أمامه من يكون عرقه إلى نصفه ومن خلفه من يبلغ العرق صدره وهذا خلاف المعتاد فى الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا فى الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذا واحدا ولا يتفاوتون كما ذكرنا مع

استواء الأرض ومجاورة المحل وهذا من القدرة التى تخرق العادات فى زمن الآيات وقال الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الإرشاد له ولا يبعدن عليك هذا يرحمك الله أن يكون الناس كلهم فى صعيد واحد وموقف سواء يشرب أحدهم أو بعضهم من الحوض ولا يشرب الغير ويكون النور يسعى بين يدى البعض فى الظلمات مع قرب المكان وازدحام الناس ويكون أحدهم يغرق فى عرقه حتى يلجمه أو يبلغ منه عرقه ماشاء الله جزاء لسعيه فى الدنيا و لآخرة فى ظل العرش على قرب المكان والمجاورة كذلك كانوا فى الدنيا يمشى المؤمن بنور إيمانه فى الناس والكافر فى ظلام كفره والمؤمن فى وقاية الله وكفايته والكافر والعاصى فى خذلان الله لهما وعدم العصمة والمؤمن السنى يكرع فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى ببرد اليقين ويمشى فى سبل الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان إلى ماروى المؤمن به حيران لايشعر سالك فى مسالك ضلالات البدع وهو لا يدرى كذلك فى الوجود الأعمى لايجد نور بصر البصير ولاينفعه دوا إنما هى بواطن ظهرت وظواهر بطنت فتشعر لذلك وتفطن واستعن بالله يعنك والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقال أبو حامد واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العارف فى تحمل مصاعب الدنيا أهون أمرا واقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته وذكر أبو نعيم عن أبى حازم أنه قال لو نادى مناد من السماء أمن أهل الأرض من دخول النار لحق عليهم الوجل من هول ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم .

باب ماينجى من أهوال يوم القيامة ومن كربها

مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة وذكر والحديث خرج الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول قال : حدثنا أبى رحمه الله قال

حدثنا عبد الله بن نافع قال حدثني ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فردعنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود احلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبي ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلموه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي وهو في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعده ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا[1] فجاءته صلاته فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة

[1] أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته

Marfat.com

فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لاإله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة قلت هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة والله أعلم وقد ينجى منها كلها ماثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدى وخرج عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل فقال إنى كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجاوز فى السكة أو فى النقد فغفر له فقال أبو مسعود رضى الله عنه وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من طرق وخرجه البخارى وروى مسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريماً له فتوارى عنه ثم وجده فقال إنى معسر قال آلله فقال آلله قال فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وعن أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله خرجه مسلم وقال أنس بن مالك رضى الله عنه من انظر مديونا فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطلبه وروى الائمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معاق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه معنى فى ظله أى فى ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيرا فى الحديث وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أشبع جائعاً وكسى عريانا وآوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة وخرج الطبرانى سليمان بن أحمد عن يزيد الرقاشى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة وفى التنزيل تحقيقا لهذا

Marfat.com

الباب وجامعا له قوله الحق يوفون بالنذر إلى قوله فوقاهم الله شر ذلك اليوم مع قوله إنا لانضيع أجر من أحسن عملا مع قوله فى غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

باب

ذكر أبو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان ابن أحمد قال حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا مالك بن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الذنوب ذنوبا لايكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة قال وما يكفرها يا رسول الله قال الهموم فى طلب المعيشة قال أحمد بن يحيى فقلت كيف سمعت هذا من يحيى بن بكير فلم يسمعه أحد غيرك قال كنت عند يحيى جالساً فجاءه رجل فذكر ضعفه فقال قال ابن بكير حدثنا مالك فذكره .

باب فى الشفاعة العامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل المحشر

مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنوا الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس ألا ترون ماأنتم فيه ألا ترون ماقد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أئتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا إلى نوح (١) فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى

(١) اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح

Marfat.com

ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون ياإبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألاترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثم قال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يارب أمتى أمتى فيقال يامحمد ادخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفى البخارى كما بين مكة وحمير .

(فصل) هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه السلام لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى رواه الأئمة البخارى ومسلم

Marfat.com

وغيرهما وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي لتعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ وقوله يا رب أمتي أمتي اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم وقوله فيقال يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لاحساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه صلى الله عليه وسلم المحمود الذى وعد به لذلك قال كل نبي لست لها لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أنا لها روى مسلم عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفى رواية فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم وذكر الحديث وذكر أبو حامد أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام وكذا بين كل نبي إلى محمد صلى الله عليه وسلم وذكر أيضا أن الناس فى الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم كمانع الزكاة والغال والغادر على ما يأتى بيانه وآخرون قد عظمت فروجهم وهى تسيل صديدا يتأذى بنتنها جيرانهم وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح مايكون وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكاذبون وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسى وهم آكلوا الربا وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه قاله فى كتاب كشف علوم الآخرة وذكر فى آخر الكتاب ان الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء والعلماء على منابر صغار دونهم ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسي من نور والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسى هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الإرشاد له ويلهم رءوس المحشر الطلب ممن يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك

باب ماجاء أن هذه الشفاعة هى المقام المحمود

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول أنا أذنبت ذنبا فأهبطت به إلى الأرض أئتوا نوحا فيقول إنى دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إنى كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول إنى قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيقول إنى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأنطلق معهم قال بن جدعان قال أنس فكأنى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا لله فيلهمنى من الثناء والحمد فيقال لى ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله فيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس إلا هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها قال الترمذى حديث حسن وخرجه أبو داود الطيالسى بمعناه عن ابن عباس رضى الله عنه فقال حدثنا حماد ابن سلمة قال حدثنا على بن زيد عن أبى نضرة قال خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى إلا وله دعوة كلهم قد تنجزها فى الدنيا وإنى ادخرت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ألا وإنى سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد تحته آدم صلى الله عليه وسلم ومن دونه ولا فخر ويشتد كرب ذلك اليوم على الناس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم أبى البشر فيشفع لنا إلى ربنا عز وجل حتى يقضى بيننا الحديث وفيه فيأتون عيسى عليه السلام

فيقولون اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فيقول إنى لست هنا كم إنى اتخذت وأمى الهين من دون الله ولكن أرأيتم لو أن متاعا فى وعاء قد ختم عليه أكان يوصل إلى مافى الوعاء حتى يفض الخاتم فيقولون لافيقول إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خصه اليوم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتينى الناس فيقولون اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فأقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد أين محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فأقوم وتتبعنى أمتى غرا محجلين من أثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها وذكر الحديث وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال إن الناس يصيرون يوم القيامة جثيا كل أمة تتبع نبيها تقول يافلان اشفع يافلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا سئل عنها قال هى الشفاعة قال هذا حديث صحيح .

(فصل) قوله فيفزع الناس ثلاث فزعات إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان فإذا نظرت إلى الخلائق فارت وثارت وشهقت إلى الخلائق وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضبا لغضب ربهم على مايأتى بيانه فى كتاب النار إن شاء الله تعالى فتتساقط الخلائق حينئذ على ركبهم جثاة حولها قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادى الظالمون بالويل والثبور . ثم تزفر الثانية فيزداد الرعب والخوف فى القلوب . ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون من طرف خفى خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها أجارنا الله منها .

(فصل) واختلف الناس فى المقام المحمود على خمسة أقوال (الأول) أنه الشفاعة العامة للناس يوم القيامة كما تقدم قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضى الله عنهم (الثانى) أنه أعطاؤه عليه السلام لواء الحمد يوم القيامة قلت : وهذا القول لاتنافى

بينه وبين الأول فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع . وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأناخطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولافخر . وفى رواية أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا أبسوا[1] لواء الكرم بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون (الثالث). ماحكاه الطبرى عن فرقة منها مجاهد . أنها قالت : المقام المحمود هو أن يجلس الله محمدا صلى الله عليه وسلم معه على كرسيه وروت فى ذلك حديثا قلت وهذا قول مرغوب عنه وإن صح الحديث فيتأول على أنه يجلسه مع أنبيائه وملائكته قال ابن عبد البر فى كتاب التمهيد ومجاهد وإن كان أحد الأئمة بتأويل القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا والثانى فى تأويل قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب ليس من النظر (الرابع) إخراجه طائفة من النار روى مسلم عن يزيد الفقير قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له ياصاحب رسول الله ما هذا الذى تحدثون والله تعالى يقول (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) (وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) فما هذا الذى تقولون فقال : أتقرأ القرآن قلت نعم قال فقال فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله عز وجل فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم الذى يخرج الله به من يخرج وذكر الحديث وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى مايبقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود قال : ثم تلا هذه الآية (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) قال هو المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم (الخامس) ما روى أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة وسيأتى :

(١) ابسوا وأنا مبشرهم إذا ابلسوا لواء

(فصل) إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذى يتدافعه الأنبياء عليهم السلام حتى ينتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم فاعلم أن العلماء اختلفوا فى شفاعاته وكم هى فقال النقاش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة فى السبق إلى الجنة وشفاعة فى أهل الكبائر وقال ابن عطية فى تفسيره والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة فى إخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لايتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء وقال القاضى عياض شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعات الأولى العامة الثانية إدخال قوم الجنة بغير حساب الثالثة فى قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هى التى أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهى الاستحقاق العقلى المبنى على التحسين والتقبيح الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين قلت وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها الخامسة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها وترفيعها قال القاضى عياض وهذه الشفاعة لاتنكرها المعتزلة ولاتنكر شفاعة الحشر الأول. قلت : وشفاعة سادسة لعمه أبى طالب فى التخفيف عنه كما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لاتنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة

(فصل) واختلف العلماء هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها ويشفقون على أنفسهم منها أم لا بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن الصغائر التى تزرى بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروأته إجماعا عند الماضى أبى بكر وعند الأستاذ أبى بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم فقال الطبرى

وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين تقع الصغائر منهم خلافا للرافضة حيث قالوا إنهم معصومون من جميع ذلك كله واحتجوا بما وقع من ذلك فى التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك فى الحديث وهذا ظاهر لاخفاء به وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر لأنا أمرنا باتباعهم فى أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقاً من غير التزام قرينة فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة والحظر أو المعصية ولايصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين قال الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايني : واختلفوا فى الصغائر والذى عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم ومال بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة . وقال بعض المتأخرين ممن ذهب الى القول الأول والذى ينبغى أن يقال إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلو منها واستغفروا منها وتابوا وكل ذلك ورد فى مواضع كثيرة لاتقبل التأويل جملتها وإن قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وإنما تلك الأمور التى وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك فهى بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفى حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السايس فأشفقوا من ذلك فى موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة وهذا هو الحق ولقد أحسن الجنيد رضى الله عنه حيث قال : حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم صلوات الله عليهم وسلامه وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح فى رتبهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه

بـــاب

ذكر ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال أخبرنى عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجرى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديث الشفاعة وفيه فيقول عيسى عليه السلام أدلكم على النبى الأمى فيأتونى فيأذن الله لى أن أقوم فيثور مجلسى أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى إلى ظفر قدمى ثم يقول الكافر قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذى أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك قد أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمه أحد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) الآية .

باب من أسعد الناس بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم

البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال لقد ظننت يا أباهريرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قبل نفسه وروى زيد بن أرقم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله الله مخلصا دخل الجنة قيل يارسول الله ما إخلاصها قال أن تحجزه عن محارم الله خرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول

Marfat.com

باب ما جاء فى تطاير الصحف عند العرض والحساب

وإعطاء الكتب باليمين والشمال ومن أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة وفى كيفية وقوفهم للحســـاب وما يقبل منهم من الأعمال وفى دعائهم بأسماء آبائهم وبيان قوله تعالى يوم ندعوا كل أناس بإمامهم وفى تعظيم خلق الإنسان الذى يدخل به النار أو الجنان وذكر القاضى العدل ومن نوقش عـــذب

قال الترمذى وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه فى الدنيا وقال عطاء الخراسانى يحاسب العبد يوم القيامة عند معارفه ليكون أشد عليه ذكره أبو نعيم البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يارسول الله أليس قد قال الله فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب أخرجه مسلم والترمذى ، وقال حديث حسن أبو داود الطيالسى قال حدثنا عمر بن العلاء اليشكرى قال حدثنى صالح بن سرج عن عمران بن حطان قال سمعت عائشة رضى الله عنها تقول وذكر عندها القضاة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط الترمذى عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله قال أبو عيسى ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة رضى الله عنه وقد رواه بعضهم عن على بن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى ﷺ قلت قوله وقد رواه بعضهم هو وكيع بن الجراح ذكره ابن ماجه قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا وكيع عن على بن على فذكره

Marfat.com

قال الترمذى وتكلم يحيي بن سعيد القطان فى على بن على وخرجه أبو بكر البزار أيضا عن أبى موسى الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال وأما الثالثة فتطاير الكتب يمينا وشمالا وذكره الترمذى الحكيم فى الأصل السادس والثمانين قال فروى لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف فالجدال للاهواء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم وإلى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الأعداء ثم يبعثهم إلى النار فإنه يجب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهراً حتى لا تأخذهم الحيرة ولذلك قيل عن رسول الله عليه وسلم لا أحد أحب اليه المدح من الله ولا أحد أحب إليه العذر من الله والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم فى تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء ويرفض عرقا بين يديه ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ثم يغفر لهم ويرضى عنهم وذكر أبو جعفر العقيلى من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحا فيطيرها بالأيمان والشمائل أول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقلت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً عند الميزان حتى يعلم أتخف ميزانه أم تثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز وذكر أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له أين يكون أبو بكر يا رسول الله قال هيهات زفته الملائكة إلى الجنان وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده فى كتاب

Marfat.com

التوحيد له عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع ياعبادى لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسئولون محاسبون يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب وأسند عن سمرة بن عطية قال يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفى صحيفته أمن الحسنات أمثال الجبال فيقول رب العزة تبارك وتعالى صليت يوم كذا وكذا ليقال فلان صلى أنا الله لا إله إلا أنا لى الدين الخالص صمت يوم كذا وكذا ليقال صام فلان أنا الله لا إله إلا أنا لى الدين الخالص تصدقت يوم كذا وكذا ليقال تصدق فلان أنا الله لا إله إلا أنا لى الدين الخالص فما زال يمحى شىء بعد شىء حتى تبقى صحيفته ما فيها شىء فيقول ملكاه ألغير الله كنت تعمل قلت ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع وقد رفع معناه الدارقطنى فى سننه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدى الله عز وجل فيقول الله تعالى ألقوا هذا أقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا إلا خيراً فيقول الله عز وجل وهو أعلم إن هذا كان لغيرى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أبتغى به وجهى خرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه بمعناه على ما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى .

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعد فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم ويقول أبشروا لكل واحد منكم هذا قال وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ويلبس تاجاً من نار فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى أن عيسى عليه

Marfat.com

السلام مر بقبر فوكزه برجله وقال يا صاحب هذا القبر قم بإذن الله فقام اليه رجل وقال ياروح الله ما الذى أردت فإنى لقائم فى الحساب منذ سبعين سنة حتى أتتنى الصيحة الساعة أن أجب روح الله فقال عيسى ياهذا لقد كنت كثير الذنوب والخطايا ماكان عملك فقال والله ياروح الله ما كنت إلا حطابا أحمل الحطب على رأسى آكل حلالا وأتصدق فقال عيسى يا سبحان الله حطابا يحمل الحطب على رأسه يأكل حلالا ويتصدق وهو قائم فى الحساب منذ سبعين سنة ثم قال له ياروح الله كان من توبيخ ربى لى أن قال اكتراك عبدى لتحمل له حزمة فأخذت منها عودا فتخللت به وألقيته فى غير مكانه امتهاناً منك بى وأنت تعلم أنى أنا الله المطلع عليك وأراك .

(فصل) قال الله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كازوم القلادة للعنق وقال ابراهيم بن أدهم كل آدمى فى عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فإذا مات طويت وإذا بعث نشرت وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال ابن عباس رضى الله عنه طائره عمله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال الحسن يقرأ الإنسان كتابه أميا كان أو غير أمى وقال أبو السوار العدوى وقرأ هذه الآية وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه قال هما نشرتان وطية أما ماحييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مت طويت حتى إذا بعثت نشرت اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها قال الله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم قال الله تعالى يوم نبعثهم جميعا فننبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وقد تقدم القول فى محاسبة الله تعالى لخلقه فى يوم الحساب من أسماء القيامة فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله تعالى على ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب الذى يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التى كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها

Marfat.com

فنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أووراء ظهره وهم الأشقياء فعند ذلك يقرأ كل كتاب به وأنشدوا :

مثل وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته اقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى وامضوا بعبد عصا للنار عطشانا
المشركون غداً فى النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديته بإسمك على رؤوس الخلائق أين فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله تعالى وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء بإسمك واسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت فى أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك فتوهم نفسك وأنت بين يدى ربك فى يدك صحيفة مخبرة بعملك لاتغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها وأنت تقرأ مافيها بلسان كليل وقلب منكسر والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك فى ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيما فياحسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك فأما من أوتى كتابه بيمينه فعلم أنه من أهل الجنة فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه فإذا كان الرجل رأسا فى الخير يدعو اليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعى باسمه واسم أبيه فيتقدم حتى إذا دنى أخرج له كتاب أبيض (١) فى باطنه السيئات وفى ظاهره الحسنات فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق ويصفر

(١) كتاب أبيض بخط أبيض

Marfat.com

وجهه ويتغير لونه فإنما بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحا حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل فيه ويطول ستين ذراعا وهى قامة آدم ويقال له انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فاذا أدبر قال هاؤم اقرؤا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه قال الله تعالى، فهو فى عيشة راضية، أى مرضية قد رضيها «فى جنة عالية» فى السماء «قطوفها» ثمارها وعناقيدها «دانية» أدنيت منهم فيقول لأصحابه هل تعرفونى فيقولون قد غمرتك كرامة الله من أنت فيقول أنا فلان بن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا «كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية» أى قدمتم فى أيام الدنيا وإذا كان الرجل رأساً فى الشر يدعوا اليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه وتودى باسمه واسم أبيه فيتقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط اسود فى باطنه الحسنات وفى ظاهره السيئات فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجوا فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك أى يضاعف عليه العذاب ليس المعنى أنه يزاد عليه مالم يعمل قال فيعظم الى النار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال له انطلق الى أصحابك فأخبرهم أن لكل انسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية يعنى الموت هلك عنى سلطانيه تفسير ابن عباس رضى الله عنهما هلكت عنى حجتى قال الله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه أى اجعلوه يصلى الجحيم ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه الله أعلم بأى ذراع قال الحسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ذراعاً بذراع الملك وسيأتى فى كتاب النار لهذا السلسلة مزيد بيان فاسلكوه فيها أى تدخل فى فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبى وقيل بالعكس وقيل يدخل عنقه فيها ثم يجرها ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب

Marfat.com

فينادى أصحابه فيقول هل تعرفونى فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الحزن فمن أنت فيقول أنا فلان بن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره تخلع كتفه اليسرى فيجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه وقال مجاهد تحول وجهه فى موضع قفاه فيقرأ كتابه لذلك فتوهم نفسك ان كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه قد حل بك الكمال والحسن والجمال كتابك فى يمينك أخذ بضبعيك ملك ينادى على رءوس الخلائق هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإما ان كنت من أهل الشقاوة فيسود وجهك وتتخطى الخلائق كتابك فى شمالك أو من وراء ظهرك تنادى بالويل والثبور وملك أخذ بضبعيك ينادى على رءوس الخلائق إلا أن فلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا قلت قوله ألا إن فلان بن فلان دليل على أن الإنسان يدعى فى الآخرة باسمه واسم أبيه وقد جاء صريحا من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم خرجه أبو نعيم الحافظ قالى لى أبو عمر بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن داود بن عمرو عن عبد الله بن أبى زكريا عن أبى الدرداء فذكره .

باب فى قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

الترمذى عن أبى غالب قال رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على برج دمشق فقال أبو أمامة كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية فقلت لأبى أمامة الباهلى أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ماحدثكموه قال هذا حديث حسن ، وخرج أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب عن مالك بن سليم الهروى أخى غسان عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال يعنى تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقال مالك بن أنس رضى الله عنه هى فى أهل الأهواء وقال الحسن هى فى المنافقين وقال قتادة

Marfat.com

فى المرتدين وقال أبى بن كعب هى فى الكفار وهو اختيار الطبرى اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجوهنا يوم تسود وجوه أعدائك بحق رسلك وأنبيائك وأصفيائك بفضلك ياذا الفضل العظيم وكرمك ياكريم .

باب فى قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه لآية

ابن المبارك قال أخبرنا الحكم أو أبو الحكم شكر نعيم عن اسمٰعيل بن عبد الرحمن عن رجل من بنى أسد قال قال عمر لكعب ويحك ياكعب حدثنا من حديث الآخرة قال نعيم يا أمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله قال ثم يؤتى بالصحف التى فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش وذلك قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال الأسدى الصغيرة مادون الشرك والكبيرة الشرك « إلا أحصاها » قال كعب ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه لحسناته باديات للناس وهو يقرأ سيئاته فذكر معنى ما تقدم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول ياويلتنا ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر قال ابن عباس رضى الله عنه الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك يعنى ما كان من ذلك فى معصية الله وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب بصغائر الذنوب مثلا فقال إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل منهم يحطب فجعل الرجل يجىء بالعود والآخر بالعودين حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا فشووا خبزهم وأن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله واتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا أنبأنا الشيخان أبو محمد عبد الوهاب الفرشى والإمام أبو الحسين الشافعى قالا أخبرنا السانى قال أخبرنا الثقفى أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزيادى أملاء بنيسابور قال أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى قال أخبرنا محمد بن حماد لابيوردى قال أخبرنا أنس بن عياض الليثى عن أبى حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم ومحقرات الذنوب فإن

Marfat.com

مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه غريب من حديث أبي حازم سلمة بن دينار تفرد به عنه أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي ولقد أحسن القائل :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها هاذاك التقى
واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال جماعة من العلماء إن الذنوب كلها كبائر قال بعضهم لاتنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر من عصيت فهى من حيث المخالفة كبائر والصحيح أن فيها صغائر وكبائر ليس هذا موضع الكلام فى ذلك وقد بيناه فى سورة النساء فى كتاب جامع أحكام القرآن والله أعلم .

باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، وقال ثم إلينا مرجعكم فنبئكم بما كنتم تعملون وقال قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم أى بما عملتموه وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره أى يسأل عن ذلك ويجازى عليه والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم .

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول الله عن أى نعيم نسأل فأنما هما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد قال الترمذى حديث غريب وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن أبى وائل شقيق عن عبد الله قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها .

مسلم عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن عمله ماعمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه خرجه الترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح ورواه عن ابن عمر عن ابن مسعود رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه حديث غريب لا أعرفه إلا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من حديث الحسين بن قيس والحسين يضعف فى الحديث وفى الباب عن أبى برزة وأبى سعيد قلت ومعاذ بن جبل أخبرناه الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب بثغر الاسكندرية قراءة عليه قال قرأ على البيهقى وأنا أسمع قال حدثنا الحاجب أبو الحسن على بن محمد بن على العلاف ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة قال أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران المعدل قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى بمكة فى شوال سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة أخبرنا أبو سعيد الفضل بن محمد الجندى ليلا فى المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين قال أخبرنا صامت بن معاذ الجندى أخبرنا عبد الحميد عن سفيان بن سعيد الثورى عن صفوان بن سليم عن عدى عن الصالحى عن معاذ بن جبل رضى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن عمله ماذا عمل فيه وخرج الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب أخبرنا أحمد بن خالد الحابى أخبرنا يوسف بن يونس الأفطس أخبرنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله .

مسلم عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضى الله عنه كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول تعرف هل فيقول رب أعرف قار فيقول انى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون

Marfat.com

فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله أخرجه البخارى وقال فى آخره هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وروى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة خلا الله عز وجل بعبده المؤمن يوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم يغفر الله له لايطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل وستر عليه من ذنوبه ما يكرهه أن يقف عليها ثم يقول لسيئاته كونى حسنات .

قال المؤلف : خرجه مسلم بمعناه وسيأتى آنفا إن شاء الله تعالى . وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الختلى فى كتاب الديباج له . حدثنا هارون بن عبد الله قال : حدثنا سيار قال حدثنا جعفر قال حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يدنى الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع اليه كتابه فى ذلك الستر فيقول له اقرأ يا ابن آدم كتابك قال : فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه قال فيقول الله تعالى له أتعرف ياعبدى قال فيقول نعم يارب أعرف قال فيقول إنى أعرف بها منك قد غفرتها لك قال فلا تزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك حتى ينادى الخلائق بعضها بعضاً طوبى لهذا العبد الذى لم يعص قط ولا يدرون ماقد لقى فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه قلت : أخبرنا الشيخ الراوية القرشى عبد الوهاب قراءة عليه بثغر الاسكندرية حماه الله قال قرىء على الحافظ السلفى وأنا أسمع . قال حدثنا الحاجب أبو الحسن بن الملاء ، وقال أخبرنا أبو القاسم ابن بشران أخبرنا الآجرى حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السوسنيطى حدثنا أحمد بن أبى رجاء المصيصى ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد ، عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا كذ اوكذا ثلاث مرات قال وهو يقر ليس ينكر قال : وهو مشفق من الكبائر أن تجىء قال فإذا أراد الله به خيرا قال اعطوه مكان كل

Marfat.com

سيئة حسنة فيقول حين طمع يارب إن لى ذنوبا مارأيتها هاهنا قال : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه . ثم تلى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) خرجه مسلم فى صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نمير قال حدثنا الأعمش فذكره .

(فصل) قوله لا تزول قدم عبد حتى يسأل : عام لأنه نكرة فى سياق النفى لكنه مخصوص بقوله عليه السلام يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب على مايأتى . وبقوله تعالى : لمحمد عليه السلام أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن وقد تقدم الحديث . وبقوله تعالى : (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام) قوله عليه السلام وعن عمله ماعمل فيه . قلت : هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ماقال فيه وإنما قال ماعمل فيه فلينظر العبد ماعمل فيما علمه هل صدق الله فى ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله عليه بقوله : (أولئك الذين صدقوا) أو خالف علمه بفعله فيدخل فى قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) الآية وقوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون والأخبار بهذا المعنى كثيرة وسيأتى ذكرها فى أبواب النار إن شاء الله تعالى قوله حتى يضع عليه كنفه أى ستره ولطفه وإكرامه فيخاطب خطاب الملاطفة ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول هل تعرف فيقول رب أعرف فيقول الله تعالى ممتنا عليه ومظهراً فضله لديه فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا أى لم أفضحك بها فيها وأنا أغفرها لك اليوم ثم قيل هذه ذنوب تاب منها كما ذكره أبو نعيم عن الأوزاعى عن هلال بن سعد قال : إن الله يغفر الذنوب ولكن لايمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها .

قال المؤلف ولا يعارض هذا مافى التنزيل والحديث من أن السيئات تبدل بالتوبة حسنات فلعل ذلك يكون بعد مايوقفه عليها والله أعلم . وقيل فى صغائر

Marfat.com

اقترفها وقيل كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها وأما ما كان بينه وبين العباد فلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتى وقيل ما خطر بقلبه مالم يكن فى وسعه ويدخل تحت كسبه ويثبت فى نفسه وإن لم يعمله وهـــذا اختيار الطبرى والنحاس وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسرا لقوله تعالى (وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فتكون الآية على هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم . وقد بينا فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى القرآن والحمد لله وروى عن ابن مسعود أنه قال ماستر الله على ستر الله عليه فى الآخرة وهذا مأخوذ من حديث النجوى ومن قوله عليه السلام لايستر الله على عبد فى الدنيا إلاستره الله يوم القيامة خرجه مسلم . وفى صحيح مسلم أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة وروى من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة قال أبو حامد فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوىء الناس ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة .

(فصل) وفى قوله سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة فى ترك انفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم

ولا يرهب ابن المتهدد ماعشت صولتى ولا أختشى من روعة المتهـــدى
وإنى متى أوعدته أو وعـدته لمخلف إيعادى ومنجز موعـــدى

قال ابن العربى إنه كذلك عند العرب وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبدا خبره إلا على وفق مخبره كان ثوابا أو عقاباً فالذى قال المحققون فى ذلك قول بديع وهو أن الآيات وقعت مطلقة فى الوعد والوعيد عامة خصصتها الشريعة وبينها البارى تعالى فى كتابه فى آيات أخر كقوله « إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وقوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم »

الآية وكقوله تعالى «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو» وبالشفاعة التى أكرم الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم ومن شاء من الخلق من بعده .

باب ماجاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

مسلم عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة زاد ابن حجر قال الأعمش وحدثنى عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدى مثله وزاد فيه ولو بكلمة طيبة أخرجه البخارى والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

ابن المبارك قال أخبرنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت فيقول يارب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعنى آتيك به فيقول الله تعالى أرنى ماقدمت فيقول يارب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعنى آتيك به فيقول فإذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به إلى النار خرجه ابن العربى فى سراج المريدين وزاد فيه بعد قوله كأنه بدوج وقال فيه حديث صحيح من مراسل الحسن وقال الهروى كأنه بدوج[1] من الذل. قال أبو عبيد هو ولد الضأن وجمعه بدجان . وقال الجوهرى البدوج من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز وأنشدوا :

(١) كأنه بذج مراسيل

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجع تأكل عتوداً أو بدج

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقوله مامنكم من أحد مخصوص بما ذكرناه فى الباب قبل أى مامنكم ممن لايدخل الجنة بغير حساب من أمتى إلا وسيكلمه الله والله أعلم فتفكر فى عظيم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شقاها إذ يقول ياعبدى أمااستحييت منى فنبارزنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل أكنت

Marfat.com

أهون عليك من سائر عبادى استخففت بنظرى اليك فلم تكترث به واستعظمت نظر غيرى ألم أنعم عليك فماذا غرك بى . وعن ابن مسعود قال مامنكم من أحد إلاسيخلوا الله به كما يخلوا أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول ياابن آدم ماغرك بى يابن آدم ماذا عملت فيما علمت يابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على عينيك وأنت تنظو بهما إلى مالايحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك وهكذا عن سائر الأعضاء فكيف ترى حياءك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا أن الله وعد المؤمن أن يستر عليه ولايطلع عليه غيره كما ذكرنا وذلك بفضل منه . وهل يكلم الكفار عند المحاسبة لهم فيه خلاف تقدم بيانه فى أسماء القيامة ويأتى أيضا فى باب ماجاء فى شهادة أركن الكافر والمنافق عليهما اولقائهما الله عزوجل مستوفى إن شاء الله تعالى

(فصل) فإن قيل أخبر الله تعالى عن الناس انهم مجزيون محاسبون وأخبر انه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشىء فما القول فى ذلك عندكم وهل يكلمهم الله فالجواب ان الله تعالى أخبر ان الإنس والجن يسألون فقال خبرا عما يقال لهم يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا الآية وهذا سؤال فاذا ثبت بعض السؤال ثبت كله ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال منكم وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس فى الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث وأيضا لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال منكم فصير الرسل فى مخرج اللفظ من الجميع لأن الثقلين قد ضمتهما عرصة القيامة فلما صاروا فى تلك العرصة فى حساب واحد فى شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة لأن بدء خلقهم للعبودية كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والثواب والعقاب على العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار وأصلنا من تراب وخلقهم غير خلقنا ومنهم مؤمن وكافر وعدونا ابليس عدو لهم يعادى مؤمنهم ويوالى كافرهم وفيهم أهواء شيعية وقدرية ومرجئة وهو معنى قوله كنا طرائق قددا

Marfat.com

وقيل إن الله تعالى لما قال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دخل فى الجملة الجن والإنس فثبت للجن من وعد الجنة لعموم الآية ما ثبت للإنس فإن قيل فما الحكمة فى ذكر الجن مع الإنس فى الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم فقد ذكروا فى الوعد مع الإنس فإن قيل فقد ذكر يخاطب الجن والإنس فى النار لأن الله تعالى قال وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد ولم يأت عن تفاوض الفريقين فى الجنة خبر قيل انما ذكر من تفاوضهم فى النار ان الواحد من الإنس يقول للشيطان الذى كان قرينه فى الدنيا إنه أطغانى وأضانى فيقول له قرينه ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالا بنفسه ولا سبب بين الفريقين يدعوا أهل الجنة فيهما إلى التفاوض فلذلك سكت عنهما وأيضا فإن الله تعالى أخبر الناس ان عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون فى النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان وهذا المعنى مقصود فى الأخبار فلهذا سكت عن ذلك فى الوعد

باب القصاص يوم القيامة ممن استطال فى حقوق الناس وفى حبسه لهم حتى ينصفوا منه

مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء البخارى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتى من يأت يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وخرج ابن ماجه

Marfat.com

حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء حدثنا عمى محمد بن سواء عن حسين المعلم عن مطر الوراق عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعليه دينار أودرهم قضى من حسناته ليس ثم دينار ولادرهم من ترك دنيا أوضياعا فعلى الله ورسوله . الحارث بن أبى أسامة عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد أو قال الناس ـ شك همام ـ وأومأ بيده إلى الشام عراة غرلا بهما قال ما بهما قال ليس معهم شىء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما نأتى الله عراة حفاة قال بالحسنات والسيئات .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا الحديث الذى أراد البخارى بقوله ورحل جابر ابن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس فى حديث واحد . سفيان بن عيينة عن مسعر عن عمرو بن مرة قال سمعت الشعبى يقول حدثنى الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق قال ان أهل الدين فى الآخرة أشد تقاضيا له منكم فى الدنيا يحبس لهم فيأخذونه فيقول يارب ألست ترانى حافيا فيقول خذوا من حسناته بقدر الذى لهم فإن لم يكن له حسنات يقول زيدوا على سيئاته من سيئاتهم وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث البراء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبى عمر قال دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخز واليمنة قد سبقونى إلى المجلس فقلت ياعبد الله من أجل انى رجل أعجمى أدنيت هؤلاء وأقصيتنى قال ادن فدنوت حتى ماكان بينى وبينه جليس فسمعته يقول يؤخذ بيد العبد أو الأمة فينصب على رءوس الأولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ا ن فلان فمن كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة بأن يدون لها الحق على ابنها أو اختها أو أبيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب تعالى للعبد ائت هؤلاء حقهم فيقول يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم فيقول للملائكة

Marfat.com

خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فإن كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما وان كان عبداً شقيا قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكا إلى النار. وعنه عن بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدكما فيودان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك. وروى رزين عن أبى هريرة قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك إلى وما بنى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى وقال ابن مسعود تفرح المرأة يوم القيامة أن يكون لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها أو اختها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال ألا تحدثونى بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها بينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيه ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم ياغدر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم (١) امرى وأمرك عنده غداً قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم.

(فصل) أنكر بعض المتغفلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله اعجابا برأيهم وتحكما على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعقول ضعيفة وافهام سخيفة فقالوا لا يجوز فى حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيآت من اكتسبها على من لم يكتسبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطى من لم يعملها وهذا زعموا جورا وأولوا قول الله تعالى ولا تزرو وازرة وزر أخرى فكيف تصح هذه

(١) تعلم كيف أمرى

Marfat.com

الأحاديث، وهى تخالف ظاهر القرآن وتستحيل فى العقل والجواب ان الله سبحانه وتعالى لم يبن أمور الدين على عقول العباد ولم يعدولم يوعد على مايحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم بل وعدواوعدا بمشيئته وارادته وأمر ونهى بحكمته ولو كان كلما لاتدركه العقول مردودا لكان أكثر الشرائع مستحيلا على موضوع عقول العباد وذلك أن الله تعالى أوجب الغسل بخروج المنى الذى هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأمة وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذى لاخلاف بين الأمةوسائر من يقول بالعقل وغيرها فى نجاسته وقذارته ونتنه وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروح الغائط الكثير المتفاحش فبأى عقل يستقيم هذا وبأى رأى تجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد على الريح نتنا وقذرا وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن بعشرة دراهم وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيهما سواء وأعطى الأم من ولدها الثلث ثم ان كان للمتوفى اخوة جعل لها السدس من غير أن ترث الأخوة من ذلك شيئا فبأى عقل يدرك هذا إلا تسليما وانقيادا من صاحب الشرع إلى غير ذلك فكذلك القصاص بالحسنات والسيآت وقد قال وقوله الحق ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس الآية وقال وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم وهذا يبين قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لاتحمل حاملة ثقل أخرى إذا لم تتعد فإذا تعدت واستطالت بغير ماأمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها كما تقدم فى أسماء القيامة عند قوله تعالى واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئاً .

(فصل) وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك مافرط من تقصير فى فرائض الله عز وجل ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه

Marfat.com

فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يتبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته وهذا يقول ظلمتنى وهذا يقول شتمتنى وهذا يقول استهزأت بى وهذا يقول ذكرتنى فى الغيبة بما يسوءنى وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى وهذا يقول عاملتنى فغششتنى وهذا يقول بايعتنى وأخفيت عنى عيب متاعك وهذا يقول كذبت فى سعر متاعك وهذا يقول رأيتنى محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتنى وهذا يقول وجدتنى مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتنى فبينما أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخاليبهم واحكموا فى تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق فى عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته فى مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم فعند ذلك يخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ماأنذرك الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إلى قوله لايرتد إليهم طرفهم وافئدتهم هواء فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسرتك فى ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيئات وأنت مفلس فقير عاجز مهين لاتقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التى تعبت فيها عمرك وتنقل الى أخصامك عوضا عن حقوقهم كما ورد فى الأحاديث المذكورة فى هذا الباب فانظر إلى مصيبتك فى مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الربا ومكايد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة فى مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ويقال لو أن رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدانق قسط سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيرى فى التحبير له عند اسمه المقسط الجامع قال أبو حامد ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لايمضى عليك يوم الاويجرى على لسانك من غيبة المسلمين

Marfat.com

مايستوفى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشهوات والتقصير فى الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا فكيف بك يامسكين فى يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتى فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك فتقول يارب هذه سيئات مافارفتها قط فيقال هذه سيآت الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المعاملة والمبايعة والمحاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة فاتق الله فى مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فإن مابين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم من حيث لايطلع عليه إلا الله فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه فعساه أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذى ادخره لأرباب المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم على مايأتى بيانه فى باب ارضاء الخصوم بعد هذا ان شاء الله تعالى :

(فصل) قوله فى الحديث فيناديهم بصوت استدل به من قال بالحرف والصوت وأن الله يتكلم بذلك تعالى الله عما يقوله المجسمون والجاحدون علوا كبيرا وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره ومثل ذلك شائع فى الكلام غير مستنكر أن يقول القائل نادى الأمير وبلغنى نداء الأمير وإنما المراد نادى المنادى عن أمره وأصدر نداءه عن إذنه وفى التنزيل ونادى فرعون فى قومه وهو كقولهم أيضا قتل الأمير فلانا وضرب فلانا ولبس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال ولكن المقصود صدورها عن أمره وقد ورد فى صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رءوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشاد إلا أن فلانا بن فلان كما تقدم ومثله ماجاء فى حديث التنزيل مفسراً فيما أخرجه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له

هل من سائل يعطى. صححه أبو محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه وأن ذلك من باب حذف المضاف. والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ماهو مذكور فى كتاب الديانات، فإن قال بعض الأغبياء لاوجه لحمل الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه أنا الديان وليس يصدر هذا الكلام حقا وصدقاً إلا من رب العالمين. قيل له ان الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبي عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين. والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى انى أنا الله فليس يرجع الى القارىء وإنما القارىء ذاكر لكلام الله تعالى ودال عليه بأصواته وهذا بين وقد أتينا عليه فى الصفات من كتاب الاسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

(فصل) واختلف الناس فى حشر البهائم وفى قصاص بعضها من بعض فروى عن ابن عباس أن حشر الدواب والطير موتها وقاله الضحاك وروى عن ابن عباس في رواية أخرى أن البهائم تحشر وتبعث وقاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو بن العاص والحسن البصرى وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى وإذا الوحوش حشرت وقوله ثم إلى ربهم يحشرون، قال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والطير والدواب وكل شىء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وفى الخبر إن البهائم إذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار فذلك قوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة أى غبار وقالت طائفة الحشر فى قوله تعالى ثم إلى ربهم يحشرون راجع إلى الكفار وما تخلل من قوله تعالى وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء كلام معترض وإقامة حجج وأما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص والاغياء فيه حتى يفهم منه أنه لابد لكل أحد منه وأنه لامحيص لمخلوق عنه وعضدوا ذلك بما روى فى غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة فقال حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء وللحجر لما

Marfat.com

ركب الحجر والعود لما خدش العود قالوا فظهر من هذا أن المقصود التمثيل المعتد للاغياء والتهويل لأن الجمادات لا تعقل خطابها ولا عقابها وثوابها ولم يصر اليه أحد من العقلاء ومتخيله من جملة المعتوهين الأغبياء أجاب بعض من قال إنها تحشر وتبعث بأن قال إن من الحكمة الإلهية ان لا يجرى أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا على سنة مسنونة وحكمة موزونة ومن قال هنا بما قالته طائفة من المتوسمة بالعلم المتسمة بالفقه والفهم على الزعم أن الجامد لا يفقه والحيوان غير الإنسان لا يعقل وإنما هو منزل فى الحيوان ولسان حال الجامد والنامى ، وقال إن الله تعالى يقول فى الضالين المكذبين إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ولو كان عندها عقل أو فهم ما نزل بالكافر الفاسق الى درجتها فى موضع التنقيص والتقصير والله سبحانه قد وصفه بالموت والصمم فى موضع التبصير والتذكير فقال ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وقال أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى وما كانوا يبصرون وقال صم بكم عمى فهم لا يعقلون قيل له ليس الأمر كما ذكرت ولا الحق على شىء مما زعمت وأنه ليس عليك من حيث الزعم ورؤية النفس فى درجة العلم إبدأ من الآية التى وقفت فيها الى التى قبلها ان شئت فارجع بصرك فى الذى رأيت تجده قد وصفهم عز وجل بالموت والصمم كما وصفهم بالعمى والبكم وليسوا فى الحقيقة الظاهرة بموتى ولا صم ولا بعميان ولا بكم وانما هم أموات بالعقول والأذهان عن صفة الايمان وحياة دار الحيوان صم عن كلمة الاحياء عمى عن النظر فى مرآة وجوه الأخلاء كذلك وصف الأنعام بضلال وليست فى الحقيقة بضلال من حيث شرعتها وحكمتها وإنما ذلك من حيث فلكنا وافقنا فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول وما من دابة فى الارض الى قوله يحشرون فوربك لنحشرهم جما غفيرا ولنحاسبن حسابا يسيرا ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا وانه تعالى لا يسأل الا عاقلا ولا يحاسب الا مفضولا وفاضلا وانما جعل لكل موجود من موجوداته فى أشتات الخلائق وأجناس العوالم دار دنيا ودار أخرى وجعل لها أفلاكا وآفاقا وظلما وأضواء فكل فى فلكه وأفقه بليله ونهاره وسمعه وبصره وعلمه وفهمه وحاكم من عقله أو جهله وقائم بنحلته وحكمته وسنته وشرعته فأدنى وأعلى من الروحانية

Marfat.com

الأقصى إلى الجمادية الأقسى فالملائكة الروحانية فى مصافها ترانا من حيث لا ترى وتعلم منا أكثر مما نعلم وإنها لتشاهد من نقصنا وقلة عقلنا فى الموضع الذى يجب العلم به وأعمال العقل فيه ما تحكم به علينا أكثر مما نحكم به على الانعام من قلة العقل وتحقيق المعرفة فمن نظر الى الانعام وجدها من حيث نحن لا من حيث فلكها وأفقها لا تسمع ولا تعقل الا ميزا ما قدر ما تتسخر به وتتذلل طبعا فتلقن المراد منها من هذا الفن خاصة لا غير واما نحن بسبيله من تصرفات وتعملات فليس لها ذلك من حيث الفلكية التى أحازتها عنا والافقية التى اقتطعتها منا فهى فى طرقاتنا ضلال وبتعملاتنا وأحوال تصرفاتنا جهال واما من حيث شرعتها وباطن رويتها فعارفة عقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الجمل القضم الذى ندو امتنع بحائط بنى النجار وغلب الخلق عن أخذه والوصول اليه حتى جاء صلى الله عليه وسلم فلما مشى اليه ورآه الجمل برك لديه وجعل يمر بمشفره على الارض بين يديه تذللا وتسخيرا فقال صلى الله عليه وسلم هات الخطام فلما خطمه ورأى الناس يعجبون منه ردراسه اليهم فقال ألا تعجبون أو كما قال انه ليس شىء بين السما والارض ألا يعلم أنى رسول الله غير عاصى الجن والإنس وثبت فى الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن دابة الا وهى مصيخة بإذنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا مدر ولا شىء الا شهد له يوم القيامة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله خرجه مالك فى موطئه وابن ماجه فى سننه واللفظ له من حديث أبى سعيد الخدرى وقد تقدم أن الميت يسمع صوته كل شىء إلا الإنسان فى رواية الا الثقلين والإخبار فى هذا المعنى كثيرة قد أتينا على جملة منها فى هذا الكتاب فكل حيوان وجماد محشور لما عنده من الإدراك والمشاهدة والحضور من حيث هى لا من حيث نحن قال الله تعالى وإن من شىء الا يسبح بحمده وقال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقال عز من قائل ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر

والنجوم والجبال والشجر والدواب لا يقال إن هذا السجود والتسبيح لسان حال ليس بلسان المقال فإنا نقول هذا مجاز والله سبحانه يقضي الحق كما أخبر فى كتابه ان الحكم إلا لله يقضى الحق ومن نظر بنور الله جاز العين إلى المعنى وحل الرمز وفك المعمى وهم إنما نظروا من حيث هم ومن حيث العقل البشرى ولم ينظروا الحياة الفلكية من حيث هى فغابوا عن الحضور وجمدوا على القصور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قلت هذا كله صحيح لحديث أبى سعيد الخدرى المذكور وهو صحيح وكذلك حديث أبى هريرة فى شهادة الأرض بما عمل عليها وهو صحيح وكذلك حديث أبى سعيد الخدرى فى شهادة المال صحيح وسيأتى وقد روى ليث ابن أبى سليم عن عبد الرحمن بن مروان عن الهزيل عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه مر بشاتين تنتطحان فقال إن الله تعالى ليقضين[1] يوم القيامة لهذه الجلحاء من هذه القرناء وذكر ابن وهب أخبرنى بن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر ابن سوادة أن أبا سالم الجيشانى حدثه أن ثابت بن طريف استأذن على أبى ذر فسمعه رافعاً صوته يقول أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك قال ثابت فدخلت فقلت ما شأنك يا أبا ذر قال هذه قلت وما عليك أن رأيتك تضربها قال والذى نفسى بيده أو نفس محمد بيده لتسئلن الشاة فيما نطحت صاحبتها وليسئلن الجماد فيما نكب اصبع الرجل وروى عن شعبة عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر تدرى فيم تنتطحان قلت لا يا رسول الله قال لكن الله يدرى ويقضى بينهما يوم القيامة أخرجه أبو داود الطيالسى فقال حدثنا شعبة قال أخبرنى الأعمش قال سمعت منذر الثورى يحدث عن أصحاب له عن أبى ذر بلفظ ومعناه وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الجن والانس والدواب والوحوش فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء تنطحها فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها كونى ترابا فيراها الكافر فيقول ياليتنى كنت ترابا وذكر الامام ابو القاسم القشيرى فى التحبير له فقال وفى خبر الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة

(١) ليقضين الله تعالى يوم

فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس هذا يوم سجود هذا يوم الثواب والعقاب وتقول البهائم هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بنى آدم ويقال إن الملائكة تقول للبهائم لم يحشركم الله جل ثناؤه لثواب ولا لعقاب وإنما يحشركم تشهدون فضائح بنى آدم ذكره(١) فى اسمه المقسط الجامع وهذا قول ثابت فتأمله .

(فصل) ظن بعض العلماء أن الصيام مختص بعامله موفرا له أجره لايؤخذ منه شيء لمظلمة ظلمها متمسكا بقوله تعالى الصيام لى وانا أجزى به وأحاديث هذا الباب ترد قوله وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياما كان أو غيره وقيل ان الصوم إذا لم يكن معلوما لأحد ولا مكتوبا فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبؤه عليه حتى يكون له جنة من العذاب فيطرحون أولئك عليه سيئاتهم فيذهب عنهم ويقيه الصوم فلا يضر أصحابها لزوالها عنهم ولا له لأن الصوم جنته قال القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين وهو تأويل حسن إن شاء الله تعالى ولا تعارض والحمد لله .

باب

أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من ابناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن آبائهم دنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة صححه أبو محمد عبد الحق .

باب فى إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

روينا فى الأربعين وذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب حسن الظن بالله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يارسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عز وجلّ فقال أحدهما يارب خذلى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب ما بقى من حسناتى شيء فقال يارب فليحمل من

(١) ذكره القشيرى فى اسمه.

أوزارى وفاضت عينارسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم ثم قال الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ماأعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يارب فقال لمن أعطانى ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بم ذا قال بعفوك عن أخيك قال يارب فانى قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال يجىء المؤمن يوم القيامة قد أخذه صاحب الدين فيقول دينى على هذا فيقول الله تعالى أنا أحق من قضى عن عبدى قال فيرضى هذا من دينه ويغفر لهذا وقال ابن أبى الدنيا وحدثنى عبد الله بن محمد بن اسماعيل قال بلغنى أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه بعينى مايتحمل المتحملون من أجلى وما يكابدون فى طلب مرضاتى أترانى أنسى لهم عملا كيف وأنا أرحم (١) بخلقى لو كنت معاجلا بالعقوبة أحدا أو كانت العقوبة من شأنى لعاجلت بها القانطين من رحمتى ولو يرى عبادى المؤمنون كيف استوهبهم ممن ظلموه ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم فى جوارى إذا ماتهموا فضلى وكرمى .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا لبعض الناس ممن أراد الله أن لايعذبه بل يعفوا عنه ويغفر له ويرضى عنه خصمه وقد يكون هذا فى الظالمين لأوابين وهو قوله تعالى إنه كان للأوابين غفورا والأواب الذى أقلع عن الذنب فلم يعد إليه كذا تأوله أبو حامد وهو تأويل حسن أو يكون ذلك فيمن يكون له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له به ويرضى خصماء كما تقدم وظاهر حديث أنس الخصوص بذينك الرجلين لقوله رجلان ولفظ التثنية لايقتضى الجمع إلا ماروى فى الحديث مثل المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين خرجه مسلم وليس هذا موضعه ولو كان ذلك فى جميع الناس مادخل أحد النار وكذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة ياأمة محمد أما ماكان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى مادخل أحد النار وهذا واضح فتأمله :

(١) ارحم الراحمين بخلق

Marfat.com

باب أول من يحاسب أمة محمد صلى الله عليه وسلم

روى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون فى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من أثار الطهور فنقول الامم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها خرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده بمعناه وقد تقدم .

باب أول مايحاسب عليه العبد من عمله الصلاة

وأول مايقضى فيه بين الناس الدماء وفى أول من يدعى للخصومة

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء أخرجه البخارى أيضا والنسائى والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وللنسائى أيضا عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول مايحاسب عليه العبد الصلاة وأول مايقضى بين الناس الدماء وفى البخارى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال انا أول من يجثوا يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة يريد قصته فى مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر وفيهم نزلت هاذان خصمان اختصموا فى ربهم الآية والخبر بهذا مشهور صحيح خرجه البخارى ومسلم وغيرهما وعن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه فيكون أول مايقضى بينهم فى الدماء ويأتى كل قتيل قتل فى سبيل الله فيأمر الله كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتانى فيقول الله تعالى له وهو أعلم فيم قتلته فيقول يارب قتلته لتكون العزة لك فيقول الله تعالى صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تشيعه الملائكة إلى الجنان ثم يأتى كل من قتل[1] فيحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتانى فيقول[2] له وهو أعلم فيم قتلته فيقول رب قتلته لتكون العزة لى فيقول الله تعالى تعست ثم لاتبقى قتلة إلا قتل بها

(١) من قتل على غير ذلك يأتى كل من قتل يحمل (٢) فيقول له الله تعالى وهو

Marfat.com

ولامظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان فى مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه خرجه الغيلانى أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان عن أبى بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدالله البزار المعروف بالشافعى حدثنا أبو قلابة عبد الملك ابن محمد الرقاشى حدثنا أبو عاصم الضحاك عن مخلد قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق عن محمد ابن زياد عن محمد بن كعب وخرجه إسماعيل ابن إسحاق القاضى من حديث نافع ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول يأتى المقتول معلق رأسه بإحدى يديه متلببا قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دما حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلنى فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب به إلى النار وخرجه ابن المبارك موقوفا على عبد الله بن مسعود قال حدثنا حماد ابن سلمة عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله فذكره بمعناه وخرجه الترمذى فى جامعه قال حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال حدثنا شابة قال حدثنا ورقاء بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول يارب قتلنى هذا حتى يدنيه من العرش قال هذا حديث حسن غريب .

مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغنى أن أول ماينظر فيه من عمل المرء الصلاة فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر فى شىء من عمله قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الحديث وإن كان موقوفاً بلاغا فقد رواه أبو داود الترمذى والنسائى مرفوعا بهذا المعنى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عز وجل لملائكته أنظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدى من تطوع فإن كان له تطوع قال أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك لفظ أبى داود وقال الترمذى حديث حسن غريب وخرجه بن ماجه أيضاً .

(فصل) قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله أما إكمال الفريضة من التطوع

Marfat.com

فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك وأما من تعمد تركها أو شيئا منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامدا واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم وقد روى من حديث الشاميين فى هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكرى عن عبد الله بن قرط عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه زيد فيها من تسبيحاته حتى تتم قال أبو عمرو هذا لا يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه وليس بالقوى وإن كان صح كان معناه أنه خرج من صلاة قد أتمها عند نفسه وليست فى الحكم بتامة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ينبغى للانسان أن يحافظ على آداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود وحضور قلب فان غفل عن شىء من ذلك فيجتهد بعد ذلك فى نفله ولا يتساهل فيه ولا فى تركه ومن لا يحسن أن يصلى الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لاجرم بل تنفل الناس فى أشد مايكون من النقصان والخلل فى التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به ولعمر الله لقد يشاهد فى الوجود من يشار إليه ويظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل مانقص من الفرض هيهات هيهات فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها فى معنى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال جماعة من العلماء التضييع للصلاة هو أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها ولا يمتنع من القيام بها فى وقتها وغير وقتها قالوا فاما من تركها أصلا فهو كافر وروى الترمذى عن أبى مسعود الأنصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود وقال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه فى الركوع والسجود قال الشافعى وأحمد واسحاق من لم يقم صلبه فى

Marfat.com

الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تجزىء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه فى الركوع والسجود وروى البخارى عن زيد بن وهب عن حذيفة ورأى رجلا لايتم ركوعه ولاسجوده فلما قضى صلاته قال له حذيفة ما صليت ولو مت مت على غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجه النسائى أيضا عنه عن حذيفة أنه رأى رجلا يصلى فخفف فقال له حذيفة منذ كم تصلى هذه الصلاة قال منذ أربعين عاماً قال ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال إن الرجل ليخفف الصـــلاة ويتم ويحسن والأخبار فى هذا المعنى كثيرة جدا قد أتينا عليها فى غير هذا الموضع وهى تبين لك المراد من قوله تعالى أضاعوا الصلاة وروى النسائى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته فإن وجدت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل تجدوا له من تطوع يكمل له ماضيع من فريضته من تطوعه ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك وهذا نص وقال عمر رضى الله عنه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ولااعتبار بقول من قال إن الواجب من أركان الصلاة ومن الفصل بين أركانها أقل ماينطلق عليه الاسم وهو أبو حنيفة وأشار إلى ذلك القاضى عبد الوهاب فى تلقينه وهو يروى عن ابن القاسم لأن من اقتصر على ذلك صدق عليه أنه نقر الصلاة فدخل فى الذم المترتب على ذلك بقوله عليه السلام تلك صلاة المنافقين يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا رواه مالك فى موطئه ومسلم فى صحيحه والأحاديث الثابتة تقضى بفساد صلاته كما بيناه مع قوله عليه السلام أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن أن يستجاب لكم خرجه مسلم وفى الموطأ مالك عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماترون فى الشارب والسارق والزانى قال وذلك قبل أن ينزل فيهم قالوا الله ورسوله أعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذى يسرق صلاته قالوا يارسول الله وكيف يسرق صلاته قال لايتم ركوعها ولا سجودها وروى

Marfat.com

أبوداود الطيالسي فى مسنده قال حدثنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتنى فترفع وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتنى فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه فمن لم يحافظ على أوقات الصلاة لم يحافظ على الصلاة كما أن من لم يحافظ على وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع كما أن من حافظ عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له .

باب منـه

ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له مامنعك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وفرقت من الناس ورواه الفريابى قال حدثنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه فيقال يوم القيامة مامنعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه فيقول له أى ربى خفت الناس فيقال إياى كنت أحق أن تخاف قال الواثلى أبو نصر ورواه أحمد بن عبد الله بن يونس أبو عبد الله اليربوعى الكوفى قال حدثنا زهير قال حدثنا عمر بن قيس عن عمرو بن مرة المعنى واحد وهذا محفوظ من الطريقتين عن عمرو بن مرة ومخرجه من الكوفة .

باب منـه

ذكر أبو نعيم الحافظ : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر من أصل كتابه حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا حدثنا إسماعيل بن عمرو حدثنا مندل عن أسد بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقفن أحدكم على

Marfat.com

رجل يضرب ظلما فإن اللعنة تنزل من السماء على من حضره إذا لم تدفعوا عنه ولا يقفن أحدكم على رجل يقتل ظلما فإن اللعنة تنزل من السماء على من حضره إذا لم تدفعوا عنه هذا حديث غريب من حديث أسد وعكرمة لم يروه عنه فيما أعلم إلا مندل ابن على الغنوى

باب ماجاء فى شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » وقال : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » وقال « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » الآية . وذكر أبو بكر بن أبى شيبة من حديث معاوية بن حيدة القرشى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تجيئون يوم القيامة على أفواهكم للفدام وأول مايتكلم من الإنسان فخذه وكفه وقد تقدم . مسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل تدرون لم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم . قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإنى لا أجتز على نفسى إلا شاهدا منى قال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال : فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل . الترمذى عن أبى سعيد وأبى هريرة قالا:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول : ألم أجعل لك سمعا وبصراً ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتنى قال هذا حديث صحيح غريب وأخرجه مسلم عن أبى هريرة بأطول من هذا وقد تقدم . البخارى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا كنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ماهو أيسر من ذلك وأخرجه مسلم وقال بدل « قد كنت » كذبت قد سئلت ماهو أيسر من ذلك

Marfat.com

(فصل) قوله عليه السلام فأول مايتكلم من الإنسان فخذه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون ذلك زيادة والفضيحة والخزى على مانطق به الكتاب فى قوله « هذا كتابنا ينطق عليك بالحق » لأنه كان فى الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل مايفعل خائفا مشفقا فيجزيه الله بمجاهرته والإشاعة بفحشه على رؤس الأشهاد والوجه الآخر أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التى لم تكن ناطقة فى الدنيا فتشهد عليه سيئاته وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم أى لفروجهم فى قول زيد بن أسلم لم شهدتم علينا فتمردوا فى الجحود فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء نعوذ بالله منهما

(فصل) قوله وتركتك ترأس وتربع أى ترأس على قومك بأن يكون رئيسا عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم ويسمونه المرباع قال شاعرهم

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

وقال آخر :

منا الذى ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد فى الأحيا

يقال ربع الجيش يربعه رباعة إذا أخذ ربع الغنيمة . قال الأصمعى ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام وقوله اليوم أنساك كما نسيتنى أى اليوم أتركك فى العذاب كما تركت عبادتى ومعرفتى فإن قيل فهل يلقى الكافر ربه ويسأله؟ قلنا نعم بدليل ماذكرنا وقد قال « فلنسألن الذين أرسل اليهم »(١) وقال « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم » وقال وعرضوا على ربك صفا » الآيتين وقال « إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم وقال « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إلى قوله : وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون » والآى فى هذا المعنى كثير : فإن قيل فقد قال الله تعالى « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام » وقال عليه السلام يخرج عنق من النار فيقول وكلت ثلاث بكل جبار عنيد وكل من جعل مع الله

(١) اليهم فى السادس والثلاثين وقال

Marfat.com

إلها آخر وبالمصورين قلنا هذا يحتمل أن يكون بعد الوزن والحساب وتطاير الكتب فى اليمين والشمال وتعظيم الخلق كما تقدم ويدل عليه قوله وبالمصورين فإنهم وإن كانوا موحدين فلابد لهم من سؤال وحساب وبعده يكونون أشد الناس عذابا وإن كانوا كافرين مشركين فيكون ذكرهم تكرارا فى الكلام على أنا نقول :

قال بعض العلماء ذكر الله تعالى الحساب جملة وجاءت الأخبار بذلك وفى بعضها مايدل على أن كثيرا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب فصار الناس إذا ثلاث فرق فرقة لايحاسبون أصلا وفرقة تحاسب حسابا يسيرا وهما من المؤمنين وفرقة تحاسب حساباً شديدا يكون منها مسلم وكافر وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو أدنى إلى غضب الله فيدخله النار بغير حساب وقد ذكر ابن المبارك فى دقائقه عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن بعد أخذ النار هؤلاء تنشر الصحف وتوضع الموازين وتدعى الخلائق للحساب فإن قيل فقد قال تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وقال « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » وقال « ولا يكلمهم الله » وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار قلنا القيامة مواطن فموطن يكون فيه سؤال وكلام وموطن لا يكون ذلك فلا يتناقض الآى والآخبار والله المستعان

قال عكرمة القيامة مواطن يسأل فى بعضها ولا يسأل فى بعضها وقال ابن عباس لايسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لم عملتم كذا وكذا والقاطع لهذا قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال أهل التأويل عن لا إله إلا الله وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذى كان طول العمر دثارهم وشعارهم وكل دلالة من دلائل الايمان خالفوها وعاندوها فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها ويسألون عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم فإن قيل فقد ذكر اللالكائى فى سننه عن عائشة رضى الله عنها قالت لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة قالوا ولأن الحساب إنما يراد للثواب والجزاء ولاحسنات للكافر فيجازى عليها بحسابه ولأن المحاسب له هو الله تعالى وقد قال ولا يكلمهم

Marfat.com

الله يوم القيامة قلنا ما روى عن عائشة قد خالفها غيرها فى ذلك للآيات والاحاديث الواردة فى ذلك وهو الصحيح ومعنى ولا يكلمهم الله أى بما يحبونه قال الطبرى وفى التنزيل اخسئوا فيها ولا تكلمون وقد قيل إن معنى قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم(١) ولا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين أى إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة أن يقال ما كان دينك وما كنت تصنع فى الدنيا حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه إنه كان مؤمنا أو كان كافرا لكن المؤمنين يكونون ناضرى الوجوه منشرحى الصدور ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكروبين فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار وتميزهم فى الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم ومن قال هذا فيحتمل أن يقول إن الأمر يوم القيامة يكون بخلاف ماهو كائن قبله على ماوردت به الاخبار من سؤال الملكين الميت اذا دفن وانصرف الناس عنه(٢) عن ربه ودينه ونبيه أى إذا كان يوم القيامة لم تسأل الملائكة عند الحاجة إلى تميز فريق عن هذا لاستغنائهم بمناظرهم عما وراءها ومن قاله يحتج بقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون أخبر أنهم يسألهم عن أعمالهم وهذه الآية فى الكافرين ومن قال يسألهم عن أصل كفرهم ثم عن تجددهم هم إياه كل وقت باستهزائهم بآيات الله تعالى ورسله فقد سألهم عما كانوا يعملون وذلك هو المراد :

(١) عن ذنوبهم المجرمون (٢) عنه فيسألون عن

باب ما جاء فى شهادة الأرض والليالى والأيام

بما عمل فيها وعليها وفى شهادة المال على صاحبه

وقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها قال هذا حديث حسن صحيح غريب أبو نعيم عن معاوية ابن قرة عن معقل بن يسار عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتى على

Marfat.com

ابن آدم إلا ينادى فيه يابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل فى خيرا أشهد لك به غدا فإنى لو قد مضيت لم ترنى أبدا ويقول الليل مثل ذلك غريب من حديث معاوية تفرد به عنه زيد العمى ولا أعلمه مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال من سجد فى موضع عند شجر أو حجر شهد له عند الله يوم القيامة قال وأخبرنى ابن أبى خالد رضى الله عنه قال سمعت أبا عيسى يحيي بن رافع يقول سمعت عثمان ابن عفان رضى الله عنه يقول وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها إلى أمر الله وشاهد ليشهد عليها بما عملت وخرج مسلم من حديث سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أوكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يَشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة وقد تقدم أنه لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة . رواه أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم . رواه الأئمة مالك وغيره .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فتفكر يا أخى وإن كنت شاهدا عدلا بأنك مشهود عليك فى كل أحوالك من فعلك ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لاتخفى عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا اين قال الله تعالى « ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير سبحانه لا إله إلا هو

Marfat.com

باب لا يشهد العبد على شهادة فى الدنيا
إلا شهد بها يوم القيامة

ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن سليمان بن راشد أنه بلغه أن أمرءا لا يشهد على شهادة فى الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ولا يمتدح عبدا فى الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا صحيح ، يدل على صحته من الكتاب قوله الحق ستكتب شهادتهم ويسألون وقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والله أعلم .

باب ما جاء فى سؤال الأنبياء
وفى شهادة هذه الأمة للانبياء على أممهم

قال الله تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين، وقال فوربك لنسألنهم أجمعين. فيبدأ بالانبياء عليهم السلام فيقول ماذا أجبتم، قيل فى تفسيرها كانوا قد علموا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الامر فقالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ، ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام، ويقال إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب ثم ان الله يثبتهم ويحدث لهم ذكرا فيشهدون بما أجابت به أممهم ويقال إنما قالوا ذلك تسليما كما فعل المسيح فى قوله تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب والاول أصح لان الرسل يتفاضلون والمسيح من أجلهم لانه كلمة الله وروحه قاله أبو حامد وخرج ابن ماجه حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالا حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجىء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويجىء النبي ومعه الرجلان ويجىء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك

Marfat.com

فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم[1] فيقال هل بلغكم فيقولون لا فيقال من يشهد الك فيقول محمد وأمته فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال هل بلغ هذا فيقولون نعم فيقول وما علمكم بذلك فيقولون أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه: قال فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وذكره البخارى أيضا بمعناه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ[2] ويكون الرسول عليكم شهيدا أخرجه ابن المبارك فى رقائقه مرسلا بأطول من هذا فقال أخبرنى رشدين بن سعد قال أخبرنى ابن أنعم المغافرى عن حبان بن أبى جبلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل عليه السلام فيقول له ربه مافعلت فى عهدى هل بلغت عهدى فيقول نعم قد بلغت جبريل فيدعى جبريل عليه السلام فيقول هل بلغك إسرافيل عهدى فيقول نعم يارب قد بلغنى فيخلى عن إسرافيل ويقال لجبريل هل بلغت عهدي فيقول جبريل نعم قد بلغت الرسل فيدعى الرسل فيقول هل بلغكم جبريل عهدى فيقولون نعم فيخلى عن جبريل ثم يقال للرسل هل بلغتم عهدى فيقولون قد بلغنا أممنا فتدعى الامم فيقال لهم هل بلغتكم الرسل عهدى فمنهم المصدق ومنهم المكذب فتقول الرسل ان لنا عليهم شهودا يشهدون ان قد بلغنا مع شهادتك فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وأمته فتدعى أمة احمد فيقول تشهدون أن رسلى هؤلاء قد بلغوا عهدى إلى من أرسلوا اليه فيقولون نعم رب شهدنا أن قد بلغوا فتقول تلك الامم كيف يشهد علينا من لم يدركنا فيقول لهم الرب كيف تشهدون على من لم تدركوا فيقولون ربنا بعثت إلينا رسولا وأنزلت الينا عهدك وكتابك وقصصك علينا انهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت الينا فيقول الرب صدقوا . فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، والوسط العدل لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابن أنعم فبلغنى أنه يشهد يومئذ أمة محمد إلا من كان فى قلبه حنة على أخيه :

---

(١) نعم فيدعى قومه فيقال. (٢) بلغ فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و

Marfat.com

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وذكر هذا الخبر أبو محمد فى كتاب العاقبة له فذكر بعد قوله والوسط العدل ، ثم تدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ثم ينادى كل إنسان باسمه واحدا واحدا ويسألون واحدا واحدا وتعرض أعمالهم على رب العزة جل جلاله قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة أن هذا يكون بعد مايحكم الله تعالى بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحش والطير ثم يقول لهم كونوا تراباً فتسوى بهم الأرض وحينئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، ويتمنى الكافر فيقول : ياليتنى كنت ترابا ثم يخرج النداء من قبل الله تعالى أين اللوح المحفوظ فيؤتى به له هرج عظيم فيقول الله تعالى أين ماسطرت فيك من توراة وزبور وإنجيل وفرقان فيقول يارب نقله منى الروح الأمين فيؤتى به يرعد وتصطك ركبتاه فيقول الله تعالى ياجبريل هذا اللوح[1] يزعم أنك نقلت من كلامى ووحيي أصدق قال نعم يارب . قال : فما فعلت فيه ؟ قال : أنهيت التوراة إلى موسى ، وأنهيت الزبور إلى داود ، وأنهيت الفرقان[2] إلى محمد عليهم السلام ، وأنهيت الإنجيل إلى عيسى عليه السلام ، وأنهيت إلى كل رسول رسالته وإلى أهل الصحف صحائفهم فإذا بالنداء يانوح فيؤتى به يرعد وتصطك فرائصه فيقول يانوح زعم جبريل أنك من المرسلين قال صدق فقيل له مافعلت مع قومك قال دعوتهم ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا فإذا بالنداء ياقوم نوح فيؤتى بهم زمرة واحدة فيقال هذا أخوكم نوح يزعم أنه بلغكم الرسالة فيقولون ياربنا كذب مابلغنا من شىء وينكرون الرسالة فيقول الله يانوح ألك بينة فيقول نعم يارب بينتى عليهم محمد وأمته فيقولون كيف ونحن أول الأمم وهم آخر الأمم فيؤتى بالنبى صلى الله عليه وسلم فيقول يامحمد هذا نوح يستشهدك فيشهد له بتبليغ الرسالة فيقرأ صلى الله عليه وسلم « إنا أرسلنا نوحا إلى قومه » إلى آخر السورة فيقول الجليل جل جلاله قد وجب عليكم الحق وحقت كلمة العذاب على الكافرين فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن عمل ولا حساب ثم

---

(١) اللوح المحفوظ يزعم انك نقلت منه (٢) وانهيت الانجيل ، انهيت الفرقان

Marfat.com

ينادى أين هود فيفعلون قوم هود مع هود كما فعل قوم نوح مع نوح فيستشهد عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وخيار أمته فيقتلوا « كذبت عاد المرسلين » فيؤمر بهم إلى النار مثل أمة نوح ، ثم ينادى ياصالح وياثمود فيأتون فيستشهد صالح عند ما ينكرون فيقتلوا النبي ﷺ « كذبت ثمود المرسلين » إلى آخر القصة فيفعل بهم مثلهم ولا يزال يخرج أمة بعد أمة قد أخبر عنهم القرآن بيانا وذكرهم فيه إشارة كقوله تعالى « وقرونا بين ذلك كثيرا » وقوله « ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها وقوله « والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات » وفى ذلك تنبيه على أولئك القرون الطاغية كقوم تارخ وتارح ودوحا وأسرا وما أشبه ذلك حتى ينتهى النداء إلى أصحاب الرس وتبع وقوم إبراهيم وفى كل ذلك لايرفع لهم ميزان ولا يوضع لهم حساب، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والترجمان يكلمهم لأن الرب تعالى من نظر اليه وكلمه لم يعذبه ثم ينادى بموسى بن عمران فيأتى وهو كأنه ورقة فى ريح عاصف قد اصفر لونه واصطكت ركبتاه فيقول له باابن عمران جبريل يزعم أنه بلغك الرسالة والتوراة فتشهد له بالبلاغ قال نعم قال فارجع الى منبرك واتل ما أوحى اليك من ربك فيرقى المنبر ثم يقرأ فينصت له كل من فى الموقف فيأتى بالتوراة غضة طرية على حسنها يوم أنزلت حتى تتوهم الأحبار أنهم ماعرفوها يوما ثم ينادى ياداود فيأتى وهو يرعد وكأنه ورقة فى ريح عاصف تصطك ركبتاه فيصفر لونه فيقول الله جل ثناؤه ياداود زعم جبريل أنه بلغك الزبور فتشهدله بالبلاغ فيقول نعم يارب فيقال له ارجع إلى منبرك واتل ما أوحى اليك . فيرقى ثم يقرأ وهو أحسن الناس صوتا . وفى الصحيح أنه صاحب المزامير . ثم ينادى المنادى أين عيسى ابن مريم فيؤتى به على باب المرسلين فيقول : أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ثم يحمد تحميدا ماشاء الله تعالى ويثنى عليه كثيرا ثم يعطف على نفسه بالذم والاحتقار ويقول « سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » فيضحك الله ويقول « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » يا عيسى ارجع

Marfat.com

إلى منبرك واتل الإنجيل الذى بلغك جبريل فيقول نعم ثم يرقى ويقرأ فتشخص اليه الرؤس لحسن ترديده وترجيعه فإنه أحكم الناس به رواية فيأتى به غضا طريا حتى يظن الرهبان أنهم ماعلموا به قط ثم ينقسم قومه فرقتين المجرمون مع المجرمين والمؤمنون مع المؤمنين . ثم يخرج النداء أين محمد فيؤتى به صلى الله عليه وسلم فيقول يا محمد هذا جبريل يزعم أنه بلغك القرآن فيقول نعم يارب فيقال له ارجع الى منبرك واقرأ فيقلوا صلى الله عليه وسلم القرآن فيأتى به غضا طريا له حلاوة وعليه طلاة يستبشر به المتقون وإذا وجوههم ضاحكة مستبشرة والمجرمون وجوههم مغبرة مقترة فاذا تلا النبي صلى الله عليه وسلم القرآن توهمت الأمة أنهم ماسمعوه قط وقد قيل للأصمعى تزعم أنك أحفظهم لكتاب الله قال يا ابن أخى يوم اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى ماسمعته فاذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء من قبل سرادقات الجلال وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيرتج الموقف ويقوم فيه روع عظيم والملائكة قد امتزجت بالجن والجن ببنى آدم والكل لجة واحدة ثم يخرج النداء يا آدم ابعث بعث النار فيقول كم يارب فيقال له من كل ألف تسع ماية وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة على ما يأتى بيانه فلا يزال يستخرج من سائر الملحدين والغافلين والفاسقين حتى لا يبقى إلا قدر حفنة الرب كما قال الصديق رضى الله عنه نحن حفنات بحفنات الرب سبحانه وتعالى على ما يأتى ان شاء الله تعالى .

باب ما جاء فى الشهداء عند الحساب

قال العلماء وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالى وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقال فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . وشهيد كل أمة نبيها وقيل أنهم كتبة الأعمال وهو الأظهر فتحضر الأمة ورسولها فيقال للقوم ماذا أجبتم المرسلين ويقال للرسل ماذا أجبتم فيقول الرسل لاعلم لنا على ماتقدم فى الباب قبل ثم يدعى كل واحد على الانفراد فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتباها فانه قد أخبر فى الدنيا

Marfat.com

أن عليه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة أن المنادى ينادى من قبل الله لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد مابين المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق فما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وذلك أن أعمال الخلائق تعرض على الله فى كل يوم فيأمر الكرام البررة أن ينسخوها فى ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى إنا كنانستنسخ ما كنتم تعملون ثم ينادى بهم فردا فردا فيحاسب كل واحد منهم فاذا الاقدام تشهد واليدان وهو قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون وقد جاء فى الخبر أن رجلا منهم يوقف بين يدى الله تبارك وتعالى فيقول له ياعبد السوء كنت بحرما عاصيا فيقول مافعلت فيقال له عليك بينة فيؤتى بحفظته فيقول كذبوا على فتشهد جوارحه عليه فيؤمر به إلى النار فيجعل يلوم جوارحه فتقول له ليس عن إختيارنا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وقد تقدم هذا المعنى مستوفى وتقدم أن الأرض والأيام والليالى والمال ممن يشهد وإذا قال الكافر لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني ختم على فيه فتشهد أركانه على ماتقدمم .

باب ماجاء فى شهادة النبى صلى الله عليه وسلم على أمته

ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم إلا تعرض على النبى صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تبارك وتعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا :

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله تعالى يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ولاتعارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا عليه السلام العرض كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء وقد ورد عنه ﷺ انه قال حياتى خير لكم الحديث

عه احظى ١/٥٥ـ

باب ماجاء فى عقوبة مانعى الزكاة

وفضيحة الغادر والغال فى الموقف وقت الحساب

مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له فى يوم مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله (١) فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولاغنم لايؤدى منها حقها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه اخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله الخ بث أخرجه البخارى بمعناه وروى مالك والبخارى والنسائي موقوفا مرفوعا عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم تأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وذكر مسلم من حديث جابر قال ولا صاحب كنز لا يؤدى فيه حقه إلا اجاء يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فرمنه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فأنا عنه غنى فإذا رأى ان لابد له منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل وذكر الحديث وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال لاألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم

(١) يارسول الله فالإبل قال ولا صاحب ابل لايؤدى منها حقها ومن حقها حلبها

Marfat.com

القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك[1] شيئا قد ابلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابلغتك لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد ابلغتك أخرجه البخارى أيضا وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء[2] فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة وفى رواية لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة وذكر أبو داود الطيالسى قال حدثنا قرة بن خالد عن عبدالملك بن عمير عن رافع بن شداد عن عمرو بن الحمق الخزاعى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة .

(فصل) قال علماؤنا رحمهم الله فى قوله تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم أى يأت به حاملا له على ظهره ورقبته معذبا بحمله وثقله ومرعوبا بصوته وموبخا بإظهار خيانته على رؤوس الإشهاد وكذا مانع الزكاة كما فى صحيح الحديث قال أبو حامد فمانع زكاة الإبل يحمل بعيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به براً كان أو شعيراً أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والثبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعا أقرع له زبيبتان وذنبه قد أنساب فى منخريه واستدارت بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق بكل رحى فى الأرض وكل واحد ينادى ما هذا فتقول الملائكة هذا ما بخلتم به فى الدنيا رغبة فيه وشحا عليه وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال

---

(١) لك من الله شيئا (٢) لواء يوم القيامة فيقال

Marfat.com

الشيخ المؤلف رحمه الله وهذه الفضيحة التى أوقعها الله بالغال ومانعى الزكاة نظير الفضيحة التى يوقعها بالغادر وجعل الله هذه المعاقبات حسب مايعهده البشر ويفهمونه ألا ترى إلى قول شاعرهم :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنـــا بها فى المجمع

فكانت العرب ترفع للغادر لواء فى المحافل ومواسم الحج وكذلك يطاف بالجانى مع جنايته وذهب بعض العلماء إلى ان ما يجى به الغال يحمله عبارة عن وزر ذلك وشهرة الأمر أى يأتى يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل بعيرا له رغاء أو فرسا له حمحمة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحقيقة فهو أولى وقد روى أبوداود عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى فى الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال يارسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة فقال أسمعت بلالا ينادى ثلاثا قال نعم قال فما منعك أن تجىء به فاعتذر إليه فقال كلا أنت تجىء به يوم القيامة فلن أقبله منك .

(فصل) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحجر ليزن بسبع خلفات فياتى فى جهنم فيهوى فيها سبعين خريفا ويؤتى بالغلول فيلقى معه ثم يكلف صاحبه أن يأتى به قال فهو قول الله تعالى ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ذكره على بن سيمان المرادى فى الأربعين له وقوله يرفع لكل غادر لواء يوم يوم القيامة دليل على أن فى الآخرة للناس الوية فمنها ألوية خزى وفضيحة يعرف بها أهلها ومنها الوية حمد وثناء وتشريف وتكريم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء الحمد بيدى وروى لواء الكرم وقد تقدم وروى الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرؤ القيس

Marfat.com

صاحب لواء الشعر إلى النار فعلى هذا من كان إماما ورأسا فى أمر ما معروفا به فله لواء يعرف به خيرا كان أو شرا وقد يجوز أن يكون للصالحين والأولياء ألوية يعرفون بها تنويها بهم واكراما لهم والله أعلم وإن كانوا غير معروفين قال النبى صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو اقسم على الله لابره وقال إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى أخرجهما مسلم وقال أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة وفى الحديث الصحيح أن أول ما يقضى الله فيه الدماء وأول من يعطى الله أجورهم الذين ذهبت أبصارهم ينادى يوم القيامة بالمكفوفين فيقال لهم أنتم احرى أى أحق من ينظر إلينا ثم يستحيي الله تعالى منهم ويقول لهم اذهبوا إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية وتجعل بيد شعيب عليه السلام فيصير أمامهم ومعهم ملائكة النور ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى يزفونهم كما تزف العروس فيمر بهم على الصراط كالبرق الخاطف وصفة أحدهم الصبر والحلم كابن عباس ومن ضاهاه من الأئمة ثم ينادى أين أهل البلاء ويريد المجذومين فيؤتى بهم فيحييهم الله بتحية طيبة بالغة فيأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء وتجعل بيد أيوب عليه السلام فيصير أمامهم ذات اليمين وصفة المبتلى صبر وحلم وعلم كعقيل بن أبى طالب ومن ضاهاه من الأئمة ثم ينـــادى اين الشباب المتعففون فيؤتى بهم إلى الله فيرحب بهم نعما ويقول ماشاء الله أن يقول ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء ثم تجعل فى يد يوسف عليه السلام ويصير أمامهم إلى ذات اليمين وصفة الشباب صبر وعلم وحلم كراشد بن سليمان ومن ضاهاه من الأئمة ثم يخرج النداء أين المتحابون فى الله فيوتى بهم إلى الله تعالى فيرحب بهم ويقول ماشاء الله أن يقول ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين وصفة المتحاب فى الله صبر وعلم وحلم لا يسخط ولا يسىء من رضى الاحوال الدينوية كابى تراب أعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه ومن ضاهاه من الأئمة ثم يخرج النداء أين الباكون فيؤتى بهم إلى الله تعالى فتوزن دموعهم ودم الشهداء ومداد العلماء فيرجح الدمع فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة لانهم بكوا فى أنواع مختلفة هذا بكى خوفا وهذا بكى طمعا وهـذا بكى ندما وتجعل بيد نوح عليه السلام فتهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون علمنا أبكاهم فإذا

Marfat.com

النداء على رسلك يانوح فتوقف الزمرة ثم يوزن مداد العلماء فيرجح دم الشهداء فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية مزعفرة وتجعل فى يد يحي عليه السلام ثم ينطلق أمامهم فيهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون عن علمنا قاتلوا فنحن أحق بالتقدم فيضحك لهم الجليل جل جلاله ويقول لهم أنتم عندى كأنبيائى اشفعوا فيمن تشاؤن فيشفع العالم فى جيرانه وإخوانه ويأمر كل واحد منهم ملكا ينادى فى الناس ألا أن فلانا العالم قد أمر له أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمه حين جاع أو سقاه شربة ماء حين عطش فليقم إليه فانه يشفع له .

وفى الصحيح أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء ويعقد لهم راية بيضاء وتجعل بيد إبراهيم عليه السلام فإنه أشد المرسلين مكاشفة ثم ينادى أين الفقراء فيؤتى بهم إلى الله عز وجل فيقول لهم مرحباً بمن كانت الدنيا سجنهم ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية صفراء وتجعل فى يد عيسى بن مريم عليه والسلام ويصير إمامهم إلى ذات اليمين ثم ينادى أين الاغنياء فيؤتى بهم الى الله عز وجل فيعدد عليهم ما خولهم فيه خمس ماية عام ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سليمان عليه السلام ويصير امامهم فى ذات اليمين .

وفى الحديث أن أربعة يستشهد عليهم بأربعة ينادى بالأغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله فيقولون أعطانا الله ملكا وغبطة شغلنا عن القيام بحقه فى دار الدنيا فيقال لهم من أعظم ملكا أنتم أم سليمان فيقولون بل سليمان فيقال ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب فى ذكره ثم يقال أين أهل البلاء فيؤتى بهم أنواعا فيقال لهم أى شىء شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله[1] بأنواع من الآفات والعاهات شغلنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم من أشد بلاء أنتم أم أيوب فيقولون بل أيوب فيقال لهم ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا ثم ينادى أين الشباب العطرة والمماليك فتقول الشباب أعطانا الله جمالا وحسناً فتنا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون شغلنا رق العبودية فى الدنيا فيقال لهم أنتم أكثر جمالا أم يوسف عليه السلام فلقد كان فى رق العبودية ماشغله

(١) الله فى دار الدنيا بأنواع

Marfat.com

ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا ثم ينادى أين الفقراء فيؤتى بهم أنواعاً فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله فى دار الدنيا بفقر شغلنا فيقال لهم من أشد فقراً أنتم أم عيسى عليه السلام فيقولون بل عيسى فيقول لهم ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا فمن بلى بشىء من هذه الأربع فليذكر صاحبه .

« فصل » وقوله هذه غدرة فلان بن فلان دليل على أن الناس يدعون فى الاخرة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا فى غير موضع وفى هذا رد على من قال إنما يدعون بأسماء أمهاتهم لأن فى ذلك سترا على آبائهم وهذا الحديث خلاف قولهم خرجه البخارى ومسلم وحسبك .

« فصل » وقوله فيكوى بها جنبه الحديث إنما خص الجنب والجبهة والظهر بالكى لشهرته فى الوجه وشناعته وفى الجنب والظهر لأنه آلم وأوجع وقيل خص الوجه لتقطيبه فى وجه السائل أولا والجنب لازوراره عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه إذا زاد فى السؤال وأكثر منه فرتب الله تعالى هذه العقوبات فى هذه الاعضاء لأجل ذلك والله أعلم . وقالت الصوفية لما طلبوا الجاه والمال شان الله وجوههم ولما طووا كشحا عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ولما اسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتماداً عليها كويت ظهورهم :

« فصل » وقوله فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قيل معناه لو حاسب فيها غير الله تعالى وإنما هو سبحانه وتعالى يفرغ منه فى مقدار نصف نهار من أيام الدنيا وقيل قدر موافقهم للحساب عن الحسن وقال ابن اليمان كل موقف منها ألف سنة

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وقد تقدم من حديث أبى سعيد الخدرى وذكر ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبى هريرة قال يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة . وفى الحديث لا ينتصف

Marfat.com

النهار حتى يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ذكره ابن عزير فى غريب القرآن له . وبطح ألتى على وجهه . قال بعض المفسرين . وقال أهل اللغة : البطح هو البسط كيفما كان على الوجه أو على الوجه ومنه سميت بطحا مكة لانبساطها وبقاع قرقر أي بموضع مستو واسع وأصل القاع الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء وجمعه قيعان والعقصاء الملتوية القرن والجلحاء التى لا قرن لها والعضباء المكسورة داخلة القرن يريدانها كلها ذوات قرون صحاح معتلة ويمكن بها النطح والطعن حتى يكون أشد لألمه وأبلغ فى عذابه والله اعلم .

باب منه وذكر الولاة

ذكر الغيلانى أبو طالب قال حدثنا أبو بكر الشافعى قال حدثنا محمد بن غالب قال حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن ابن عجلان عن ابيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يفكه الله بعدله أو يوبقه بجرمه وقال عمر لأبى ذر رضى الله عنهما حدثنى بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول يجاء بالوالى يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعا لله فى عمله مضى فيه وان كان عاصيا (١) انخرق به الجسر فهوى به مقدار (٢) خمسين عاما فقال عمر من يطلب العمل بعد هذا يا أباذر قال من سلت الله أنفه وألصق خده بالتراب ذكره أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله وروى الأئمة عن أبى حميد الساعدى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه استعمل رجلا من الأسد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فجاء فقال هذا لكم وهذا أهدى لى فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا لا يأتى أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيرا فله رغاء وإن كان بقرة فلها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا

(١) عاصيا لله عز وجل (٢) به فى جهنم مقدار

عفرتى ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت وروى أبو داود عن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول .

باب ما جاء فى حوض النبى
صلى الله عليه وسلم فى الموقف
وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبى صلى الله عليه وسلم انما هو بعد الصراط والصحيح أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين(١) وكلاهما يسمى كوثرا على مايأتى والكوثر فى كلام العرب الخير الكثير واختلف فى الميزان والحوض أيهما قبل الآخر فقيل الميزان قبل وقيل الحوض قال أبو الحسن القابسى والصحيح أن الحوض قبل .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم كما تقدم فيقدم على الصراط والميزان والله أعلم وقال أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة وحكى بعض السلف من أهـــل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال الشيخ المؤلف رحمه الله هو كما قال وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم فقلت إلى أين فقال إلى النار والله، قلت ماشأنهم فقال إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بينى وبينهم رجل فقال لهم هلم فقلت إلى أين قال إلى النار والله قلت ماشأنهم قال إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فهـذا الحديث مع صحته أدل دليـل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم

(١) حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة

Marfat.com

ممدود يجاز عليه فمن جازه سلم من النار على مايأتى وكذا حياض الأنبياء عليهم السلام تكون أيضاً فى الموقف على مايأتى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى الله تعالى هل فيه ماء قال أى والذى نفسى بيده إن فيه لماء وإن أولياء الله تعالى ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء .

مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم لم يظمأ عرضه طوله ما بين عمان الى أيلة ماؤه أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنى لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق . فى غير كتاب مسلم يعب فيه ميزابان من الكوثر وفى أخرى ما يبسط أحد منكم يده الا وقع عليه قدح

مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفا إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله قال نزلت على آنفا سورة فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر » ثم قال : أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول يارب إنه من أمتى فيقال ماتدرى ما أحدث بعدك . وفى رواية أخرى ما أحدث وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه

كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعده أبدا أخرجه البخارى .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:إن أمامكم حوضا كما بين جربا وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً . قال عبيدالله فسألته فقال قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث أخرجه البخارى : وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن حوضى أبعد من أيلة إلى عدن لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإنى لأصد الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه قالوا يارسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء. ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن لى حوضا مابين الكعبة وبيت المقدس أبيض مثل اللبن آنيته عدد نجوم السماء وإنى لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة

(فصل) ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك وإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهل الشام مابين أذرح وجربا ولأهـــل اليمن من صنعاء إلى عدن وهكذا وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول : مسيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات فخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها والله أعلم. ولايخطر ببالك أو يذهب وهمك الى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده فى الأرض المبدلة على مسامتة هذه الأقطار أو فى المواضع التى تكون بدلا من هذه المواضع فى هذه الأرض وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم تطهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء ويغت معناه يصب ويشخب أى يسيل والعقر مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته وتسكن قافه وتضم فيقال عقر وعقر كعسر وعسر قاله فى الصحاح والهمل من النعم الضوال من الإبل

Marfat.com

واحدها هامل قاله الهروى . والمعنى أن الناجى منهم قليل كهمل النعم ويقال إن علىَ أحد أركانه أبا بكروعليـاالثانى عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع على .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا لايقال من جهة الرأى فهو مرفوع وقد رفعه صاحب الغيلانيات من حديث حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن على حوضى أربعة أركان . فأول ركن منها فى يد أبى بكر(١) والثانى فى يد عمر والركن الثالث فى يد عثمان ، والركن الرابع فى يد على رضى الله عنهم أجمعين . فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على وذكر الحديث :

باب منـه

ذكر أبو داود الطيالسى : قال حدثنا شعبة قال أخبرنى عمرو بن مرة قال : سمعت أبا حمزة عن زيد بن أرقم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما أنتم بجزء من مائة ألف أو سبعين ألف جزء ممن يرد على الحوض وكانوا يومئذ ثمـان مائة أو تسع مائة والله أعلم .

باب فقراء المهاجرين أول الناس ورود الحوض على النبى صلى الله عليه وسلم

ابن ماجه عن الصنابحى الأحمسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنى فرطـكم على الحوض وإنى مكاثربكم الأمم فلا تقتتلن بعدى . وخرج عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضى مابين عدن إلى أيلة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعث رؤوسا الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم أبواب السدد قال فبكى عمر

(١) والركن الثانى

Marfat.com

حتى اخضلت لحيته فقال لكنى نكحت المتنعمات وفتحت لى أبواب السدد لاجرم أنى لا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ ولا أدهن رأسى حتى تشعث خرجه الترمذى عن أبى سلام الحبشى قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد قال فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين لقد شق مركبى البريد فقال يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغنى عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحوض فأحببت أن تشافهنى به . قال أبو سلام حدثنى ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد فذكره بمعناه وقال حديث غريب وقال أنس بن مالك رضى الله عنه أول من يرد الحوض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن .

باب ذكر من يطرد عن الحوض

البخارى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليردن على ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دونى فأقول أصحابى فيقول لا تدرى ما أحدثوا بعدك . وعن أبى هريرة أنه كان يتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يرد على الحوض رهط من أصحابى فيخلون عن الحوض فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى .

مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس دونى فأقول يارب منى ومن أمتى فيقال أما شعرت ماعملوا بعدك والله ما برحوا بعدى يرجعون على أعقابهم وفى حديث أنس فيختلج العبد منهم فأقول يارب من أمتى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وقد تقدم وكذلك حديث البخارى إذا زمرة حتى إذا عرفتهم تقدم أيضاً وفى الموطأ وغيره من حديث أبى هريرة فقالوا كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك يارسول الله الحديث وفيه قال فإنهم يأتون غرا محجلين من أثر الوضوء

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض

Marfat.com

المبعدين عنه وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى . وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع . ثم البعد قد يكون فى حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل فى الأعمال ولم يكن فى العقائد وعلى هـــذا القدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سحقا وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر . ثم يكشف لهم الغطاء فيقال لهم فسحقاً فسحقاً ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد مبطل ليس فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . وقد يقال إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش والله أعلم .

وروى الترمذى عن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض يا كعب بن عجرة . الصلاة برهان والصبر جنة حصينة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرجه أيضا فى كتاب الفتن . وخرج الأوزاعى أبو عمر فى مسنده قال حدثنى عمرو بن سعد قال حدثنى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول حوضى مابين أيلة إلى مكة أباريقه كنجوم السماء أو كعدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة كلما نضب أمداه من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وسيأتيه قوم ذابلة شفاههم لا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشرب يومئذ وخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث عثمان بن مظعون عن النبى صلى الله وسلم أنه قال فى آخره يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى

Marfat.com

ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة وقد ذكرناه بكماله فى آخر كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة

باب ما جاء أن لكل نبى حوضا

الترمذى عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حوضا وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردیه وإنى أرجوا أن أكون أكثرهم وارده قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب رواه قتادة عن الحسن عن سمرة وقد رواه الأشعث بن عبد الملك عن الحسين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه غير سمرة وقال البكرى المعروف بابن الواسطى لكل نبي حوض إلا صالحا فإن حوضه ضرع ناقته والله وسبحانه وتعالى أعلم

باب ماجاء فى الكوثر الذى أعطيه صلى الله عليه وسلم فى الجنة

البخارى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قلت ماهذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر ـ شك هدبة ـ خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وزاد ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت عندها نورا عظيما قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن وهب قال أخبرنى شبيب عن أبان عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين عرج به إلى السماء قال رأيت نهرا عجاجاً مثل السهم يطرد أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل حافتاه قباب من در مجوف فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا نهر الكوثر الذى أعطاك ربك قال فضربت بيدى إلى حمأته فإذا هو مسك أذفر ثم ضربت بيدى إلى إلى رضراضه فإذا هو در .

الترمذى عن ابن عمر قال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج هذا حديث حسن صحيح والله أعلم .

Marfat.com

أبواب الميزان

باب ما جاء فى الميزان وأنه حق

قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وقال فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية . قال العلماء وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغى أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقال فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه إلى آخر السورة وقال ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم الآيتين فى الأعراف والمؤمنين وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار لأن عامة المعنيين بقوله خفت موازينه فى هذه الآيات هم الكفار وقال فى سورة المؤمنين فكنتم بها تكذبون وفى الأعراف بما كانوا بآياتنا يظلمون وقال فأمه هاوية وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار وإذا جمع بينه وبين قوله وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها(١) ثبت أن الكفار يسئلون(٢) عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه إذ لو لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها فى الوزن أيضا فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب وفى القرآن مايدل أنهم مخاطبون بها مسئولون عنها محاسبون بها مجزيون على الاخلال بها لأن الله تعالى يقول ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فتوعدهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم ماسلككم فى سقر الآية فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنهم مسؤلون عنها محاسبون بها مجزيون على الاخلال بها وفى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرءوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا .

---

(١) ايتنا بها وكفى بنا حاسبين (٢) يسألون عما خالفوا

قال العلماء معنى هذا الحديث أنه لاثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلاحسنة لهم توزن فى موازين يوم القيامة ومن لاحسنة له فهو فى النار وقال أبو سعيد الخدرى يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئا وقيل يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله أعلم. وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم والمشارب وبها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن وقد قال صلى الله عليه وسلم إن أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين.

باب منه

وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلايق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فقال. لا يارب فيقول بل إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء قال حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه فى سننه وقال بدل قوله وأول الحديث إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة يصاح برجل من أمتى على رؤس الخلائق وذكر الحديث وقال محمد بن يحيى البطاقة الرقعة أهل مصر يقولون للرقعة بطاقة وفى الخبر إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك

فمن أنت فيقول أنا نبيك محمد وهذه صلاتك على التى كنت تصلى على قد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها ذكره الثعلبى فى تفسيره وذكر أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس والعمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله الميزان حق ولابد منه فى حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام فيقال يامحمد أدخل الجنه من أمتك من لا حساب عليه الحديث وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم الآية وإنما يكون لمن بقى من أهل المحشر ممن خلط عملا صالحاً وأخر سيئا من المؤمنين وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا ويأتى وقال أبو حامد والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلاحساب لا ترفع لهم ميزان ولايأخذون صحفا وإنما هى براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها فما مر عليه شىء أسر من ذلك المقام .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان وينصب عليهم الأجر صبا بغير حساب ذكره القاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمه الله وخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يأتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب لهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله تعالى لهم هذا حديث غريب من حديث جابر الجعفى وقتادة وتفرد به عن قتادة عن جابر عن ابن عباس عن جماعة ابن الزبير وروى الحسين بن على رضوان الله عليهما قال قال لى جدى صلى الله

Marfat.com

عليه وسلم يابنى عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس وأد الفرائض تكن من أعبد الناس .

يابنى إن فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا وقرأ صلى الله عليه وسلم إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق : (١)

(١) البلاء يوم القيامة فلا ينصب

(فصل) فإن قيل أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن والكافر لا يكون له حسنات فما الذى يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق فى أعماله الوزن فالجواب إن ذلك على وجهين أحدهما إن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته فى إحدى كفتيه ثم يقال له هل لك من طاعة تضعها فى الكفة الأخرى فلا يجدها فيثقال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون وإذا كان فارغا فهو خفيف والوجه الآخر ان الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فانها تجمع وتوضع فى ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها بها رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفا ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حبة واحدة لاحضرت ووزنت كما ذكرنا . فان قيل لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله ابن جدعان وقيل له إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويعين فى النوائب فهل ينفعه ذلك فقال لا لأنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وسأله عدى بن حاتم عن أبيه مثل ذلك فقال إن أباك طلب أمرا فأدركه يعنى الذكر فدل أن الخيرات من الكافر ليست بخيرات وان وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء والجواب أن الله تعالى قال ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ولم يفصل بين نفس ونفس فخيرات الكافر توزن ويجزى بها إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة

لجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبى طالب فانه قيل له يارسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك فقال نعم وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار وما قاله عليه السلام فى ابن جدعان , وحاتم إنما هو فى أنهما لايدخلان الجنة ولايتنعمان بشى من نعيمها والله أعلم .

(فصل) أصل ميزان موزان قلبت الواو بالكسرة ماقبلها قال ابن فورك وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لاتقوم بأنفسها ومن المتكلمين من يقول كذلك وروى ذلك عن ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة وقد تقدم هذا المعنى . والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز قال الله عز وجل وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين وهذا نص قال ابن عمر توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلا على كثرة أعماله بادخاله الجنة أو النار وروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء وذكر الوزن والميزان ضرب مثل كما يقول هذا الكلام فى وزن هذا وفى وزانه أى يعادله ويساويه وان لم يكن هناك وزن .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا القول مجاز وليس بشىء وإن كان شائعا فى اللغة **للسنة الثابتة** فى الميزان الحقيقى ووصفه بكفتين ولسان وأن كل كفة منهما طباق السموات والأرض وروى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال توضع الموازين يوم القيامة فلو وضعت فيهن السموات والأرض لوسعتهن فتقول الملائكة ياربنا لمن هذا فيقول أزن به لمن شئت من خلقى فكفة الحسنات من نور والأخرى من ظلام فالكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات وجاء فى الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ويؤتى بالميزان فتنصب بين يدى الله تعالى كفة للحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات عن يسار العرش

مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول وقال ابن عباس توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له كفتان ولسان .

قال علماؤنا ولو جاز حمل الميزان على ماذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على مايرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة وهذا كله فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق وفى الصحيحين فيعطى صحيفة حسناته وقوله فيخرج له بطاقة وذلك يدل على الميزان الحقيقى وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله توفيقنا ولقد أحسن من قال :

تذكر يوم تأتى الله فردا ٭ وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصى ٭ وجاء الذنب منكشف الغطاء

(فصل) قال علماؤنا رحمهم الله الناس فى الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبائر لهم ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر والثالث الكفار فأما المتقون فإن حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم فى الكفة الأخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلمة لارتفاع الفارغ الخالى وأما المخطون فحسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل الجنة وإن كانت السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار إلا أن يعفو الله وإن تساويا كان من أصحاب الاعراف على ما يأتى هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين الله وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه من أوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع هذا ما تقتضيه الأخبار على ماتقدم ويأتى، قال أحمد بن حرب تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة وفرقة فقراء وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس فى شأن التبعات وقال سفيان الثورى

أنك أن تاقى الله عز وجل بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا صحيح لأن الله غنى كريم وابن آدم فقير مسكين محتاج فى ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه حتى ترجح ميزانه فيكثر خيره وثوابه وأما الكافر فإنه يوضع كفره فى الكفة المظلمة ولا يوجد له حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير فيأمر الله بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه وأما المتقون فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعته فهذان الصنفان هما المذكوران فى القرآن فى آيات الوزن لأن الله تعالى لم يذكر إلامن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه بالخلود فى النار بعد أن وصفه بالكفر وبقى الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فبينهم النبى صلى الله عليه وسلم حسب ما ذكرنا وإنما توزن أعمال المؤمن المتقى لإظهار فضله كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله فإن أعماله توزن تبكيتا له على فراغه وخلوه عن كل خير فكذلك توزن أعمال المتقى تحسينا لحاله وإشارة لخلوه من كل شر وتزييناً لأمره على رؤوس الاشهاد وأما المخلط السيء بالصالح فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة على ما يأتى .

(فصل) فإن قيل أخبر الله عن الناس إنهم محاسبون مجزيون وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء فما القول فى ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم، فالجواب أنه قد قيل إن الله تعالى لما قال إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دخل فى الجملة الجن والإنس فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ماثبت للإنس وقال أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ثم قال ولكل درجات مما عملوا وإنما أراد لكل من الجن والإنس فقد ذكروا فى الوعد والوعيد مع الإنس وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم

Marfat.com

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وهذا سؤال وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله وقد تقدم هذا، وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن إلى قوله يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من عذاب أليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين وهذا يدل صريحا على أن حكمهم فى الآخرة كالمؤمنين وقال حكاية عنهم وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون الآيتين ولما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم زادهم كل عظم وعلف دوابهم كل روث قال فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم الجان فجعلهم إخواننا وإذا كان كذلك فحكمهم كحكمنا فى الآخرة سواء والله أعلم وقد تقدمت الاشارة إلى هذا فى باب ما جاء أن الله يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

(فصل) قوله فى الحديث فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ليست هذه شهادة التوحيد لأن من شأن الميزان أن يوضع فى كفة شىء وفى أخرى ضده فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة فهذا غير مستحيل لأن العبد يأتى بهما جميعا ويستحيل أن يأتى الكفر والإيمان جميعا عند واحد حتى يوضع الإيمان فى كفة والكفر فى كفة فلذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان وأما بعد ما آمن العبد فان النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع فى الميزان مع سائر الحسنات قاله الترمذى الحكيم رحمه الله.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويدل على هذا قوله فى الحديث فيقول بلى أن لك عندنا حسنة ولم يقل إن لك عندنا إيمان وقد سئل رسول الله ﷺ عن لا إله إلا الله أمن الحسنات هى فقال من أعظم الحسنات خرجه البيهقى وغيره ويجوز أن تكون هذه الكلمة هى آخر كلامه فى الدنيا كما فى حديث معاذ ابن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه فى الدنيا لا إله إلا الله وجبت له الجنة رواه صالح بن أبى غريب عن كثير بن مرة عن معاذ وقد تقدم أول الكتاب وقيل يجوز حمل هذه الشهادة على الشهادة التى

Marfat.com

هى الإيمان ويكون ذلك فى كل مؤمن وكل مؤمن ترجح حسناته ويوزن إيمانه كما توزن سائر حسناته وإيمانه يرجح سيئاته كما فى هـــذا الحديث ويدخله النار بعد ذلك فيطهره من ذنوبه ويدخله الجنة بعد ذلك وهذا مذهب قوم يقولون أن كل مؤمن يعطى كتابه بيمينه وكل مؤمن يثقل ميزانه ويتأولون قول الله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أى الناجون من الخلود وهو فى قوله فهو فى عيشة راضية يوما ما وكذلك فى قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة إنه صائر إليها لا محالة أصابه قبل ذلك ما أصابه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا تأويل فيه نظر يحتاج إلى دليل من خارج ينص عليه والذى تدل عليه الاى والأخبار أن من ثقل ميزانه فقد نجا وسلم وبالجنة أيقن وعلم لا أنه يدخل النار بعد ذلك والله أعلم وقال عليه السلام ماشىء يوضع فى الميزان أثقل من خلق حسن خرجه الترمذى عن أبى الدرداء وقال فيه حديث حسن صحيح وقد تقدم من حديث سمرة بن جندب ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاء أفراطه فثقلوا ميزانه وكذلك الأعمال الصالحة دليل على فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القشيرى فى التحبير له يحكى عن بعضهم أنه قال رأيت بعضهم فى المنام فقلت ما فعل الله بك فقال وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء وسقطت فى كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة فإذا فيها كف تراب ألقيته فى قبر مسلم وذكر أبو عمر فى كتاب جامع بيان العلم بإسناده عن حماد بن زيد عن أبى حنيفة عن حماد عن إبراهيم فى قوله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال يجاء بعمل الرجل فيوضع فى كفة ميزانه يوم القيامة فتخف فيجاء بشىء أمثال الغمام أو قال مثل السحاب فيوضع فى ميزانه فترجح فيقال له اتدرى ماهذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس أو نحو ذلك .

Marfat.com

باب منه

الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قعد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن لى مملوكين يكذبونى ويخونونى ويعصونى وأشتمهم واضربهم فكيف أنا منهم قال يحسب ماخانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك أياهم بقدر ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله ﷺ أما تقرأ كتاب الله تعالى ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية فقال الرجل والله يارسول الله ما أجدلى ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم أشهدك أنهم أحرار كلهم قال أبو عيسى هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان وقد روى أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث وعن وهب بن منبه فى قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وإذا أراد الله بعبد خيرا ختم له بخير وإذا أراد الله به شرا ختم له بشر عمله ذكره أبو نعيم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا صحيح يدل عليه قوله عليه السلام وإنما الأعمال بالخواتيم والله تعالى أعلم .

باب منه وذكر أصحاب الأعراف

ذكر خيثمة بن سليمان فى مسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن السيئات والحسنات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يارسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وذكر ابن المبارك قال أخبرنا أبو بكر الهذلى عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته

Marfat.com

بواحدة دخل النار ثم قرأ فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال إن الميزان تخف بمثقال حبة أو ترجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف وذكر الحديث وقال كعب الأحبار إن الرجلين كانا صديقين فى الدنيا فيمر أحدهما بصاحبه وهو يجر إلى النار فيقول له أخوه والله مابقى لى إلا حسنة أنجو بها خذها أنت ياأخى فتنجوا بها مما أرى وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف قال فيأمر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد له حسنة ترجح ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى رحمة منه اذهب فى الناس فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فيصير يجوس خلال العالمين فما يجد أحدا يكلمه فى ذلك الأمر إلا يقول له خفت أن يخف ميزانى فأنا أحوج منك إليها فييأس فيقول له رجل ماألذى تطلب فيقول حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم منها الألف فبخلوا على فيقول له الرجل لقد لقيت الله تعالى فما وجدت فى صحيفتى إلاحسنة واحدة وماأظنها تغنى عنى شيئا خذها هبة منى إليك فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ماباالك وهو أعلم فيقول رب اتفق من أمري كيت وكيت ثم ينادى سبحانه بصاحبه الذى وهبه الحسنة فيقول له سبحانه كرمى أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وإنطلقا إلى الجنة وكذا تستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من أهل الجنه ولا من أهل النار فيأتى الملك بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا فيؤمر به إلى النار قال فيطلب الرجل أن يرده الله تعالى فيقول ردوه فيقول له أيها العبد العاق لأى شيء تطلب الرد إلى فيقول إلهى رأيت أنى سائر إلى النار وإذ لابد لى منها وكنت عاقا لأبى وهو سائر إلى النار مثلى فضعف على به عذابى وأنقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته فى الدنيا وبررته فى الآخرة خذ بيد أبيك وإنطلقا إلى الجنة .

(فصل) ذكر الله تعالى الميزان فى كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الأفراد

Marfat.com

والجمع فقيل يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله كما قال :

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان
تتصرف الأشياء فى ملكوته ولكل شىء مدة وأوان

ويمكن أن يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى كذبت عاد المرسلين كذبت قوم نوح المرسلين وإنما هو رسول واحد وقيل المراد بالموازين جمع موزون أى الأعمال الموزونة لاجمع ميزان وخرج الالكائى فى سننه عن أنس رفعه ان ملكا موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلايق كلها سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا وان خف نادى الملك شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا وخرج عن حذيفة قال صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام .

(فصل) وأما أصحاب الأعراف فيقال إنهم مساكين أهل الجنة ذكر هناد بن السرى قال حدثنا وكيع عن سفيان عن مجاهد عن حبيب عن عبد الله بن الحارث قال أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له الحياة حافاه قصب الذهب قال أراه قال مكلل باللؤلؤ فيغتسلون منه اغتسالة فيبدوا فى نحورهم شامة بيضاء ثم يعودون فيغتسلون فكلما اغتسلوا زادت بياضا فيقال لهم تمنوا فيتمنون ماشاؤا قال فيقال لهم لكم ماتمنيتم وسبعين ضعفا قالوا فهم مساكين أهل الجنة فى رواية فاذا دخلوا الجنة وفى نحورهم تلك الشامة البيضاء فيعرفون بها قال فهم يسمون فى الجنة مساكين أهل الجنة واختلف العلماء فى تعيينهم على اثنى عشر قولا (الأول) ماتقدم ذكره فى الحديث وهو قول ابن مسعود وكعب الأحبار كما ذكرنا وذكره ابن وهب عن ابن عباس (الثانى) قوم صالحون فقهاء علماء قاله مجاهدا (الثالث) هم الشهداء ذكره المهدوى (الرابع) هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس ذكره أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيرى (الخامس) هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم

Marfat.com

قاله شرحبيل بن سعد وذكر الطبرى فى ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعادل عقوقهم واستشهادهم (السادس) هم العباس وحمزة وعلى بن أبى طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه ذكره الثعلبى عن ابن عباس (السابع) هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم فى كل أمة ذكره الزهراوى واختاره النحاس (الثامن) هم قوم أنبياء قاله الزجاج (التاسع) هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب فى الدنيا قوقفوا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع فى مقابلة صغائرهم حكاه ابن عطية القاضى أبو محمد فى تفسيره (العاشر) ذكره ابن وهب عن ابن عباس قال أصحاب الأعراف الذين ذكر الله فى القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة وذكره ابن المبارك قال أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان جسيم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم بسواد الوجوه وقالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم . قال ابن عباس أدخل الله أصحاب الأعراف الجنة وفي رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود وكانوا آخر أهل الجنة دخولا الجنة (قال) ابن عطية وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف لأن مذهبه أنهم مذنبون (الحادى عشر) أنهم أولاد الزنا ذكره أبو نصر القشيرى عن ابن عباس (الثانى عشر) أنهم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار قاله أبو مجلز لاحق بن حميد فقيل له لا يقال للملائكة رجال فقال أنهم ذكور وليسوا بأناث فلا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن فى قوله تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن . والأعراف سور بين الجنة والنار قيل هو جبل أحد يوضع هناك (روى) عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أنس وغيره ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره حسب ما ذكرناه فى كتاب جامع أحكام القرآن من سورة الأعراف والحمد لله .

(حكاية) روى عن بعض الصالحين رضى الله عنه أنه قال أخذتنى ذات ليلة

سنة فنمت فرأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يحاسبون فقوم يمضى بهم إلى الجنة وقوم يمضى بهم إلى النار قال فأتيت إلى الجنة فناديت أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنة فى محل الرضوان فقالوا بطاعة الرحمن ومخالفه الشيطان ثم أتيت إلى باب النار فناديت ياأهل النار بماذا نلتم النار قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال فنظرت فاذا أنا بقوم موقوفون بين الجنة والنار فقلت لهم ما بالكم فقالوا لى موقوفون بين الجنة والنار ٠لنا ذنوب جلت وحسنات قلت فالسيئات منعتنا من دخول الجنة والحسنات منعتنا من دخول النار وأنشدوا :

نحن قوم لنا ذنوب كبار منعتنا من الوصول اليه
تركتنا مذبذبين حيارى امسكتنا من القدوم عليه

باب اذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد

فاذا بقى فى هذه الأمة منافقوها امتحنوا وضرب الصراط

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون وذكر الحديث بطوله وخرج مسلم عنه أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يارسول الله قال فهل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول

Marfat.com

أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يارسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لايعلم ماقدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى وذكر الحديث وسيأتى

(فصل) ذكر الفقيه أبو بكر بن برجان فى كتاب الإرشاد له بعد قوله ويلهم رؤس المحشر لطلب من يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك ثم يؤمر آدم عليه السلام بأن يخرج بعث النار من ذريته وهم سبعة أصناف البعثان الأولان يلتقطهم عنق النار من بين الخلائق لقط الحمام حب السمسم وهم أهل الكفر بالله جحدا وعتوا وأهل الكفر بالله إعراضا وجهلا ثم يقال لأهل الجمع أين ماكنتم تعبدون من دون الله لتتبع كل أمة ماكانت تعبد فمن كان يعبد من دون الله شيئا اتبعه حتى يقذف به فى جهنم (قال) الله عز وجل هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ماكانوا يفترون وقال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود أبليس أجمعون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمد الأرض مد الأديم يوم القيامة لعظمة الله عز وجل ثم لايكون لبشر من بنى آدم منها إلا موضع قدميه ثم أدعى أنا أول الناس فأخر ساجدا ثم يؤذن لى فأقول يا رب خبرني هـذا جبريل عليه السلام وهو عن يمين عرش الرحمن تبارك وتعالى أنك أرسلته إلى وجبريل ساكت لايتكلم حتى يقول الله عز وجل صدق ثم يؤذن لى فى الشفاعة فأقول يارب عبادك عبدوك فى أقطار الأرض فذلك المقام المحمود ثم يبعث البعث الرابع وهم قوم وحدوا الله وكذبوا المرسلين جهلوا صفات الله جل جلاله وردوا عليه كتبه ورسله ثم يبعث البعث الخامس والسادس وهم أهل الكتابين يأتون ربهم عطاشا يقال لهم ماكنتم تبغون فيقولون عطشنا يارينا فاسقنا فيقال لهم ألاترون فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيردونها سقوطا فيها ثم تقع المحنة بالمنافقين والمؤمنين فى معرفة ربهم وتميزه من المعبودات من دونه فيذهب الله المنافقين ويثبت المؤمنين ثم ينصب الصراط مجازا على متن

Marfat.com

جهنم أعاذنا الله منها أرق من الشعر وأحد من الموسى كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسقط أهل البدع فى الباب السادس منه أو الخامس وأهل الكبائر فى السابع أو السادس وإنما يسقط الساقط بعد مايعجز عمله ويخلص المؤمنون على درجاتهم فى تفاوتهم فى النجاة ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا صفوا وهذبوا أدخلوا الجنة ومن ذلك المقام يوقف أصحاب الأعراف .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هكذا ذكر هذا الترتيب وهو ترتيب حسن وسيأتى له مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

(فصل) قوله هل تضارون بضم الناء وفتحها وبتشديد الراء وتخفيفها وضم الناء وشد الراء أكثر وأصله تضاررون اسكنت الراء الأولى وأدغمت مع الثانية وماضيه ضورر على مالم يسم فاعله ويجوز أن يكون مبينا للفاعل بمعنى تضاررون بكسر الراء إلا أنها سكنت الراء وادغمت وكله من الضر المشدد وأما التخفيف فهو من ضاره يضيره و يضوره مخففا والمعنى أن أهل الجنة إذا امتن الله عليهم برؤيته سبحانه تجلى لهم ظاهرا بحيث لايحجب بعضهم بعضا ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الأهلة بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه وقد روى تضامون من المضامة وهى الازدحام أيضا أى لاتزدحمون عند رؤيته تعالى كما تزدحمون عند رؤية الأهلة وروى تضامون بتخفيف الميم من الضيم الذى هو الذل أى لايذل بعضكم بعضا بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة وسيأتى هذا المعنى مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى أبواب الجنة إن شاء الله تعالى وقوله فإنكم ترونه كذلك هذا تشبيه للرؤية وحالة الرائى لاالمرئى لأن الله سبحانه لايحاط به وليس كمثله شىء ولا يشبهه شىء وقوله فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون هذا موضع الامتحان ليميز المحق من المبطل وذلك أنه لما بقى المنافقون والمراءون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين انهم منهم وانهم عملوا مثل أعمالهم وعرفوا الله مثل معرفتهم امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة قالت للجميع أنا ربكم فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك والتعوذ منه لما قد سبق لهم من معرفتهم بالله عز وجل وأنه منزه عن صفات هذه الصورة إذ

سماتها سمات المحدثات ولهذا قال فى حديث أبى سعيد الخدرى فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر فى كتاب المفهم لشرح اختصار كتاب مسلم وهذا لمن لم يكن له رسوخ العلماء ولعلهم الذين اعتقدوا الحق وجزموا عليه من غير بصيرة ولذلك كان اعتقادهم قابلا للانقلاب عليهم ، والله أعلم

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل أن يكونوا المنافقين والمرائين وهو أشبه والله أعلم لأن فى الامتحان الثانى يتحقق ذلك لأن فى حديث أبى سعيد بعد قوله حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى الصورة التى رأوه فيها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة وسيأتى قوله فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون أى يتجلى لهم فى صفته التى هو عليها من الجلال والكمال والتعالى والجمال بعد أن رفع الموانع عن أبصارهم فيتبعونه أى يتبعون أمره أو ملائكته ورسله الذين يسوقونهم إلى الجنة والله أعلم والدعوى الدعاء قال الله سبحانه وتعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم أى دعاؤهم والكلاليب جمع كلوب والسعدان نبت كثير الشوك شوكه كالخطاطيف والمحاجن ترعاه الإبل فيطيب لبنها تقول العرب مرعى ولا كالسعدان والموبق المهلك أوبقه ذنبه اهلكه ومنه الحديث اجتنبوا السبع الموبقات وقوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا والمجازى الذى جوزى بعمله وقوله فيكشف عن ساق كشف الساق عبارة عن معظم الأمر وشدته ذكره ابن المبارك قال أخبرنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال يوم كرب وشدة أخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال شدة الأمر وجده قال مجاهد وقال ابن عباس هى أشد ساعة فى القيامة وقال أبو عبيدة إذا اشتد الأمر أو الحرب قيل كشف الأمر عن ساقه والأصل فيه أن من وقع فى شىء يحتاج إلى

Marfat.com

الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها فى موضع الشدة وكذا قال القتبى قال يوم يكشف عن ساق هذا من الاستعارة فسمى الشدة ساقا لأن الرجل إذا وقع فى الشدة شمر عن ساقه فاستعيرت فى موضع شدة قال . شعر :

وكنت إذ جارى دعا لمضوفة استمر حتى ينصف الساق مئزرى

وقال آخر :

فتى الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر يصف سنة شديدة : « قد شمرت عن ساقها »

وقال آخر :

كشفت لهـــم عن ساقها وبدا من الشر البراح

وقال آخر :

أبشر عناق . إنه شر باق . قد سن لى قومـــك ضرب الأعنـــاق

وقامت الحرب بنا على ساق والشعر فى هذا المعنى كثير وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش فأما ماروى أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة كما فى صحيح البخارى فإنه تعالى على التبعيض والأعضاء وأن ينكشف ويتغطى ومعناه أى يكشف على العظيم من أمره وقال الخطابى إنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة فيحتمل أن يكون معنى الحديث أنه يبرز من أهوال يوم القيامة وشدتها مايرتفع معه سواتر الامتحان فيميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص فيؤذن لهم فى السجود وينكشف الغطاء عن أهل النفاق فتعود ظهورهم طبقا واحدا لايستطيعون السجود قال وقد تأوله بعض الناس فقال لاينكر ان يكون الله سبحانه قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته أو غيرهم فيجعل ذلك سببا لبيان ماشاء من حكمه فى أهل الإيمان والنفاق قال الخطابى وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة سمعت أبا عمر يذكر عن أبى العباس أحمد بن يحيى النحوى فيما عده من المعانى المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم قال والساق النفس ومنه قول على رضى الله عنه حين راجعه أصحابه فى قتل الخوارج فقال والله لاقاتلنهم حتى ولو تلفت ساقى يريد نفسه وقال أبو سليمان وقد يحتمل على

Marfat.com

هذا أن يكون المراد التجلى لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدوا له قال ولست أقطع به القول ولا أراه واجبا فيما أذهب إليه من ذلك .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا القول أحسن الأقوال إن شاء الله وقد جاء فيه حديث حسن ذكره أبو الليث السمرقندى فى تفسير سورة ن والقلم فقال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن منيع قال حدثنا هدبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عمارة القرشى عن أبى بردة بن أبى موسى قال حدثنى أبى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فى الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ماتنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون إن انا ربا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره قال وتعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا أنه لاشبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا وتبقى أقوام ظهورهم مثل صياصى البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادى ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم من اليهود والنصارى فى النار قال أبو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال آلله الذى لاإله إلا هو فحدثك أبوك بهذا الحديث فحلفت له ثلاث إيمان فقال عمر ماسمعت من أهل التوحيد حديثا هو أحب إلى من هذا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فهذا الحديث يبين لك معنى كشف الساق وأنه عبارة عن رؤيته سبحانه وهو معنى مافى صحيح مسلم والحديث يفسر بعضه بعضا فلا اشكال فيه والحمد لله وقد ذكر البيهقى عن روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبى بردة عن أبى موسى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح وهو شامى يأتى بأحاديث منكرة لايتابع عليها وموالى عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة قال الشيخ المؤلف رحمه الله الحديث الذى قبله أبين وأصح اسنادا فليعول

Marfat.com

عليه وقد هاب الإمام أبو حامد الغزالى القول فيه واشفق من تأويله فقال فى كتاب كشف علم الآخرة ثم يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس كلهم تعظيما له وتواضعا إلا الكفار الذين قد أشركوا به أيام حياتهم وعبدة الحجارة والخشب ومالم ينزل به سلطانا فإن صياصى أصلابهم تعود حديدا فلا يقدرون على السجود وهو قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون وروى البخارى فى تفسيره مسندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكشف الله عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة وقد أشفقت من تأويل الحديث وعدلت عن منكريه وكذا أشفقت من صفة الميزان وزيفت قول واصفيه وجعلته متحيزا إلى العالم الملكوتى فإن الحسنات والسيآت أعراض ولا يصح وزن الأعراض إلا بميزان ملكوتى .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد ذكرنا الميزان وبينا القول فيه وفى الأعمال الموزونة غاية البيان بالأخبار الصحيحة والحسان وبينا القول هنا فى كشف الساق بحيث لم يبق فيه لأحد ريب ولا مخالفة ولا شقاق فلله الحمد على مابه أنعم وفهم وعلم والحمد لله رب العالمين .

كمل النصف بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

باب كيف الجواز على الصراط وصفته

ومن يحبس عليه ويزل عنه ، وفى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمتـــه عند ذلك ، وفى ذكر القناطر قبله والسؤال عليها

وبيان قوله تعالى : وإن منكم إلا واردها

روى عن بعض أهل العلم أنه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل فى سبع قناطر . فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الايمان بالله وهى شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً والاخلاص قول وعمل جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثانيـة عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تاما جاز ، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامتين جاز ثم يسأل فى القنطرة السادسة عن الغســـل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ، ثم يسأل فى السابعة وليس فى القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس .

وذكر أبو حامد فى كتاب كشف علم الآخرة أنه إذا لم يبق فى الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق فيقول الله تعالى يا أهل الموقف من ربكم ؟ فيقولون : الله ، فيقول لهم : أتعرفونه ؟ فيقولون : نعم . فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش لو جعلت البحار السبع فى نقرة ابهامه لما ظهرت فيقول لهم بأمر الله أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم ملك عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر فى نقرة ابهامه لما ظهرت فيقول لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم الرب سبحانه فى صورة غير صورته فيقول لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم الرب فى الصورة التى كانوا يعرفونه فيها

Marfat.com

ويسمعونه وهو يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول لهم اهلا بكم ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنـــة فيتبعونه فيمر بهم على الصراط والناس أفواج المرسلون ثم النبيون ثم الصديقون ثم المحسنون ثم الشهداء ثم المؤمنون العارفون ، وتبقى المسلمون منهم المكبوب لوجهه ومنهم المحبوس فى الأعراف ومنهم قوم قصروا عن تمام الايمان فمنهم من يجوز الصراط على ماية عام وآخر يجوز على ألف ، ومع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عياناً لايضام في رؤيته. فتوهم نفسك ياأخي إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة قد لظى سعيرها وعلا لهيبها وأنت تمشى أحياناً وتزحف أخرى ، قال :

أبت نفسى تتوب فما احتيالى إذا برز العبـاد لذى الجلال
وقاموا من قبورهم ســكارى بأوزار كأمثال الجبـــال
وقد نصب الصراط لكى يجوزوا فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن تلقـــاه العرائس بالغـوالى
يقول له المهيمـــن يا ولي غفرت لك الذنوب فلا تبالى

وقال آخر :

إذا مـد الصراط على جحـيم تصول على العصـاة وتستطيل
فقـوم فى الجحيم لهم ثبـور وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف المغطى وطـال الويل واتصل العـويل

وذكر مسلم من حديث أبى هريرة فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيؤذن لهم وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يميناً وشمالا فيمر أولهم كالبرق ، قال قلت بأبى أنت وأمى وأى شىء كمر البرق قال ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى تعجز أعمال العبـاد حتى يجىء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفا . قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فمخدوش ناج ومكردس فى النـار

والذى نفس محمد بيده أن قعر جهنم لسبعون خريفا . وروى من حديث حذيفة أيضا وذكر مسلم أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم الحديث وسيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى وفي رواية أبي سعيد الخدري بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف وفى رواية أرق من الشعر رواها مسلم وخرج ابن ماجه حديث أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم على حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها . وذكر ابن المبارك قال حدثنا هشام بن حسان عن موسى عن أنس عن عبيد بن عمير أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وأن لجنبتيه كلاليب وحسكا والذى نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر. قال وأخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع . قال وأخبرنا عوف عن عبد الله بن سفيان العقيلى قال يجوز الناس يوم القيامة على الصراط على قدر أيمانهم وأعمالهم فيجوز الرجل كالطرف فى السرعة وكالسهم المرمى وكالطائر السريع الطيران وكالفرس الجواد المضمر ويجوز الرجل يعدو عدواً والرجل يمشى مشياً حتى يكون آخر من ينجو يحبو حبوا .

وذكر هناد بن السرى حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا سفيان حدثنا سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء قال : قال عبد الله يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم قال فيمر الناس على قدر أعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كأسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيا وحتى يمر الرجل ماشيا ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه يقول يارب لم أبطأت بى فيقول لم أبطىء بك إنما أبطأ بك عملك . قال وحدثنا أبو معاوية عن اسماعيل بن مسلم عن قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود تجوزون الصراط

Marfat.com

بعفو الله وتدخلون الجنة برحمة الله وتقتسمون المنازل بأعمالكم . أبو داود عن معاذ بن أنس الجهنى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حمى مؤمنا من منافق أراه قال بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مؤمنا بشيء يريد شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء . ذكره أبو الفرج بن الجوزى . وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم فإذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ماأعظم خوفها وما أشد حرها يتقدم فيها من كان فى الدنيا ضعيفا مهينا ويتأخر عنها من كان فى الدنيا عظيما مكينا ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم فى ظلمتهم وأنوارهم فاذا عصف الصراط بأمتى نادوا واامحمداه واامحمداه فأبادر من شدة إشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فأنادى رافعاً صوتى رب أمتى أمتى لا أسألك اليوم نفسى ولا فاطمة ابنتى والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم سلم وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال وينادونهم ألا نهيتم عن كسب الأوزار ألا خوفتم عذاب النار ألا أنذرتم كل الانذار ألا جاءكم النبي المختار ذكره أبو الفرج بن الجوزى أيضا فى كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشى على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانى والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم فياله من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه .

(فصل) ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب فى وصف الصراط

Marfat.com

بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسرة على قدر الطاعات والمعاصى ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفى دقيق فضرب المثل له بدقة الشعر فهذا والله أعلم من هذا الباب ، ومعنى قوله وأحد من السيف أن الأمر الدقيق الذى يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة فى إجازة الناس على الصراط يكون فى نفاد حد السيف ومضيه إسراعا منهم إلى طاعته وامتثاله ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفد بحدة وقوة ضاربه فى شىء لم يكن له بعد ذلك مرد وإما أن يقال إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه وأن فيه كلاليب وحسكا أى أن من يمر عليه يقع على بطنه ومنهم من يزل ثم يقوم وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه وفى ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطىء الأقدام ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله . وقال بعض الحفاظ إن هذه اللفظة ليست بثابتة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ماذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الايمان يجب بذلك وأن القادر على إمساك الطير فى الهوى قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا استحالة فى ذلك للآثار الواردة فى ذلك وبيانها بنقل الأئمة العدول ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . وعن يحيى بن اليمان رأيت رجلا نام وهو أسود الرأس واللحية شاب يملأ العين فرأى فى منامه كأن الناس قد حشروا وإذا بنهر من نار وجسر يمر الناس عليه فدعى فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمر يمينا وشمالا فأصبح أبيض الرأس واللحية .

(فصل) أحاديث هذا الباب تبين لك معنى الورود المذكور فى القرآن فى قوله عز وجل : وإن منكم إلا واردها . روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا الورود الممر على الصراط رواه السدى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم . وذكر أبو بكر النجاد سلمان قال حدثنا أبو الحسن محمد بن عبدالله

Marfat.com

ابن إبراهيم بن عبدة السلطى حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجى قال حدثنا سليم بن منصور بن عمار قال حدثني أبي منصور بن عمار قال حدثني بشر بن طلحة الخزامى عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وقيل الورود الدخول روى عن ابن مسعود وعن ابن عباس أيضا وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وحديث أبي سعيد الخدرى نص فى ذلك على ما يأتى فيدخلها العصاة بجرائمهم والأولياء بشفاعتهم وروى جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وذكر ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن خالد بن معدان قال قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار فقال إنكم مررتم بها وهى خامدة قال ابن المبارك وأخبرنا سعيد الجيزى عن أبي الليل عن غنيم عن أبي العوام عن كعب أنه تلا هذه الآية وإن منكم إلا واردها قال هل تدرون ما ورودها قالوا الله أعلم قال فإن ورودها أن يجاء بجهنم وتمسك للناس كانها متن إهالة حتى اذا استقرت عليها أقدام الخلق برهم وفاجرهم نادى مناد ان خذى أصحابك وذرى أصحابى فتخسف بكل ولى لها لهى أعلم بهم من الوالد بر لده وينجوا المؤمنون وقال مجاهد ورود المؤمنين هو الحمى الذى يصيب المؤمن فى دار الدنيا وهى حظ المؤمن من النار فلا يردها وأسند أبو عمر بن عبد البر فى ذلك حديثا فى التمهيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشر فإن الله تعالى يقول هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن لتكون حظه من النار وقالت طائفة الورود النظر إليها فى القبر فينجى منها الفائز ويصلاها من قدر عليه دخولها ثم يخرج منها بالشفاعة أو بغيرها من رحمة الله تعالى واحتجوا بحديث ابن عمر ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى الحديث وقيل المراد بالورود الاشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها فى حالة الحساب ثم ينجى الله الذين اتقوا بما نظروا إليه ويصاربهم إلى الجنة ونذر الظالمين

أى يؤمر بهم إلى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين أى أشرف عليها لا أنه دخله وروت حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية قالت فقلت يارسول الله وأين قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ننجى الذين اتقوا خرجه مسلم من حديث أم مبشر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عندحفصة الحديث وقيل الخطاب للكفار فى قوله تعالى وإن منكم إلا واردها روى وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السائب عن رجل عن ابن عباس أنه قال فى قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها قال هذا خطاب للكفار وروى عنه أنه كان يقرأ وإن منهم ردا على الآيات التى قبلها من الكفار قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم وأيهم أشد. ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا. وإن منهم. وكذلك قرأ عكرمة وجماعة وقالت فرقة المراد منكم الكفرة والمعنى قل لهم يا محمد وإن منكم وقال الجمهور المخاطب العالم كله ولابد من ورود الجميع وعليه نشأ الخلاف فى الورود كما ذكرنا وَ الصحيح أن الورود الدخول لحديث أبى سعيد كما ذكرنا وفى مسند الدارمى أبى محمد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجل فى مشيه وقال صلى الله عليه وسلم لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم خرجه الأئمة قال الزهرى كأنه يريد هذه الآية وإن منكم إلا واردها ذكره أبو داود الطيالسى فى مسنده وهذا يبين لك ماذكرناه لأن المسيس حقيقته فى اللغة المماسة إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين قال خالد بن معدان إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يقل ربنا انا نرد النار فيقال قد وردتموها فلفيتموها رمادا قال الشيخ المؤلف رحمه الله والذى يجمع شتات الأقوال أن يقال إن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد بعد عنها ونجى منها نجاناَ الله منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها سالما وخرج منها غانما وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحرر روى لابن عباس لايسمعون حسيسها فقال له ابن عباس أمجنون أنت ؟ فأين قوله تعالى وان منكم إلا واردها وقوله

Marfat.com

فأوردهم النار وقوله إلى جهنم وردا ولقد كان من دعاء من مضى اللهم أخرجنى من النار سالما وأدخلني الجنة فائزا وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدر كان أبو ميسرة إذا آوى إلى فراشه يقول ليت أمي لم تلدني فتقول له امرأته : يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الاسلام قال أجل ولكن الله قد بين لنا إنا واردوا النار ولم يبين لنا إنا صادرون . وعن الحسن قال : قال رجل لأخيه أى أخى هل أتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك إذا قال فما رؤى ضاحكا حتى مات . وروى عن ابن عباس أنه قال فى هذه المسألة لنافع الأزرق الخارجى أما أنا وأنت فلا بد أن يردها فأما أنا فينجينى الله منها وأما أنت فما أظنه ينجيك . وذكر ابن المبارك قال أخبرنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي عاصم قال بكى ابن رواحة فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك قالت بكيت حين رأيتك تبكى فقال عبد الله انى قد علمت أنى وارد النار فما أدرى أناج منها أم لا وفى معناه قيل :

وقد أتانا ورود النار ضاحية حقا يقيناً ولما يأتنا الصـــدر

باب ما جاء فى شعار المؤمنين على الصراط

الترمذى عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شعار المؤمنين على الصراط رب سلم قال حديث غريب . وفى صحيح مسلم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم وقد تقدم .

باب فيمن لايوقف على الصراط طرفة عين

ذكر الواثلى أبو نصر فى كتاب الابانة أخبرنا محمد بن محمد بن الحاج قال أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الربعى حدثنا على بن الحسين أبو عبيد قال حدثنا زكريا بن يحيى أبو السكن قال حدثنى عبد الله بن صالح الهمانى قال حدثنى أبو همام القرشى عن سليمان بن المغيرة عن قيس بن مســـلم عن طاووس عن أبى هريرة قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الناس سنتى وان كرهوا ذلك وإن أحببت أن

Marfat.com

لاتوقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث فى دين الله حدثا برأيك قال وهذا غريب الاسناد والمتن حسن

باب منه

أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا خير بن عرفة قال حدثنا هانى بن المتوكل قال حدثنا أبو ربيعة سليمان بن ربيعة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحسن الصدقة فى الدنيا جاز على الصراط ومن قضى حاجة أرملة أحلف الله فى تركته قال هذا حديث غريب من حديث محمد تفرد به سليمان عن موسى وذكر الختلى أبو القاسم حدثنا عثمان بن سعيد أبو عمرو الانطاكى قال حدثنا على بن الهيثم حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا شيخ يكنى أبا جعفر قال رأيت فى منامى كأنى واقف على قناطر جهنم فنظرت إلى هول عظيم فجعلت أفكر فى نفسى كيف العبور على هذه فاذا قائل يقول من خلفى يا عبد الله ضع حملك واعبر فقلت وما حملى قال دع الدنيا واعبر قال وحدثنى أبو بكر خليفة الحارث بن ابن خليفة قال حدثنا عمرو بن جرير حدثنى اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال سمعت أبا الدرداء يقول لابنه يابنى لايكن بينك إلا المسجد فان المساجد بيوت المتقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الحديث يصحح ماذكرناه من الرؤيا فان من سكن المسجد واتخذه بيتا واعرض عن الدنيا وأهلها واقبل على الآخرة وعمل لها

Marfat.com

باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبي صلى الله عليه وسلم .

لعظم الأمر فيها وشدته

الترمذى عن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله قَالَ فأين أطلبك قال أول ماتطلبنى على الصراط قلت فان لم ألقك قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لاأخطى هذه الثلاثة مواطن قال هذا حديث حسن وقد تقدم من حديث عائشة أنه عليه والسلام قال أما ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند الصراط

باب فى تلقى الملائكة للأنبياء وأممهم .

بعد الصراط وفى هلاك أعدائهم

ابن المبارك عن عبد الله بن سلام قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبيا نبيا وأمة أمة حتى يكون آخرهم مركزا محمد وأمته ويضرب الجسر على جهنم وينادى مناد أين أحمد وأمته فيقوم نبي الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يمينا وشمالا ويمضي النبي ﷺ والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة رتبا فيدلونهم كرسى عن يمين الرحمن ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله وتتبعه امته برها وفاجرها حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدائه فتهافتوا في النار يمينـــا وشمالا ويمضي النبي ﷺ والصالحون معـــه فتلقاهم الملائكة رتبا فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك حتى ينتهى إلى ربه فيوضع له كرسى من الجانب الآخر ثم يدعى نبي نبي وأمة أمة حتى يكون آخرهم نوحا رحم الله نوحا

باب ذكر الصراط الثانى

وهو القنطرة التى بين الجنة والنار

اعلم رحمك الله أن فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فاذا خلص من

Marfat.com

خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لايستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذى يسقط فيها من أوبقه ذنبـــه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه .

البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم اهدى فى الجنة بمنزله منه بمنزله كان له فى الدنيا .

قال الشيخ المؤلف رحمـــه الله معنى يخلص المؤمنون من النار أن يخلصوا من الصراط المضروب على النار ودل هذا الحديث على أن المؤمنين فى الآخرة مختلفوا الحال قال مقاتل إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين وقدذكر الدارقطني حديثاذكرفيه أن الجنة بعدالصراط. قلت ولعله أراد بعدالقنطرة بدليل حديث البخارى والله أعلم أو يكون ذلك فى حق من دخل النار وخرج بالشفاعة فهؤلاء لايحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة على ماياتى بيانه فى الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أصحاب الجـــد محبوسون بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم . ولاتعارض بين هذا وبين حديث البخارى فان الحديثين مختلفا المعنى لاختلاف أحوال الناس وكذلك لاتعارض بين قوله عليه السلام لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة وبين قول عبد الله بن سلام ان الملائكة تدلهم على طريق الجنة يمينا وشمالا فان هذا يكون فيمن لم يحبس على قنطرة ولم يدخل النار فيخرج منها فيطرح على باب الجنة وقد يحتمل أن يكون ذلك فى الجميع فاذا وصلت بهم الملائكة إلى باب

Marfat.com

الجنة كان كل أحد عرف بمنزله فى الجنة وموضعه فيها بمنزله كان فى الدنيا والله أعلم وهومعنى قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال أكثر أهل التفسير إذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم وقيل أن هذا التعريف إلى المنازل بدليل وهو أن الملك الموكل بعمل العبد يمشى بين يديه وحديث أبى سعيد الخدرى يرده والله أعلم

باب من دخل النار من الموحدين

مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولايحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحما اذن لهم فى الشفاعة فيجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل ياأهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يرعى الغنم بالبادية .

(فصل) هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريما لهم حتى لايحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، وقيل يجوز أن تكون إماتتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ولا يكون ذلك موتا على الحقيقة فان النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ وقد سماه الله موتا فقال. الله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فهو وفاة وليس بموت. على الحقيقة الذى هو خروج الروح عن البدن وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت فى قوله تعالى ، فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، وأخبر عن موسى عليه السلام أنه خر صعقا ولم يكن ذلك موتا على الحقيقة غير أنه لما غيبه عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتا وكذلك يجوز أن يكون.

Marfat.com

أماتهم غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم كما غيب النسوة اللاتى قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغيبهن فيه عن آلامهن والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ولقوله فى تفسير الحديث حتى إذا كانوا فحما فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات فان قيل فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين قيل يجوز أن يدخلهم تأديبا لهم وإن لم يعذبهم فيها ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين فى السجون فان الحبس عقوبة لهم وان لم يكن معه غل ولاقيد والله أعلم وسيأتى لهذا مزيد بيان فى أبواب النار إن شاء الله تعالى وقوله ضبائر ضبائر معناه جماعات جماعات الواحدة ضبارة بكسر الضاد وهى الجماعة من الناس وبثوا فرقوا والحبة بكسر الحاء بزر البقول وحميل السيل ما احتمله من غثاء وطين وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب فيمن يشفع لهم قبل دخول النار

من أجل أعمالهم الصالحة وهم أهل الفضل فى الدنيا

ذكر أبو عبدالله محمد بن ميسرة الجبلى القرطبى فى كتاب التذييل له روى أبى وابن وضاح من حديث أنس يرفعه قال يصف أهل النار فيقرنون فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يافلان أما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا فيقول انك لأنت هو قال فيقول نعم قال فيشفع فيه فيشفع ويقول الرجل منهم يافلان رجل من أهل الجنة أما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (قلت) خرجه ابن ماجه فى سننه بمعناه قال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وعلى بن محمد قالا حدثنا الأعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس يوم القيامة صفوفا وقال ابن نمير، أهل الجنة، فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول يافلان أما تذكر يوم استسقيتنى فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير ويقول يافلان أما تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبت

Marfat.com

لك فيشفع له. وخرج أبو نعيم الحافظ باسناده عن الثورى حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوفيهم أجورهم يوم القيامة ويزيدهم من فضله . قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا . وذكر أبو جعفر الطحاوى أيضا عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفا وأهل النار صفوفا فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول له يا فلان تذكر يوم اصطنعتك معروفا إليك فيقول اللهم ان هذا اصطنع إلى فى الدنيا معروفا قال فيقال له خذ بيده وادخله الجنة برحمة الله عز وجل، قال أنس رضى الله عنه أشهد أنى سمعت رسول الله عليه وسلم يقوله . قال أبو عبد الله محمد بن ميسرة ورأيت فى الكتاب الذى يقال إنه الزبور انى ادعو عبادى الزاهدين يوم القيامة فأقول لهم عبادى إنى لم أزوعنكم الدنيا لهوانكم على ولكن أردت أن تستوفوا نصيبكم موفورا اليوم فتخللوا الصفوف فمن أحببتموه فى الدنيا أو قضى لكم حاجة أورد عنكم غيبة أو أطعمكم لقمة ابتغاء وجهى وطلب مرضاتى فخذوا بيده وادخلوه الجنة .

(فصل) وذكر أبو حامد فى آخر كتاب الإحياء قال أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يافلان هل تعرفنى فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذى مررت بى فى الدنيا يوما فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك فيسأل الله تعالى ويقول إنى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال هل تعرفنى فقلت لا من أنت قال أنا الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى بها فشفعنى فيشفعه الله تعالى فيؤمر به فيخرج من النار والله تعالى اعلم .

Marfat.com

باب فى الشافعين لمن دخل النار

وما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى فى جهنم بعد ذلك

ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثه الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وذكر ابن السماك أبو عمرو عثمان بن أحمد قال حدثنا يحيي بن جعفر بن الزبرقان قال أخبرنا على بن عاصم قال حدثنا خالد الحذاء عن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبى الزعراء قال قال عبد الله ابن مسعود يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ﷺ ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين إلى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فهؤلاء الذين يبقون فى جهنم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد قيل إن هذا هو المقام المحمود لنبينا صلى الله عليه وسلم خرجه أبو داود الطيالسى قال حدثنا يحيي بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبى الزعراء عن عبدالله قال ثم يأذن الله عز وجل فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام قال أبو الزعراء لا أدرى أيهما قال ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم رابعا فيشفع لا يشفع لأحد بعده فى أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .

ابن ماجه عن عبد الله ابن أبى الجدعاء أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا يارسول الله الله سواك قال سواى قلت أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سمعته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب ولا نعرف لابن أبى الجدعاء غير هذا الحديث الواحد .

Marfat.com

قال المؤلف رحمه الله وخرجه البيهقى فى دلائل النبوة وقال فى آخره قال عبد الوهاب الثقفى قال هشام بن حسان كان الحسن يقول إنه أويس القرنى وذكر ابن السماك قال حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا شبابة بن سوار حدثنا حريز بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عدى الرحبى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر قال قيل يارسول الله وما ربيعة من مضر قال إنما أقول ما أقول قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة قال حديث حسن . وذكر البزار فى مسنده عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة وذكر القاضى عياض فى الشفا عن كعب أن لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعة وذكر ابن المبارك قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى رجل يقال صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا كذا .

(فصل) إن قال قائل كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقال وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ومن ارتضاه الله لايخزيه قال الله تعالى يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم الآية قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة فإن الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لايبقى منهم أحد إلا دخل الجنة . والجواب عن الاية الأولى ماقاله أنس بن مالك رضى الله عنه أن معنى من يدخل النار من يخلد وقال قتادة يدخل مقلوب يخلد ولا تقول كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا فقد أخزيته على بابه من الهلاك أى أهلكته وأبعدته ومقته ولهذا قال سعيد بن

Marfat.com

المسبب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله قوله في آخر الآية وما للظالمين من أنصار أى الكفار وان قدرنا الآية فى العصاة من الموحدين فيحتمل أن يكون الخزى بمعنى الحياء يقال خزى يخزى خزاية إذا استحيي فهو خزيان وامرأة خزيانة كذا قال أهل المعانى فخزى المؤمنين يومئذ استحياؤهم فى دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها والخزى للكافرين هو هلاكهم فيها من غير موت والمؤمنون يموتون فافترقوا فى الخزى والهوان ثم يخرجون بشفاعة من أذن الله له فى الشفاعة وبرحمة الرحمن وشفاعته على مايأتى فى الباب بعد هذا وعند ذلك يكونوا مرضيين قد رضى عنهم ثم لا يأتى الاذن فى أحد حتى لا يبقى عليه من قصاص ذنبه إلا ما تجيزه الشفاعة فيؤذن فيه فيلحق بالفائزين الراضين والحمد لله رب العالمين وأما قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه فمعناه لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا وان عذب العصاة وإما فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته على مايأتى بيانه فى الباب بعد هذا والله أعلم .

باب منه فى الشفعاء وذكر الجهنميين

ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد عن يحيى عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان . وذكر مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وفيه بعد قوله فى نار جهنم : حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد منا شدة لله تعالى فى استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار وخرجه ابن ماجه ولفظه عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا خلص الله المؤمنين من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى الحق يكون له فى الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين فى إخوانهم الذين دخلوا النار. قال يقولون ربنا إخواننا كانوا. فذكره بمعناه يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على

Marfat.com

النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به ثم يقول الله عز وجل ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم تذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول انلم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا إنشئتم إنالله لا يظلممثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين . فى البخارى وبقيت شفاعتى بدل قوله ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر على أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر مايكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر ومما يكون منها الى الظل يكون أبيض قالوا يارسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هولاء عتقا الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ياربنا وأى شىء أيضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وخرج أبو القاسم اسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلى فى كتاب الديباج له حدثنا أحمد بن أبى الحرث فقال له حدثنا عبد المجيد بن أبى رواد عن معمر بن راشد عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتى سبقت غضبى فأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثلى أهل الجنة قال واكثر ظنى أنه قال مثلى أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله .

Marfat.com

(فصل) هذا الحديث بين فى أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيناه فى آخر سورة آل عمران من كتاب جامع أحكام القرآن فإن قوله اخرجوا من فى قلبه مثقال دينار ونصف دينار وذرة يدل على ذلك وقوله من خير يريد من إيمان وكذلك ماجاء ذكره فى الخبر فى حديث قتادة عن أنس وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة مايزن برة مايزن ذرة أى من الإيمان بدليل الرواية الأخرى التى رواها معبد بن هلال العنزي عن أنس وفيها فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجه منها فانطلق فأفعل الحديث بطوله أخرجه مسلم فقوله من إيمان أى من أعمال الإيمان التى هى أعمال الجوارح فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان ومنه قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أى صلاتكم وقد قيل إن المراد فى هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول اخرجوا من عمل عملا بنية من قلبه كقوله الأعمال بالنيات وفى هذا المعنى خبر عجيب يأتى ذكره انفا إن شاء الله تعالى ويجوز أن يراد به رحمة على مسلم رقة على يتيم خوفا من الله رجاء له توكلا عليه ثقة به بما هى أفعال القلوب دون الجوارح وسماها إيمانا لكونها فى محل الايمان والدليل على أنه أراد بالايمان ماقلنا ولم يرد مجرد الإيمان الذى هو التوحيد له ونفى الشركاء والاخلاص بقول لا إله إلا الله ما فى الحديث نفسه من قوله أخرجوا أخرجوا ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض قبضة فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط يريد إلا التوحيد المجرد عن الأعمال وقد جاء هذا مبينا فيما رواه الحسن عن أنس وهى الزيادة التى زادها على معبد فى حديث الشفاعة ثم أرجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بذلك المحامد ثم أخر له ساجدا قال فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لاإله إلا الله قال ليس ذاك لك أو قال ليس ذلك إليك وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من قال لاإله إلا الله وذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب على جباههم عتقاء الرحمن فيسألون أن يمحوا ذلك الاسم عنهم فيمحوه وفى رواية فيبعث الله ملكا فيمحاه عن جباههم

Marfat.com

الحديث وسيأتى يقال محا لوحه يمحوه محوا ويمحيه محيا ومحاه أيضا فهو بمحو ومحى صارت الواو ياء لكسر ماقبلها فأدغمت فى الياء التى هى لام الفعل وأنشد الأصمعى:

• كما رأيت الورق المحيا • وانمحى انفعل وامتحى لغة فيه ضعيفة قاله الجوهرى. وذكره أبو بكر البزار فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين يريدالله إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة فيرسل الله عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ويدخلون الجنة فتسميهم أهل الجنة الجهنميين فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم.

البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بعد مامسهم منها سفع فيدخلون الجنة فتسميهم أهل الجنة الجهنميين. الترمذى عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن قوم من النار بشفاعتى يسمون الجهنميين قال حديث حسن. وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى. خرجه الترمذى وصححه أبو محمد عبد الحق وخرجه أبو داود الطيالسى وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى. زاد الطيالسى قال فقال لى جابر من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة قال أبو داود وحدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر وذكر أبو الحسن الدارقطنى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أنا لشرار أمتى فقالوا فكيف أنت لخيارها قال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتى وخرج ابن ماجه حدثنا إسماعيل بن أسد حدثنا أبو بدر حدثنا زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند عن ربعى ابن حراش عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين لا ولكنها للخاطئين المذنبين المتلوثين (قلت) وأنبأناه الشيخ الفقيه أبو القاسم عبد الله بن على بن خلف إجازة عن أبيه الفقيه الإمام المحدث أبى الحسن على بن خلف الكومى قال قرىء على الشيخة الصالحة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن

Marfat.com

ابن عبد الكريم النهروانى فى منزلها وأنا حاضر أسمع قيل لها أخبركم الشيخ أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد النعالى فأقرت به وقالت نعم قال حدثنا أبو الحسن محمد ابن أحمد بن محمد بن زرقويه البزار أخبرنا أبو على إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن صالح الصغار حدثنا عبد الله بن أيوب المخرمى حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السكونى عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبى هند عن ربعى بن حراش عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين الشفاعة ونصف أمتى فاخترت الشفاعة أترونها للمتقين لا ولكنها للخاطئين المتلوثين. وخرج ابن ماجه قال حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر قال سمعت سليم بن عامر يقول سمعت عوف بن مالك الأشجعى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ماخيرنى ربى الليلة قلنا الله ورسوله اعلم قال أنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة قلنا يارسول الله ادعوا الله أن يجعلنا من أهلها قال هى لكل مسلم وما الخبر العجيب الذى أوعدنا بذكره فذكره الكلاباذى أبو بكر محمد بن إبراهيم فى بحر الفوائد له حدثنا أبو النصر محمد بن اسحاق الرشادى قال حدثنا أبو بكر محمد ابن عيسى بن يزيد الطرسوسى قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا إبراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن أبى قلابة قال كان لى ابن أخ يتعاطى الشراب فمرض فبعث إلى ليلا أن الحق بى فأتيته فرأيت أسودين قد دنيا من ابن أخى فقلت إنا لله هلك ابن أخى فاطلع أبيضان من الكوة التى فى البيت فقال أحدهما لصاحبه انزل إليه فلما نزل تنحى الأسودان فجاء فشم فاه فقال ماأرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ماأرى فيه صوما ثم شم رجليه فقال ماأرى فيهما صلاة فقال له صاحبه إنا لله وإنا إليه راجعون رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس له من الخير شىء ويحك عد فانظر فعاد فشم فاه فقال ماأرى فيه ذكرا ثم عاد فشم بطنه فقال ماأرى فيه صوما ثم عاد فشم رجليه فقال ما أرى فيهما صلاة فقال ويحك رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس معه من الخير شىء اصعد حتى أنزل أنا فنزل الآخر فشم فاه فقال ماأرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ماأرى فيه صوما ثم شم رجليه فقال ماأرى فيهما صلاة قال ثم عاد فاخرج طرف لسانه فشم لسانه فقال الله أكبر أراه قد كبر تكبيرة فى سبيل الله يريد بها وجه الله بإنتاكية قال ثم فاضت نفسه وشممت فى البيت رائحة

Marfat.com

المسك فلما صليت الغداة قلت لأهل المسجد هل لكم فى رجل من أهل الجنه وحدثتهم حديث ابن أخى فلما بلغت ذكر إنتاكية قالوا ليست بإنتاكية هى انطاكية قلت لا والله لا أسميتها إلا كما سماها الملك .

قال علماؤنا فهذا أنجته تكبيرة أراد بها وجه الله تعالى وهذه التكبيرة كانت سوى الشهادة التى هى شهادة الحق التى هى الايمان بالله تعالى كما قررناه فشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد الصديق ومن لم يكن معه من الايمان خير كان من الذين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار فضلا وكرما وعدا منه حقا وكلمة صدقا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فسبحان الرؤف بعباده الموفى بعهده :

(فصل) قلت جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه يكتب على جباههم عتقاء الرحمن وهذا تعارض ووجه الجمع بين الحديثين أن يكون بعضهم سيماهم فى وجوههم وبعضهم سيماهم فى رقابهم وقد جاء فى حديث جابر وفيه بعد إخراج الشافعين ثم يقول الله تبارك وتعالى أنا الله أخرج بعلمى ورحمتى فيخرج أضعاف ماخرجوا وأضعافهم ويكتب فى رقابهم عتقاء الله عز وجل فيدخلون الجنة فيسمون فيها بالجهنميين قلت وقد يعبر بالرقبة عن جملة الشخص قال الله تعالى فتحرير رقبة وقال عليه السلام ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها . وقد تعبر العرب بالرقاب عن جملة المال قال الشاعر :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

فيحتمل أن يكون المعنى فى حديث أبى سعيد وجابر رضى الله عنهما فيخرجون مثل اللؤلؤ يعرف أهل الجنة أشخاصهم بالخواتيم المكتوبة على جباههم كما فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولا تعارض على هذا والله أعلم

(فصل) إن قال قائل لم سألوا محو ذلك الاسم عنهم وهو اسم شريف لأنه

Marfat.com

سبحانه إضافه اليه كما أضاف الأسماء الشريفة فقال نبي وبيتى وعرشى وملائكتى وقد جاء فى الخبر إن المتحابين فى الله مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله ولم يسألوا محوه؟ قيل إنما سألوا محو ذلك بخلاف المتحابين فى الله تعالى لأنهم أنفوا أن ينسبوا إلى جهنم التى هى دار الأعداء واستحيوا من إخوانهم لأجل ذلك فلما من عليهم بدخول الجنة أرادوا كمال الامتنان بزوال هذه النسبة عنهم وقد روى مرفوعا إنهم إذا دخلوا الجنة قال أهل الجنة هؤلاء الجهنميون فعند ذلك يقولون إلهنا لو تركتنا فى النار كان أحب إلينا من العار فيرسل الله ريحا من تحت العرش يقال لها المثيرة فتهب على وجوههم فتمحى الكتابة وتزيدهم بهجة وجمالا وحسنا .

أخبرنا الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب عرف بابن رواحة قرأت عليه قال قرىء على الحافظ السلفى وأنا أسمع قال أخبرنا الحاجب أبو الحسن بن اللاف أخبرنا أبو القاسم بن بشران أخبرنا الآجرى أبو بكر محمد بن الحسين حدثنا أبو على الحسن ابن محمد بن سعيد الأنصارى حدثنا على بن مسلم الطوسى حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال حدثني عمرو بن رفاعة الربعي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون وأهلها الذين يخرجون منها إذا أسقطوا فيها كانوا فحما حتى يأذن الله فيخرجهم فيلقيهم على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون ثم يدخلون الجنة يسمون الجهنميين ثم يطلبون إلى الرحيم عز وجل فيذهب ذلك الاسم عنهم ويلحقون بأهل الجنة وأما سيما المتحابين فعلامة شريفة ونسبة رفيعة فلذلك لم يسألوا محوها ولا طلبوا زوالها وإزالتها والله أعلم. فإن قيل فى هذا ما يدل على أن بعض من يدخل الجنة قد يلحقه تنغيص ما والجنة لا تنغيص فيها ولا نكد قيل له هذه الأحاديث تدل على ذلك وأن ذلك يلحقهم عند دخول الجنة ثم يزول ذلك الاسم عنهم وقد مثل بعض علمائنا هذا الذى أصاب هؤلاء بالبحر تقع فيه النجاسات أنه لا حكم لها كذلك ما أصاب هؤلاء بالنسبة إلى أهل الجنة وهو تشبيه حسن .

Marfat.com

قال المؤلف رحمه الله وقد يلحق الجميع خوفا ماعند ذبح الموت على الصراط على ما يأتى وبعده يكونون آمنين مسرورين قد زال عنهم كل متوقع والله أعلم .

(فصل) إن قال قائل كيف يشفع القرآن والصيام وإنما ذلك عمل العاملين قيل له وقد تقدم هذا المعنى ونزيده وضوحا فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجىء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول أنا الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك خرجه ابن ماجه فى سننه من حديث بريدة وإسناده صحيح فقوله يجىء القرآن أى ثواب قارىء القرآن وقد جاء فى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابى قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما .

قال علماؤنا فقوله تحاجان عن صاحبهما أى يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة كما جاء فى بعض الحديث أنه من قرأ شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة خلق الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة

قال المؤلف رحمه الله وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين فيشفعان له وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة كما ذكره ابن المبارك فى دقائقه أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال بلغنى أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة فى أحسن صورة أحسن ماخلق الله وجها وثيابا وأطيبه ريحا فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شىء أمنه وكلما تخوف شيئا هون عليه فيقول له جزاك الله من صاحب خيرا من أنت فيقول أما تعرفنى وقد صحبتك فى قبرك وفى دنياك أنا عملك كان والله حسنا فلذلك ترانى حسنا وكان طيبا فلذلك ترانى طيبا تعال فاركبنى فطال ماركبتك فى الدنيا وهو قوله تعالى : (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) الآية حتى يأتى به إلى ربه عزوجل فيقول يارب إن كل صاحب عمل فى الدنيا قد أصاب فى عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب فى تجارته غير صاحبى هذا قد شغل فى نفسه فيقول الله تعالى فما تسأل فيقول المغفرة والرحمة أو نحو هذا فيقول فإنى قد غفرت له ثم يكسى حلة

Marfat.com

الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضىء من مسيرة يومين ثم يقول : يارب إن أبويه قد شغل عنهما وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمله فيعطى أبويه مثل ماأعطى . ويتمثل للكافر عمله فى أقبح مايكون صورة وأنتن رائحة ويجلس إلى جنبه كلما أفزعه شىء زاده وكلما تخوف شيئا زاده خوفا منه فيقول بئس الصاحب أنت ومن أنت فيقول أماتعرفنى فيقول لافيقول أناعملك كان قبيحا فلذلك ترانى قبيحا وكان منتنا فلذلك ترانى منتنا فطأطىء رأسك أركبك فطالما ركبتنى فى الدنيا . فذلك قوله تعالى : ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة .

قال المؤلف رحمه الله مثل هذا لايقال من جهة الرأى، ومعناه يستند من حديث قيس ابن عاصم المنقري أن النبي ﷺ قال: أنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حى وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريما أكرمك وإن كان لئيما أسلمك ثم لايحشر إلا معك ولاتبعث إلا معه ولاتسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإن كان صالحا فلا تأنس إلا به وإن كان فاحشا فلا تستوحش إلا منه وهو فعلك. وذكر أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب روضة المشتاق، والطريق إلى الملك الخلاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى يوم القيامه بالتوبه فى صورة حسنة ورائحة طيبة فلايجد رائحتها ولا يرى صورتها إلا مؤمن فيجدون لها رائحة وأنسا فيقول الكافر والعاصى المصر مالنا ما وجدنا ماوجدتم ولا رأينا ما رأيتم فتقول لهم التوبة طال ماتعرضت لكم فى الدنيا فما أردتمونى فلو كنتم قبلتمونى لكنتم اليوم وجدتمونى فيقولون نحن اليوم نتوب فينادى مناد من تحت العرش هيهات هيهات ذهبت أيام المهلة وانقضى زمان التوبة فلو جئتمونى بالدنيا وماشتملت عليه ماقبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم فعند ذلك تنأى التوبة عنهم وتبعد ملائكة الرحمة عنهم وينادى مناد من تحت العرش : ياخزنة النار هلموا إلى أعداء الجبار وهذا بين فيما ذكرناه وبالله توفيقنا والله أعلم .

Marfat.com

باب يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدرى أن المؤمنين يقولون ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون أدخلتهم النار فيقول لهم اذهبوا فمن عرفتم أخرجوه . وذكر الحديث وخرج مسلم من حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بعد قوله ومنهم المجازى حتى ينجى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل . وذكر الحديث . وخرج عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة .

(فصل) هذا الحديث أدل دليل على أن أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله وسلم لا تسود لهم وجوه ولا تزرق لهم أعين ولا يغلون بخلاف الكفار وقد جاء هذا المعنى منصوصا فى حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ثم ماتوا عليها فهم فى الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يقرنون بالشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون فى الأدراك ، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأكثرهم مكثا فيها مثل الدنيا من منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة . الحديث بطوله وسيأتى تمامه إن شاء الله تعالى خرجه الترمذى فى نوادر الأصول . وقال أبو حامد فى كتاب كشف علوم الآخرة إنه يؤتى بأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيوخا وعجائزا وكهولا ونساء وشبابا فإذا نظر إليهم مالك خازن النار قال من أنتم معاشر الأشقياء مالى أرى أيديكم لا

تغل ولم توضع عليكم الأغلال والسلاسل ولم تسود وجوهكم وما ورد على أحسن منكم فيقولون يا مالك نحن أشقياء أمة محمد ﷺ دعنا نبكي على ذنوبنا فيقول لهم ابكوا فلن ينفعكم البكاء فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول واشيبتاه واطول حسرتاه واضعف قوتاه وكم من كهل ينادي وامصيبتاه واطول مقاماه. ناصيتها وشعرها وهي تنادي واسوأتاه واهتك أستارها فيبكون ألف عام فاذا النداء من قبل الله: يامالك ادخلهم النار في أول باب منها فاذا همت النار تأخذهم فيقولون بجمعهم لا إله إلا الله فتنفر عنهم النار خمسمائة عام ثم يأخذون فى البكاء فتشتد أصواتهم وإذا النداء من قبل الله تعالى: يانار خذيهم يامالك أدخلهم الباب الأول من النار فعند ذلك يسمع لها صاصلة كالرعد القاصف فاذا همت النار أن تحرق القلوب زجرها مالك وجعل يقول لانحرقى قلبا فيه القرآن وكان وعاء الإيمان فإذا بالزبانية قد جاؤا بالحميم ليصبوه فى بطونهم فيزجرهم مالك فيقول لاتدخلوا الحميم بطونا أخمصها رمضان ولا تحرق النار جباها سجدت لله تعالى فيعودون فيها حمما كالغاسق المحلولك والإيمان يتلألأ فى القلوب وسيأتى لهذا مزيد بيان فى آخر أبواب النار نجانا الله منها ولا يجعلنا ممن يدخلها فيحترق فيها وأعادنا من عذابها بمنه وكرمه .

(١)

(فصل) قوله، إذا فرغ الله، مشكل وفى التنزيل، سنفرغ لكم أيها الثقلان، ومعناه فى التهديد والوعيد من الله تعالى لعباده كقول القائل سأفرغ لك وان لم يكن مشغولا عنه بشغل وليس بالله تعالى شغل تعالى عن ذلك . وقيل المعنى سنقصد لمجازاتكم وعقوبتكم كما يقول القائل لمن يريد تهديده إذا أتفرغ لك أى أقصد قصدك وفرغ بمعنى قصد وأحكم قال جرير بن نمير الجعفى :

ألان وقد فرغت إلى نمير فهذا حين كنت لها عذابا

يزيد وقد قصدت نحوه فمعنى فرغ الله من القضاء بين العباد أى تمم عليهم حسابهم وفصل بينهم لأنه لايشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى .

---

(١) ومعناه المبالغة فى تمام الجزء الأول فى نسخة

باب مايرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة: جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم وقال عليه السلام: ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد أما ماكان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتى. وروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ «وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» فقال الأعرابى والله ماأنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحى دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكى فوالله مامن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار خرجه مسلم وغيره من الأئمة وخرج مسلم من حديث سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق مابين السماء والأرض فجعل فى الأرض منها رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والطير والوحش بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد وفي بعض الطرق لأبي هريرة فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على تلك التسعة والتسعين رحمة فأكملها مائة رحمة فيرحم الله بها عباده يوم القيامة وفي بعض الروايات فاذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين فكملن مائة رحمة حتى إن ابليس ليطاول لها رجاء أن ينال منها شيئا وقال ابن مسعود لن تزال الرحمة بالناس حتى إن ابليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين وقال الأصمعي كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابى جالس يسمع فقال ياهذا من يلبى هذا من العباد قال الله فقال الأعرابى إن الكريم إذا قدر عفا وغفر وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية «هو أهل التقوى وأهل المغفرة» قال فقال الله تعالى أنا أهل إن اتقى فلا يجعل معى إله آخر فمن اتقى أن يجعل معى إلها آخر فأنا أهل أن أغفر له وخرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال حديث حسن غريب وروى عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال قدم على رسول الله ﷺ بسبى وإذا بامرأة من السبى تبتغى ولدا لها إذ وجدت صبيا في السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها قلنا لا والله وهى قادرة على أن تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه بولدها أخرجه البخارى أيضا وقال أبو غالب كنت اختلف إلى أبى أمامة بالشام فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبى أمامة وعنده عم له وهو يقول ياعدو الله ألم آمرك ألم أنهك فقال الصبى ياعماه لو أن الله تعالى دفعنى إلى والدتى كيف كانت صانعة بى قال كانت تدخلك الجنة قال ان ربى الله أشفق من والدتى وأرحم بى منها وقبض الفتى من ساعته فلما جهزه عمه وصلى عليه وأراد أن يضعه فى لحده فدخلت القبر مع عمه فلما أن سواه صاح وفزع فقلت له ما شأنك قال فسح له فى قبره وملىء نورا فدهشت منه وقال هلال بن سعد يؤمر بإخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقيلكما فيقولان شر مقيل فيقول الله تعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بصرفهما إلى النار فيغدوا فى سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيأمر بردهما ويسألهما عن حالهما فيقول الذى عدا ثم خبت من وبال المعصية مالم أكن لأتعرض لسخطك ثانية ويقول الذى تلكأ حسن ظنى بك أن لاتردنى إليها بعد ماأخرجتنى منها فيأمر بهما إلى الجنة .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه من أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلين ممن دخلا النار اشتد صياحهما فقال الرب تبارك وتعالى أخرجوهما فلما أخرجا قال لهما لأى شىء اشتد صياحكما قالا فعلنا ذلك لترحمنا قال إن رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها له بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه فيقول الله تبارك وتعالى ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك فيقول رب إنى لأرجو أن تعيدنى بعد لما أخرجتنى فيقول الله تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة برحمته قال أبو عيسى

إسناد هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ورشدين ضعيف عن ابن أنعم الأفريقى والأفريقى ضعيف عند أهل الحديث وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام قال حديث حسن غريب وذكر أبو نعيم الحافظ عن إسحاق بن سويد قال صحبت مسلم بن يسار عاما إلى مكة فلم أسمعه يتكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق قال ثم حدثنا قال بلغنى أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول انظروا فى حسناته فينظر في حسناته فلا يوجد له حسنة فيقول انظروا في سيئاته فتوجد له سيئات كثيرة فيؤمر به إلى النار فيذهب إلى النار يلتفت فيقول ردوه الى لم تلتفت فيقول أى رب لم يكن هذا ظني أو رجائى فيك ـ شك إبراهيم ـ فيقول صدقت فيؤمر به إلى الجنة

(قال المؤلف) وهذا الحديث رفعه ابن المبارك قال أنا رشدين بن سعد قال حدثنى أبو هانى الخولانى عن عمرو بن مالك أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك وتعالى ردوه فيردوه فيقال له لم إلتفت فيقول كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة قال فيقول لقد أعطاني ربى حق إني لو أطعمت أهل الخ : مانقص ذلك مما عندى شيئا قالا وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور في وجهه .

(قال المؤلف) وفى هذا المعنى خبر الرجل الذى ترفع له شجرة بعد أخرى حتى يخرج من النار إلى أن يدخل الجنة خرجه مسلم فى الصحيح وسيأتى :

باب منه وفي أول مايقول الله تعالى للمؤمنين وفى أول مايقولون له

أبو داود الطيالسى قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنى يحيى بن أيوب عن عبيد الله زحر عن خالد بن أبى عمران عن أبى عياش عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئتم أنبأتكم بأول مايقول الله عزوجل للمؤمنين يوم القيامة وبأول مايقولون له قالوا نعم يارسول الله قال فان الله تعالى يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائى فيقولون نعم يارينا قال وما حملكم على ذلك قال فيقولون عفوك ورحمتك ورضوانك فيقول فاني قد أوجبت لكم رحمتي .

باب منه

ذكر أبو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أن رجلا كان فى الأمم الماضية يجتهد فى العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات قال أى رب مالى عندك قال النار قال فأين عبادتى واجتهادى قيل له إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك من رحمتي وقال مقاتل قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولم يرخص لهم في معاصي الله عز وجل.

باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول صلى الله عليه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات خرجه البخارى أيضا والترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح غريب وخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال أنظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال فرجع إليه وقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها قال فأمر بها فحفت بالمكاره فقال فأرجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها قال فرجع إليها فاذا هى قد حفت بالمكاره فرجع اليه فقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال اذهب إلى النار فانظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضا فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت ألا ينجوا منها أحد إلا دخلها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(فصل) المكاره كل ما يشتق على النفس فعله ويصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب وجميع المكروهات والشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها وتدعو اليه وروافقها وأصل الحفاف الدائر بالشيء الخيط

به الذى لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى فمثل صلى الله عليه وسلم المكاره والشهوات بذلك فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها والنار لا ينجو منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال طريق الجنة حزن بربوة وطريق النار سهل بسهوة ذكره صاحب الشهاب والحزن هو الطريق الوعر المسلك والربوة هو المكان المرتفع وأراد به أعلى مايكون من الروابى والسهوة بالسين المهملة هو الموضع السهل الذى لاغلظ فيه ولا وعورة وقال القاضى أبو بكر ابن العربى فى سراج المريدين له ومعنى قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات أى جعلت على حافاتها وهى جوانبها ويتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل فجعله فى جوانبها من الخارج ولو كان ذلك ما كان مثلا صحيحا وإنما هى من داخل وهذه صورتها :

الجنـــة	النـار
الصبر الآلم المكاره الغزو	فى المال

وعن هذا عبر ابن مسعود حفت الجنة بالمكاره والنار حفت بالشهوات فمن اطلع الحجاب فقد واقع ماوراءه وكل من تصورها من خارج فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال فإن قيل فقد حجبت النار بالشهوات قلنا المعنى واحد لأن الأعمى عن التقوى الذى أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التى هى فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة فى داخل الفخ وهى محجوبة عنه ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتعلق باله بها وجهله بما جعلت فيه وحجبت .

باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها

البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلنى الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه أنت عذابى أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتي أرحم

بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها خرجه مسلم والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح .

(فصل) قال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث سئل محمد بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الضعفاء من الضعيف قال الذى يبرىء نفسه من الحول والقوة . يعنى فى اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة

(قال المؤلف) ومثل هذا لايقال من جهة الرأى فهو مرفوع والله أعلم. وأما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم فى قوله عليه السلام اللهم احينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك فى زى مسكين

ذاك الذى عظمت فى الله رغبته وذاك يصلح للدنيا وللدين

ومعنى احتجت الجنة والنار أى حجت كل واحدة صاحبتها وخاصمتها وسيأتى بيانه عند قوله عليه السلام اشتكت النار إلى ربها .

باب منه فى صفة أهل الجنة وأهل النار وفى شرار الناس منهم

مسلم عن عياض بن حمار المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما فى خطبته أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم عفيف ضعيف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبع لايبتغون أهلا ولا مالا والخائن الذى لايخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لايصبح ولايمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبر قسمه ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفى رواية زنيم متكبر خرجه ابن ماجه أيضا أبو داود عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى قال الجواظ الغليظ الفظ . ابن ماجه عن ابن عمران قال

Marfat.com

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لايعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذى يتمرد على الله وأبى أن يقول لاإله إلا الله وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل النار إلا شقى قيل يارسول الله ومن الشقى قال من لم يعمل لله بطاعته ولم يترك له معصية وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع وأهل النار من ملأ الله أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع . مسلم عن أنس قال مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت فقال عمر فداك أبى وأمى مر بجنازة فأثنى عليها خيرا فقلت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شرا فقلت وجبت وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله فى الأرض قالها ثلاثا وقالت عائشة رضى الله عنها الجنة دار الأسخياء والنار دار البخلاء وقال زيد بن أسلم أمرك الله تعالى أن تكون كريما فيدخلك الجنة ونهاك أن تكون بخيلا فيدخلك النار وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يارسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفأنبئكم بشر من هـــذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يقيـــل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا . قال أفأنبئكم بشر من هـــذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يرجى خـــيره ولا يؤمن شره إن عيسى بن مريم قائم في بني إسرائيل اختلف فيه فردوه إلى الله عز وجل قال أبو نعيم وهذا الحديث لايحفظ بهذا السياق عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس .

(فصل) قوله ذو سلطان مقسط ومابعده مرفوع على أنها صفات لذو وهى بمعنى صاحب والمقسط العادل والمتصدق المعطى الصدقات والموفق المسدد لفعل الخيرات

ورقيق القلب لينه عند التذكرو الموعظة ويصلح أن يكون بمعنى الشفيق وقوله ضعيف متضعف يعنى ضعيف فى أمور الدنيا قوى فى أمر دينه كما قال عليه السلام المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير الحديث خرجه مسلم فان كان ضعيفا فى أمور دينه لا يعنى بها فمذموم وذلك من صفات أهل النار كما قال وأما النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له أى لا عقل له ومن لا عقل له ينفك به عن المفاسد ولا ينزجر به عنها فحطبك به ضعفا وخسارة فى الدين وقد قيل فى الزبر إنه المال وليس بشىء لأن النبى صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بقوله الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا .

قال شيخنا أبو العباس رضى الله عنه فيعنى بذلك أن هؤلاء ضعفاء العقول فلا يسعون فى تحصيل مصلحة دنيوية ولا فضيلة نفسية ولا دينية بل يهملون أنفسهم إهمال الأنعام ولا يبالون بما يثبون عليه من الحلال والحرام وهذه الأوصاف الخبيثة الذاتية هى أوصاف هذه الطائفة المسماة بالقلندرية وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير راوى الحديث والله لقد أدركتهم فى الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحى ماله إلا وليدتهم يطاوها ويخفى بمعنى يظهر وهو من الأضداد وذكر البخل والكذب هكذا الرواية المشهورة بالواو الجامعة والكذب وقد رواه ابن أبى جعفر عن الطبرانى بأو التى للشك قاله القاضى عياض ولعله الصواب وبه تصح القسمة لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة الضعيف الذى وصفه والخائن الذى وصف والرجل المخادع الذي وصف قال وذكر البخل والكذب ثم ذكر الشنظير والفحاش فرأى هذا القائل أن الرابع هو صاحب أحد الصنفين وقد يحتمل أن يكون الرابع قد جمعهما على رواية واو العطف كما جمعهما في الشنظير الفحاش وكذلك قوله أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط أخرى ومسلم عفيف بالرفع وحذف الواو وقال شيخنا إنتهى كلام القاضي عياض رحمه الله والضعيف الكثير العفة وهى الانكفاف عن الفواحش وعن مالا يليق والمتعفف المتكلف العفة والشنظير السيء الخلق ويقال شنظيرة أيضا قاله الجوهرى وأنشد قول أعرابية :

Marfat.com

شنظيرة زوجنيه أهـــلى من حمقه يحسب رأسى رجلى

كأنه لم ير أنثى قبلى . وربما قالوا شنذيرة بالذال المعجمة لقربها من الظاء لغة أولثغة والفحاش الكثير الفحش وقيل الشنظير هوالفحاش قال صاحب العين يقال شنظر بالقوم شتم أعراضهم والشنظير الفحاش من الرجال . القلق وكذلك من الإبل والجواظ الجموع المنوع ومنه قوله تعالى وجمع فأوعى، وقيل الجواظ الكثير اللحم المختال وقيل الجافى القلب والعتل قيل هو الجافى الشديد الخصومة وقيل هو الأكول الشروب الظلوم .

(قال المؤلف) ويقال إنه الفظ الغليظ الذى لاينقاد لخير والجعظرى الفظ الغليظ القصير وجاء فى تفسيره فى بعض الأحاديث هم الذين لاتصدع رؤسهم قال شيخنا والزنيم المعروف بالشر وقيل اللئيم وأما الزنيم المذكور فى القرآن فرجل معين له زنمة كزنمة النيس وقيل هو الوليد وكان له زنمة تحت أذنه وقيل هو الملصق بالقوم وقيل هو الأخنس بن شريق .

(فصل) قوله عليه السلام من أثنيتم عليه شرا وجبت له النار يعارضه قوله عليه السلام لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ماقدموا أخرجه البخارى والثناء بالشر سب فقيل ذلك خاص بالمنافقين الذى شهدت الصحابة فيهم بما ظهر لهم ولذلك قال عليه السلام وجبت له النار والمسلم لا تجب له النار واختار هذا القول القاضى عياض وقيل ذلك جائز فيمن كان يظهر الشر ويعلن به فيكون ذلك من باب لاغيبة في فاسق وقيل إن النهى إنما هو بعد الدفن وأما قبله فممنوع لقوله عليه السلام لاتسبوا الأموات فالنهى عن سب الأموات متأخر فيكون ناسخا والله أعلم وقوله أنتم شهداء الله فى الأرض معناه عند الفقهاء إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل فى الحديث وكذلك لو كان القائل فيه عدوا له وإن كان فاضلا لأن شهادته فى حياته لو كانت عليه كانت غير مقبولة وكذلك الحكم في الآخرة على ما تقدم والله أعلم وقيـــل إن تكرار أنتم شهداء الله في الأرض ثلاثا إشارة إلى القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبى ﷺ خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

(قال المؤلف) والأول أصح لأن الله تعالى مدح هذه الأمة بالفضل والعدالة إلى يوم القيامة قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) يعنى فى الآخرة كما تقدم فلا يشهد إلا العدول وقد خرج البخارى عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال مرعلى النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت ثم مرعليه بأخرى فأثنواعليها شرا أو قال غير ذلك فقال وجبت فقيل يارسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت فقال المؤمنون شهداء الله فى الأرض وخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد وقال شهادة القوم والمؤمنون شهود الله فى الأرض وفى البخارى أيضا عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة قال وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد قال أبو محمد عبد الحق وهذا الحديث مخصوص والله أعلم والذى قبله يعطى العموم وأن من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة والله أعلم .

(قال المؤلف رحمه الله) ومن هذا المعنى ماذكره هناد بن السرى أخبرنا إسحاق الرازى عن أبى سنان عن عبد الله بن السائب قال مرت جنازة بعبد الله بن مسعود فقال لرجل قم فانظر من أهل الجنة هو أم من أهل النار قال الرجل ما يدريني أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار قال ثناء أمر أن يلقى على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفى قلوبهم المحبة له قال الله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) وقال عليه السلام إذا أحب الله عبدا قال ياجبريل إنى أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض وذكر فى البغضاء مثل ذلك وهذا حديث صحيح خرجه البخارى ومسلم قال أبو محمد عبد الحق وقد شوهد رجال من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء عليهم وصرفت القلوب إليهم فى حياتهم وبعد مماتهم ومنهم من كثر المشيعون لجنازته وكثر الحاملون لها والمشتغلون بها وربما كثر الله الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم مما يكون فى صور الناس ذكر قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا محمد بن يزيد الرفاعى قال مات عمرو بن قيس الملائى بناحية فارس فاجتمع لجنازته من الخلق مالا يحصى فلما

Marfat.com

حتى نظروا فلم يروا أحدا قال الرفاعى سمعت هذا مما لا أحصى كثرة وكان سفيان الثورى يتبرك بالنظر إلى عمرو بن قيس هذا ولما مات أحمد بن حنبل رضى الله عنه صلى عليه من المسلمين مالا يحصى فأمر المتوكل أن يمسح موضع الصلاة عليه من الأرض فوجد موقف ألفى ألف وثلاث مائة ألف أو نحوها ولما انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلون على قبره فصلى عليه مالا يحصى وروى أنه أسلم فى ذلك اليوم من أهل الذمة اليهود والنصارى نحو من ثلاثين ألف لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته ولما رأوا من العجب فى ذلك اليوم ولما مات سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله انكب الناس على جنازته وحضرها من الخلق مالا يعلمه إلا الله تعالى وكانت فى البلد ضجة فسمع بها يهودى شيخ كبير فخرج فلما رأى الجنازة صاح وقال هل ترون ما أرى قالوا وما ترى قال أرى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم أسلم وحسن إسلامه ويقال إن الكعبة لم تخل من طواف طائف يطوف بها إلا يوم مات المغيرة بن حكيم فإنها خلت لانحشار الناس لجنازته تبركا بها ورغبة فى الصلاة عليه وقد شوهد من جنائز الصالحين من يشيعها الطير ويسير معها حيث سارت منهم أبو الفيض ذو النون المصرى وأبو إبراهيم المزنى صاحب الشافعى حدث بذلك الثقات قاله أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة

باب منه فى صفة أهل الجنة وأهل النار

مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب الرواية بالياء بلا خلاف وتحكم أبو الوليد الكنانى فرواه بالثاء المثلثة وهى المنتصبة وهذا خطأ منه وتصحيف وخرج مسلم أيضا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير .

(فصل) للعلماء فى تأويل هذا الحديث وجهان أحدهما أنها مثلها فى الخوف

والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفا حتى قالوا أحذر من غراب وقد غلب الخوف على كثير من السلف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا الثانى أنه مثلها فى الضعف والرقة كما جاء في الحديث الآخر في أهل اليمن هم أرق قلوبا وأضعف أفئدة .

(قال المؤلف) ويحتمل وجها ثالثا أنها مثلها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب لا خبرة لهم بأمور الدنيا كما روى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ أكثر أهل الجنة البله وهو حديث صحيح أى البله عن معاصى الله والله اعلم قال الأزهرى الأبله فى كلامهم على وجوه يقولون عيش أبله إذا كان ناعما ومنه أخذ بلهنية العيش قال بعضهم : وطالما عشت فى بلهنية . والأبله الذى لاعقل له والأبله الذى طبع على الخير وهو غافل عن الشر لايعرفه وقال هذا هو المراد بالحديث وقال العتبى البله هم الذين غلب عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس وأنشد :

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعنى على أسرارها

يعنى إنها غر لادهاء لها قال المؤلف رحمه الله ونظير ماذكرناه وماقاله هؤلاء الأئمة من الكتاب قوله تعالى (إلا من أتى الله بقلب سليم) وقوله عليه السلام وقد سئل أى الناس أفضل قال الصادق اللسان المخموم القلب قالوا أما الصادق اللسان فقد عرفناه أنه ذلك فما المخموم القلب قال النقى الذى لاغل فيه ولاحسد ذكره أبو عبيدة والعرب تقول خممت البيت أى كنسته ومنه سميت الخمامة وهى مثل القمامة والكناسة .

وقال بعض العلماء فى البله وجها آخر لطيفا وهو أنهم سموا بذلك لقصورهم عن كمال المعرفة بحق الله تعالى ورؤية استحقاقه العبادة وإيثار طلبه والشغف بحبه وخدمته وطلب رضاه الذى هو جنة الخلد إذا وقفوا بخواطرهم على الجنة ونعيمها وعبدوه وأطاعوه فى نيل درجاتها ولذاتها غافلين عن مراقبة جلاله وملاحظة كماله بعكوف هممهم على نيل نعمه وأفضاله فهم بله أيضا بالإضافة إلى العقلاء عن الله عز وجل ذوى الألباب المقبلة على مشاهدة عظمة الله تعالى المتوجهين بكليتهم إليه المشغولين به عما لديه ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى سياق قوله أكثر أهل الجنة البله وعليون لاولى الألباب وفى الخبر أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل

الملائكة إلى الجنة والناس فى الحساب فيقولون الملائكة إلى أين تحملوننا فيقولون إلى الجنة فيقولون إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا فتقول لهم الملائكة وما بغيتكم فيقولون المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولعل من هذا القبيل من يسأل الله الجنة إلا أن سؤاله إياها لا لها بل موافقة لمولاه لما علم أنه يحب أن يسأل من ثوابه ويستعاذ من عذابه فوافق مولاه في إيثاره لا لحظ نفسه كما قال عليه السلام لأحد أصحابه الذي قال أما أنا فأقول في دعائي اللهم ادخلني الجنة وعافني من النار ولا أدري ما دندنتك ولا دندنة معاذ فقال له النبي ﷺ حولها ندندن .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله خرجه أبو داود فى سننه وابن ماجه أيضا .

(فصل) قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب قوله صنفان من اهل النار لم أرهما الصنف فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء والسوط فى اللغة اسم للعذاب وإن لم يكن له ثم ضرب . قاله الفراء وقال ابن فارس فى المجمل السوط من العذاب النصيب والسوط خلط الشيء بعضه ببعض وإنما سمى سوطا لخلطه وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم عظم السياط وخروجها عن حد مايجوز به الضرب فى التأديب وهذه الصفة للسياط مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن وغيره وقوله نساء كاسيات عاريات يعنى أنهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين لانكشافهن وإبدائهن بعض محاسنهن وقيل كاسيات ثيابا رقاقا يظهر ما خلفها وما تحتها فهن كاسيات فى الظاهر عاريات فى الحقيقة وقيل كاسيات فى الدنيا بأنواع الزينة من الحرام وما لا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة ثم قال عليه السلام مائلات مميلات قيل معناه زائغات عن طاعة الله تعالى وطاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج والتستر عن الأجانب ومميلات يعلمن غيرهن الدخول فى مثل فعلهن وقيل مائلات متبخترات فى مشيهن مميلات يمان رؤسهن وأعطافهن من الخيلاء والتبختر ومميلات لقلوب الرجال إليهن لما يبدين من زينتهن وطيب رائحتهن وقيل يتمشطن الميلاء وهى مشطة البغايا ، والمميلات : اللواتى يمشطن غيرهن المشطة الميلاء قال صلى الله عليه وسلم رؤسهن كأسنمة البخت معناه يعظمن رؤسهن بالخز والمقانع ويجعلن على

رؤسهن شيئا يسمى عندهن النازة لاعقص الشعر . والذوائب المباح للنساء حسب ماثبت فى الصحيح عن أم سلمة قالت قلت : يارسول الله إنى امرأة أشد ضفر رأسى الحديث .

باب ما جاء فى أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

مسلم عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار. وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء .ومن حديث ابن عباس فى حديث كسوف الشمس: ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط . وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال إن أقل ساكني الجنة النساء .

(فصل) قال علماؤنا إنما كان النساء أقل ساكنى الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذن بصائرها إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولهائم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التى تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارفات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين . ومن كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: أيها الناس لاتطيعوا للنساء أمراً ولا تأمنوهن على مال ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير فانهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويحلفن وهن كاذبات ويتمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا

Marfat.com

على حذر من خيارهن والسلام. وقال صلى الله عليه وسلم: ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وسيأتى . وقال : مارأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من إحداكن يامعشر النساء . وهو معنى قوله عليه السلام فى الحديث المتقدم مائلات مميلات قال الحافظ بن دحية تحفظوا عباد الله منهن وتجنبوا غيهن ولا تثقوا بودهن ولا وثيق عهدهن ففى نقصان عقولهن ودينهن مايغنى عن الإطناب فيهن .

باب منه

البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل أمتى يدخلون الجنة إلا من يأبى قيل ومن يأبى يارسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى . وذكر ابن أبي الدنيا قال حدثنا محمد بن علي حدثنا أبو إسحاق بن الأشعث قال سمعت فضيل بن عياض يقول سمعت ابن عباس يقول يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقتها فتشرف على الخلائق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف فى جهنم فتنادى أى رب أين أتباعى وأشياعى فيقول الله تعالى ألحقوا بها أتباعها وأشياعها .

باب ماجاء أن العرفاء فى النار

أبو داود الطيالس عن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده الحديث . وفيه أن أباه أرسله إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قال إن أبى شيخ كبير وهو عريف الماء وأنه يسألك أن تجعل إلى العرافة بعده فقال ان العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار. وفى الصحيح فى قصة هوازن ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم .

(فصل) قال علماؤنا العريف هنا القيم بأمر القبيلة والمحلة يلى أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم، وقوله العرافة حق، يريد أن فيها مصلحة للناس ورفقا بهم إلا تراه يقول ولا بد للناس من عرفاء ،وقوله فى النار معناه التحذير من الرئاسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة والله أعلم .

باب منه

أبو داود الطيالسى قال حدثنا هشام عن عباد بن أبى على عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للأمناء وويل للعرفاء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملا .

باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع رحم

قال الله تعالى «ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا» نزلت فى المكاسين والعشارين فى قول بعض العلماء ، وقال تعالى « فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله » الآية . مسلم عن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال ابن أبى عمر قال سفيان يعنى قاطع رحم رواه البخارى . أبو داود عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال

(فصل) قال علماؤنا صاحب المكس هو الذى يعشر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم إذا مروا به مكسا باسم العشر أو الزكاة وليس هو الساعى الذى يأخذ الصاقات والحق الواجب للفقراء ، وقد قدمنا أن التبديل إذا كان فى الأعمال ليس فى العقائد صاحبه فى المشيئة وإن عذب فانه يخرج بالشفاعة على ماتقدم . وهكذا القول فى أهل الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال .

باب ما جاء فى أول ثلاثة يدخلون الجنة
وأول ثلاثة يدخلون النار

أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد ورجل عفيف متعفف ذو عيال وعبد أحسن عبادة ربه

Marfat.com

وأدى حق مواليه وأول ثلاثة يدخلون النارأمير متسلط وذو ثروة من مال لايؤدى حقه وفقير فخور .

باب ما جاء فى أول من تسعر بهم جهنم

مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال فى آخره ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة .

باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب

مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب قالوا من هم يارسول الله قال هم الذين لايسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون . الترمذى عن أبى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لاحساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي. قال الترمذي هذا حديث غريب وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً وخرج أبو بكر البزار من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا مع كل واحد من السبعين ألفا سبعون ألفا . وخرج أيضا هو وأبو عبد الله الحكيم الترمذى عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أعطانى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل من السبعين ألفا سبعين ألفا فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته قال لقد استزدته فأعطانى هكذا وفتح أبو وهب يديه قال أبو وهب قال هشام هذا من الله لايدرى ماعدده . وخرج الترمذى الحكيم أيضا عن نافع أن أم قيس حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج آخذا بيدها فى سكة من سكك المدينة حتى انتهى بها إلى بقيع الغرقد فقال يبعث من هاهنا سبعون ألفا يوم القيامة فى صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب فقام رجل فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال أنت منهم فقام آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة . قال أبو عبد الله فهذا العدد من مقبرة واحدة فكيف بسائر مقابر أمته، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم كأنه رأى فيه أنه منهم والآخر لم يره بموضع ذلك فقال سبقك بها عكاشة ، وأم قيس هى بنت أخت عكاشة بن محصن الأسدى .

(قال المؤلف رحمه الله) خرجه مسلم فى صحيحه بمعناه .

(فصل) لاتظن أن من استرقى واكتوى لايدخل الجنة بغير حساب فان النبى صلى الله عليه وسلم رقى نفسه وأمر بالرقى وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكر الطبرى وغيره فمحمل النهى عن رقى مخصوصة بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لآل عمرو بن حزم أعرضوا على رقاكم لابأس بالرقى مالم يكن فيه شرك وكذلك الكى الذى يوجد عنه غنى فمن فعله فى محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروها فى حقه ولا منقصا له من فضله ويجوز أن يكون من السبعين ألفا وقد كوى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فيما ذكر الطبرى فى كتاب آداب النفوس له ذكره الحليمى فى كتاب المنهاج فى الدين له واختلفت الرواية فى الكى فروى أن النبى صلى الله عليه وسلم اكتوى من الكلم الذى أصابه فى وجهه يوم أحد وكوى سعد بن زرارة من الشوكة وكوى سعد بن معاذ الذى اهتز لموته عرش الرحمن وأبى بن كعب المخصوص بأنه أقرأ

Marfat.com

الأمة للقرآن وقد اكتوى عمران بن حصين وقطع رجله عروة بن الزبير فمن اعتقد أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفا ففساد كلامه لا يخفى .

باب منه

أخبرنا ابن رواح إجازة قال حدثنا السافى قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن جعفر قراءة عليه وأنا أسمع بأصبهان سنة إحدى وتسعين وأربع مائة قال أخبرنا أبو القاسم على بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم الأسد باذى الهمدانى قراءة عليه فى شعبان سنة تسع وأربعمائة قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن إسحاق بن السنى الحافظ قال أخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد المطيقى قال حدثنا أبو بكر بن زنجويه قال حدثنا عثمان بن صالح قال حدثنا بن لهيعة عن دراج عن أبى حجيرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفا ورجل لم ينصب على مستوقده بقدرين قط ورجل دعى بشراب فلم يقل له أيهما تريد وقال ابن مسعود من احتفر بئرا لفلاة من الأرض إيمانا واحتسابا دخل الجنة بلا حساب .

باب منه

ذكر أبو نعيم عن على بن الحسين رضى الله عنه قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد أيكم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين فيقولون إلى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا أهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسى علينا غفرنا قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك فيقولون نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين قال ثم ينادى مناد ليقم جيران الله فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة

أهل الفضل

أهل الصبر

جيران الله

فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك قالوا وبم جاورتم الله فى داره قالوا كنا نتزاور فى الله ونتجالس فى الله ونتباذل فى الله عز وجل قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ، وذكر من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ينادى منادمن بطنان العرش أين أهل المعرفة بالله أين المحسنون قال فيقوم عنق من الناس حتى يقفوا بين يدى الله تعالى فيقول وهو أعلم بذلك من أنتم فيقولون نحن أهل المعرفة بك الذى عرفتنا إياك وجعلتنا أهلا لذلك فيقول صدقتم ثم يقول ما عليكم من سبيل أدخلوا الجنة برحمتى ، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد نجاهم الله من أهوال يوم القيامة ، قال أبو نعيم هذا طريق مرضى لولا الحارث بن منصور الوراق وكثرة وهمه ابن المبارك عن ابن عباس قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادى ثانية ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون إلى الجنة [illegible] لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية فيسرحون إلى الجنة ، وروى أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين عبادى الذين أطاعونى وحفظوا عهدى بالغيب فيقومون كان وجوههم البدر أو الكوكب الدرى ركبانا على نجائب من نور أزمتها من الياقوت الأحمر تطير بهم على رؤوس الخلائق حتى يقوموا بين يدي العرش فيقول الله لهم السلام على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب أنا اصطفيتكم وأنا أحببتكم وأنا اخترتكم اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فيفتح لهم أبوابها ثم إن الخلائق فى المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض يا قوم أين فلان ابن فلان وذلك حين يسأل بعضهم بعضا فينادى مناد إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون .

باب منه

ذكر الميانشى القرشى أبو جعفر عمر بن حفص من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله تعالى جبريل أن يأتيهم فيسألهم من هم فيأتيهم فيسألهم فيقولون نحن أصحاب الحديث فيقول الله تعالى لهم ادخلوا الجنة طال ما كنتم تصلون على نبيي صلى الله عليه وسلم، وخرج عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در ثم ينادى مناد أين الفقهاء وأين الأئمة وأين المؤذنون اجلسوا على هذه فلا روع عليكم اليوم ولا حزن حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب ، وروى يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن أبي ليلى عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل ، وإن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب ، تفلته من الزيادات بعد [illegible] ربعين [illegible] ابن عبد الغافر رحمه الله قال حدثنا يحيى عن الحسين بن على حدثنا يزيد بن هارون فذكره .

باب منه

أبو نعيم عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى مائة ألف فقال أبو بكر يارسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك ، قال يارسول الله زدنا فقال عمر ان الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر، هذا حديث غريب من حديث قتادة عن أنس تفرد به عن قتادة أبو هلال واسمه محمد ابن سليم الراسبي ثقة بصرى .

Marfat.com

(فصل) لايحملنك ياأخى شىء من هذا الحديث ولا الذى قبله ولا ماوقع فى صحيح مسلم من قوله عليه السلام مخبرا عن الله تعالى كما تقدم : فيقبض قبضة من النار على التجسيم وقد تقدم القول على هـــذا المعنى عند قوله : ويطوى السموات بيمينه . وإنما المعنى أن الله تعالى يخرج من النار خلقا كثيرا لا يأخذهم عد ولا يدخلون تحت حصر فيخرجون دفعة واحدة بغير شفاعة أحد ولا ترتيب خروج بل كما يلقى القابض الشىء المقبوض عليه من يده فى مرة واحدة فعبر عن ذلك بالحفنة والحثوة والقبضة فاعلم ذلك .

باب أمة محمد صلى الله عليه وسلم شطر أهل الجنة وأكثر

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى ياآدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك قال فيقول أخرج بعث النار من ولدك قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائه وتسعة وتسعون فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل قال أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد ثم قال والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده انى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده انى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الدابة خرجه البخارى . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرون صفا طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف عشرون ألف سنة قيل له يارسول الله كم المؤمنون قال ثلاث صفوف قيل له والمشركون قال مائة وسبعة عشر صفا قيل له فما صفة المؤمنين من الكافرين قال المؤمنون كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ذكر هذا الخبر القتبى فى عيون الأخبار له وهو غريب جدا مخالف لصفوف المؤمنين الوارد فى الأحاديث . وذكر أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا بن نمير قال حدثنى موسى الجهنى

عن الشعبي قال سمعته يقول قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا الله ورسوله اعلم قال فيسركم أن تكونوا نصف أهل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال إن أمتى يوم القيامة ثلث أهل الجنة إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف وإن أمتى من ذلك ثمانون صفا ورواه مرفوعا عن عبد الله ابن مسعود وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا . فى إسناده الحرث بن حضيرة ضعيف ضعفه مسلم فى صدر كتابه . وخرج ابن ماجه والترمذى عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

(فصل) تقدم من حديث عبد الله بن عمر وفيه ثم يقول اخرجوا بعث النار وفى هذا يقال لآدم اخرج بعث النار فقيل إن آدم لما أمر أولا بالاخراج أمر هو والملائكة أن يخرجوا ويميزوا أهل الجنة وأهل النار والله أعلم .

وقول الصحابة رضوان الله عليهم أينا ذلك الرجل يريدون من الواحد الذى لا يدخل النار توهما منهم أن القضية واردة فيهم فقال صلى الله عليه وسلم إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجلا وأطلق لفظ البشارة وبين أن الألف كلها فى النار لكن من غير هذه الأمة المحمدية ومن هذه الأمة واحد فى الجنة على مايقتضيه ظاهر هذا اللفظ وإذا كان كذلك استغرق العدد جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا فى الجنة أو أكثرهم لأن يأجوج ومأجوج لايموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه على ما يأتى بيانه من ذكرهم فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى والله أعلم .

باب فى ذكر أبواب جهنم وما جاء فيها

وفى أهوالها وأسمائها أجارنا الله منها برحمته وفضله إنه ولى ذلك والقادر عليه

ذكر الله عز وجل النار فى كتابه ووصفها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ونعتها فقال عز من قائل ، كلا إنها لظى نزاعة للشوى ، الشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس وقال ، ما أدراك ماسقر لا تبقى ولا تذر لواحة

Marfat.com

للبشر، أى مغيرة يقال لاحته الشمس ولوحته إذا غيرته، وقال، وما أدراك ماهية نار حامية، وقال، لينبذن فى الحطمة، أى ليرمين فيها، وما أدراك ما الحطمة، الآية. ذكر ابن المبارك عن خالد بن أبى عمران بسنده إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال أن النار لتأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت ثم تعود كما كانت ثم تستقبله أيضا فتطلع على فؤاده وهو كذلك أبدا فذلك قوله تعالى « نار الله الموقدة، الآية وقال، إذا الجحيم سعرت ، أى أوقدت وأضرمت وقال وسيصلون سعيرا . وقال وأعتدنا لهم عذاب السعير. وقال والذين كفروا لهم نار جهنم الآية. وقال ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار. وسيأتى بيان هذا فأوعد بها الكافرين وخوف الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين لينزجروا عما نهاهم عنه فقال وقوله الحق واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين . وقال إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا . وقال ذلك الذي يخوف الله بـــه عباده والآى في هذا المعنى كثير والله تعالى أعلم .

باب ما جاء أن النار لما خلقت فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها

ذكر ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون ، وقال ميمون بن مهران لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبق فى السموات السبع ملك إلا خر على وجهه فقال لهم الجبار جل جلاله ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أنى خلقتكم لطاعتى وعبادتى وخلقت جهنم لأهل معصيتى من خلقى فقالوا ربنا لا نأمن منها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى « وهم من خشية ربهم مشفقون ، فالنار عذاب الله فلا ينبغى لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهى عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله والله أعلم .

Marfat.com

باب ما جاء فى البكاء عند ذكر النار والخوف منها

ابن وهب عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه إسرافيل فسلما على النبي ﷺ وإذا إسرافيل منكس الطرف متغير اللون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل مالى أرى إسرافيل منكس الطرف متغير اللون قال لاحت له آنفا حين هبط لمحة من جهنم فذلك الذى ترى من كسر طرفه .ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن مطرف عن الثقة أن فتى من الأنصار دخلته خشية من ذكر النار فكان يبكى عند ذكر النار حتى حبسه ذلك فى البيت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه فى البيت فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقه الفتى فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار قد فلذ كبده ،وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة ألف امرأة متغيرات الألوان عليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى السلام ما الذى غير ألوانكن معاشر النسوة قلن ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم إن من دخل النار لا يذوق فيها بردا ولا شرابا ذكره الخرائطى فى كتاب القبور ، وروى أن سلمان الفارسى لما سمع قوله تعالى، وإن جهنم لموعدهم أجمعين، فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل فجىء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له يا رسول الله أنزلت هذه الآية قوله عز وجل وان جهنم لموعدهم أجمعين فوالذي بعثك بالحق نبيا لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى إن المتقين في جنات وعيون الآية ذكره الثعلبي وغيره .

باب ماجاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار بالله من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار ، وروى البيهقى عن أبى سعيد الخدرى أو عن ابن حجيرة الأكبر عن أبى هريرة أن أحدهما حدثه عن رسول الله صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم أنه قال إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرنى من حر نار جهنم قال الله لجهنم إن عبدا من عبادى استجار بى منك وإنى أشهدك أنى أجرته وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرنى من زمهرير جهنم قال الله لجهنم إن عبدا من عبادى استجار بى منك ومن زمهريرك أشهدك انى قد أجرته فقالوا وما زمهرير جهنم قال جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض.

(قال المؤلف رحمه الله) تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والاخلاص فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغنى عن ذكر ذلك. ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يصوم يوما فى سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا، خرجه النسائى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا، وخرجه أبو عيسى الترمذى عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين المشرق والمغرب، ويروى ما بين السماء والأرض قال هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة، وخرج الطبراني سليمان بن أحمد حدثنا عمارة بن وثيمة المصيصي قال حدثنا أبى وثيمة بن موسى بن الفرات قال حدثنا أدريس بن يحيي الخولانى عن رجاء بن أبى عطاء عن وهب بن عبد الله المعافرى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق مابين كل خندق مسيرة مائة عام، وفي كتاب أبي داود عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بوعد من جهنم سبعين خريفا قلت يا أبا حمزة وما الخريف قال العام. وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل، لفظ مسلم.

Marfat.com

باب ماجاء فى جهنم وأنها أدراك ولمن هى

قال الله تعالى، إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، فالنار دركات سبعة أى طبقات ومنازل وإنما قال أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ماتسافل درك ولما تعالى درج فيقول للجنة درج وللنار درك فالمنافقون فى الدرك الأسفل من النار وهى الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنه من أذى المؤمنين. ابن وهب قال حدثنى ابن يزيد قال : قال كعب الأحبار إن فى النار لبئرا مافتحت أبوابها بعد مغلقة ماجاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيذ بالله من شر مافى تلك البئر مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله مالا طاقة لها به ولا صبر لها عليه وهى الدرك الأسفل من النار. وذكر ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن ابن مسعود فى قوله تعالى، إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، قال توابيت من حديد تصمت عليهم فى أسفل النار قال وأخبرنا إبراهيم ابن هارون الغنوى قال سمعت حطان بن عبد الله الرقاشى يقول سمعت عليا يقول هل تدرون كيف أبواب جهنم قال هى مثل أبوابنا هذه قال لا بل هى هكذا بعضها فوق بعض ، وقال العلماء أعلى الدركات جهنم وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهى التى تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، وقد يقال للدركات درجات لقوله تعالى ،ولكل درجات مما عملوا، ووقع فى كتب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح، قال الضحاك فى الدرك الأعلى المحمديون وفى الثانى النصارى وفى الثالث اليهود وفى الرابع الصابئون وفى الخامس المجوس وفى السادس مشركوا العرب وفى السابع المنافقون وقال معاذ بن جبل وذكر السوء من العلماء من إذا وعظ عنف وإذا وعظ أنف فذلك فى الدرك الأول من النار ومن العلماء من يأخذ علمه بأخذ السلطان فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يخزن علمه فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من يتخير العلم والكلام لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعا فذلك فى الدرك الرابع

Marfat.com

من النار ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس سلونى فذلك الذى يكتب عندالله متكلف والله لايحب المتكلفين فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلا فذلك فى الدرك السابع من النار ذكره غير واحد من العلماء. ومثله لايكون رأيا وإنما يدرك توفيفا فاعلم من هذه الأسماء ماهو اسم علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى وسموم فهذه أعلام ليست لباب دون باب فاعلم ذلك. وفى التنزيل «ووقانا عذاب السموم» يريد النار بجملتها كما ذكرنا أجارنا الله منها بمنه وكرمه آمين.

باب ماجاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة

أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا الحسين بن إسحاق التسترى قال حدثنا على بن بحر قال حدثنا سوار بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن جهنم تسعر فى كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة فانها لاتسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها، غريب من حديث عبد الله ومكحول لم نكتبه إلا من حديث النعمان.

(قال المؤلف رحمه الله) ولهذا المعنى كانت النافلة جائزة فى يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام والله أعلم.

باب ماجاء فى قول الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم

قال الله تعالى فى محكم كتابه «لها سبعة أبواب» وقال: حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد ﷺ، خرجه الإمامان الحافظان الترمذيان أبو عبد الله وأبو عيسى، وقال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث مالك بن مغول، قال الشيخ رحمه الله مالك بن مغول أبو عبد الله البجلى

Marfat.com

الكوفى إمام ثقة خرج له البخارى ومسلم والأئمة ، وقال أبى بن كعب لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية وذكر أبو نعيم الحافظ عن عطاء الخراساني قال إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكربا وحرا وأنتنها ريحا للزناة الذين ارتكبوا بعد العلم ، وروى الله تعالى لها سبعة أبواب الآية جزء أشركوا بالله وجزء شكوا فى الله وجزء أغفلوا عن الله وجزء آثروا شهواتهم على الله وجزء شفوا غيظهم بغضب الله وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله ذكره الحليمى أبو عبد الله الحسن بن الحسين فى كتاب منهاج الدين له وقال فان كان ثابتا فالمشركون بالله هم الثنوية والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلها أو لا إله لهم أو يشكون فى شريعته أنها من عنده ولا والغافلون عن الله هم الذين يجحدونه أصلا ولا يثبتونه وهم الدهرية والمؤثرون شهواتهم على الله هم المنهمكون فى المعاصى لتكذيبهم رسل الله وأمره ونهيه والشافون غيظهم بغضب الله تعالى هم القاتلون أنبياء الله وسائر الداعين له المعذبون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى هم المنكرون للبعث والحساب منهم يعبدون أي شيء يرغبون فيه لهم جميع حظهم من الله تعالى والعاتون على الله هم الذين لا يبالون بأن يكون ما هم فيه حقا أو باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان كان الحديث ثابتا، وقال بلال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى مسجد المدينة وحده فمرت به أعرابية فصلت خلفه ولم يعلم بها فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم ، فخرت الأعرابية مغشيا عليها وسمع رسول الله ﷺ وجبتها فانصرف ، ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقت وجلست فقال النبي ﷺ يا هذه ما لك فقالت هذا شيء من كتاب الله أو شيء من تلقاء نفسك فقال يا أعرابية بل هو من كتاب الله المنزل فقالت كل عضو من أعضائى يعذب على كل باب من أبوابها قال يا أعرابية بل لكل باب منهم جزؤ مقسوم يعذب أهل كل باب على قدر أعمالهم فقالت والله انى امرأة مسكينة لا مال لى ولا لى إلا سبعة أعبد أشهدك يا رسول الله أن كل عبد منهم عن باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا رسوله

الله بشر الاعرابية أن الله قد غفر لها وحرم عليها أبواب جهنم كلها وفتح لها أبواب الجنة كلها والله أعلم .

باب منه وفى بعد أبواب جهنم بعضها من بعض
وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

ذكر عن بعض أهل العلم فى قول الله تعالى « لكل باب منهم جزء مقسوم » قال : من الكفار والمنافقين والشياطين وبين الباب والباب خمسمائة عام :

(فالباب الأول) يسمى جهنم لأنه يتجهم فى وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم وهو أهون عذابا من غيره (والباب الثانى) يقال له لظى نزاعة للشوى يقول : أكله اليدين والرجلين . تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (والباب الثالث) يقال له سقر وإنما سمى سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم (الباب الرابع) يقول لها الحطمة فقد قال الله تعالى « وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة » تحطم العظام وتحرق الأفئدة قال الله تعالى « التى تطلع على الأفئدة » تأخذه النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترمى بشرر كالقصر كما قال تعالى أنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر، الآية يعنى سودا فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم فيكون الدمع حتى ينفذ . ثم يبكون الدماء ثم يبكون القيح حتى ينفد القيح حتى لو أن السفن أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت . (والباب الخامس) يقال له الجحيم وإنما سمي جحيما لأنه عظيم الجمرة ، الجمرة الواحدة أعظم من الدنيا . (والباب السادس) يقال له السعير وإنما سمى السعير لأنه يسعر بهم ولم يطف منذ خلق فيه ثلاثمائة قصر فى كل قصر ثلاثمائة بيت فى كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال وفيه جب الحزن ليس فى النار عذاب أشد منه إذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزنا شديدا (والباب السابع) يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبدا وفيه بئر الهبهاب وذلك قوله تعالى « كلما خبت زدناهم سعيرا » إذا فتح الهبهاب يخرج منه نار تستعيذ منه النار وفيه الذين قال الله تعالى « سأرهقه صعودا » أو هو جبل من نار يوضع أعداء الله على

Marfat.com

وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى أعناقهم مجموعة أعناقهم إلى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان . وأبواب النار حديد فرشها الشوك غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج النار من فوقهم والنار من تحتهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله ذكره القتبي فى عيون الأخبار وذكر ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لاضوء لها ولا لهب وهى كما قال الله تعالى « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم » على كل باب سبعون ألف جبل على كل جبل[1] سبعون ألف شعب من النار فى كل شعب سبعون ألف شق من النار في كل شق سبعون ألف واد في كل واد سبعون ألف قصر من نار فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار فى كل بيت سبعون ألف قله من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الناس وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق فوقهم وآخر من ورائهم فاذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادى رب سلم رب سلم. وقال وهب بن منبه بين كل بابين مسيرة سبعين سنة كل باب أشد حرا من الذى فوقه بسبعين ضعفا ويقال إن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منها سبعون واديا قعر كل واد منها سبعون عاما لكل واد منها سبعون ألف شعب فى كل شعب منها سبعون ألف مغارة فى جوف كل مغارة سبعون ألف شق فى كل شق منها سبعون ألف ثعبان فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لكل عقرب منها سبعون ألف فقارة فى كل فقارة منها قلة سم لاينتهى الكافر ولا المنافق حتى يوافق ذلك كله ذكره ابن وهب فى كتاب الأهوال له ومثله لايقال من جهة الرأى فهو توقف لأنه إخبار عن مغيب والله تعالى أعلم .

(١) فى كل جبل (تعليق)

Marfat.com

باب ماجاء فى عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفى عظم خلقهم وتفلتها من أيديهم وفى قمع النبي صلى الله عليه وسلم إياها وردها عن أهل الموقف

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وذكر ابن وهب قال حدثنى زيد بن أسلم قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فناجاه فقام النبي صلى الله عليه وسلم منكس الطرف فأرسلوا إلى على فقالوا يا أبا الحسن مازال النبي صلى الله عليه وسلم محزونا منذ خرج جبريل عنه فأتاه على فوضع يده على عضديه من خلفه وقبل بين كتفيه وقال ماهذا الذى نراه منك يارسول الله فقال يا أبا الحسن أتانى جبريل فقال لى «إذا دكت الأرض دكا» الآية وجىء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام لكل زمام يقوده سبعون ألف ملك فبينما هم كذلك إذ شردت عليهم شردة إنفلتت من أيديهم فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها . وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة أنهم يأتون بها تمشى على أربع قوائم وتقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك بيد كل واحد حلقة لو جمع حديد الدنيا كله ماعدل منها بحلقة واحدة على كل حلقة سبعون ألف زبنى لو أمر زبنى منهم أن يدك الجبال لدكها وأن يهد الأرض لهدها وانها إذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها فيجثو كل من في الموقف على الركب حتى المرسلون ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش هذا قدنسى الذبيح وهذا قدنسى هارون وهذا قدنسى مريم عليهم السلام وكل واحد منهم يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها قال وهو الأصح عندى ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى سلمها يارب ونجها يارب وليس فى الموقف من تحمله ركبتاه وهو قوله تعالى «وترى كل أمة جاثية» الآية وعند تغلتها تكبوا من الغيظ والحنق وهو قوله تعالى «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا» أى تعظيما لغيظها وحنقها يقول الله تعالى «تكاد تميز من الغيظ» أى تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى ويأخذ بخطامها ويقول ارجعى مدحورة إلى

خلقك حتى يأتيك أهلك أفواجا فتقول خل سبيلى فإنك يا محمد حرام على فينادى مناد من سرادقات العرش اسمعى منه وأطيعى له ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف بجذبها فيخف وجلهم وهو قوله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» وهناك تنصب الموازين على ما تقدم .

(فصل) هذا يبين لك ماقلناه أن جهنم اسم لجميع النار ومعنى يؤتى بها يجاء بها من المحل الذى خلقها الله تعالى فيه فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم . والزمام مايزم به الشىء أى يشد ويربط به وهذه الأزمة التى تساق بها جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشر فلا يخرج منها إلا الأعناق التى أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه على ماتقدم ويأتى وملائكتها كما وصفهم الله غلاظ شداد وقد ذكر ابن وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خزنة جهنم مابين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس مابين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان فى قعر جهنم وأما قوله تعالى «عليها تسعة عشر» فالمراد رؤساهم على مايأتى وأما جملتهم فالعبارة عنهم كما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو .

(فصل) قال العلماء إنما خص النبي بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم لأنه رآها فى مسراه وعرضت عليه فى صلاته حسب ماثبت فى الصحيح قال وفى ذلك فوائد ثمان (الأولى) أن الكفار لما كانوا يستهزؤن به ويكذبونه فى قوله ويؤذونه أشد الأذى أراه الله تعالى النار التى أعدها للمستخفين به وبأمره تطييبا لقلبه وتسكينا لفؤاده (الثانية) الإشارة فى ذلك إلى أن من طيب قلبه فى شأن أعدائه بالإهانة والانتقام فالأولى أن يطيب قلبه فى شأن أوليائه وأحبابه بالتحية والشفاعة والإكرام (للفائدة الثالثة) ويحتمل أن عرضها عليه ليعلم منة الله تعالى حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته (الفائدة الرابعة) ويحتمل أنه عرضها عليه ليكون فى القيامة إذا قال سائر الأنبياء نفسى نفسى يقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمتى أمتى وذلك حين تسجر جهنم ولذلك أمر الله عزوجل محمدا

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم فقال جل من قائل « يوم لايخزى الله النبي » الآية قال الحافظ أبو الخطاب والحكمة فى ذلك أن يفزع إلى شفاعة أمته ولولم يؤمنه لكان مشغولا بنفسه كغيره من الأنبياء (الفائدة الخامسة) أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئا منها فاذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطيئة والشفاعة من هولها وشغلهم أنفسهم عن أممهم وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد رأى جميع ذلك فلا يفزع منه مثل مافزعوا ليقدر على الخطبة وهو المقام المحمود الذى وعده به ربه تبارك وتعالى فى القرآن المجيد وثبت فى صحيح السنة (الفائدة السادسة) فيه دليل فقهى على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافا للمعتزلة المنكرين لخلقها وهو يجرى على ظاهر القرآن فى قوله تعالى أعدت للمتقين . أعدت للكافرين والاعداد دليل الخلق والايجاد (الفائده السابعة) ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خسة الدنيا فى جنب ما أراه فيكون فى الدنيا أزهد وعلى شدائدها أصبر حتى يؤديه إلى الجنة فقد قيل حبذا محنة تؤدى بصاحبها إلى الرخاء وبؤسا لنعمة تردى بصاحبها إلى البلاء .

(الفائدة الثامنة) ويحتمل أن الله تعالى أراد ألا يكون لأحـــد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها ولما كان لإدريس عليه السلام كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة أراد الله تعالى أن يكون ذلك لصفيه ونجيه وحبيبه وأمينه على وحيه محمد صلى الله عليه وسلم وكرم وعظم وبجل ووقر قال ذلك جميعه الحافظ ابن دحية رضى الله عنه فى كتاب الابتهاج فى أحاديث المعراج .

باب منه

وفى كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من عنده جواز

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا هذه الآية يوم تبدل الأرض غير الأرض الآية قال النبي ﷺ أين يكون الناس يوم القيامة يا جبريـــل قال يامحمد يكونون على أرض بيضاء لم يعمل عليها خطيئة قط وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال الصوف تذوب الجبال من مخافة جهنم يامحمد إنه ليجاء بجهنم يوم القيامة

Marfat.com

تزف زفا عليها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى تقف بين يدى الله تعالى فيقول لها ياجهنم تكلمى فتقول لاإله إلاالله وعزتك وعظمتك لأنتقمن اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك لايجوزنى إلامن عنده جواز فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ما الجواز يوم القيامة قال أبشر وبشر ألا من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل أمتى أهل لا إله إلا الله وخرج الحافظ أبو محمد عبد الغنى الحافظ من حديث سليمان بن عمرو يتيم أبى سعيد الخدرى عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الخلائق فى صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضا وخزنتها يكفونها وهى تقول وعزة ربى لتخلين بينى وبين أزواجى أو لاغشين الناس عنقا واحدا فيقولون من أزواجك فتقول كل متكبر جبار .

باب ماجاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال الله تعالى « عليها تسعة عشر » . ابن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن الأزرق بن قيس عن رجل من بنى تميم قال كنا عند أبى العوام فقرأ هذه الآية وما أدراك ماسقر الآية عليها تسعة عشر فقال : تســـعة عشر ألف ملك قال وما أدراك ماسقر الآية عليها تسعة عشر فقال ماتسعة عشر قال تسعة عشر ألف ملك قال الله عز وجل وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوى بها سبعين ألف خريف وخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله قال قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدة خزنة جهنم قالوا لا ندرى حتى نسأله فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياأحمد غلب أصحابك اليوم فقال وبماذا غلبوا قال سألهم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فماذا قالوا قال قالوا لاندرى حتى نسأل نبينا قال افغلب قوم سألوا عما لايعلمون فقالوا لانعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قدسألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة هل بأعداء الله إنى سائلهم عن تربة الجنة وهى الدرمك فلما جاؤا قالوا يا أبا القاسم

Marfat.com

كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا فى مرة عشرة وفى مرة تسعة قالوا نعم قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا خبزة يا أبا القاسم فقال النبى ﷺ الخبز من الدرمك قال أبو عيسى هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث خالد عن الشعبي عن جابر .

باب ماجاء فى سعة جهنم وعظم سرادقها وبيان قوله تعالى وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين

قال الله تعالى « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » . ابن المبارك قال أخبرنا عنبسة بن سعيد عن حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد قال قال ابن عباس أتدرى ماسعة جهنم قال قلت لا قال أجل والله ماتدرى أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة خمسين خريفا تجرى منها أودية القيح والدم قلت لها أنهار قال لا بل أودية ثم قال أندرى ماسعة جسر جهنم قلت لا قال قلت أجل حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والأرض جميعا قبضته يوم القيامة قلت فأين الناس يومئذ قال على جسر جهنم خرجه الترمذى وصححه وقد تقدم وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم لسرادق النار أربع جدر وكثف كل جدار مسيرة أربعين سنة ذكره ابن المبارك وخرجه الترمذى أيضا وسيأتى، وذكر ابن المبارك قال حدثنا محمد بن بشار عن قتادة وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال ذكر لنا أن عبد الله كان يقول أن جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج على الرمح وذكره الثعلبي والقشيرى عن ابن عباس .

باب ماجاء أن جهنم فى الأرض وأن البحر طبقها

روى عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يركب البحر إلا رجل غاز أو حاج أو معتمر فان تحت البحر نارا ذكره أبو عمر وضعفه وقال عبد الله بن عمر ولا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم ذكره أبو عمر أيضا وضعفه وفى تفسير سورة ق عن وهب بن منبه قال أشرف ذو القرنين على جبل ق فرأى

تحته جبالا صغارا فقال له ما أنت قال أنا قاف قال فما هذه الجبال حولك قال هى عروقى ومامن مدينة إلا وفيها عرق من عروقى فاذا أراد الله أن يزلزل تلال الأرض أمرنى فحركت عرقى ذلك فتزلزلت تلك الأرض فقال له ياقاف أخبرنى بشىء من عظمة الله قال إن شأن ربنا لعظيم تقصر دونه الأوهام قال بأدنى مايوصف منها قال إن ورائى أرضا مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا لولا هى لاحترقت من حر جهنم وذكر الخبر .

(قال الشيخ المؤلف رحمه الله) وهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم بموضعها وأين هى من الأرض .

باب ما جاء فى قوله تعالى وإذا البحار سجرت

وما جاء أن الشمس والقمر يقذفان فى النار

قال ابن عباس فى قوله تعالى وإذا البحار سجرت قال أوقدت فصارت نارا وذكر ابن وهب عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية وجمع الشمس والقمر قال يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار فتكون نار الله الكبرى وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال قال النبي ﷺ إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وروى عن كعب الأحبار أنه قال يجاء بالشمس والقمر كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار .

(فصل) قال الشيخ رحمه الله كذا الرواية ثوران بالثاء المثلثة وإنما يجمعان فى جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله لا تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم هكذا قال بعض أهل العلم وقال ابن قتى صاحب خلع النعلين: اعلم أن الشمس والقمر ثوران مكوران فى نار جهنم على شبه هذا التكوير فنهار سعير وليل زمهرير والدار دار قائمة لا فرق بينها وبين هذين فى حركة التسيار والتدوار ومدار فلكى الليل والنهار إلا أن تلك خالية من رحمة الله ومع هذه رحمة واحدة من رحمة الله وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهيب ظاهر النار وهما من أشد الغضب لله تعالى بما عايناه من عصيان العاصين وفسق الفاسقين إذ لا يكاد يغيب عنهما أين ولا تخفى عنها خائنة عين فانه

Marfat.com

لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوئهما ولو كانا خلف حجاب من الغيب الليلى أو وراء ستر من الغيم اليومى فان الضوء الباقى على البسيطة فى ظل الأرض ضوؤهما والنور نورهما ومع ماهما عليه من الغضب لله فانه لم يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما وقبض ضياء الاين والرأفة منهما وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا فى قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار قال ﷺ إن لله مائة رحمة نزل منها واحدة إلى الأرض الدنيا فبها تتعاطف البهائم ويتراحم الخلق وتتواصل الأرحام فاذا كان يوم القيامة قبض الله هذه الرحمة وردها إلى التسعة والتسعين وأكملها مائة كما كانت ثم جعل المائة كلها رحمة للمؤمنين وخلت دار العذاب ومن فيها من الفاسقين من رحمة رب العالمين فبزوال هذه الرحمة زال ما كان فيه القمر من رطوبة وأنوار ولم يبق إلا ظلمة وزمهرير وبزوالها زال ما كان بالشمس من وضح وإشراق ولم يبق إلا فرط سواد واحراق وبما كانا به قبل من الصفة الرحمانية كان إمهالهما للعاصين وإبقاؤهما على القوم الفاسقين وهى زمام الإمساك ولجام المنع عن التدمير والإهلاك وهى سنة الله تعالى فى الإبقاء إلى الأوقات والامهال إلى الآجال إلا أن يشاء غير ذلك فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه لا إله إلا هو سبحانه .

(قال المؤلف رحمه الله) وقد روى عكرمة عن ابن عباس تكذيب كعب الأحبار فى قوله وقال هذه يهودية يريد إدخالها فى الاسلام والله أكرم وأجل من أن يعذب على طاعته ألم تر إلى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى دوبهما فى طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى الله عليهما أنهما دائبان فى خدمته وطاعته ثم حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لما أبرم خلقه إحكاما ولم يبق غير آدم خلق شمسا وقمرا من نور عرشه الحديث وفى آخره فاذا قامت الساعة وقضى الله فى أهل الدارين وميز أهل الجنة والنار ولم يدخلوها بعد أن يدعوا الله بالشمس والقمر يجاء بهما أسودين مكورين قد وقفا في الزلازل لأن فرائصها ترعد من أهوال ذلك اليوم من مخافة الرحمن تبارك وتعالى فإذا كانا حيال العرش خرا ساجدين لله تعالى فيقولان إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودؤبنا في طاعتك وسرعتنا للمضى فى أمرك فى أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا فيقول الله تعالى صدقتما إنى قد قضيت على نفسى أنى أبدىء وأعيد إنى معيدكما إلى ما بدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا بما خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا إليه فيلتمع من كل

Marfat.com

واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى « إنه هو يبدىء ويعيد » ذكره الثعلبي فى كتاب العرائس له والله أعلم .

باب ما جاء فى صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

الترمذى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عيها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة قال أبو عيسى وحديث أبى هريرة فى هذا الباب موقوف اصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيي بن أبى بكير عن شريك. ابن المبارك عن أبى هريرة قال إن النار اوقدت ألف سنة فابيضت ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت ثم أوقدت ألف سنة فاسودت فهى مظلمة كسواد الليل : مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة إنه قال ترونها كناركم لهى أشد سوادا من القار والقار هو الزفت . ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن سليمان عن أبى ظبيان عن سلمان قال النار سوداء لا يضيء لهبها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم التى توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم قالوا يارسول الله وإن كانت لكافية قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا خرجه مسلم وزاد كلها مثل حرها : ابن ماجه عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها أطفيت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وإنها لتدعوا الله أن لا يعيدها فيها خرجه أطفئت بن عيينة من حديث أبى هريرة قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزء ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ماكان لأحد فيها منفعة وفى خبر آخر عن ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها ذكره أبو عمر رحمه الله وقال عبد الله بن مسعود ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم منها بشيء وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مم خلقت قال من نار جهنم غير انها طفئت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ماقربت لانها من نار جهنم مسلم عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يارب مامر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط أخرجه ابن ماجه أيضا من حديث محمد بن إسحق عن حميد الطويل عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بانعم أهل الدنيا من الكفار فيقول اغمسوه فى النار غمسة فيغمس فيها ثم يخرج فيقال له أى فلان هل اصابك نعيم قط فيقول لا ما أصابنى نعيم قط ويؤتى باشد المؤمنين ضرا وبلاء فيقال اغمسوه فى الجنة فيغمس غمسة ثم يخرج فيقال له أى فلان هل اصابك ضر قط أو بلاء فيقول ما اصابنى ضر قط ولا بلاء . وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن جهنميا من أهل جهنم اخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصروها لا حرقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم خرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى وقال كعب الأخبار والذى نفس كعب بيده لو كنت بالمشرق والنار بالمغرب ثم كشف عنها لخرج دماغك من منخريك من شدة حرها ياقوم هل لكم بهذا قرار أم لكم على هذا صبر ياقوم طاعة الله اهون عليكم من هذا العذاب فاطيعوه وخرج البزار فى مسنده عن أبى هريرة قال فى مسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لاحرقهم .

(فصل) قوله ناركم هذه التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم يعنى أنه لو جمع كل ما فى الوجود من النار التى يوقدها ابن آدم لكانت جزءا من أجزاء جهنم المذكور وبيانه أنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارا لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذى هو من سبعين جزءا أشد من حر نار الدنيا كما بينه فى آخر الحديث وقوله وإن كانت لكافية إن هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين وإن نظيره وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله أى إنها كانت كافية فأجابهم النبى صلى الله عليه وسلم بأنها كما فضلت عليها فى المقدار والعدد بتسعة وتسعين فضلت عليها أيضا فى شدة الحر بتسعة وستين ضعفا

Marfat.com

باب منه وما جاء فى شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفى قدر الحجر الذى يرمى به فيها

روى الأيمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب آكل بعضى بعضا فجعل لها نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها أخرجه البخارى ومسلم . وعن أبى هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها أخرجه مسلم الوجبة الهدة وهى صوت وقع الشىء الثقيل الترمذى عن الحسن قال قال عتبة بن غزوان على منبرنا هذا يعنى منبر البصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى إلى قرارها قال فكان ابن عمر يقول أكثر واذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد قال أبو عيسى لا نعرف للحسن سماعا من عتبة بن غزوان وانما قدم عتبة بن غزوان البصرة في زمن عمرو ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن المبارك قال أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري قال بلغنا أن معاذ ابن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال والذي نفس محمد بيده إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفا حدثنا هشام بن بشير قال أخبرنى زفر حدثنا ابن أبى مريم الخزاعى قال سمعت أبا أمامة يقول إنما بين شفير جهنم وقعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى أو قال صخرة تهوى عظمها كعشر عشراء عظام سمان فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد هل تحت ذلك من شىء يا أبا أمامة قال نعم غى وآثام. مسلم عن خالد بن عمير العدوى قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميرا على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولت جدا ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم فإنه ذكر لنا إن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا

والله لتملأن أفعجبتم الحديث وسيأتي بتمامه في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى وقال كعب لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسي نفسي .

(فصل) قوله اشتكت النار شكواها إلى ربها بأن أكل بعضها بعضا محمول على الحقيقة لا على المجاز إذ لا إحالة فى ذلك وليس من شرط الكلام عند أهل السنة فى القيام بالجسم إلا الحياة وأما البنية واللسان والبلة فليس من شرطه وليس يحتاج فى الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام وأما الاحتجاج فى قوله عليه السلام احتجت النار والجنة فلا بد فيه من العلم والتفطن للحجة وقيل إن ذلك مجاز عبر عنه بلسان الحال كما قال عنترة

فازور من وقع القنا بلبابه وشكى إلى بعبرة وتحمحم

وقال آخر :

إلى شكى جملى طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

والأول أصح إذ لا استحالة فى ذلك ، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين « إن الحكم إلا لله يقضى الحق » الآية وقال « كلا إنها لظى نزاعة للشوى » الآية أى أدبر عن الإيمان وتولى أى أعرض عن اتباع الحق وجمع يعنى المال فأوعى أى جعله فى الوعاء أى كنزه ولم ينفقه فى طاعة الله تعالى قال ابن عباس تدعوا المنافق والكافر بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطائر الحب .

(قال الشيخ المؤلف رحمه الله) قول ابن عباس هذا قد جاء معناه مرفوعا وهو يدل على أن المراد بالشكوى والحجة الحقيقة ذكر رزين أن رسول الله ﷺ قال من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال أما سمعتم الله يقول « إذا رأتهم من مكان بعيد » الآية يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان فيقول وكلت بمن جعل مع الله الها آخر فلهوا بصربهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه فى رواية أخرى فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم صححه أبو محمد ابن العربى فى قبسه وقال يفصلهم عن الخلق بالمعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة

Marfat.com

وخرج الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إنى وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث غريب صحيح وذكر ابن وهب قال حدثني العلاف بن خالد فى قول الله تعالى وجىء يومئذ بجهنم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة يأكل بعضها بعضا يقودها سبعون ألف ملك فإذا رأت الناس وذلك قوله تعالى «إذا رأتهم من مكان بعيد» الآية فإذا رأتهم زفرت زفرة فلا يبقى نبي ولا صديق إلا برك لركبتيه يقول يارب نفسي نفسى ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى امتى وكان بعض الوعاظ يقول أيها المجترىء على النار ألك طاقة بسطوة الجبار ومالك خازن النار ومالك إذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضا .

باب ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم

قال الله تعالى ولهم مقامع من حديد وقال إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم وقال فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وقال إن لدينا أنكالا وجحيما الآية وروى عن الحسن أنه قال ما فى جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبها مكتوب عليه وروى عن ابن مسعود وسيأتى الترمذى عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها قال هذا حديث اسناده صحيح. وفى الخبر إن الله تعالى ينشىء لأهل النار سحابة فإذا رأوها ذكروا سحاب الدنيا فتنادوهم يا أهل النار ما تشتهون فيقولون نشتهى فيقولون نشتهى الماء البارد فتمطرهم أغلالا تزاد فى أغلالهم وسلاسل تزاد فى سلاسلهم وقال محمد بن المنكدر لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى منها وما بقى ما عدل حلقة واحدة من حلق السلسلة التي ذكر الله تعالى في كتابه فقال « في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا » الآية ذكره أبو نعيم وقال ابن المبارك اخبرنا سفيان عن بشير بن دعلوق أنه سمع نوفا يقول في قوله تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه قال كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وهو يومئذ في مسجد الكوفة أخبرنا بكار بن عبد الله انه سمع ابن أبي مليكة

يحدث عن أبي بن كعب قال ان حلقة من السلسلة التى قال الله ذرعها سبعون ذراعا أن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا سمعت . فيان يقول فى قوله فاسلكوه قال بلغنا أنها تدخل فى دبره حتى تخرج من فيه وقال ابن زيد ويقال مايأتي يوم القيامة على أهل النار إلا ورحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجون ويقال أن الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته وروى عن طاووس أن الله تعالى خلق ملكا وخلق له أصابع على عدد أهل النار فما من أهل النار معذب إلا وملك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع الملك أصبع من أصابعه على السماء لأذابها ذكر القنبي في كتاب عيون الاخبار له .

باب منه

وما جاء فى كيفية دخول أهل النار النار

ذكر ابن وهب قال حدثنا عبدالرحمن بن زيد قال تلقاهم جهنم يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولوا هاربين فيقول الجبار تبارك وتعالى ردوهم عليها فيردونهم فذلك قوله تعالى يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم أى مانع يمنعكم ويلفاهم وهجها قبل أن يدخلوها فتندر أعينهم فيدخلوها عميا مغلولين فى الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم مابين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب قال ابن زيد ولهم مقامع من حديد يقمعون بها هؤلاء فاذا قال خذوه فيأخذوه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صار تحت أيديهم رفاتا العظام واللحم يصير رفاتا قال فتجتمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم فى الأغلال فيلقون فى النار مصفودين فليس لهم شيء يتقون به إلا الوجوه فهم عمى قد ذهبت أبصارهم ثم قرأ أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة الآية فاذا ألقوا فيها يكادون يبلغون قعرها يلفاهم لهبها فيردهم إلى أعلاها حتى إذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها فجاء أمر غلب اللهب فهووا كما هم أسفل السافلين هكذا وقرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فهم كما قال الله تعالى عاملة ناصبة تصلى نارا حامية والانكال القيود عن الحسن ومجاهد واحدها نكل وسميت القيود أنكالا لأنه ينكل بها أى يمنع قال الهروى والأصفاد هى الأغلال ويقال القيود أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

باب منه

فى رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فإذا رفعهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار إن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء الآية فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار قال بعض المفسرين ، هو معنى قول الله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها، أعيدوا فيها ذكره أبو محمد عبد الحق فى كتاب العاقبة له قال ولعلك تقول كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك لا تقل هذا فإن الله تعالى يقوى إسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض وهذا قريب فى القدرة .

باب ماجاء أن فى جهنم جبالا وخنادق

وأودية وبحارا وصهاريج وآبارا وجبابا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا

وقصورا وأرحا ونواعير وعقارب وحيات أجارنا الله منها

وفى وعيد من شرب الخمر والمسكر وغيره

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوى فيه كذلك أبدا قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة وقد تقدم من حديث أنس أن من مات سكرانا فانه يبعث يوم القيامة سكرانا إلى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران واختلف العلماء فى تأويل قوله تعالى فويل فذكر ابن المبارك أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث أنه حدثه عن أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فهو كذلك قال وأخبرنا سعيد بن أبى أيوب

Marfat.com

عن ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر ، لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره . قالَ : وأخبرنا سفيان عن زياد بن فياض ، عن أبى عياض أنه قال : الويل مسيل فى أصل جهنم . وذكر ابن عطية فى تفسيره عن أبى عياض أن الويل صهريج فى جهنم من صديد أهل النار. قال وحكى الزهراوى عن آخرين: أنه باب من أبواب جهنم . وقال أبو سعيد الخدرى أنه واد بين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفاً ، ذكره ابن عطية ، وقد تقدم رفعه . وخرجه الترمذى أيضاً مرفوعا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الويل واد فى وسط جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لانعرفه مرفوعا إلا من حديث ابن لهيعة(١) . وقال ابن زيد فى قوله تعالى « وظل من يحموم » اليحموم جبل فى جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار . « لابارد » بل حار لأنه من دخانَ شفير جهنم . « ولا كريم » أى لاعذب ، عن الضحاك . وقال سعيد بن المسيب : ولا حسن منظره . وذكر ابن وهب عن مجاهد فى قوله تعالى « موبقاً » قال واد فى جهنم يقال له موبق . وقال عكرمة : هو نهر فى جهنم يسيل ناراً على حافتيه حيات مثل البغال الدهم ، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام فى النار . وقال أنس بن مالك : هو واد فى جهنم من قيح ودم . وقال نوف البكالى فى قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقاً » قال : واد فى جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان . وعن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها سئلت عن قول الله عز وجل « فسوف يلقون غياً » قالت : نهر فى جهنم . واختلفوا فى الفلق فى قوله تعالى « قل أعوذ برب الفلق » فروى ابن عباس أنه سجن فى جهنم ، وقال كعب : هو بيت فى جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعيم . وذكر أبو نعيم عن حميد بن هلال قال : حدثت أن فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم فى الأرض ، تضيق على قوم بأعمالهم .

ابن المبارك ، أخبرنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ثعلبة بن مسلم ، عن أيوب بن بشير ، عن شق الأصبحى قال : إن فى جهنم جبلا يدعى صعوداً ، يطلع فيه الكافر

---

(١) وهو متكلم فيه كثيرا . أحمد محمد مرسى

Marfat.com

أربعين خريفاً قبل أن يرقاه ، قال الله تعالى « سأرهقه صعوداً » وأن فى جهنم قصراً يقال له هواء ، يرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله ، قال الله تعالى « ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى » . وأن فى جهنم وادياً يدعى أثاما ، فيه حيات وعقارب ، فى فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم ، والعقرب منهن مثل البغلة المؤلفة ، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حمة لدغتها ، فهو لما خلق له ، وأن فى جهنم سبعين داء لأهلها ، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم ، وأن فى جهنم وادياً يدعى غياً ، يسيل قيحاً ودماً ، فهو لما خلق له ، قال الله تعالى « فسوف يلقون غيا » . ورى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فى جهنم بحراً أسود مظلماً منتن الريح ، يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره . وذكر أبو نعيم عن محمد بن واسع قال : دخلت يوماً على بلال بن أبى بردة ، فقلت : يا بلال ، إن أباك حدثنى عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن فى جهنم وادياً يقال له لملم ، ولذلك الوادى بئر يقال له هبهب ، حق على الله تعالى أن يسكنها كل جبار ؛ فإياك أن تكون منهم .

ابن المبارك ، قال : حدثنا يحي بن عبيد الله قال : سمعت أبى يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فى جهنم وادياً يقال له لملم ، وإن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره .

مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن على بن حسين ، عن الحسين بن على ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مسكر خمر ، وثلاثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم ، وهم فى المنسا والمنسا بئر فى جهنم للمكذب بالقدر ، والمبتدع فى دين الله ، ومدمن الخمر . ذكره الخطيب أبو بكر من حديث أحمد بن سليمان الخفنانى ، القرشى ، الأسدى ، عن مالك . وذكر ابن وهب من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صور الناس ، يعلوهم كل شىء من الصغار ، يساقون حتى يدخلوا سجنا فى جهنم يقال له بولس ،

Marfat.com

يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال ؛ أخرجه ابن المبارك . أخبرنا محمد ابن عجلان ، عن عمرو شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال ، أخرجه الترمذى وقال حديث حسن .

(قال المؤلف رحمه الله) طينة الخبال عرق أهل النار أو عصارتهم شراب أيضا لمن شرب المسكر ، جاء ذلك فى صحيح البخارى . وعن جابر أن رجلا قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له المزر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسكر هو ؟ قال: نعم ! قال : إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار . وروى عن زيد بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة مهاجرى ، وفيها مضجعى ، ومنها مخرجى ، حق على أمتى حفظ جيرانى فيها ، من حفظ وصيتى كنت له شهيدا يوم القيامة ، ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال ، قيل : وما حوض الخبال ؟ قال : حوض من صديد أهل النار . غريب من حديث خارجة بن زيد ، عن أبيه ، لم يروه عنه غير أبى الزناد تفرد به عنه ابنه عبد الرحمن . وروى الترمذى وأسد بن موسى ، عن على بن أبى طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تعوذوا بالله من جب الحزن ؛ فقيل يا رسول الله : وما جب الحزن ؟ قال : واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم فى كل يوم سبعين مرة ، أعده الله للقراء المرائين . وفى رواية : أعده الله للذين يراءون الناس بأعمالهم . وقال الترمذى فى حديث أبى هريرة مائة مرة . قلنا : يا رسول الله ، ومن يدخله ؟ قال : القراء المراءون بأعمالهم . قال : حديث غريب خرجه ابن ماجة أيضا عن أبى هريرة ولفظه ، قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : تعوذوا بالله من جب الحزن . قالوا : يا رسول الله ، وما جب الحزن ؟ قال : واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم فى كل يوم أربعمائة مرة ، قيل : يارسول الله ، من يدخله ؟ قال : أعد للقراء المرائين

Marfat.com

بأعمالهم ، وإن من أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء . قال المحاربى : الجورة . وفى حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه عليه السلام قال : إن فى جهنم لواديا إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادى فى كل يوم سبع مرات ، وإن فى ذلك الوادى لجباً ، إن جهنم وذلك الوادى ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب ، وإن فى ذلك الجب لحية ، إن جهنم والوادى وذلك الجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن . وقال أبو هريرة : إن فى جهنم أرحاء تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم فى الدنيا ؛ فيقول : ماصيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا مرفوع معناه فى صحيح مسلم من حديث أسامة ابن زيد رضى الله عنه ، وسيأتى فى باب من أمر بالمعروف ولم يأته . وقال أبو المثنا الأملوكى : إن فى النار أقواما يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ، مالهم فيها راحة ولا فترة . وقال محمد بن كعب القرظى : إن لمالك مجلسا فى وسط جهنم وجسورا تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها . الحديث ، وسيأتى .

باب منه

وفى بيان قوله تعالى « فلا اقتحم العقبة »

وفى ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين

ابن المبارك ، قال : أخبرنا رجل عن منصور ، عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة ، قال : وكان معاوية بعثه على الجيوش ، فلقى عدوا فرأى أصحابه فشلا فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، اذكروا نعمة الله عليكم . وذكر الحديث ؛ وفيه : فإنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يافلان هانورك ، يافلان لا نور لك ، إن لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت ، وعقارب كالبغال الدهم ، فإذا استغاث أهل النار قالوا : الساحل ! فإذا

Marfat.com

ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم ، تكشطها كشطا ، فيقولون : النار ، النار ! فإذا ألقوا فيها سلط الله عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه ، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعا ، قال يقال: يافلان، هل تجد هذا يؤذيك ؟ فيقول : وأى شيء أشد من هذا ؟ فيقال : هذا بما كنت تؤذى المؤمنين . قال ابن المبارك: وأخبرنا سفيان بن عيينة ، عن عمار الدهنى أنه حدثه ، عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : إن صعودا صخرة فى جهنم، إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت ، فإذا رفعوها عادت ، اقتحامها فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . وقال ابن عمر وابن عباس : هذه العقبة جبل فى جهنم . وقال محمد بن كعب ، وكعب الأحبار : هى سبعون درجة فى جهنم . وقال الحسن وقتادة : هى عقبة شديدة صعبة فى النار دون الجسر ، فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال مجاهد والضحاك والكلبى : هى الصراط ، وقيل : النار نفسها . وقال الكلبى أيضا : هى جبل بين الجنة والنار ، يقول : فلأجاوز هذه العقبة بعمل صالح ، ثم بين اقتحامها بما يكون فقال : « فك رقبة » الآية . وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام الاستفهام ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هل لا أنفق ماله فى فك الرقاب ، وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة ، فيكون خيرا له من إنفاقه فى المعاصى ؟ وقيل : معنى الكلام التمثيل والتشبيه ؛ فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة ، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهى الذنوب التى تضره وتؤذيه وتثقله ، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة ، كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها .

(قال المؤلف رحمه الله) هـــذا حديث حسن . قال الحسن : هى والله عقبة شديدة ، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان ، وأنشد بعضهم :

إنى بليت بأربع يرمينى بالنبل قد نصبوا على شراكا
إبليس والدنيا ونفسى والهوى من أين أرجو بينهن فكاكا
يارب ساعدنى بعفو إننى أصبحت لا أرجـــو لهن سواكا

Marfat.com

وأنشد غيره أيضاً فى معنى ذلك :

إذ بليت بأربع يرمينى بالنبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسى والهوى يارب أنت على الخلاص قدير

وقال آخر :

إنى بليت بأربع ما سلطوا إلا لعظم بليتى وشقائى
إبليس والدنيا ونفسى والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائى

(قال المؤلف رحمه الله) قال: فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه ، وخالف شيطانه ودنياه ، كانت الجنة نزله ومأواه ، ومن تمادى فى غيه وطغيانه وأرخى فى الدنيازمام عصيانه ، ووافق نفسه وهواه فى مناه ولذاته وأطاع شيطانه فى جميع شهواته كانت النار أولى به ، قال الله تعالى : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » ومعنى فلا اقتحم العقبة : أى لم يقتحم العقبة ، وهذا خبر أى أنه لم يفعل ، والعرب تقول : لافعل بمعنى لم يفعل . قال زهير : وكان طوى كُشحا على ستكنة ، فلا هو أبداها ولم ينقدم : أى فلم يبدها ، ثم قال : وما أدراك ما العقبة فك رقبة ، يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : أى لم تكن تدريها حتى أعلمتك ما العقبة فك رقبة : أى عتق رقبة من الرق أو إطعام فى يوم ذى مسغبة مجاعة ، يتيما ذا مقربة : أى قرابة . أو مسكيناً ذا متربة : يعنى به اللاصق بالتراب من الحاجة فى تفسير الحسن . وقال سفيان بن عيينة : كل شىء قال فيه وما أدراك ، فإنه أخبره به ، وكل شىء قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبره به . وخرج الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد فى كتاب [مكارم الأخلاق] عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لأن أجمع أناسا من أصحابى على صاع من طعام أحب إلى من أن أخرج إلى السوق فأشترى نسمة فأعتقها .

Marfat.com

باب ما جاء فى قوله تعالى

« وقودها الناس والحجارة »

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء الحطب ، وكذلك الطهور اسم الماء والسحور اسم الطعام ، وبضم الفاء اسم للفعل وهو المصدر ، والناس عموم ومعناه الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطبا لها أجارنا الله منها . قال : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات طال منهن العويل .

ابن المبارك ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحار بالخيل فى سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتى أقوام يقرءون القرآن ، فإذا قرءوه قالوا : من أقرأ منا ؟ من أعلم منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : هل ترون فى أولئكم من خير ؟ قالوا : لا ! قال : أولئك منكم ، وأولئك من هذه الأمة ، وأولئك هم وقود النار. خرجه عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، عن ابن الهادى ، عن العباس بن عبد المطلب فذكره. والحجارة هى حجارة الكبريت، خلقها الله تعالى عنده كيف شاء أو كما شاء، عن ابن مسعود وغيره ذكره ابن المبارك ، عن عبد الله بن مسعود . وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الإيقاد ، ونتن الرائحة ، وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان ، وقوة حرها إذا حميت . وقيل : المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : « إنكم وما تعبدون من دون الله **حصب** جهنم » أى حطب ، وهو مايلقى فى النار مما تذكى به ، وعليه فيكون الناس والحجارة وقوداً للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة . وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مؤذ فى النار . وفى تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من أذى الناس فى الدنيا عذبه الله فى الآخرة بالنار . (الثانى) أن كل مايؤذى الناس فى الدنيا من السباع والهوام وغيرهما فى النار معد لعقوبة أهل النار. وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هى نار الكافرين خاصة، والله أعلم .

باب ما جاء فى تعظيم جسد الكافر وأعضائه

بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصى المؤمن بحسب أعمال الأعضاء

مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضرس الكافر أوناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع .

الترمذى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش . وفى رواية : وفخذه مثل البيضا ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة . أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وقال: مثل الربذة ، يعنى به كما بين مكة والمدينة ، والبيضا جبل .

ابن المبارك ، أنبأنا يونس عن **الزهرى** ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد ، يعظمون ليمتلىء منهم وليذوقوا العذاب . أخبرنا الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : ضرس الكافر مثل أحد ، وفخذه مثل البيضا ، وجبينه مثل الورقان ، ومجلسه من النار كما بينى وبين الربذة ، وكثف بصره سبعون ذراعا ، وبطنه مثل إضم . إضم بالكسر ، جبل . قاله الجوهرى .

(قال المؤلف رحمه الله) والورقان جبل بالمدينة كما روى عن أنس بن مالك . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلما تجلى ربه للجبل صار بعظمته ستة أجبل ؛ فوقعت ثلاثة بمكة : ثور ، وثبير ، وحراء . وبالمدينة : أحد ، وورقان، ورضوى . وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد ابن عمير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بصر الكافر - يعنى غلظ جلده - سبعون ذراعا ، وضرسه مثل أحد فى سائر خلقه . وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر وجسده دوى كدوى الوحش .

Marfat.com

الترمذى عن أبى المخارق ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس . مسلم عن سمرة بن جندب أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال:منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته . وفى رواية : حقويه مكان حجزته .

(فصـــل) هذا البـاب يدلك على أن كفر من كفر فقط ، ليس كـكفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك فى أن الكفار فى عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد فى الأرض وكفر ، مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين . ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى ضحضاح لنصرته إياه ، وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون فى الكفار بدليل حديث أبى طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين . إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه . وفى خبر كعب الأحبار : يا مالك ، مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنار أعرف بهم وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها،فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ، ومنهم من تأخذه النـار إلى صدره ، وذكر الحديث وسيأتى بكماله إن شاء الله تعالى . وذكر التنبى فى عيون الأخبار له مرفوعا عن أبى هريرة أنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا قضى بين خلقه وزادت حسنات العبد دخل الجنة ، وإن استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة ، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد ، فيعذبون فى النار على قدر أعمالهم . فمنهم من تنتهى له النار إلى كعبيه ، ومنهم من تنتهى إلى ركبتيه ، ومنهم من تنتهى النار إلى وسطه ، وذكر الحديث . وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان أن حديث مسلم فى معنى قوله تعالى « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » قال أرى ـ والله أعلم ـ

أن هؤلاء الموصوفين فى هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل فى الدنيا على الكفر شملته النار فى الآخرة ، قال الله تعالى « لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل » ، أى أن مافوقهم ظلل لهم ، وما تحتهم ظلل لمن تحتهم .

باب منه

ابن ماجه ، عن الحارث بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر ، وإن من أمتى من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها .

باب ما جاء فى شدة عذاب أهل المعاصى

وإذايتهم أهل النار بذلك

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون ، وذكره قاسم بن إصبغ من حديث عبد الله بن مسعود أيضا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبى ، أو مصور يصور التماثيل . وذكر أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالما لم ينفعه الله بعلمه ؛ إسناده فيه عثمان بن مقسم البزى لم يرفعه غيره . وهو ضعيف عند أهل الحديث ، معتزلى المذهب ، ليس حديثه بشىء ، قاله أبو عمر . وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن زيد قال : يقال إنه ليؤذى أهل النار نتن فروج الزناة يوم القيامة .

ابن المبارك ، قال : أخبرنا موسى بن على بن رباح قال : سمعت أبى يذكر عن بعض من حدث ، قال : ثلاثة قد آذوا أهل النار - وكل النار فى أذى - : رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم فى أصل الجحيم فيضجون حتى تعلو أصواتهم أهل النار فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هـذا ؟ فقالوا : كنا متكبرين ، ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم فى النار ، فقال

Marfat.com

لهم أهل النار : مابالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نقطع حقوق الناس بإيماننا وأمانتنا . ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون ، قيل لهم : مابالكم من بين أهل النارفعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نسعى بين الناس بالنميمة . أخبرنا إسماعيل بن عياش ، حدثنى تغلب بن مسلم ، عن أيوب بن بشير العجلى ، عن شقى ابن ماتع الأصبجى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أربعة يؤذون أهل النار على مالهم من الأذى ، يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد أذونا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فرجل مغلل عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمه . قال فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس لم يجد لها قضاء ، أو قال وفاء . ثم يقال للذى يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد كان لا يبالى أين أصاب البول منه ثم لا يغسله . ثم يقال للذى يسيل فوه دما وقيحا : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد كان ينظر فى كل كلمة قذيعة خبيثة فيذيعها ، يستلذها ويستلذ الرفث بها ، ثم يقال للذى يأكل لحمه : ما بال الأبعد قد أذانا على مابنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة . خرجه أبو نعيم الحافظ وقال : تفرد به إسماعيل بن عباس وشقى مختلف فيه فقيل له صحبة .

(قال المؤلف رحمه الله) وقد تقدم حديث البخارى الطويل عن سمرة بن جندب ، وحديث بن عباس وأبى هريرة وابن مسعود فى باب ما يكون منه فى عذاب القبر ، وحديث أبى هريرة فى الذين تسعر بهم جهنم وغير ذلك مما تقدم فى معنى هذا الباب ؛ فتأمل ذلك . وقد تقدم أن من أدان أموال الناس فى غير سفه ولا إسراف ولم يجد قضاء ونيته الأداء ومات أن الله لا يحبسه عن الجنة ولا يعذبه ، بل يرضى عنه خصماؤه إن شاء الله ويكون الجميع فى رحمته بكرمه وفضله ، فأما من أدانها لينفقها فى المعاصى ثم لايقدر على الأداء فلعله الذى يعذب .

Marfat.com

باب منـه

وفى عذاب من عذب الناس فى الدنيا

أبو داود الطيالسى قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبى نجيح، عن خالد بن حكيم ، عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس فى الدنيا . خرجه البخارى فى التاريخ فقال : حدثنا على ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبى نجيح ، عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلا من أهل الأرمن فكلمه خالد بن الوليد ، فقالوا : أغضبت الأمير ؟ فقال: لم أرد غضبه . سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس فى الدنيا. خرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا فى الشمس ، فقال : ماشأنهم ؟ قالوا : حبسوا على الجزية ، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا .

باب ماجاء فى شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته

ونهى عن المنكر وأتاه ، وذكر الخطباء ، وفيمن خالف قوله فعله

وفى أعوان الظلمة كلاب النار

البخارى عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار فيقولون : أى فلان ! ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمر بالمعروف ولا أفعله ، وأنهى عن المنكر وأفعله . خرجه مسلم أيضاً بمعناه ، عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار ، فتندلق أقتاب بطنه فى النار فيدور كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان بن فلان ، مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى! كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه .

Marfat.com

وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار ، عن ثمامة ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتيت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، كلما قرضت ردت ، قلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون . وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قال فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : خطباء ، أى من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ، الآية . قال وأخبرنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن الشعبى قال : يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم فى النار ، فيقولون : ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله . وذكر أبو نعيم الحافظ ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال:حدثنى أبى ، قال: حدثنا سيار بن حاتم ، قال: حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يعافى الأميين يوم القيامة مالا يعافى العلماء ، هذا حديث غريب تفرد به سيار عن جعفر ، لم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، قال وحدثنا أحمد بن إسحق ابن حمزة ، حدثنا محمد بن علوش بن الحسين الجرجانى ، قال حدثنا على بن المثنى ، قال حدثنا يعقوب بن خليفة أبو يوسف الأعشى ، قال حدثنى محمد بن مسلم الطائفى ، قال حدثنى إبراهيم بن ميسرة ، عن طاووس ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار ، غريب من حديث طاووس ، تفرد به محمد بن مسلم الطائفى ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاووس . الجلاوزة : جمع جلواز ، قال الجوهرى : والجلواز الشرطى ، والجمع : الجلاوزة .

(فصل) قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبدا فعلمه شرائع الإسلام ، فأطاع وأحسن وعصى السيد ، فإذا كان يوم القيامة

أمر بالعبد إلى الجنة ، وأمر بسيده إلى النار ، فيقول عند ذلك : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا عبدى ؟ أما كنت مالكا لمهجته وماله ؟ وقادرا على جميع ما له ؟ فما له سعد ، وما لى شقيت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنه تأدب ، وما تأدبت ، وأحسن ، وأسأت . ورجل كسب مالا فعصى الله تعالى فى جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار إلى وارثه ، فأحسن فى إنفاقه وأطاع الله سبحانه فى إخراجه ، وقدمه بين يديه ؛ فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلى الجنة ، وأمر بصاحب المال إلى النار ، فيقول : وحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا مالى فما أحسنت به أحوالى وأعمالى . . فيناديه الملك الموكل به : لأنه أطاع الله ، وما أطعت ، وأنفق لوجهه وما أنفقت ؛ فسعد وشقيت . ورجل علم قوما ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل ؛ فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة ، وأمر به إلى النار ، فيقول : واحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا علمى ؟ فما لهم فازوا به وما فزت ؟ وسلموا به وما سلمت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنهم عملوا بما قلت ، وما عملت ، فسعدوا وشقيت . ذكره أبو الفرج بن الجوزى .

(فصل) قال إبراهيم النخعى رضى الله عنه : إنى لأكره القصص لثلاث آيات : قوله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » وقوله تعالى « لم تقولون مالا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » وقوله تعالى « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » .

(قال المؤلف رحمه الله) وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر ، وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه ، وإنما كان كذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله ، ومستحق لأحكامه ، وهو كمن لم ينتفع بعلمه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد تقدم . وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم فى نار جهنم ، فيقال لهم: من أنتم ؟ فيقولون : نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا . وقوله : تندلق ، أى : تخرج ،

Marfat.com

والاندلاق الخروج بسرعة ، يقال : اندلق السيف ، خرج من غمده . وروينا : فتنفلن ، بدل : فتندلق . والأقتاب : الأمعاء ، واحدها : قتب ، بكسر القاف . وقال الأصمعى : واحدها : قتيبة ، ويقال لها أيضا : الأقصاب ، واحدها : قصبة ، قاله أبو عبيد . وقد قال صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار ، وهو أول من سيب السوائب .

(فصل) قال المؤلف رحمه الله : إن قال قائل : قد تقدم من حديث أبى سعيد الخدرى أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها أحرقوا فيهـــا وماتوا ، على ماذكرتموه فى أصح القولين ، وهذه الأحاديث التى جاءت فى العصاة بخلاف ، فكيف الجمع بينهما ؟ قيل له : الجمع ممكن . وذلك ـ والله أعلم ـ أن أهل النار الذين هم أهلها ، كما قال الله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » قال الحسن : تنضجهم النار فى اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا ، فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضا أحوالهم فى طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء ، دليله قوله تعالى « وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ماجاء فى حديث البراء من قول الكافر : رب لاتقم الساعة ، رب لاتقم الساعة ، رب لاتقم الساعة . يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه ، وقد يكون ماجاء فى الخطباء هو عذابهم فى القبور ، فى أعضاء مخصوصة كغيرهم ، كما جاء فى حديث سمرة الطويل على ما تقدم ، إلا أن قوله فى حديث أسامة بن زيد يوم القيامة يدل على غير ذلك . وقد يحتمل أن يجمع لهم الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم ، ونعوذ بالله من ذلك .

Marfat.com

باب ما جاء فى طعام أهل النار

وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى « والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار » وقال « سرابيلهم من قطران » ، وقال « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون » « قال « لايذوقون فيها برداً » ، أى نوماً « ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً » ، وقال « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً » ، وقال عز من قائل « تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع » وقال « فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين » . قال الهروى : معناه من صديد أهل النار ، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم .

(قال المؤلف رحمه الله) وهو الغساق أيضاً . وذكر ابن المبارك : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم وأبى رزين فى قوله تعالى « هذا فليذوقوه حميم وغساق » قالا : ما يسيل من صديدهم ، وقيل الغساق : القيح الغليظ المنتن . وذكر ابن وهب ، عن عبد الله بن عمر ، قال : الغساق القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب أنتنت أهل المشرق ، ولو أنها تهراق فى المشرق أنتنت أهل المغرب ، وقيل : الغساق الذى لايستطاع من شدة برده ، وهو الزمهرير . وقال كعب : الغساق عين فى جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع ، ويؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ، فيجر لحمه فى كعبيه كما يجر الرجل ثوبه . وقوله « جزاء وفاقاً » أى وافق أعمالهم الخبيثة ، واختلف فى الضريع فقيل : هو نبت ينبت فى الربيع ، فإذا كان فى الصيف يبس ، واسمه إذا كان عليه ورقه شبرق ، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع ؛ فالإبل تأكله أخضر ، فإذا يبس لم تذقه ، وقيل : هو الشوك ، وقيل : هو حجارة ، وقيل : الزقوم ، وقيل : واد فى جهنم . وقال المفسرون : إن شجرة الزقوم أصلها فى الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، فلا بد لأهل النار من أن يتحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها . وقال أبو عمران الجونى فى قوله تعالى « إن شجرة الزقوم

Marfat.com

طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون ، قال : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها ، والمهل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس ، وقيل : المهل عكر الزيت الشديد السواد ، وقوله تعالى «تغلى فى البطون كغلى الحميم» يعنى الماء الشديد الحر.

باب منه وما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون

وفى دعائهم وإجابتهم

قال الله تعالى « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين » ، الآية .

البيهقى ، عن محمد بن كعب القرظى قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربع ، فإذا كان فى الخامسة لا يتكلمون بعدها أبدا ، يقولون : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ، فهل إلى خروج من سبيل ؟ قال فيجيبهم الله تعالى : ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير، ثم يقولون : ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إننا موقنون ، فيجيبهم الله تعالى : فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ، ثم يقولون : ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، فيجيبهم الله تعالى : أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ؟ ثم يقولون : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل ، فيجيبهم الله تعالى : أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير ، ثم يقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ، فيجيبهم : أخسئوا فيها ولا تكلمون ، فلا يتكلمون بعدها أبداً .

وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا فقال : أخبرنا الحكم بن عمر بن ليلى ، حدثنى عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : بلغنى - أوحدث لى - أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ، فقال الله تعالى ، وقال الذين فى النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، فسألوا يوماً واحدا يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم الخزنة : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ فيقولون : بلى ، فردت

Marfat.com

عليهم الخزنة : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، قال : فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا ـ وهو عليهم وله مجلس فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها ـ فقالوا : يا مالك ، ليقض علينا ربك ، قال : اسألوا الموت ، فسكت عنهم لايجيبهم ثمانين سنة ، قال : والسنة ستون وثلثمائة يوم ، والشهر ثلاثون يوما ، واليوم كألف سنة مما تعدون . ثم لحظ عنهم بعد الثمانين فقال : إنكم ماكثون ؛ فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا مما قبله ، قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون ، فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فأطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : سواء علينا أصبرنا أم جزعنا مالنا من محيص ، أي من منجى ، قال : فقام إبليس عند ذلك فقال : « إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ـ إلى قوله ـ ما أنا بمصرخكم » يقول : بمغن عنكم شيئا ، وماأنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل : قال فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال فنودوا : لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ، إلى قوله : فهل إلى خروج من سبيل . قال : فرد عليهم ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلى الكبير . قال : فهذه واحدة ؛ فنادوا الثانية : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً إنا موقنون . قال فيرد عليهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، يقول : لو شئت لهديت الناس جميعاً فلم يختلف منهم أحد ، ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون. قال فهذه ثنتان ؛ فنادوا الثالثة : ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، فيرد عليهم : « أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ـ إلى قوله تعالى ـ الجبال » ،قال فهذه الثلاثة : قال ثم نادوا الرابعة : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل ، قال فيجيبهم : أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير . ثم مكث عنهم ماشاء الله . ثم ناداهم : ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون .

Marfat.com

قال : فلما سمعوا صوته قالوا : الآن يرضى ربنا ، فقالوا عند ذلك : ربنا غلبت علينا شقوتنا ـ أى : الكتاب الذى كتب علينا ـ وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، فقال عند ذلك : اخسئوا فيها ولا تكلمون ؛ فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء ، وأقبل بعضهم على بعض يذبح بعضهم فى وجه بعض وأطبقت عليهم . قال فحدثنى الأزهر بن أبى الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » . قال ابن المبارك : وحدثنا سعيد ابن أبى عروبة ، عن قتادة ؛ فذكره عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ، ثم يرد عليهم : إنكم ماكثون ، قال : هانت والله دعوتهم على مالك ، ورب مالك ، قال : ثم يدعون ربهم . قال ، فيقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . قال : فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين . قال ثم يرد عليهم : اخسئوا فيها ولاتكلمون .قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة ، وما هو إلا الزفير والشهيق فى نار جهنم ؛ فشبه أصواتهم بصوت الحمير : أولها زفير وآخرها شهيق ، ومعنى ما نبس : ما تكلم ، قال الجوهرى : يقال ما نبس بكلمة ، أى : ما تكلم . وما نبس بالتشديد أيضاً ، وقال الراجز :

* إن كنت غير هالك فنبس *

الترمذى عن شهر بن حرشب ، عن أم الدرداء ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يلقى على أهل النار الجوع مع ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع ، لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب ؛ فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون:ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا : بلى! قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، قال فيقولون : ادعوا مالكا ، فيقولون : يامالك ليقض علينا ربك ، قال فيجيبهم : إنكم ماكثون . قال الأعمش : ثبت أن بين دعائهم

Marfat.com

وبين إجابة مالك إياهم ألف عام ، قال فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا أحد خير من ربكم ، قال فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال فيجيبهم : اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل . رفعه قطبة بن عبد العزيز ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر وهو ثقة عند أهل الحديث ، والناس يوقفونه على أبى الدرداء . وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى « وهم فيها كالحون » قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته . ولسرادق النار أربعة جدر ، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة ، ولو أن دلوا من غسلين يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا . قال : هذا حديث صحيح غريب . وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « كالمهل » قال : كعكر الزيت ، وإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه . قال أبو عيسى : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، ورشدين قد تكلم فيه من جهة حفظه .

(قال المؤلف رحمه الله) وقع فى هذا الحديث فروة وجهه وهو شاذ ، إنما يقال : فروة رأسه ، أى جلدته ، هذا هو المشهور عند أهل اللغة ، وكذا جاء فى حديث أبى أمامة . وعن أبى حجيرة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان . قال هذا حديث حسن صحيح غريب . وعن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « ويسقى من ماء صديد يتجرعه » قال : يقرب إلى فيه فيكرهه ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره ، يقول الله تعالى : « وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم » وقال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا » قال : هذا حديث غريب . وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم

Marfat.com

فكيف بمن يكون طعامه ؟ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . خرجه ابن ماجة أيضا .

باب ماجاء فى بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابا فيها

ابن المبارك قال : أخبرنا عمران بن زيد الثعلبي ، حدثنا يزيد الرقاشى ، عن أنس ابن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول ، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون ؛ فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت . خرجه ابن ماجة أيضا . من حديث الأعمش ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود ، لو أرسلت فيها السفن لجرت .

مسلم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه . وروى عن أبى موسى الأشعرى موقوفا أنه قال : إن أهل النار ليبكون الدموع فى النار ، حتى لو أجريت فيها السفن لجرت ، ثم إنهم يبكون الدم بعد الدموع . ولمثل ماهم فيه فليبك .

(قال المؤلف رحمه الله) وهو يستند من معنى ما تقدم : وفى التنزيل « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » . وفى الترمذى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ؛ فمن كبر بكاؤه خوفا من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيرا فى الآخرة . قال الله تعالى مخبرا عن أهل الجنة « إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين » ، ووصف أهل النار فقال : « وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين » . قال وكنتم منهم تضحكون ، وسيأتى بيانه .

Marfat.com

باب ما جاء أن لكل مسلم فداء من النار من الكفار

ابن ماجة قال : أخبرنا جبارة بن المغلس ، حدثنا عبد الأعلى بن أبى المساور ، عن أبى بردة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى السجود فسجدوا طويلا ، ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار . حدثنا جبارة بن المغلس ، حدثنا كثير بن سلمان ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذه الأمة أمة مرحومة عذابها بأيديها ، إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ؛ فيقال : هذا فداؤك من النار .

(قال المؤلف رحمه الله) هذان الحديثان وإن كان إسنادهما ليس بالقوى ـ قال الدارقطنى جبارة بن المغلس متروك ـ فإن معناهما صحيح بدليل حديث مسلم ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فكاكك من النار . وفى رواية أخرى: لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً ، قال : فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فحلف له .

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك ، وإنما هى فى ناس مذنبين تفضل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته ، فأعطى كل إنسان منهم فكاكا من النار من الكفار ، واستدلوا بحديث أبى بردة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى . خرجه مسلم عن محمد ابن عمرو بن عياد بن جبلة بن أبى رواد . قال حدثنا حرمى بن عمارة ، قال: حدثنا شداد أبو طلحة الراسبى ، عن عباس ، عن غيلان بن جرير ، عن أبى بردة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : وما معنى فيغفرها لهم ؟ أى : يسقط المؤاخذة عنهم

Marfat.com

بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى قوله : ويضعها على اليهود والنصارى أنه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم ، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين ، لو أخذوا بذلك ، لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد ، كما قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب ، ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشيئته ، إذ لا يسأل عن فعله ، قالوا وقوله فى الرواية الأخرى : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه يهودياً أو نصرانياً ؛ فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا من النار بسبب ذنوبه ، وعفى الله عنه وبقى مكانه خاليا منه ، أضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله عليه السلام فى حديث أنس للمؤمن الذى يثبت عند السؤال فى القبر فيقول له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة .

(قال المؤلف رحمه الله) قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنبا كان أو غير مذنب منزلين : منزلا من الجنة ومنزلا من النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى « أولئك هم الوارثون » أى يرث المؤمنون منازل الكفار ، ويجعل الكفار فى منازلهم فى النار على ما يأتى بيانه ، وهو مقتضى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا وضع فى قبره ، الحديث وقد تقدم . إلا أن هذه الوراثة تختلف ؛ فمنهم من يرث ولا حساب ، ومنهم من يرث بحسابه وبمناقشته وبعد الخروج من النار ، حسب ما تقدم من أحوال الناس والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء » .

Marfat.com

باب فى قوله تعـــالى

« وتقول هل من مزيد ؟ »

مسلم عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوى بعضها إلى بعض ، وتقول قط قط وعزتك وكرمك . ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة . وفى رواية أخرى من حديث أبى هريرة : فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله عليها رجله فتقول : قط قط ؛ فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ، فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقا .

(فصل) للعلماء فى قول النار : هل من مزيد تأويلان : أحدهما وعدها ليملأ منها فقال : أوفيتك ؟ فقالت : وهل من مسلك ؟ أى : قد امتلأت ، كما قال :

امتلأ الحوض وقال قطنى مهلا رويدا قد ملأت بطنى

وهذا تفسير مجاهد وغيره ، وهو ظاهر . الحديث الثانى زدنى ، تقول ذلك غيظا على أهلها وحنقا عليهم ، كما قال « تكاد تميز من الغيظ » أى : تتشقق ، ويبين بعضها من بعض . وقوله حتى يضع فيها قدمه ـ وفى رواية أخرى : حتى يضع عليها ، وفى أخرى رجله ولم يذكر فيها ولا عليها ـ فمعناه عبارة عن من تأخر دخوله فى النار من أهلها ، وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجا فوجا ، كما قال الله تعالى « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير » ويؤيده أيضا قوله فى الحديث : لا يزال يلقى فيها فالخزنة تنظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال : ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ؛ فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته ، فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة : قط قط ، أى حسبنا حسبنا ، اكتفينا اكتفينا ، وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق ، إذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لا أن الله جسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون

Marfat.com

والجاحدون علوا كبيرا . والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فتقول جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس ، أى جماعة منهم والجمع : أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث : ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة ، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرناه . وفى التنزيل أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى : معنى قدم صدق عند ربهم عمل صالح . وقيل : هو السابقة الحسنة ؛ فدل على أن القدم ليس حقيقة فى الجارحة ، والله الموفق .

قال ابن فورك ، وقال بعضهم : القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدما ، ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه فى النار فتمتلىء النار منه ، والله أعلم .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا نحو مما قلناه فى الرجل . قال الشاعر :

فمر بنا رجل من الناس وانزوى إليهم من الحى اليمانين أرجل

قبائل من لخم وعك وحمير على ابنى نزار بالعـــداوة أحفل

وقال الراجز :

يرى الناس أفواجا إلى باب داره كأنهم رجلا دباً وجراد

فيوم لإلحاق الفقير بذى الغنى ويوم رقاب بوكرت بحصاد

الدبا : الجراد قبل أن يطير ، والله أعلم .

باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة

وفى تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل النار دخولا الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تعالى : اذهب فادخل الجنة فيأتيها ، فيخيل إليه أنها ملأى ، فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل

Marfat.com

إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال فيقول : أتسخر بى ؟ أو أتضحك بى وأنت الملك ؟ قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، قال : فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة ؛ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشى مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ؛ فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الاولين والآخرين ، فترفع له شجرة فيقول : أى رب أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها ، فيقول الله تعالى : ياابن آدم ، لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها ؟ فيقول : لا يارب ! ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليـه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الاولى ، فيقول : أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ، لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها ؟ فيعاهده أن لايسأله غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى مالاصبر له عليه فيدنيه منها ؛ فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين ، فيقول مثله : فيدنيه منها ؛ فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى رب أدخلنيها ، فيقول : ياابن آدم ما يصرينى منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : أى رب أتستهزىء بى ، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مم تضحك يارسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين ، فيقول : إنى لا أستهزىء منك ولـكنى على ما أشاء قادر .

وقال ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة ، يقال له جهينة ، تقول أهل الجنة : عند جهينة الخبر اليقين . ذكره الميانشى أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشى فى كتاب [الاختيار له فى الملح من الأخبار والآثار] ، ورواه أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب ، من حديث عبد الملك بن الحكم قال :

Marfat.com

حدثنا مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة ، يقال له جهينة ، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين ، سلوه : هل بقى من الخلائق أحد ؟ ورواه الدارقطنى أيضاً فى كتاب رواه مالك ، ذكره السهيلى . وقد قيل : إن اسمه هناد ، والله أعلم .

(فصل) قوله : أتستهزىء منى ؟ ـ وفى رواية : أتسخر؟ ـ والهزو ، والسخرية بمعنى واحد ، وفيه تأويلان : (أحدهما) أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه ، كما غلط الذى قال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، خرجه مسلم . (الثانى) أن يكون معناه : أتجازينى على ما كان منى فى الدنيا من قلة احتفالى بأعمالى ، وعدم مبالاتى بها ؟ فيكون هذا على وجه المقابلة ، كما قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين « إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم » أى ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم ، والاستهزاء فى اللغة : الانتقام .

قد استهزءوا منهم بالغى مذحج سراتهم وسط الضحاضح جثم

ومثله : « ومكروا ومكر الله » ، الآية . وهو كثير ، وسيأتى لبيان الاستهزاء من الله مزيد بيان ، والضحك من الله تعالى راجع إلى معنى الرضى عن العبد ؛ فاعلم ذلك .

باب منه وما جاء فى خروج الموحدين من النار

وذكر الرجل الذى ينادى : يا حنان يامنان ، وبيان قوله تعالى

« إنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » ، وفى أحوال أهل النار

خرج الطبرانى أبو القاسم ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدثنا محمد بن عباد المكى ، حدثنا حاتم بن إسماعيل بن بسام الصيرفى ، عن يزيد الفقير ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناساً من أمتى يدخلون النار بذنوبهم فيكونون فى النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيرهم أهل الشرك ، فيقولون : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم

Marfat.com

وإيمانكم نفعكم ، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ، وروى أبو ظلال، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عبدا فى جهنم ينادى ألف سنة : يا حنان يا منان ، فيقول الله تعالى لجبريل : إئت عبدى فلانا، فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم ، قال فيرجع فيقول : يا رب لم أره ، فيقول الله تعالى : إنه فى مكان كذا وكذا ، قال : فيأتيه فيجىء به ، فيقول له : ياعبدى ، كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ قال فيقول : شر مكان ، وشر مقيل ، قال فيقول : ردوا عبدى ، قال فيقول : يارب ما كنت أرجو أن تردنى إذ أخرجتنى منها ، فيقول الله تعالى : دعوا عبدى . وأبو ظلال هذا اسمه هلال بن أبى مالك القسملى يعد فى البصريين . وعن سعيد بن جبير قال : إن فى النار لرجلا ـ أظنه فى شعب من شعابها ـ ينادى مقدار ألف عام : ياحنان يا منان ، فيقول رب العزة لجبريل : يا جبريل أخرج عبدى من النار ؛ فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول : يا رب إنها عليهم موصدة ، فيقول : يا جبريل ، ارجع ففكها فأخرج عبدى من النار ، فيفكها فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرا ولحما ودما ، ذكره أبو نعيم . وروى ليث عن مجاهد ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ، الحديث وقد تقدم . وفيه بعد قوله وأطولهم مكثا من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة . ثم إن الله إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف فى قلوب أهل الأديان فقالوا لهم : كنا وأنتم وآباؤنا جميعا فى الدنيا ؛ فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا ، وقدرتم وجحدنا ؛ فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأنتم اليوم فيها سواء ، تعذبون كما نعذب ، وتخلدون فيها كما نخلد ؛ فيغضب الله عند ذلك غضبا شديدا لم يغضب مثله من شىء فيما مضى ، ولا يغضب من شىء فيما بقى ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والصراط يقال لها : نهر الحياة ، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ؛ فما يلى الظل منها أخضر ، وما يلى الشمس منها أصفر ، ثم يدخلون الجنة فيكتب على جباههم : هؤلاء عتقاء الله

Marfat.com

من النار ، إلا رجلا واحداً يمكث فيها ألف سنة ، ثم ينادى : ياحنان يامنان ؛ فيبعث الله إليه ملكا فيخوض فى النار فى طلبه سبعين عاما لا يقدر عليه ، ثم يرجع فيقول : إنك أمرتنى أن أخرج عبدك فلاناً من النار منذ سبعين عاما فلم أقدر عليه ، فيقول الله تعالى : انطلق فهو فى وادى كذا تحت صخرة فأخرجه ؛ فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ، ثم إن الجهنميين يطلبون من الله تعالى أن يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله ملكا فيمحوه عن جباههم ، ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين : اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى جاره وصديقه ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله تعالى يبعث إليهم الملائكة بأطباق من نار ، ومسامير من نار ، وعمد من نار ؛ فتطبق عليهم بتلك الأطباق ، وتشد بتلك المسامير ، وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه ، ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبداً ، وينقطع الكلام ؛ فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً ، فذلك قوله تعالى « إنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » . وقال ابن مسعود : فى عمد ، أى بعمد ، وكذا فى مصحفه إنها عليهم مؤصدة بعمد . وخرج أبو نعيم الحافظ ، عن زادان قال : سمعت كعب الأحبار يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، فنزلت الملائكة فصاروا صفوفا ، فيقول الله لجبريل : إئت بجهنم ، فيجىء بها تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ، ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا على ركبتيه ، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرىء إلى عمله ، حتى إن إبراهيم الخليل يقول : بخلتى لا أسألك إلا نفسى ، ويقول موسى : بمناجاتى لا أسألك إلا نفسى ، ويقول عيسى : بما أكرمتنى لا أسألك إلا نفسى ، لا أسألك مريم التى ولدتنى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول : أمتى أمتى ، لا أسألك اليوم نفسى ، إنما أسألك أمتى . قال فيجيبه الجليل جل جلاله : إن أولیائى من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ فوعزتى وجلالى لأقرن عينك فى أمتك . ثم يقف الملائكة بين يدى

Marfat.com

الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به ، فيقول لهم تعالى وتقدس : معاشر الزبانية ، انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى النار ، فقد اشتد غضبي عليهم بتهاونهم بأمرى فى دار الدنيا ، واستخفافهم بحقى وانتهاكهم حرمى ، يستخفون من الناس ويبارزونى مع كرامتى لهم وتفضيلى إياهم على الأمم ، ولم يعرفوا فضلى وعظيم نعمتى ؛ فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلق بهم إلى النـــار ، وما من عبد يساق إلى النار ؛ من غير هذه الأمة ، إلا مسود وجهه ، قد وضعت الأنكال فى رجليه والأغلال فى عنقه ، إلا من كان من هذه الأمة ، فإنهم يساقون بألوانهم ؛ فإذا وردوا على مالك قال لهم: معاشر الأشقياء ، من أى أمة أنتم ؟ فما ورد على أحسن وجوها منكم ! فيقولون : يا مالك ، نحن من أمة القرآن ،فيقول لهم : يامعاشر الأشقياء ، أو ليس القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء ، فيقولون: وامحمداه! وامحمداه ! اشفع لمن أمر به إلى النـار من أمتك ، قال فينادى مالك بتهدد وانتهار : يامالك ، من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب ؟ يامالك ، لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى فى دار الدنيا . يا مالك ، لا تغلهم بالأغلال ، فقد كانوا يغتسلون من الجنابة . يا مالك ، لا تعذبهم بالأنكال ، فقد طافوا بيتى الحرام . يا مالك ، لا تلبسهم القطران ، فقد خلعوا ثيابهم للإحرام . يا مالك ، مر النـار لا تحرق ألسنتهم ، فقد كانوا يقرءون القرآن . يا مالك ، قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنـار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها . فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ، ومنهم من تأخذه إلى صدره ، ومنهم دون ذلك. فإذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كبائرهم وعتوهم وإصرارهم ، فتح بينهم وبين المشركين باباً فرأوهم فى الطبق الأعلى من النـار ، لايذوقون فيها برداً ولاشراباً ، يبكون ويقولون : يا محمداه ، ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم ، فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم ، ثم ينادون : ياراباه ، ياسيداه ، ارحم من لم يشرك بك فى دار الدنيا ، وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى ؛ فعندها يقول المشركون :

Marfat.com

ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد شيئاً ، فيغضب الله تعالى لذلك ؛ فعندها يقول : يا جبريل انطلق فأخرج من فى النار من أمة محمد ، فيخرجهم ضبائر قد امتحشوا فيلقيهم على نهر على باب الجنة يقال له نهر الحياة ، فيمكثون حتى يعودوا أنضر ما كانوا ، ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوبا على جباههم : هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك ، فيتضرعون إلى الله عز وجل أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم ، فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً . وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبى عمران الجونى قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس شره فى الدنيا ، فيوثقون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصدها عليهم ، أى أطبقها ؛ فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، ولا والله ماينظرون إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا تلتقى جفونهم على غمض نوم ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، قال : ثم يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب ، فلا تخافوا شيطاناً ، ولاجباراً ، وكلوا اليوم واشربوا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، قال أبو عمران : إذا هى والله يا إخوتاه أيامكم هذه .

(فصل) قوله : فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، وجاء فى حديث أبى سعيد الخدرى المتقدم ، ثم يقال : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء ، والمعنى واحد . والنبات معروف وهو خروج الشىء : والحبة بكسر الحاء بذور البقول ، وحميل السيل : ما احتمله من طين وغثاء ؛ فاذا اتفق أن يكون فيه حبة فإنما تنبت فى يوم وليلة ، وهى أسرع نابتة نباتا ، فشبه النبى صلى الله عليه وسلم سرعة نبات أجسادهم بسرعة نبات تلك الحبة . وفى التنزيل : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » وقوله : وأطولهم مكثا من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت الى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة ، اختلف فى انقضاء هذا العالم ، وفى مدة الدنيا ، وأكثر المنجمون فى ذلك فقال بعضهم : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة لكل واحد ألف سنة . وقال بعضهم : بأنها اثنتا عشر ألف سنة بعدد البروج ، لكل برج ألف سنة . وقال بعضهم : ثلاثمائة وستون ألف

سنة بعدد درجات الفلك ، لكل درجة ألف سنة ، وقوله : إلا رجلا واحدا يمكث فيها ألف سنة ، ثم ينادى : ياحنان يا منان ـ الحنان الذى يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو . روى ذلك عن على رضى الله عنه . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب [الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا] مستوفى والحمد لله . وقد تقدم الكلام فى نحو ذلك الاسم عنهم ، فلا معنى لإعادته ، وقوله : وينساهم على عرشه ، أى يتركهم فى العذاب ، كما قال «نسوا الله فنسيهم» أى تركوا عبادته وتوحيده فتركهم . والعرش فى كلام العرب له محامل كثيرة قدأتينا عليها فى كتاب [الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى] منها الملك كما قال زهير :

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

وقال آخر :

بعدابن جفنة ، وابن هاتك عرشه والحارثين يؤمـــلون فلاحا

وتقول العرب : ثل عرش فلان ، إذا ذهب عزه وسلطانه وملكه ؛ فالمعنى : وينساهم الرحمن على عرشه ، أى : بما هو عليه من الملك والسلطان والعظمة والجلال ، لايعبأ بهم ولا يلتفت إليهم لما حكم به فى الأزل عليهم من خلودهم فى النار ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط . وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها : كإبليس ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، وكل من كفر وتكبر وطغى ؛ فإن له جهنم لا يموت فيها ولايحيا . وقد وعدهم الله عذابا أليما ، فقال عز وجل « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » . وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لايبقى فيها ولا يخلد إلا كافر جاحد ، فاعلم .

(قال المؤلف رحمه الله) وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء فقال : إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة ، فإنه جائز فى العقل

أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه فيقال ، وكذلك جائز فى العقل أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق ، قال الله تعالى فى حق أهل الجنان : « عطاء غير مجذوذ » أى : غير مقطوع ، وقال « وماهم منها بمخرجين » وقال « لهم أجر غير ممنون » وقال « لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً » وقال فى حق الكافرين « ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخيـــاط » وقال « فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون » وهذا واضح ، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول ، « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .

باب ماجاء فى الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى

« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ، على الأرائك ينظرون
هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون ؟ »

ذكر ابن المبارك قال: أخبرنا الكلبى عن أبى صالح فى قوله تعالى : « الله يستهزىء بهم » قال : يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا ، فتفتح لهم أبواب النار؛ فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم ، فذلك قوله عز وجل « الله يستهزىء بهم » ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم ، فذلك قوله عز وجل « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ، هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون » . قال ابن المبارك وأخبرنا محمد بن بشار عن قتادة فى قوله تعالى « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » قال ذكر لنا أن كعباً كان يقول : إن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له فى الدنيا اطلع من بعض الكوى ، قال الله سبحانه وتعالى فى آية أخرى « فاطلع فرآه فى سواء الجحيم » قال : ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلى .

أخبرنا معمر عن قتادة قال : قال بعض العلماء : لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير حبره وسبره ، فعند ذلك يقول : « تالله إن كدت لتردين

Marfat.com

ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ، فى النار . والحبر والسبر : اللون والهيئة من قولهم : جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار ، قاله الفراء . وقال الأصمعى : هو البهاء والجمال وأثر النعمة ، يقال : فلان حسن الحبر والسبر : إذا كان جميلا حسن الهيئة . قال ابن أحمد :

لبسنا حبرة حتى اقتضينا لآجال وأعمار قضينا

ويقال أيضاً : فلان حسن الحبر والسبر بالفتح ، وهذا كله مصدر قولك : حبرته تحبيراً . والأول اسم ، وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وتزيينه .

باب منه

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المستهزئين بعباد الله فى الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة يقال لهم : ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم. وتفتح الثانية فيقال لهم: ادخلوا الجنة ،فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم: وتفتح لهم الثالثة ، فيدعون فلا يجيبون، قال فيقول لهم الرب : أنتم المستهزئون بعبادى ؟ أنتم آخر الناس حسابا ؛ فيقومون حتى يغرقوا فى عرقهم ، فينادون : يا ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك .

باب منه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا ، قال : ذلك أردت بكم ، كنتم إذا خلوتم بى بارزتمونى بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابونى ، وأجللتم الناس ولم

Marfat.com

تجلونى ، وتركتم للناس ولم تتركوا لى ؛ فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ماحرمتكم من الثواب . ذكره أبو حامد رحمه الله .

باب ماجاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء فى الخبر عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار ، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، وتجعل الكفار فى منازلهم من النار . خرجه ابن ماجه بمعناه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامنكم من أحد إلا له منزلان : منزل فى الجنة ومنزل فى النار ؛ فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى « أولئك هم الوارثون » إسناده صحيح .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا بين فى أن لكل إنسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار كما تقدم . وقد قال هاهنا : مامنكم ؛ فخاطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران رضى الله عنهم ، وسيأتى لهذا مزيد بيان فى أبواب الجنان إن شاء الله تعالى .

باب ماجاء فى خلود أهل الدارين

وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

البخارى ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى منادٍ : ياأهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لاموت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم .

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة : هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، فيقولون : نعم ! هذا الموت ، قال ثم يقال : يا أهل النار : هل تعرفون هذا ؟

فيشرئبون وينظرون ، فيقولون : نعم ! هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون » وأشار بيده إلى الدنيا : وأخرجه أبو عيسى الترمذى ، عن أبى سعيد الخدرى يرفعه قال : إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزنا لمات أهل النار ، قال هذا حديث حسن صحيح . وذكر ابن ماجة فى حديث فيه طول عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط ، فيقال يا أهل الجنه : فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، ثم يقال يا أهل النار : فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ قالوا نعم ! هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما تجدون لاموت فيه أبداً . خرجه الترمذى بمعناه مطولا عن أبى هريرة أيضاً ، وفيه : فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار أتى بالموت ملببا فيوقف على السور الذى بين الجنة وبين النار ، ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا أهل النار : فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هولا وهولا عرفناه ، هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ، ثم يقال يا أهل الجنة : خلود لاموت ، ويا أهل النار خلود لاموت ، قال هذا حديث حسن صحيح .

(فصـــل) قال المؤلف رحمه الله : هذه الأحاديث مع صحتها نص فى خلود أهل الدارين فيها ، لا إلى غاية ولا إلى أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال فى كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين « والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك يجزى كل كفور . وهم يصطرخون فيها - إلى قوله - من نصير » وقال « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » وقال

Marfat.com

« فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » وقد تقدمت هذه المعانى كلها ؛ فمن قال أنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية ، بجملتها خاوية على عروشها ، وأنها تفنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول . وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » وإنما تخلى جهنم وهى الطبقة العليا التى فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهى التى ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير ، قال فضل بن صالح المعافرى : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم ، فقال لنا انصرفوا : فلما كان العشية رجعنا إليه ، فقال : إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءنى رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام فى مسألة ، فقال : يا أبا عبد الله ، ماتقول فى أكل الجرجير ؛ فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟ فقلت له : لابأس به ؛ فقال : أستودعك الله وأقرأ عليك السلام . ذكره الخطيب أبو بكر أحمد رحمه الله ، وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يأتى على النار زمان تخفق الرياح أبوابها . ليس فيها أحد ، يعنى من الموحدين ، هكذا رواه موقوفا من قول عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، ومثله لا يقال من جهة الرأى ؛ فهو مرفوع .

(فصـــل) قد تقدم أن الموت معنى ، والـكلام فى ذلك وفى الأعمال وأنها لا تنقلب جوهرا ، بل يخلق الله أشخاصا من ثواب الأعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشا يسميه الموت ، ويلقى فى قلوب الفريقين أن هذا هو الموت ، ويكون ذبحه دليلا على الخلود فى الدارين ؛ قال الترمذى : والمذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة رضى الله عنهم مثل سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم . أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا : ونروى هذه الأحاديث، ولا يقال : كيف ؟ وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ؟ ولا يقال : كيف وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه .

Marfat.com

(قال المؤلف رحمة الله) وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام فى صورة كبش أملح ، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح على ما تقدم أول الكتاب فى باب : [ماجاء فى صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر] . وفى التفسير من سورة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبى فى قوله « الذى خلق الموت والحياة » أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشىء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء ، وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل ، لا تمر بشىء يجد ريحها إلا حيي ، ولا تطأ على شىء إلا حيي ، وهى التى أخذ السامرى من أثرها فألقاه على العجل فحي ، حكاه الثعلبى والقشيرى ، عن ابن عباس والماوردى ، عن مقاتل والكلبى . ومعنى يشرئبون : يرفعون رؤسهم . والأملح : من الكباش الذى يكون فيه بياض وسواد ، والبياض أكثر . قاله الكسائى : وقال ابن الأعرابى : وهو النقى البياض . وذكر صاحب خلع النعلين : أن هذا الكبش المذبوح بين الجنة والنار ، أن الذى يتولى ذبحه يحيي بن زكريا عليهما السلام ، بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، وبأمره الأكرم . وذكر فى ذبحه كلاما مناسباً لحياة أهل الجنة وحياة أهل النار . وذكر صاحب كتاب العروس : أن الذى يذبحه جبريل عليه السلام ، فالله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الجنة وماجاء فيها وفى صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنات فى كتابه وصفا يقوم مقام العيان فى غير ماسورة من القرآن ، وأكثر ذلك فى سورة الواقعة والرحمن ، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان ، وبين ذلك أيضا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأوضح بيان ، فنذكر من ذلك مابلغنا فى الأخبار الصحاح والحسان . وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان رضى الله عنهم وحشرنا معهم آمين .

ذكر ابن وهب ، قال وحدثنا ابن زيد قال : إن رسول الله صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم ليقرأ « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود قد كان يسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر بن الخطاب : حسبك لا تثقل على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : دعه يا ابن الخطاب ، قال : فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده ، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج نفس صاحبكم أو أخيكم الشوق إلى الجنة .

باب صفة أهل الجنة فى الدنيا

قال ابن وهب سمعت ابن زيد يقول : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة فى الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور فى الآخرة ، وقرأ قول الله عز وجل « إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين » قال : ووصف أهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال : « إنه كان فى أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى » . وقد تقدم من صفة أهلها ما فيه كفاية والحمد لله وحده .

باب منـــه

وهل تفضل جنة جنة

قال الله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ثم وصفهما ، ثم قال بعد ذلك « ومن دونهما جنتان » وعن ابن عباس فى تأويل قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » أى بعد أداء الفرائض جنتان ، قيل : على حدة ؛ فلكل خائف جنتان . وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر . قال الترمذى محمد بن على : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركه لشهوته ، والمقام الموضع ، أى : خاف مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية ، وقيل : خاف قيام ربه عليه ، أى : إشرافه واطلاعه عليه ، بيانه : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » .

وقال مجاهد والنخعى : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه

Marfat.com

وروى عن ابن عباس، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : الجنتان بستانان فى عرض الجنة ، كل بستان مسيرة مائة عام ، فى وسط كل بستان دار من نور على نور ، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة ، قرارها ثابت وشجرها نابت . ذكره الهروى والثعلبى أيضا من حديث أبى هريرة ، وقيل : إن إحدى الجنتين أسافل القصور ، والأخرى أعاليها . وقال مقاتل : هما جنة عدن وجنة النعيم ، وقوله « ومن دونهما جنتان » قال ابن عباس : أى وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان ، قال ابن عباس : ومن دونهما ، أى فى الدرج ، والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون فى الأوليين النخل والشجر ، وفى الأخريين الزرع والنبات وما انبسط ، قال الماوردى : ويحتمل أن يكون « ومن دونهما جنتان » لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته ، إحداهما للحور العين ، والأخرى للولدان المخلدين ليتمير فيها الذكور من الإناث ، وقال ابن جريج هى أربع جنان : جنتان منها للسابقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان ، وقال ابن زيد : الأوليان من ذهب للمقربين ، والأخريان من ورق لأصحاب اليمين(١) .

(قال المؤلف رحمه الله) وإلى هذا ذهب الحليمى أبو عبد الله الحسن بن الحسين فى كتاب : [منهاج الدين له] واحتج بما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس « ولمن خاف مقام ربه جنتان - إلى قوله - مدهامتان » قال : هاتان للمقربين ، وهاتان لأصحاب اليمين ، وعن أبى موسى الأشعرى نحو ذلك ، ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما ، فقال فى الأوليين «فيهما عينان تجريان » وفى الأخريين « فيهما عينان نضاختان» أى فوارتان بالماء ، ولكنهما ليستا كالجاريتين ، لأن النضخ دون الجرى ، وقال فى الأوليين « فيهما من كل فاكهة زوجان » معروف وغريب أو

---

(١) وقيل جنة للخائف الإنسى وجنة للخائف الجنى ، فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى وجنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية ، وكذا ماجاء مثنى بعد .

أحمد محمد مرسى

Marfat.com

رطب ويابس ؛ فعم ولم يخص ، وفى الأخرتين « فيهما فاكهة ونخل ورمان » ولم يقل من كل فاكهة ، وقال فى الأولتين « متكئين على فرش بطائنها من إستبرق » وهو الديباج ، وفى الأخرتين « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » والعبقرى الوشى ولا شك أن الديباج أعلى من الوشى ، والرفرف كسر الخبا ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخبا ، وقال فى الأولتين فى صفة الحور العين « كأنهن الياقوت والمرجان » ، وفى الآخرتين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال فى الأولتين « ذواتا أفنان » وفى الأخرتين « مدهامتان » أى خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان ووصف الأولتين بكثرة الأغصان ، والأخرتين بالخضرة وحدها ، وفى هذا كله تحقيق للمعنى الذى قصدناه ، قوله « ومن دونهما جنتان » ولعل ما لم يذكره من تفاوت مابينهما أكثر مما ذكر ، فإن قيل كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولتين ؟ قيل : الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه ، إلا أن الخائفين لهم مراتب ؛ فالجنتان الأولتان لأعلى العباد رتبة فى الخوف من الله تعالى ، والجنتان الأخرتان لمن قصر حاله فى الخوف من الله تعالى .

(قال المؤلف رحمه الله) فهذا قول ، والقول الثانى أن الجنتين فى قوله تعالى « ومن دونهما جنتان » أعلى وأفضل من الأولتين ، ذهب إلى هذا الضحاك ، وأن الجنتين الأولتين من ذهب وفضة ، والأخرتين من ياقوت وزمرد ، وقوله « ومن دونهما جنتان » أى ومن أمامهما ومن قبلهما ، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله محمد الترمذى الحكيم فى : [نوادر الأصول] وقال : ومعنى « ومن دونهما جنتان » أى دون هاتين إلى العرش أى أقرب وأدنى إلى العرش ، وقال مقاتل : الجنتان الأولتان : جنة عدن وجنة النعيم ، والأخرتان جنة الفردوس وجنة المأوى .

(قال المؤلف رحمه الله) ويدل على هذا قوله عليه الصلاة السلام : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، الحديث ، وسيأتى قال الترمذى : وقوله « فيهما عينان نضاختان » أى بألوان الفواكه والنعيم والجوارى المزينات ، والدواب المسرجات والثياب الملونات ، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجرى .

Marfat.com

(قال المؤلف رحمه الله) على هذا تدل أقوال المفسرين روى عن ابن عباس نضاختان : أى فوارتان بالماء ، والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء ، وعنه أيضاً أن المعنى نضاختان بالخير والبركة ، قاله الحسن ومجاهد ، وعن ابن عباس أيضاً وابن مسعود : تنضخ على أولياء الله بالمسك والكافور والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر ، وقال سعيد بن جبير : بأنواع الفواكه والماء ، وقوله « فيهما فاكهة ونخل ورمان » قال بعض العلماء : ليس الرمان والنخل من الفاكهة لأن الشيء لا يعطف على نفسه ، وهذا ظاهر الكلام ، وقال الجمهور : هما من الفواكه ، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفواكه ، كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وقوله « من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال » وقيل إنما كررهما لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا ، لأن النخل عامة قوتهم ، والرمان كالثمرات ، فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليها ، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التى يعجبون بها ، وإنما ذكر الفواكه ثم ذكر النخل والرمان لعمومها وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من بلاد اليمن ، فأخرجهما فى الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها ، وقوله « فيهن خيرات حسان » يعنى النساء والواحدة خيرة ، قال الترمذى : الخيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره ، واختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين ، ثم قال حسان فوصفهن بالحسن ، فإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن فمن ذا الذى يقدر أن يصف حسنهن ؟ فانظر ما هنالك ، وفى الأولتين ذكر بأنهن قاصرات الطرف وكأنهن الياقوت والمرجان ؛ فانظركم بين الخيرة وهى مختارة الله وبين قاصرات الطرف ؟ ثم قال « حور مقصورات فى الخيام » وقال فى الأولتين « فيهن قاصرات الطرف » قصرن طرفهن على الأزواج ، ولم يذكر أنهن مقصورات ؛ فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل ، وقد بلغنا فى الرواية : أن سحابة مطرت من الغرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطىء الأنهار ، سعتها أربعون ميلا وليس لها باب ، حتى إذا حل ولى الله بالخيمة

Marfat.com

انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها وهى مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين والله أعلم ، ثم قال : « متكئين على رفرف خضر » اختلف فى الرفرف ، ماهو ؟ فقيل : كسر الخبا وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الواحدة رفرفة . وقيل : الرفرف شىء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ، ورفعا وخفضا . يتلذذ به مع أنيسته واشتقاقه على هذا من رف يرف إذا ارتفع ، ومنه رفة الطائر لتحريكه جناحيه فى الهواء ، وربما سمى الظليم رفرفا بذلك ، لأنه يرفرف بجناحيه ثم يعدو . ورفرف الطائر أيضا إذا حرك جناحيه حول الشىء يريد أن يقع عليه . قال الترمذى الحكيم : فالرفرف أعظم خطرا من العرش ، وذكر فى الأولتين متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وقال هنا « متكئين على رفرف خضر » فالرفرف هو مستقر الولى على شىء إذا استوى عليه الولى رفرف به ، أى طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح . وروى لنا حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى سند العرش ، فذكر أنه طار بى يخفضنى ويرفعنى حتى وقف بى على ربى ، ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى أدله إلى جبريل صلوات الله عليهما ، وجبريل يبكى ويرفع صوته بالتحميد ، والرفرف خادم من الخدم بين يدى الله تعالى له خواص الأمور فى محل الدنو والقربة ، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء صلوات الله عليهم مخصوصة بذلك فى أرضه . فهذا الرفرف الذى سخره الله لأجل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما ، يرفرف بالولى على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان ، ثم قال : « وعبقرى حسان » والعبقرى : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال خالق النقوش أنها حسان ، فما ظنك بتلك العباقر ، والعبقرى : قربه من ناحية اليمن فيما بلغنا ، ينسج فيها بسط منقوشة ، فذكر الله ماخلق فى تلك الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف الخضر . وإنما ذكرلهم من الجنان مايعرفون أسماءها هنا ؛ فبان تفاوت هاتين الجنتين . وقد روى عن بعض السلف : فإذا هو يشير إلى أن هاتين الجنتين من

Marfat.com

دونهما ، أى أسفل منهما وأدون ؛ فكيف يكون مع هذه الصفة أدون فحسبته لم يفهم الصفة . ذكره فى الأصل التاسع والثمانين من كتاب : [نوادر الأصول] .

(فصـــل) لما قال الله سبحانه وتعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ثم قال : « ومن دونهما جنتان » دل على أن الجنان أربع لاسبع على مايأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب صفة الجنة وما أعد الله لأهلها فيها

مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم : يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعكم عليه ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » بله : بمعنى غير . وقيل : اسم من أسماء الأفعال بمعنى دع . ابن ماجة عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم ذات يوم لأصحابه : ألا مشمر للجنة ؟ بأن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبد فى جدة ونضرة ، فى دار عالية سليمة بهية ، قالوا : نحن المشمرون لها يارسول الله قال : قولوا إن شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليه .

الترمذى عن أبى هريرة قال : قلت يارسول الله مم خلق الخلق ؟ قال : من الماء قلت : الجنة مابناؤها؟ قال : لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب بلاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران . من دخلها ينعم لايبأس ، ويخلد لايموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم . وذكر الحديث . وقال ليس إسناده ذلك بالقوى ، وليس هو عندى بمتصل ، وقد روى هذا الحديث بإسناد آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله علية وسلم .

(قال المؤلف رحمه الله) خرجه أبو داود الطيالسى فى سنده قال : حدثنا إبراهيم بن معاوية ، عن سعيد الطائى ، قال : حدثنى أبو المدله ، مولى أم المؤمنين

Marfat.com

أنه سمع أبا هريرة يقول : قلنا يارسول الله لما ذا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقناك وشممنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أنكم تكونونَ إذا فارقتمونى كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة بأكفها ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو كنتم لا تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون كى **يستغفروا** فيغفر لهم . قلنا : يارسول الله أخبرنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وبلاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها الدر والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها يبقى لايبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه .

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد : ما تربة الجنة ؟ قال درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم ، قال صدقت . وعنه أن ابن صياد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال : درمكة بيضاء مسك خالص .

ابن المبارك ، قال أخبرنا معمر عن قتادة ، عن العلاء بن يزيد ، عن أبى هريرة قال : حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، ودرجها اللؤلؤ والياقوت ، قال : « وكنا نحدث أن رضاختها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران .

(قال المؤلف رحمه الله) كل هذا مرفوع حسب ماتقدم فى هذا الباب ويأتى .

باب ما جاء فى أنهار الجنة وجبالها

وما جاء فى الدنيا منها

قال الله تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » . وروى أنها تجرى فى غير أخدود . منضبطة بالقدرة .

ويروى عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنهار فى الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك ، ذكره العقيلى . وذكر إسماعيل بن إسحق قال : حدثنا إسماعيل بن أبى إدريس ، قال : حدثنى كثير بن عبد الله بن عمر بن

عوف ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة جبال من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل : فمن الأجبل ؟ قال : جبل أحد ، يحبنا ونحبه ، والطور : جبل من جبال الجنة ولبنان : جبل من جبال الجنة ، والجودى : جبل من جبال الجنة ، والأنهار : النيل والفرات ، وسيحان وجيحان والملاحم : بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر وبالسند المذكور قال : غزونا مع النبى صلى الله عليه وسلم أول غزوة غزاها الأبواء حتى إذا كنا بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى بهم ، ثم قال : هل تدرون ما اسم هذا الجبل ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا خصيب جبل من جبال الجنة ، اللهم فبارك فيه وبارك لأهله ، وقال : للروحا هذه سجاسج واد من أودية الجنة ، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا ؛ ولقد مر بها موسى عليه السلام ، عليه عباءتان قطونيتان على ناقة وردا فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل حتى جاء البيت العتيق ، الحديث . وسيأتى تمامه إن شاء الله تعالى .

الترمذى عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن فى الجنة بحر الماء ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وحكيم بن معاوية هو والد بهز بن حكيم .

مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ، وقال كعب نهر دجلة نهر بالجنة ، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خمرهم ، ونهر سيحان نهر عسلهم ، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر .

وذكر البخارى من طريق شريك عن أنس فى حديث الإسراء ؛ فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : ماهذان ياجبريل ؟ قال : النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى فى السماء ؛ فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك .

Marfat.com

باب منـــه

وما جاء فى رفع هذه الأنهار آخر الزمان

عند خروج يأجوج ومأجوج ، ورفع القرآن والعلم

ذكر أبو جعفر النحاس قرىء على أبى يعقوب إسحق بن إبراهيم بن يونس ، عن جامع بن سوادة ، قال حدثنا سعيد بن سابق ، ثنا مسلمة بن على ، عن مقاتل بن حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل الله عز وجل إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ؛ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فى أسفل درجة من درجاتها ، على جناحى جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض ، وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم ، وذلك قوله جل ثناؤه « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض » فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل رفع من الأرض القرآن والعلم وجميع الأنهار الخمسة ؛ فيرفع ذلك إلى السماء ؛ فذلك قوله تعالى « وإنا على ذهاب به لقادرون » فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ؛ فقد أهلها خير الدنيا والدين .

(قال المؤلف رحمه الله) رفع القرآن عند خروج يأجوج ومأجوج فيه نظر وسيأتى بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

وروى عن المسعودى أنه قال : مد الفرات على عهد ابن مسعود فكره الناس مده ، فقال ابن مسعود : لا تكرهوا مده فإنه سيأتى زمان يلتمس فيه طست مملوء من ماء فلا يوجد ، وذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره ؛ فيكون بقية الماء والعيون بالشام وسيأتى بيان هذا إن شاء الله تعالى .

Marfat.com

باب من أين تفجر أنهار الجنة

البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها ، قالوا يارسول الله : أفلا نبشر الناس ؟ قال إن فى الجنة ، مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض ؛ فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة . خرجه ابن ماجه أيضا وغيره .

وقال أبو حاتم البستى معنى قوله : فإنه أوسط الجنة يريد فى الارتفاع ، وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها ، وقد قيل : إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة ، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها ، لأن الله تعالى مدح فى أول سورة المؤمنين أقواما وصفهم ، ثم قال « هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » ثم أعاد ذكرهم فى سورة المعارج فقال « أولئك فى جنات مكرمون » ، فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة ، قاله وهب ابن منبه .

باب ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة

ومن شربه فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة

وفى لباس أهل الجنة وآنيتهم

النسائى عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة ، ومن شرب فى أنية الذهب والفضة لم يشرب بها فى الآخرة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة .

(فصـــل) قال المصنف رحمه الله ـ إن قال قائل ـ قد سوى النبى صلى الله

عليه وسلم بين الاشياء الثلاثة وأنه يحرمها فى الآخرة ، فهل يحرمها إذا دخل الجنة ؟ قلنا : نعم ! إذا لم يتب منها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة ، خرجه مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك لابس الحرير ، ومن أكل فى آنية الذهب والفضة ، أو شرب فيها لاستعجاله ما أخر الله له فى الآخرة ، وارتكاب ما حرم الله عليه فى الدنيا .

وقد روى أبو داود الطيالسى فى مسنده قال : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن داود السراج ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو . وهذا نص صريح ، وإسناد صحيح ، فان كان وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه من قول النبى صلى الله عليه وسلم فهو الغاية فى البيان ، وإن كان من قول الراوى على ما ذكر أنه موقوف ، فهو أعلم بالمقال ، وأقعد بالحال ، ومثله لا يقال من جهة الرأى ، وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان .

باب ما جاء فى أشجار الجنة

وفى ثمارها وما يشبه ثمر الجنة فى الدنيا

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرءوا إن شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها ، واقرءوا إن شئتم « وظل ممدود » وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، واقرءوا إن شئتم « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

ابن المبارك ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين أو قال مائة سنة ، وهى شجرة الخلد ، قال :

Marfat.com

وأخبرنا ابن أبي خلدة ، عن زياد مولى بني مخزوم ، سمع أبا هريرة يقول : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة . واقرءوا ان شئتم « وظل ممدود » فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى بن عمران والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار في أصل تلك الشجرة ما يبلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا ويخرج من أصل تلك الشجرة . الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب — شك يحيى — فيها فراش الذهب — كأن ثمرها القلال . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وذكر عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة . نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، قلت : يا جبريل ماهذا ؟ قال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

(قال المؤلف رحمه الله) كله لفظ مسلم إلا قوله نبقها مثل قلال هجر . أخرجه الدارقطني في سننه ، قال : حدثنا أبو بكر النيسابوري حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره .

وخرج البخاري أيضا من حديث قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحديث حديث الإسراء وفيه : ورفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيلة وفي أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان . وذكر الحديث وفي حديث ابن مسعود سدرة المنتهى : صبر الجنة ، قال أبو عبيدة : صبرها أعلاها . وكذلك صبر كل شيء أعلاه ، والجمع : أصبار .

Marfat.com

قال النمر (١) بن تولب : يصف روضة :

غرست وباكرها الربيع بديمة وطفاء تملؤها إلى أصبارها

يعنى إلى أعاليها وهى جماعة للصبر ، وقال الأحمر : الصبر جانب الشىء ، وفيه لغتان : صبر ، وبصر ، كما قالوا : جبذوجذب ، وقال أبو عبيد :ـ وقول أبى عبيدة أعجب ـ إلى أن يكون فى أعلاها من أن يكون فى جانبها . ابن المبارك قال حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يقولون : إنه لتنفعنا الأعراب ومسائلهم قال : أقبل أعرابى يوماً ، فقال يارسول الله : لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هى ؟ قال السدر فإن له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ليس يقول الله تعالى « فى سدر مخضود » خضد شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها تنبت ثمرا ، تفتق عن الثمر منها على اثنين وسبعين لونا طعام ما فيه لون يشبه الآخر ، ويروى . التمر بالتاء باثنين فيها كلها ، قاله أبو محمد عبد الحق .

وذكر عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبى كثير عن عمرو بن يزيد البكالى عن عتبة بن عبد السلمى قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجنة وذكر له الحوض فقال فيها فاكهة قال : نعم فيها شجرة تدعى طوبى ، قال يارسول الله اى شجر أرضنا بشبهه ؟ قال : لا يشبهه شىء من شجر أرضك ، أأتيت الشام ؟ هنا لك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق

---

(١) النمر بن تولب من عكل شاعر مقل مخضرم . وهو أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم . وكان يسمى الكيس لحسن شعره . وقد أدرك الإسلام وأسلم وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أنا أتيناك وقد طال السفر نقود خيلا ضمرا فيها عسر

نطعمها الشحم إذا عز الشجر والخيل فى أطعامها اللحم ضرر

الشحم يعنى اللبن ـ والبيت يروى أيضاً

عزبت وباكرها الشتى بديمة اه أحمد محمد مرسى

Marfat.com

ويفرش أعلاها ، قال يارسول الله : فما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ماأحاطت بأصلها حتى تنكسر ثرقوتها هرما ، قال فهل فيها عنب؟ قال : نعم ! قال : فماعظم العنقود منها؟ قال : مسيرة الغراب شهرا لايقع ولايفتر ، قال : فما عظم الحبة منها ؟ قال : أما عمد أبواك وأهلك إلى جذعة فذبحوها وسلخ إهابها؟ فقال : افروا لنا منها دلوا ، فقال يارسول الله : إن تلك الحبة لتشبعنى وأهل بيتى ؟ قال نعم وعامة عشيرتك ، ذكره أبو عمر فى ـ التمهيد ـ بإسناده وهو إسناد صحيح .

وذكر مسلم من حديث ابن عباس فى صلاة الكسوف ، قالوا يارسول الله : رأيناك تناولت فى مقامك شيئا ، ثم رأيناك تكعكعت ؟ فقال : إنى رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منها مابقيت الدنيا ، تكعكعت ؛ معناه تأخرت ، يقال منه : كع يكع كعوعا تأخر ، والكع : الضعيف العاجز ، قال الشاعر :

ولكننى أمضى على ذاك مقدما إذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

وذكر ابن المبارك حدثنا المسعودى عن عمرو بن مره عن أبى عبيدة قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها كأمثال القلال ، كلما نزعته ثمرة عادت مكانها أخرى ، وإن ماءها ليجرى فى غير أخدود ، والعنقود إثنا عشر ذراعا ، ثم أتى على الشيخ فقلت : من حدثك بهذا ؟ قال : مسروق وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب ، عن أبى أمامة الباهلى قال : طوبى شجرة فى الجنة ! ليس منها دار إلا فيها غصن منها ، ولا طير حسن إلا وهو فيها ، ولا ثمرة إلا هى فيها ، وذكر الخطيب أبو بكر أحمد عن إبراهيم بن نوح قال : سمعت مالك بن أنس يقول : ليس فى الدنيا من ثمارها شىء يشبه ثمار الجنة إلا الموز لأن الله تعالى يقول « أكلها دائم وظلها » وإننا نجد الموز فى الشتاء والصيف .

وذكر الثعلبى بإسناده من حديث الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير قال : حدثنى الثقة عن أبى ذر ، قال : أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طبق من تين ، فأكل منه وقال لأصحابه : كلوا . فلو قلت إن فاكهة نزلت من السماء قلت : هذه ، لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ، ذكره القشيرى أبو نصر وهذا أتم .

ورأيت بخط الفقيه الإمام المحدث أبى الحسن على بن خلف الكوفى أبى شيخنا أبى القاسم عبد الله وحدث حديثاً عليه سماع جماعة على أبى الفرج محمد بن أبى حاتم محمود بن أبى الحسن القزوينى فى ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن زيد الجعفرى فى شوال سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة قال : حدثنا أبى ، قال : حدثنا يحيى بن الحسين الحسينى قال حدثنا عقيل بن سمير حدثنا على بن حماد الغازى حدثنا عباس بن حميد قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعلى تفكهوا بالبطيخ وعظموه فإن ماءه من الجنة وحلاوته من حلاوة الجنة وما من عبد أكل منها لقمة إلا أدخل الله جوفه سبعين دواء وأخرج منه سبعين داء وكتب الله له بكل لقمة عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين، قال: الدباء والبطيخ من الجنة [1]

باب فى كسوة الجنة وكسوة أهلها

قال الله تعالى « ويلبسون ثيابا خضرا من سندس [2] واستبرق » وقال «ولباسهم فيها حرير »

وذكر ابن هناد السرى قال : حدثنا أبو الأحوص عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال : أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرقة [3] من حرير فجعلوا يتداولونها بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون منها ؟ قالوا : نعم يارسول الله : قال والذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها ، قال هناد بن السرى : وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أن عطارد بن حاجب أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا من ديباج كساه إياه كسرى فاجتمع إليه الناس فجعلوا

---

(١) هذا الخبر وأمثاله موضوع لاأصل له . أحمد محمد مرسى

(٢) السندس رقيق الديباج والاستبرق غليظه (٣) شقة بيضاء جيدة

Marfat.com

يلمسونه ويعجبون ويقولون يارسول الله : أنزل عليك هـذا من السماء ؟ فقال : ما تعجبون ! فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من هذا ، يا غلام اذهب بهذا إلى أبى جهم وجئنا بأنبجانيته .

باب ماجاء أن شجر الجنة وثمارها تنفتق عن ثياب الجنة وخيلها ونجبها

ابن المبارك أخبرنا معمر عن الاشـــعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى : تفتق لعبدى ما شاء فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيأته كما يشاء وتنفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيأتها كما يشاه ، وعن النجائب والثياب .

النسائى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل فقال يارسول الله : أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلقا تخلق ، أو نسجاً تنسج ؟ فضحك بعض القوم . فقال : مم تضحكون ؟ إن جاهلا يسأل عالما ، فجلس يسيرا أو قليلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين السائل عن ثياب الجنة ؟ فقالوا : هاهو ذا يارسول الله ، قال : لا . بل تنفتق عنها ثمر الجنة ، قالها ثلاثا : والله أعلم

باب ليس فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

الترمذى عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مافى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب قال حديث حسن غريب وسيأتى لهذا مزيد بيان أنفا فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى اه :

باب ماجاء فى نخيل الجنة وثمرها وخيرها

ابن المبارك ، قال أخبرنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال . والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم .

Marfat.com

ابن وهب ، قال : وحدثنا ابن زيد قال قال رجل يارسول الله . هل فى الجنة من نخل فإنى أحب النخل ؟ قال : أى والذى نفسى بيده لها جذوع من ذهب ، وكرانيف من ذهب ، وجريد من ذهب ، وسعف كأحسن حلل يراها امرؤ من العالمين ، وعراجين من ذهب وشماريخ وكرانيف من ذهب وأقناع من ذهب وثمارها كالقلال ، ألين من الزبد وأحلى حلاوة من العسل . وذكر أبو الفرج ابن الجوزى ، عن جرير بن عبد الله البجلى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخذ عودا بيده فقال : ياجرير لو طلبت فى الجنـــة مثل هـذا العود لم تجده ، قال فقلت فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلاها الثمر .

باب الزرع فى الجنة

البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له : أو لست فيما شئت ، قال : بلى ! ولكنى أحب أن أزرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ؛ فيقول الله : دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شىء فقال الأعرابى يارسول الله : لا تجد هذا إلا قرشيا أو أنصارياً . فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب ماجاء فى أبواب الجنة وكم هى ولمن هى

وفى تسميتها وسعتها

قال الله تعالى « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » قال جماعة من أهل العلم هذه واو الثمانيه فللجنة ثمانية أبواب . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : وما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء . رواه عمر بن الخطاب ؛ خرجه مسلم .

وجاء فى تعيين هذه الأبواب لبعض العلماء كما جاء فى حديث الموطأ وصحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق

Marfat.com

زوجين [1] فى سبيل الله نودى فى الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، فقال أبو بكر : يارسول الله ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب ؟ قال : نعم ! وأرجو أن تكون منهم .

قال القاضى عياض : ذكر مسلم فى هذا الحديث من أبواب الجنة أربعه وزاد غيره بقية الثمانية فذكر منها : باب التوبة ، وباب الكاظمين الغيظ . وباب الراضين ، والباب الأيمن الذى يدخل منه من لاحساب عليه .

(قال المؤلف رحمه الله) فذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة فى [نوادر الاصول] فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهوَ باب الرحمة ، وهو باب التوبة ، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق ؛ فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة ، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر . فباب منها للصلاة ، وباب للصوم ، وباب للزكاة والصدقة ، وباب للحج ، وباب للجهاد ، وباب للصلة ، وباب للعمرة ، فزاد باب الحج ، وباب العمرة ، وباب الصلة ، فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر بابا .

وقد ذكر الآجرى أبو الحسن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه قال : إن فى الجنة بابا يقال له باب الضحى فإذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى ؟ هذا بابكم فادخلوه ، ذكره فى كتاب [النصيحة] ولا يبعد أن يكون لنا ثالث عشر على ما ذكرة أبو عيسى الترمذى عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم : باب أمتى الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود [2] ثلاثا ، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول . قال الترمذى : سألت محمداً ، يعنى البخارى عن

---

(١) أى صنفين من أى نوع كذكر وانثى لإمكان التكاثر بينهما والله أعلم بغيبه. احمد مرسى

(٢) المجود : أى الحاذق فى الفروسية وقوله ثلاثا يحتمل فى الأيام أو الشهور أو سنى الأعوام . أحمد محمد مرسى .

Marfat.com

هذا الحديث فلم يعرفه ، وقال لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله .

(قال المؤلف رحمه الله) فقوله باب أمتي يدل على أنه لسائر أمته ، فمن لم يغلب عليه عمل يدعى به ، وعلى هذا يكون ثالث عشر ، ولهذا يدخلون مزدحمين ، وقد تقدم أن أكثر أهل الجنة البله فالله أعلم .

ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صادقا من نفسه أو قلبه ، شك أيهما قال فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة، يدخل من أيها شاء . خرجه الترمذى وغيره قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب (التمهيد) هكذا قال فتح له من أبواب الجنة ، وذكر أبو داود والنسائى وابن صنجر فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، ليس فيها ذكر من ، فعلى هذا أبواب الجنة ثمانيه كما قالوا .

(قال المؤلف رحمه الله) قد ذكرنا أنها أكثر من ثمانية وبالله توفيقنا ، وأما كون الواو فى وفتحت أبوابها ، واو الثمانية ، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية أبواب فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك فى قوله تعالى « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، فخلو المتكبر وهو ثامن إسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه . وقد بيناه فى سورة براءة ، والكهف من كتاب (جامع أحكام القرآن) والحمد لله .

وقد خرج مسلم ، عن خالد بن عمير ، قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الحديث على ماتقدم ، وفيه : ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، الحديث .

وخرج عن أنس فى حديث الشفاعة ، والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرا وخرج عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمائة ألف ، لا يدرى أبو حازم أيهما قال متماسكون آخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة

Marfat.com

البدر فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هى غير ما تقدم — فيحصل منها والحمد لله على هذا ستة عشر باباً .

وقد ذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيرى فى كتاب (التحبير) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلق الحسن طوق من رضوان الله عز وجل فى عنق صاحبه ، والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة ، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة ، حيث ما ذهب الخلق الحسن جرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى الجنة والخلق السوء : طوق من سخط الله فى عنق صاحبه والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله ، والسلسلة مشدودة من باب النار ، حيث ما ذهب الخلق السوء جرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى النار وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال للجنة باب يقال له الفرح ، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان .

(فصـــل) قوله من أنفق زوجين فى سبيل الله ، قال الحسن البصرى : يعنى إثنين من كل شىء : دينارين ، درهمين ، ثوبين ، نفسين ، وقيل : يريد شيئين دينارا ودرهما ، درهما وثوبا ، خفا ولجاما ونحو هذا . وقال الباجى ، يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين .

(قال المؤلف رحمه الله) والأول من التفسير أولى ، لأنه مروى عن النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم : وذكر الآجرى ، عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين فى سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : بعيرين درهمين ، قوسين ، نعلين ، وأما ما جاء من سعة أبواب الجنة فيحتمل أن يكون بعضها سعته كذا ، وبعضها سعته كذا كما ورد فى الأخبار فلا تعارض والحمد لله .

باب منـــه

روى البخارى ومسلم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون فيدخلون منه ، فاذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد .

(قال المؤلف رحمه الله) وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال .

Marfat.com

وجاء فى حديث أبى هريرة إن من الناس من يدعى من جميع الأبواب ، فقيل : ذلك الدعاء دعاء تنويه وإكرام وإعظام ثواب العاملين تلك الأعمال اذ قد جمعها ونيله ذلك ، ثم يدخل من الباب الذى غلب عليه العمل ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم صائما ؟ قال : أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة :

باب منـــه

خرج أبو داود الطيالسى فى مسنده قال : حدثنا جعفر بن الزبير الحنفى ؛ عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، عن أبى امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق برجل إلى باب الجنة فرفع رأسه فإذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض الواحد بثمانية عشر ، لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج (١) ، والصدقة ربما وضعت فى غنى ، خرجه ابن ماجة فى السنن ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر ؛ فقلت لجبريل : ما بال القرض أكثر من الصدقة ؟ قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة .

باب ما جاء فى درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

الترمذى رحمه الله ، عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول

---

(١) قوله لأن صاحب القرض الخ مدرج من كلام بعض الفقهاء بينه مكى ابن إبراهيم قاله السيوطى فى المدرج وكأنه أخذه فى الحديث بعده . احمد محمد مرسى

Marfat.com

الله صلى الله عليه وسلم يقول : الجنة مائة درجة ، كل درجة منها ما بين السماء والأرض وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس وإن العرش على الفردوس ، منها تفجر أنهار الجنة : فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، قال الترمذى عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل .

(قال المؤلف رحمه الله) قد خرجه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه كما تقدم ، فهو صحيح متصل .

وذكر ابن وهب قال : أخبرنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه سمع عتبة ابن عبيد الضبى يذكر عمن حدثه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله : كم فى الجنة من درجة ؟ قال : مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أول درجة منها دورها وبيوتها وابوابها وسررها ومعاليقها من فضة والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب ، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد ، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هى إلا الله .

الترمذى عن ابى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن فى الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا فى إحداهن لو سعتهم ، قال هذا حديث غريب. أبن ماجة ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد : فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه . وخرجه أبو داود ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، وذكر أبو حفص عمر ابن عبد المجيد القرشى الميانشى فى كتاب [الاختيار فى الملح من الأخبار والآثار] عن أبن عباس ، عن النبى صلى الله علية وسلم قال : درج الجنة على عدد آى القرآن ، لكل آية درجة : فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية ، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والارض ، وينتهى به إلى أعلى عليين ، لها سبعون ألف ركن

Marfat.com

وهى ياقوتة تضىء مسيرة أيام وليالى . وقالت عائشة رضى الله عنهـا أن عدد آى القرآن على عـــدد درج الجنة ، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن ذكره مكى رحمه الله .

(فصـــل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم : حملة القرآن وقراؤه هم العـاملون بأحكامه وبحلاله وحرامه والعاملون بمـا فيه . وقال مالك : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه ، وقد تقدم حديث العباس بن عبد المطلب فى أبواب النار ، وحديث أبى هريرة فيمن تعلم العلم وقرأ القرآن عجباً ورياء ، مافيه كفاية لمن تدبر .

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة ة ل : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تعلم القرآن ولم يأخذ بما فيه وحرفه كان عليه شهيدا ودليلا إلى جهنم ، ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان له شهيدا ودليلا إلى الجنة ، وفى البخارى : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجه ، طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذى لايقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، وذكر الحديث . وقد أشبعنا القول فيه فى قارىء القرآن وأحكامه فى كتاب [التذكار فى فضل الأذكار] وفى مقدمة : جامع أحكام القرآن ما فيه كفاية والحمد لله . وقد تقدم أن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله فالجهاد يحصل مائة درجة ، وقراءة القرآن تحصل جميع الدرجات ؛ والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنه وفضله .

باب ما جاء فى غرف الجنة ولمن هى

قال الله تعالى « لـكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف مبنية » الآية . وقال « إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف [1] بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » وقال « أولئك يجزون الغرفة بمـا صبروا » .

---

(١) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف . الواحد عشرا فما فوقها اه . أحمد محمد مرسى

وروى مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغائر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يارسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

وخرج الترمذى الحكيم أخبرنا صالح بن محمد قال : حدثنا سليمان بن عمرو عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «أولئك يجزون الغرفة بما صبروا» وقوله «وهم فى الغرفات آمنون» قال الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصل وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تتراءون الكوكب الشرقى أو الغربى فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما : قال وحدثنا صالح بن عبد الله وقتيبة بن سعيد وعلى بن حجر قالوا حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن المتحابين فى الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يضىء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا يقول أهل الجنة بعضهم لبعض انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين فى الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل .

وذكر الثعلبى من حديث أبى عمران بن عمر. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا النور ؟ فيقال أشرف رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق .

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الغرف ليتراءون عليين كما تتراءون الكوكب الدرى فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ذكره الثعلبى .

الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن

Marfat.com

فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام إليه أعرابى فقال : لمن هى يا رسول الله ؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام .

وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع عن الحسن عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : ألا أخبركم بغرف الجنة ؟ غرفاً من ألوان الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم والثواب والكرامات ما لا أذن سمعت . ولا عين رأت ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، لمن تلك ؟ فقال : لمن أفشا السلام ، وأدام الصيام . وأطعم الطعام ، وصلى والناس نيام ، فقلنا : بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ فقال : أمتى تطيق ذلك ، وسأخبركم من يطيق ذلك ، من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة فى جماعة فقد صلى والناس نيام : اليهود ، والنصارى والمجوس .

(فصـــل) اعلم أن هذه الغرف مختلفة فى العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها فى الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع ، وقوله الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم فاعل ، من غار . وقد روى مسلم فى غير الغارب بتقديم الراء ، والمعنى واحد . وروى الغابر بالباء بواحدة ، ومعناه الذاهب أو الباقى ، فان غبر من الأضداد ، يقال غبر إذا ذهب ، وغبر إذا بقى ، ويعنى به أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الابصار فيظهر صغيرا لبعده ، وقد بينه بقوله من المشرق أو المغرب . وقد روى العازب بالعين المهملة والزاى ، أى البعيد ومعانيها كلها متقاربة المعنى ، وقوله والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ولم يذكر عملا ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج ، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذى للعامة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين

Marfat.com

فى أعالى الغرفات وأرفع الدرجات وهذا محال ، وقد قال الله تعالى « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » والصبر بذل النفس والثبات له وقوفا بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين . وقال فى آية أخرى « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محالهم الغرفات ، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعلق قلب به مطمئنا به فى كل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملا صالحاً فلا يخلطه بضده وهو الفاسد . فلا يكون العمل الصالح الذى لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا : فلهذا كانت منزلته دون غيره .

(قال المؤلف رحمه الله) ذكره الترمذى الحكيم رحمة الله عليه وهذا واضح بين ، وقد قال تعالى « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » وقال « ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا » وقال « ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون » فلما باين بين الأبرار والمقربين فى الشراب على ما يأتى بيانه ، باين بينهم فى المنازل والدرجات وأعالى الغرفات حسب ما باين بينهم فى الأعمال الصالحات بالاجتهاد فى الطاعات قال الله تعالى « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين » فيجتهد الإنسان ان يكون من الأبرار المقربين ليكون فى عليين وأصحاب عليين جلساء الرحمن وهم أصحاب المنابر من النور فى المقعد الصدق وقال تعالى « فأما من أوتى كتابه بيمينه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية » فأصحاب اليمين فى علو الجنان أيضا وجميعها عوالى وجنات المقربين جميعها علالى وإحداهن عليه ، كقول الشاعر

ألا ياعين ويحك أسعدينى بغزر الدمع فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بخير الدار فى تلك العلالى

باب منه

روى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

إن فى الجنة لغرفا ليس لها مغاليق من فوقها ولا عماد من تحتها ، قيل يارسول الله : وكيف يدخلها أهلها ؟ قال : يدخلونها أشباه الطير ، قيل : هى يارسول الله لمن ؟ قال : لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى ، خرجه أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد الشحامى .

باب منـــه

روى الليث بن سعد قال : حدثنا محمد بن عجلان أن وافد النضرى أخبره عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله ، يكونون على منابر من نور ، قالوا : ومن هم يارسول الله ؟ قال هم الذين يحببون الله إلى الناس ويحببون الناس إلى الله ويمشون لله فى الأرض نصحا قلنا يارسول الله هذا يحببون الله إلى الناس فكيف يحببون الناس إلى الله قال يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى .

باب

ما جاء فى قصور الجنة ودورها وبيوتها وبما ينال ذلك المؤمن .

خرج الأجرى عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة رضى الله عنهما عن تفسير هذه الآية « ومساكن طيبة » فقالا على الخبير سقلت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش سبعون إمرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة فيعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله ذكره فى كتاب النصيحة[1] . وذكر ابن وهب

---

(١) ظاهر الوضع

قال أخبرنا ابن زيد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليجأ بالرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة فى ذلك القصر سبعون غرفة فى كل غرفة زوجة من الحور العين فى كل غرفة سبعون بابا يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التى تدخل عليه من الباب الآخر وقرأ قول الله عز وجل « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » . الترمذى عن بريد بن الخصيب قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بما سبقتنى إلى الجنة. فما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامى فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لرجل عربى فقلت أنا عربى لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش قلت أنا قرشى لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد قلت انا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال بلال يارسول الله ماأذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابنى حدث ألا توضأت عنده ورأيت أن لله تعالى على ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما قال حديث حسن صحيح وخرج الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة إذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب . وذكر الدارمى أبو محمد فى مسنده، قال حدثنا عبد الله بن بريد قال حدثنا حيوة قال أخبرنى أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاث قصور فى الجنة. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا لنكثرن قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك قال الدارمى أبو عقيل زاهر بن معبد زعموا أنه كان من الأبدال وقد تقدم من حديث سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل دار الشهداء أو دار المؤمنين وخرج أبو داوود الطيالسى قال حدثنا حماد ابن زيد عن أبى سنان قال دفنت ابنى سنانا وأبو طلحة الخولانى على شفير القبر فقال حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبض الله عز وجل ابن العبد قال للملائكة ماذا قال عبدى قالوا حمدك واسترجع قال ابنو له بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد .

Marfat.com

باب ما جاء فى قوله تعالى وفرش مرفوعة

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . وقال بعض أهل العلم فى تفسير هذا الخبر الفرش فى الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض قال المؤلف رحمه الله وقد قيل أن الفرش كناية عن النساء اللواتى فى الجنة والمعنى ونساء مرتفعات الأقدار فى حسنهن وكمالهن والعرب تسمى المرأة فراشاً ولباساً وأزارا ونعجة على الاستعارة لأن الفرش محل النساء وفى الحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال الله تعالى « هن لباس لكم » الآية وقال « أن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة » .

باب ماجاء فى خيام الجنة

وأسواقها وتعارف أهل الجنة فى الدنيا وعبادتهم فيها

مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن فى رواية .قال الخيمة درة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين . وخرج مسلم أيضاً عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال إن فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال[1] فتحثوا فى وجوههم وثيابهم المسك فيزدادون حسناً وجمالا فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالا فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا الترمذى عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة. فقال سعيد أفيها سوق قال نعم وذكر الحديث وفيه فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة. فيه مالم تنظر العيون إلى

---

(١) خصصت لأنها ريح المطر والرحمة .

Marfat.com

مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا أيس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً فيقبل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه(١) ما عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. وذكر الحديث فى طريقه أبو العشرين وهو ضعيف وخرجه ابن ماجه مكملا وفيه بعد قوله قال نعم : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله ويبرز لهم عرشه ويبدا لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون بأن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يارسول الله هل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم عز وجل ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى أنه يقول للرجل منكم ألا تذكر يافلان يوم عملت كذا وكذا يذكره بعض غدراته فى الدنيا فيقول يا رب ألم تغفرلى فيقول بلى فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ثم يقول قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم قال فيأتون سوقاً الحديث. بلفظه ومعناه إلى أن قال وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقولون إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. وخرج الترمذى أيضاً عن على عليه السلام قال قال رسول

---

(١) أى ينقطع . حتى يظهر على بدنه لباس أحسن من صاحبه

(٢) قوله فيروعه يحتمل ،أن يرجع الضمير إلى من فيكون الروع مجازا عن الكراهة بما هو عليه من اللباس وأن يرجع إلى ذى المنزلة . فالروع بمعنى الإعجاب أى يعجبه حسنه فيدخل فى روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه . أحمد مرسي

Marfat.com

الله صلى الله عليه وسلم أن فى الجنة لسوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها قال هذا حديث غريب . وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن فى الجنة أسواقاً لاشراء فيها ولا بيع. أهل الجنة لما أفضوا إلى روح الجنة جلسوا متكئين على إلؤلؤ رطب وترابها مسك يتعارفون فى تلك الجنان كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادة الرب وكيف يحي الليل ويصام النهار وكيف كان فقر الدنيا وغناؤها وكيف كان الموت وكيف صرنا بعد طول البلاء من أهل الجنة والله أعلم ،

باب لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز

خرج أبو بكر الخطيب أحمد بن على من حديث عبد الرزاق عن الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنـــة إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية ذكره أحمد ابن حنبل فى مسنده قال المؤلف رضى الله عنه لعل هذا فيمن لا يدخل الجنة بغير حساب وذلك بين فى الباب بعد هذا .

باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

ابن المبارك قال أخبرنا عبد الوهاب بن الورد قال قال سعيد بن المسيب جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنى يارسول الله بجلسا. لله يوم القيامة قال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيراً قال يارسول الله أفهم أول الناس يدخلون الجنة قال لا قال فمن أول الناس يدخل الجنة قال الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون إرجعوا إلى الحساب فيقولون على ما نحاسب والله ما أفيضت علينا من الأموال فى الدنيا شيئاً فنقبض فيها ونبسط وما كنا أمراء نعدل ونجور ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى

Marfat.com

أنانا اليقين فيقال : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اتقوا الله فى الفقراء فإنه يقول يوم القيامة اين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول الفقراء الصابرون الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة قال فيدخلون الجنه يأكلون ويشربون والأغنياء فى الحساب يترددون . الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام خرجه من حديث الأعمش سليمان عن عطية العوفى عن أبى سعيد وقال فيه حديث حسن غريب من هذا الوجه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم قال هذا حديث حسن صحيح . وفى طريق أخرى يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال حديث حسن صحيح . وروى عن أبى الدرداء قال حدثنى عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم قيل له يا رسول الله وما نصف يوم قال خمسمائة سنة قيل له فكم السنة من شهر قال خمسمائة شهر قيل له فكم الشهر من يوم قال خمسمائة يوم قيل له فكم اليوم قال خمسمائة مما تعدون ذكره العتبى فى عيون الأخبار له .

الترمذى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا قال هذا حديث حسن صحيح وخرجه من حديث أنس أيضاً وقال فيه حديث غريب .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً .

(فصـــل) قال المؤلف رحمه الله إختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفوا الحال وكذلك الأغنياء وقد تقدم من حديث أبى بكر بن أبى شيبة

Marfat.com

أول ثلاثة يدخـــلون الجنة . ولا تعارض والحمد لله . فإن الحديثين مختلفا المعنى وقد اختلف فى أى الفقراء هم السابقون وفى مقدار المدة التى بها يسبقون ويرتفع الخلاف عن الموضع الأول بأن يرد مطلق حديث أبى هريرة إلى مقيد روايته الأخرى وكذلك حديث جابر يرد أيضاً إلى حديث عبد الله بن عمرو ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين إذ المدة فيها أربعون خريفاً ويبقى حديث أبى سعيد الخدرى فى المدة بخمسمائة عام فى فقراء المهاجرين وكذلك حديث أبى الدرداء فى فقراء المسلمين بنصف يوم خمسمائة سنة ووجه الجمع بينهما أن يقال أن سباق الفقراء من المهاجرين يسبقون سباق الأغنيا، منهم بأربعين خريفاً وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام وقد قيل ان حديث أبى هريرة وأبى الدردا، وجابر يعم جميع فقراء قرون المسلمين فيدخل الجنة سباق فقراء كل قرن قبل غير السباق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبى هريرة وأبى الدرداء وقيل السبان بأربعين خريفاً على ما تقدم من حديث جابر والله أعلم .

(فصـــل) قال المؤلف رحمه الله وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقير على الغنى وقد اختلف النـــاس فى هذا المعنى وطال فيه الـكلام بينهم حتى صنفوا فيه كتباً وأبواباً واحتج كل فريق لمذهبه فى ذلك والأمـــر قريب .

وقد سئل أبو على الدقاق أى الوصفين أفضل الغنى أو الفقر فقال الغنى لأنه وصف الحق والفقر وصف الخلق ووصف الحق أفضل من وصف الخلق قال الله تعالى «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد» وبالجملة فالفقير بالحقيقة العبد وإن كان له مال وإنما يكون غنياً إذا عول على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه فان تعلق باله بشىء من الدنيا ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار الحديث خرجه البخارى وغيره. وقد كتبناه فى كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالـكسب والصناعة وتكلمنا عليه وبيناه والحمد لله وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه وعزه خضوعه له .

ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً منا إليك فعزها فى ذلها .

فالغنى المعلن البال بالمال الحريص عليه الراغب فيه هو الفقير حقيقة وعادمه الذى يتمول ما أبالى به ولا لى رغبة فيه وإنما هى ضرورة العيش فإذا وجدتها فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة فهو الغنى حقيقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس خرجه مسلم وأخذ عثمان بن سعدان الموصلى هذا المعنى فقال :

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى فإنك لا تدرى أتصبح أم تمسى

فليس الغنى عن كثرة المال . إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس وقد أشبعنا القول فى هذا فى كتاب قمع الحرص وقد بقيت هنا درجة ثالثة رفيعة وهى الكفاف التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وفى رواية كفافاً خرجه مسلم ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات والأعمال وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم .

وفى سنن ابن ماجة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من غنى ولا فقير إلا يود يوم القيامة أنه أوتى من الدنيا قوتاً . فالكفاف حالة متوسطة بين الغنى والفقر وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الأمور أوسطها فهى حالة سليمة من آفات الغنى المطغى وآفات الفقر المدقع الذى كان يتعوذ منهما النبى صلى الله عليه وسلم فكانت أفضل منهما تم ان حالة صاحب الكفاف حاله الفقير الذى لا يترنه فى طيبات الدنيا ولا فى زهرتها فكانت حاله إلى الفقر أقرب فقد حصل له ماحصل للفقير من الثواب على الصبر وكفى مرارته وآفاته وعلى هذا فأهل الكفاف هم إن شاء الله صدر كتيبة الفقراء الداخلين الجنه قبل الأغنياء بخمسمائة عام لأنهم وسطهم والوسط العدل كما قال الله تعالى « وكذلك جعلنا كم

أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، أى عدولا خياراً وليسوا من الأغنياء كما ذكرنا .

باب منه

الترمذى عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال يا أيها الناس إنى قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد لايخلون رجل بامرأة لا تحل له إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب .

باب منه

ما جاء فى صفة أهل الجنة ومراتهم وسنهم وطولهم وشبابهم وعرقهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم وفى لسانهم وليس فى الجنة عزب :

مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول زمرة يدخلون الجنة وفى رواية من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء أضاء وفى رواية ثم هم بعد ذلك منازل .لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب وفى رواية الفضة ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين وفى رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سافيها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا .

قال أبو على الألوة هو العود وفى رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم وفى رواية على صورة أبيهم ستون ذراعا فى السماء .

Marfat.com

وقال أبو كريب على خلق رجل واحد وقال أبو هريرة حين تذاكروا الرجال فى الجنة أكثر أم النساء فقال لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما فى الجنة عزب. الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من أهل الجنة ايرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها . وذلك بأن الله سبحانه وتعالى يقول « كأنهن الياقوت والمرجان » فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته وروى موقوفا .

البخارى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن إمرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينها ولملأته ريحاً ولنصفيها على رأسها خير من الدنيا وما فيها .

الترمذى عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أهل الجنة جرد مرد كحلِ لايفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم قال حديث غريب وخرج عنه أيضاً عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جرداء مرداء مكحلين ابناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة قال حديث حسن غريب وروى عن قتادة مرسلا .

وذكر الميانشى من حديث جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة مرد . الاموسى بن عمران وإن له لحية إلى سرته .

الترمذى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لو أن مايقله ظفر مما فى الجنة بدا إلى الدنيا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض ولو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدت أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم قال حديث حسن غريب .

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله علية وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بنى ثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها ولا ينقصون وكذلك أهل النار قال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين :

(فصـــل) فى حديث أبى هريرة لكل واحد منهم زوجتان وقد تقدم من حديث عمران بن حصين أن أقل ساكنى الجنة النساء قال علماؤنا لم يختلفوا فى جنس النساء وإنما اختلفوا فى نوع من الجنس وهو نساء الدنيا ورجالها أيهما أكثر فى الجنة فان كانوا اختلفوا فى المعنى الأول وهو جنس النساء مطلقاً فحديث أبى هريرة حجة وإن كانوا اختلفوا فى نوع من الجنس وهم أهل الدنيا فالنساء فى الجنة أقل .

قال المؤلف رحمه الله . يحتمل أن يكون هذا فى وقت كون النساء فى النار وأما بعد خروجهن فى الشفاعة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال لا إله إلا الله فالنساء فى الجنة أكثر وحينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن .

وفى حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ذكره الترمذى وقال فيه حديث غريب .

ومثله حديث أبى أمامة خرجه أبو محمد الدارمى وسيأتى والأخبار دالة على هذا .

(فصـــل) وقوله وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة قد يقال هنا أىحاجة فى الجنة للامتشاط ولا تتابد شعورهم ولا تتسخ وأى حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن وإنما هى لذات متوالية ونعم متتابعة ألا ترى قوله تعالى لآدم « ان لك الاتجوع فيهاولا تعرى وأنك لا تظمأفيهاولا تضحى» وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم فى الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به فى الدنيا وزادهم على ذلك مالا يعلمه إلا الله عز وجل . قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد جاء مثل هذا فى أهل النار حيث قال : « إذ

Marfat.com

الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون» وقال «ان لدينا انكالا وجحيما «فعذبهم فى النار بنوع ما كانوا يعذبون به فى الدنيا قال الشعبى أترون أن الله جعل الأنكال فى الرجل خشية أن يهربوا لا والله ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم .

ابن المبارك قال أخبرنا سعيد بن أبى أيوب قال حدثنى عقيل عن بن شهاب قال لسان أهل الجنة عربى وإذا خرجوا من قبورهم سريانى وقد تقدم وقال سفيان بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية .

باب منه

فى الحور العين وكلامهن وجواب نساء الأدميات وحسنهن .

ذكر أن الآدميات فى الجنة على سن واحد وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما أشتهت أنفس أهل الجنة .

الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وفى الباب عن أبى هريرة وأبى سعيد وأنس قال أبو عيسى حديث على حديث غريب .

وقالت عائشة رضى الله عنها ان الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وما صلين ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضآت وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصـــدقتن قالت عائشة فغلبنهن والله .

وذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظى انه قال والله الذى لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين اطلعت سوارها من العرش لا طغأ نور سوارها نور

Marfat.com

الشمس والقمر فكيف المسورة وأن ما خلق الله شيئا تلبسه إلا عليه مثل ما عليها من ثياب وحلى .

وقال أبو هريرة ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهى تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .

وقال ابن عباس ان فى الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بزقت فى البحر لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى عز وجل .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه وصف حوراء ليلة الإسراء فقال ولقد رأيت جبينها كالهلال فى طول البدر منها ألف وثلاثون ذراعاً فى رأسها مائة ضفيرة ما بين الضفيرة والضفيرة سبعون ألف ذؤابة والذؤابة أضوأ من البدر مكلل بالدر وصفوف الجواهر على جبينها سطران مكتوبان بالدر الجوهر فى السطر الأول . بسم الله الرحمن الرحيم وفى السطر الثانى من أراد مثلى فليعمل بطاعة ربى فقال لى جبريل يا محمد هذه وأمثالها لأمتك فابشر يا محمد وبشر أمتك وأمرهم بالإجتهاد . وذكر الختلى أبو القاسم قال حدثنا إبراهيم بن أبى بكر حدثنا أبو اسحاق حدثنى محمد بن صالح قال : قال عطا السلمى لمالك بن دينار يا أبا يحيى شوقنا . قال ياعطا . أن فى الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من حسنها لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن أخرهم من حسنها قال فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين يوما .

ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودى عن ابن مسعود قال ان المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقيها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء قال وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم عن حبان بن أبى جبلة قال أن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن فى الدنيا وروى مرفوعاً أن الأدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف .

Marfat.com

باب ماجاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار إلى قوله ولهم فيها أزواج مطهرة » . وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول قال : حدثنا الخطاب أبو الخطاب حدثنا سهل ابن حماد أبو عتاب ، قال : حدثنا جرير بن أيوب البجلى حدثنا الشعبى عن نافع بن بردة عن أبى مسعود الغفارى ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يصـــوم يوماً من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله حور مقصورات فى الخيام على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ويعطى سبعين لوناً من الطيب ليس منهن لون على ريح الأخر لكل امرأة منهن سبعون سريراً من ياقوتة حمراء موشحة بالدر والياقوت على كل سرير سبعون فراشاً على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة لذة لم تجد لأوله ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر هذا بكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ماعمل من الحسنات(١) .

وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للشهيد عند الله ست خصال الحديث وفيه ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، وقد تقدم فى باب ما ينجى من أهوال القبر وفتنته .

قال المؤلف رحمه الله وهذا يؤيد ما ذكرناه فى حديث أبى هريرة لكل واحد منهم زوجتان ، أن ذلك من نساء الدنيا ، وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الآخرة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة ويقال : مهر الحور العين كنس المساجد . رفعه الثعلبى من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كنس المساجد مهور الحور العين ، وعن أبى قرصافة أيضاً سمعت النبى صلى

---

(١) موضوع لا أصل له

Marfat.com

الله عليه وسلم يقول : إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين ، القمامة : الكناسة ، والجمع قمامة قاله الجوهرى .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مهور الحور العين قبضات(١) التمر وفلق الخبز ، ذكره الثعلبى أيضاً ، وقال أبو هريرة : يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسوة .

وقال محمد بن النعمان المقرى : كنت قاعداً عند الجلا المقرى بمكة فى المسجد الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقة فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ، فقلنا : لا ، فقال : ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها فقال : لمن أنت ، فقالت : أنا الحور التى ابتعتنى من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة هذا الثمن فما تحلى أنا منك قال : ألف ختمة قال الجلا : فهو يعمل فيها بعد .

وروى عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له سعيد ، وكانت له أم من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلفه فإذا غلب عليه النوم ونعس تناديه والدته : يا سعيد : إنه لا ينام من يخاف النار ويخطب الحور الحسان فيقوم مرعوباً .

ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل ، قال : رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء أمة الله ، فقلت لها : زوجينى نفسك ، فقالت : اخطبنى من عند ربى وامهرنى فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التهجد ، وأنشدوا :

يا خاطب الحور فى خدرها ... وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وحالف الوحدة فى ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانا صدرها

---

(١) كناية عن الصدقة يعنى التمرة أو كسرة الخبز كما دل عليه الخبر بعده

Marfat.com

وهى تمـاشى بين أترابهـــا وعقـــدها يشرق فى نحرها
لهـان فى نفسك هذا الذى تراه فى دنيـاك من زهـــرها

وقال مضر القارىء : غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى فرأيت فى منامى فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت : أتقرأ أيهـا الشيخ ؟ قلت : نعم ، فقالت : اقرأ هذا الـكتاب ، ففتحته فإذا فيه مكتوب : فوالله ماذكرته قط إلا ذهب عنى النوم :

ألهتك اللـــذائذ والأمانى عن الفردوس والظل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجـــد بالقران

وقال مالك بن دينار : كان لى أحزاب أقرأها كل ليلة ، فنمت ذات ليلة ، فإذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلى الرقعة ، فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات :

لهـاك النوم عن طلب الأمانى وعن تلك الأوانس فى الجنـان
تعيش مخـلداً لا موت فيها وتلهو فى الخيـام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجـــد بالقران

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى وكان قد بكى شوقا إلى الله ستين عاماً ، قال : رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم فى كل زمان سبحانه سبحانه ، قال : فقلت : من أنتن ؟ قلن : خلق من خلق الله سبحانه ، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟ فقلن :

يناجون رب العالمين لحقهم وتسرى هموم القوم والناس نوم
ذرأنا إله الناس رب محمـــد لقوم على الأقدام بالليل قوم

فقلت : بخ . بخ لهو من هؤلاء ، لقد أقر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟ فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر

باب فى الحور العين ومن أى شىء خلقن

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الحور العين من أى شىء خلقن .فقال من ثلاثة أشياء أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلاهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : سألت جبريل عليه السلام فقلت أخبرنى كيف يخلق الله الحور العين فقال لى يا محمد يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام أول مايخلق الله منهن نهداً من مسك أذفر أبيض عليه يلتام البدن وروى عن ابن عباس أنه قال ؛ خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثديها من المسك الأذفر ومن ثديها إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان إذا أقبلت يتلألا وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألا الشمس لأهل الدنيا وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها . فى رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهى تنادى هذا ثواب الأولياء . جزاء بما كانوا يعملون(١) .

باب إذا ابتكر الرجل امرأة فى الدنيا كانت زوجته فى الآخرة

ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت ابن بكر الصديق رضى الله عنهما امرأة الزبير ابن العوام كانت تخرج عليه حتى عوتب فى ذلك قال : وغضب عليها وعلى ضرتها فعقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضرباً شديداً وكانت الضرة أحسن اتقاء وكانت أسماء لا تتقى .فكان الضرب بها أكثر. تشكت إلى أبيها أبى بكر فقال لها : أى بنية أصبرى فإن الزبير رجل صالح . ولعله أن يكون زوجك فى الجنة .

---

(١) سبق أن نبهنا على مثل هذه الأخبار مرارا. احمد مرسى .

Marfat.com

ولقد بلغنى أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها فى الجنة قال أبو بكر بن العربى هذا حديث غريب ذكره فى أحكام القرآن له . فإن كانت المرأة ذات أزواج فقيل أن من مات عنها من الأزواج أخراهن له .قال حذيفة لامرأته ان سرك أن تكونى زوجتى فى الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تتزوجى من بعدى فإن المرأة لآخر أزواجها فى الدنيا .

وخطب معاويه بن أبى سفيان أم الدرداء فأبت(١) وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : المرأة لآخر أزواجها فى الجنة وقال لى إن أردت أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتزوجى من بعدى .

وذكر أبو بكر النجاد قال حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عبيد بن اسحاق العطار حدثنا سنان بن هارون عن حميد عن انس أن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت : يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان فى الدنيا ثم يموتون ويجتمعون فى الجنة لأيهما تكون . الأول أو للآخر ؟ قال لأحسنهما خلقا كان معها ياأم حبيبة . ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة . وقيل أنها تخير إذا كانت ذات أزواج .

باب ما جاء أن فى الجنة أكلا وشربا ونكاحا حقيقة

ولا قذر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا : فما بال الطعام قال : جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد وفى رواية والتكبير كما يلهمون النفس .

الترمذى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع قيل يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مايه وفى الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) ان اباء هذه الصحابية الفاضلة رضى الله تعالى عنها خطبة الزواج المعروض رغم مظاهر السعادة العاجلة مافيه . . فقد آثرت مايبقى على ما يفنى . أحمد مرسى

Marfat.com

وذكر الدارمى فى مسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة ماية رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة فقال رجل من اليهود أن الذى يأكل ويشرب يكون منه الحاجة قال ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضمر .

وذكر المخرمى عبد الله بن أيوب قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن زبن ابن الحوارا وهو زيد بن العمى عن ابن عباس قال : قلنا يا رسول الله أتفضى إلى نسائنا فى الجنة كما نفضى إليهن فى الدنيا قال أى والذى نفسى بيده أن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى ماية عذراء .

خرجه البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة قال : أى والذى نفسى بيده أن الرجل ليفضى فى اليوم الواحد إلى ماية عذراء . وخرج عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ ان أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن رجل عن أبى قلابة قال يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأ « شراباً طهورا » أبو محمد الدارمى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه الله اثنين وسبعين زوجة اثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار ما منهن واحدة إلا ولها قبل . قبل شهى وله ذكر لاينثنى قال هشام بن خالد من ميراثه من أهل النار يعنى رجالا دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون . وروى من حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم بذكر لايمل وفرج لايحفى وشهوة لاتنقطع. الدارقطنى عن جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة قال لا . النوم أخو الموت . والجنة لاموت فيها . والله أعلم .

Marfat.com

باب المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنـــة

كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى ، قال حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجة وقال فى ساعة واحدة فى الجنة .

قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم فى هذا ، فقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد . هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وابراهيم النخعى . وقال محمد وقال اسحق بن ابراهيم ، فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبدا ، وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد . والله أعلم .

باب ماجاء أن كل مافى الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا . وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا . وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وذلك قوله عز وجل « ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبيد .

Marfat.com

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا

ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال : يقال للمرأة من أهل الجنة وهى فى السماء . أتحبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا فتقول نعم ، فيكشف لها عن الحجب ويفتح الأبواب بينهـــا وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطىء قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغايب عنها . ولعله يكون بينه وبين زوجته فى الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو مخاصمة فتغضبه زوجته التى فى الدنيا فيشق ذلك عليها وتقول : ويحك دعيه من شرك إنما هو معك ليالى قلايل ، أخرجه الترمذى بمعناه عن معاذ بن جبل ، قال : لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيـــا ، إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب خرجه ابن ماجة أيضاً .

باب ما جاء فى طير الجنة وخيلها وأبلها

الترمذى ، عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ، قال : ذاك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل : فيه طير أعناقها كأعنان الجزر ، فقال عمر : ان هذه لناعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلها أنعم منها ، قال : هذا حديث حسن ، وخرجه الثعلبى ، من حديث أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : ان فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصلف على يد ولى الله فيقول أحدها : ياولى الله رعيت فى مروج الجنة تحت العرش ، شربت من عيون التسنيم ، فكل منى فلا يزان يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها . فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد ، فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى فى الجنة حيث شاء ، فقال عمر يانبى الله ، إنها لناعمة قال أكلها أنعم منها .

Marfat.com

الترمذى . عن سليمان بن بريده ، عن أبيه ، أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من خيل : قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت ألا فعلت ، قال : وسأله رجل فقال : يارسول الله هل فى الجنة من أبل ، قال : فلم يقل له ماقال لصاحبه . ففال إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك .

وخرج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى . قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن زيد قال : كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم « وإذا رأيت(١) ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » .

وذكر ابن المبارك عن شفى بن ماتع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن من نعيم أهل الجنة أنهم ليتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون فى يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لاتروث ولاتبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله وذكر الحديث .

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكبهم ثم تلى قوله تعالى « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » .

وحكى عن عبد الله بن المبارك . خرج إلى غزو فرأى رجلا حزيناً قد مات فرسه فبقى محزوناً ، فقال له بعض إياه بأربعمائة درهم ففعل الرجل ذلك ، أى باعه له ، فرأى من ليلته فى المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس . فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه ، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس ، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم قال : فقص عليه

---

(١) ليس له مفعول ملفوظ ولامقدر ولا منوى بل معناه والله اعلم أن بصرك اينما وقع فى الجنة رأيت نعيما الآيه . أحمد مرسى

القصة فقال له : اذهب فما رأيته فى المنام رأينا، فى اليقظة . قال المؤلف رحمه الله تعالى ، وهذه الحكاية صحيحة لأنها فى معنى ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى مسعود كما ذكرنا .

باب ما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنـــة
وأن الجنة حفت بالريحان

ابن المبارك أنبأنا همام عن قادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمر قال : الحناء سيد ريحان الجنة ، وأن فيها من عناق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها. وقد تقدم عن إبى هريرة موقوفاً ، أن شجرة طوبى تنفتق عن النجائب والثياب . ومثل هذا لايقال من جهة الرأى وإنما هو توقيف فاعلمه .

وذكر أبو بكر أحمد بن على بن ثابت من حديث سعيد بن معن المدنى قال : حدثنامالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة حفها بالريحان وحفف الريحان بالحناء وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء ، وأن المختضب بالحناء لتصلى عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض قال السكرى وتقدس عليه ملائكة الأرض إذا راح هذا حديث منكر لايصح . وفى إسناده غير واحد لا يعرف .

وروى الترمذى فى كتاب الشمائل . حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن على قالا : حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا الحجاج الصواف عن حنان عن أبى عثمان النهدى قال : قال رسول الله ﷺ إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة قال أبو عيسى لا يعرف لحنان غير هذا الحديث ، وقال عبد الرحمن ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل ، حنان الأسدى من بنى أسد بن شريك وهو حنان صاحب الرقيق ، عم مسرهد والد مسدد ، روى عن أبى عثمان النهدى وروى عنه الحجاج بن أبى عثمان الصواف سمعت أبى يقول ذلك . وقد تقدم عن أبى هريرة موقوفاً أن شجرة طوبى تنفتق عن النجائب والثياب ، ومثل هذا كله لا يقال من جهة الرأى وإنما هو توقيف فاعلمه .

Marfat.com

باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنـــة

ابن ماجة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ الشاة من دواب الجنة وفى كتاب البزار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أحسنوا إلى المعزى واميطوا عنها الأذى فإنهـا من دواب الجنة ، وفى التنزيل « وفديناه بذبح عظيم » وإنما سمى عظيم لأنه رعا فى الجنة أربعين عاماً ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه .

باب ما جاء أن للجنة ربضا وريحا وكلاما

البيهقى عن أنس عن النبى ﷺ قال : لمـا خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لهـا تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » خرجه البزار من حديث أبى سعيد الخدرى .

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر . وقال لها تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » فقال طوبى لك منزل الملوك وهذا يروى موقوفاً عن أبى سعيد الخدرى قال : لمـا خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها . قال لها تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » فدخلتها الملائكة . فقالت طوبى لك منزل الملوك ، وروى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمـا خلق الله الجنة قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمى فتكلمت ثم قالت : طوبى لمن رضيت عنه .

النسائى عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له فى ربض الجنة ، وبيت فى وسط الجنة وبيت فى أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت .

وقال عمر بن عبد العزيز والزهدى والكلبي ومجاهد مؤمنوا الجن فى ربض

Marfat.com

ورحاب حول الجنة وليسوا فيها وروى مالك عن مسلم بن ابى مريم عن أبى صالح ، عن أبى هريرة أنه قال نساء كاسيات عاريات مايلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسماية سنة ، هذا موقوف قال أبو عمر بن عبد البر : وقد رواه عبد الله بن نافع الصايغ عن مالك بهـذا الإسناد عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وخرج أبو داود والترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : الا من قتل نفساً معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا . لفظ الترمذى .

قال : وفى الباب عن أبى بكرة قال أبو عيسى حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

وخرج البخارى عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قتل نفسا معاهدا لم يرح رايحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما .

باب ما جاء فى الجنة قيعانا وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله

الترمذى . عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيت ابراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بى فقال ، يا محمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال : وفى الباب ، عن أبى أيوب وهـذا حديث حسن غريب .

ابن ماجة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال : يا أبا هريرة ما الذى تغرس ، قال : غرسا قال : ألا أدلك على غراس خير من هذا ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة .

الترمذى . عن جابر بن عبد الله ، عن النبى صلى الله علية وسلم قال : من قال

Marfat.com

سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

باب ماجاء أن الذكر نفقة بناء الجنة

ذكر الطبرى . فى كتاب آداب النفوس قال : حدثنا الفضل بن الصباح قال : سألت النضر بن اسماعيل فحدثنى عن حكيم بن محمد الأحمسى ، قال : بلغنى أن الجنة تبنى بالذكر فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء . فيقال لهم فى ذلك فيقولون حتى يجينا نفقة ، قال المؤلف رحمه الله : الذكر طاعة الله ، عز وجل فى امتثال أمره واجتناب نهيه .

ودليله ماروى عن النبى ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قل صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير . ذكره أبو عبد الله ، محمد فى أحكام القرآن له ، وذكره أيضا العامرى فى شرح الشهاب له .

ولفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكتا ، ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قاريا مسبحاً ، قال المؤلف رحمه الله ، وهذا والله أعلم لأنه كالمستهزىء والمتهاون ومن اتخذ آيات الله هزوا وقد قال العلماء فى تأويل قوله تعالى : « ولا تتخذوا آيات الله هزوا » أى لاتتركوا أمر الله فتكونوا مقصرين لاعبين ، قالوا : ويدخل فى هذه الآية الاستغفار من الذنب قولا مع الإصرار فعلا . وكذا كل ما كان فى هذا المعنى والله أعلم .

باب مالأدنى أهل الجنة منزلة وما لأعلاهم

مسلم . عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سأل موسى عليه السلام ربه ، فقال : يارب ما ادنى أهل الجنة منزلة ، قال : هو رجل يأتى بعد مايدخل أهل الجنة الجنة ، فيقول : أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا

فيقول رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال فى الخامسة ، رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : يارب فأعلاهم منزلة ، قال : أولئك الذين أردت . غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب الله « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وقد روى موقوفا عن المغيرة قوله .

البخارى . عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر الناس خروجا من النار ، رجل يخرج حبوا ، فيقول له ربه : أدخل الجنة فيقول : رب الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى ، فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات وقد تقدم هذا .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع قصور ، قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وقصر من در ، وقصر من زمرد ، وقصر من ياقوت ، وقصر لاتدركه الأبصار ، وقصر على لون العرش ، فى كل قصر من الحلى والحلل والحور العين مالا يعلمه إلا الله عز وجل ذكره القتبى فى عيون الأخبار له وفى مراسل الحسن عن رسول الله ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه الحديث وقد تقدم .

وخرج الترمذى . عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » قال حديث غريب ، وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه .

وخرج عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء قال : هذا حديث غريب .

Marfat.com

ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير فى ملكه مسيرة ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه . وأرفعهم هو الذى ينظر إلى ربه بالغداة والعشى . وقد تقدم هذا مرفوعا فى الباب عن ابن عمر موقوفا وهذا الباب والذى قبله يدل على أن أدنى أهل الجنة منزلة له الكثير من الزوجات من الحور العين على ما قررناه فيما تقدم والله أعلم .

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخارى . عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول هل رضيتم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى يارب . وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يا ربنا أى شىء أفضل من ذلك ، فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا ، أخرجه مسلم ، بمعناه فى حديث فيه طول .

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى

أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم . عن صهيب ، عن النبى ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى لهم أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيكشف لهم الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية ثم تلى هذه الآية « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

وخرج النسائى عن صهيب قال : قيل لرسول الله هذه الآية « للذين أحسنوا الحسنى زيادة » قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ينادى منادياً أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فقالوا : ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجرنا من النار . قال : فيكشف الحجاب فينظروا إليه

فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقر لأعينهم .

وخرجه أبو داود الطيالسى أيضاً . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً أهل الجنة أن لكم عند الله تعالى موعداً فيقولون : ما هو ألم يبيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة فيقال لهم ثلاثا ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا .

أخبرنا الشيخ الراوية . أبو محمد عبد الوهاب قرأه عليه بثغر الاسكندرية حماه الله قال : قرىء على الحافظ السلفى وأنا أسمع قال أخبرنا الحاجب أبو الحسن ابن العلاف ، حدثنا أبو القاسم بن بشر أن إبنا أبو بكر الآجرى حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق النيسابورى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : ان أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً لم تروه قالوا : وما هو ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم منه ، ثم تلى رسول الله ﷺ « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . »

قال المؤلف : رحمه الله وكذا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل والحارث ابن أبى أسامة عن يزيد بن هارون ، وانفرد مسلم بإخراجه فرواه عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن يزيد بن هارون ورواه نوح بن أبى مريم عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » فقال للذين احسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة قال : والزيادة النظر إلى وجهه الكريم ، فأخطأ فيه خطأ بينا ووهم وهما قبيحا .

Marfat.com

وذكر ابن المبارك . قال : أخبرنا أبو بكر الهلالى الهجيمى قال : سمعت أبا موسى الأشعرى على منبر البصرة يقول : ان الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم أنجزنا الله ما وعدنا فيقول الملِك هل أنجزكم ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول بقى لكم شىء إن الله تعالى يقول «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله تعالى .

(فصـــل) ما رواه النسـائى مرفوعا وكذلك أبو داود الطبالسى ،وأسنداه عن الأجرى وذكره ابن المبارك موقوفا يبين حديث مسلم ، وأن المعنى بقوله : قال الله تعالى قال ملك الله تريدون شيئا أزيدكم أى يزيدكم وقوله فيكشف الحجاب معناه أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال لا إله إلا هو سبحانه عما يقول الزايفون والمبطلون فذكر الحجاب إنما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه وتقدست أسماؤه منزلة عما يحجبه ، إذ الحجب إنما يحيط بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ، ولكن حجبه عن أبصار خلقه ، وبصائرهم . وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء

وروى فى صحيح الأحاديث ، أن الله تعالى إذا تجلى لعباده ورفع الحجب عن أعينهم فإذا رأوه تدفقت الأنهار واصطفت الأشجار : وتجاوبت السرر والغرفات بالصرير والأعين المتدفقات بالخرير واسترسلت الريح المثيرة ، وبثت فى الدور والقصور المسك الأذفر والكافور وغردت الطيور وأشرقت الحور العين . ذكره أبو المعالى فى كتاب الرد له على السجزى ، وقال : وكل ذلك بقضاء الله وقدره وإن لم يكن منها شىء عن الرؤية والنظر ولكن الله تعالى يعرف بما شاء ما شاء من آيات ظمته ودلالات هيبته وذلك بمثابة تدكدك الجبل الذى تجلى الله له. وترضرضه حتى صار رملا هايلا سايلا والله أعلم .

Marfat.com

الله عليه وسلم يقول : إخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين ، القمامة : الكناسة ، والجمع قمامة قاله الجوهرى .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مهور الحور العين قبضات(١) التمر وفلق الخبز ، ذكره الثعلبى أيضاً ، وقال أبو هريرة : يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين بالقمة والتمرة والكسوة .

وقال محمد بن النعمان المقرى : كنت قاعداً عند الجلا المقرى بمكة فى المسجد الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطمار خلقة فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ، فقلنا : لا ، فقال : ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها فى المنام فى حليها وحللها فقال : لمن أنت ، فقالت : أنا الحور التى ابتعتنى من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة هذا الثمن فما تحلى أنا منك قال : ألف ختمة قال الجلا : فهو يعمل فيها بعد .

وروى عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له سعيد ، وكانت له أم من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلفه فإذا غلب عليه النوم ونعس تناديه والدته : يا سعيد : إنه لا ينام من يخاف النار ويخطب الحور الحسان فيقوم مرعوباً .

ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل ، قال : رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء أمة الله ، فقلت لها : زوجينى نفسك ، فقالت : اخطبنى من عند ربى وامهرنى فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التهجد ، وأنشدوا :

يا خاطب الحور فى خدرها ... وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وحالف الوحدة فى ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانا صدرها

---

(١) كناية عن الصدقة يعنى التمرة أو كسرة الخبز كما دل عليه الخبر بعده

Marfat.com

وهى تمشى بين أترابهـــا وعقـــدها يشرق فى نحرها
لهـان فى نفسك هذا الذى تراه فى دنيـاك من زهـــرها

وقال مضر القارىء : غلبنى النوم ليلة فنمت عن حزبى فرأيت فى منامى فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم ومعها رق فقالت : أتقرأ أيهـا الشيخ ؟ قلت : نعم ، فقالت : اقرأ هذا الكتاب ، ففتحته فإذا فيه مكتوب : فوالله ماذكرته قط إلا ذهب عنى النوم :

ألهتك اللـــذائذ والأمانى عن الفردوس والظل الدوانى
ولذة نومة عن خير عيش مع الخيرات فى غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجـــد بالقران

وقال مالك بن دينار : كان لى أحزاب أقرأها كل ليلة ، فنمت ذات ليلة ، فإذا أنا فى المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلى الرقعة ، فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات :

لهـاك النوم عن طلب الأمانى وعن تلك الأوانس فى الجنـان
تعيش مخـلداً لا موت فيها وتلهو فى الخيـام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجـــد بالقران

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدى وكان قد بكى شوقا إلى الله ستين عاماً ، قال : رأيت كأن ضفة نهر يجرى بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ ونبت من قضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم فى كل زمان سبحانه سبحانه ، قال : فقلت : من أنتن ؟ قلن : خلق من خلق الله سبحانه ، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟ فقلن :

يناجون رب العالمين لحقهم وتسرى هموم القوم والناس نوم
ذرأنا إله الناس رب محمـــد لقوم على الأقدام بالليل قوم

فقلت : بخ . بخ لهو من هؤلاء ، لقد أقر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟ فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر

Marfat.com

باب فى الحور العين ومن أى شىء خلقن

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الحور العين من أى شىء خلقن .فقال من ثلاثة أشياء أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلاهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : سألت جبريل عليه السلام فقلت أخبرنى كيف يخلق الله الحور العين فقال لى يا محمد يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام أول مايخلق الله منهن نهداً من مسك أذفر أبيض عليه يلتام البدن وروى عن ابن عباس أنه قال ؛ خلق الله الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألا الشمس لأهل الدنيا وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها . فى رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهى تنادى هذا ثواب الأولياء . جزاء بما كانوا يعملون(١) .

باب إذا ابتكر الرجل امرأة فى الدنيا كانت زوجته فى الآخرة

ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت ابن بكر الصديق رضى الله عنهما امرأة الزبير ابن العوام كانت تخرج عليه حتى عوتب فى ذلك قال : وغضب عليها وعلى ضرتها فعقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضرباً شديداً وكانت الضرة أحسن اتقاء وكانت أسماء لا تتقى .فكان الضرب بها أكثر. تشكت إلى أبيها أبى بكر فقال لها : أى بنية أصبرى فإن الزبير رجل صالح . ولعله أن يكون زوجك فى الجنة .

---

(١) سبق أن نبهنا على مثل هذه الأخبار مرارا. احمد مرسى .

ولقد بلغنى أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها فى الجنة قال أبو بكر بن العربى هذا حديث غريب ذكره فى أحكام القرآن له . فإن كانت المرأة ذات أزواج فقيل أن من مات عنها من الأزواج أخراهن له .قال حذيفة لامرأته ان سرك أن تكونى زوجتى فى الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تتزوجى من بعدى فإن المرأة لآخر أزواجها فى الدنيا .

وخطب معاويه بن أبى سفيان أم الدرداء فأبت[1] وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : المرأة لآخر أزواجها فى الجنة وقال لى إن أردت أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا تتزوجى من بعدى .

وذكر أبو بكر النجاد قال حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عبيد بن اسحاق العطار حدثنا سنان بن هارون عن حميد عن انس أن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت : يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان فى الدنيا ثم يموتون ويجتمعون فى الجنة لأيهما تكون . الأول أو للآخر ؟ قال لأحسنهما خلقا كان معها ياأم حبيبة . ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة . وقيل أنها تخير إذا كانت ذات أزواج .

باب ما جاء أن فى الجنة أكلا وشربا ونكاحا حقيقة

ولا قذر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا : فما بال الطعام قال : جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد وفى رواية والتكبير كما يلهمون النفس .

الترمذى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع قيل يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة ماية وفى الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) ان اباء هذه الصحابية الفاضلة رضى الله تعالى عنها خطبة الزواج المعروض رغم مظاهر السعادة العاجلة مافيه . . فقد آثرت مايبقى على ما يفنى . أحمد مرسى

Marfat.com

وذكر الدارمى فى مسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة ماية رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة فقال رجل من اليهود أن الذى يأكل ويشرب يكون منه الحاجة قال ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضمر .

وذكر المخرمى عبد الله بن أيوب قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن زبن ابن الحوارا وهو زيد بن العمى عن ابن عباس قال : قلنا يا رسول الله أتفضى إلى نسائنا فى الجنة كما نفضى إليهن فى الدنيا قال أى والذى نفسى بيده أن الرجل ليفضي فى الغداة الواحدة إلى ماية عذراء .

خرجه البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله أنفضى إلى نسائنا فى الجنة قال : أى والذى نفسى بيده أن الرجل ليفضى فى اليوم الواحد إلى ماية عذراء . وخرج عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ ان أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن رجل عن أبى قلابة قال يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأ « شراباً طهورا » أبو محمد الدارمى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه الله اثنين وسبعين زوجة اثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار ما منهن واحدة إلا ولها قبل . قبل شهى وله ذكر لاينثنى قال هشام بن خالد من ميراثه من أهل النار يعنى رجالا دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون . وروى من حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم بذكر لايمل وفرج لايحفى وشهوة لاتنقطع. الدارقطنى عن جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة قال لا . النوم أخو الموت . والجنة لاموت فيها . والله أعلم .

Marfat.com

باب المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنـــة

كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن إذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى ، قال حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجة وقال فى ساعة واحدة فى الجنة .

قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم فى هذا ، فقال بعضهم فى الجنة جماع ولا يكون ولد . هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وابراهيم النخعى . وقال محمد وقال اسحق بن ابراهيم ، فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنة كان فى ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبدا ، وقد روى عن أبى رزين العقيلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد . والله أعلم .

باب ماجاء أن كل مافى الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا. وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا . وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وذلك قوله عز وجل « ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبيد .

Marfat.com

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا

ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال : يقال للمرأة من أهل الجنة وهى فى السماء . أنحبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا فتقول نعم ، فيكشف لها عن الحجب ويفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطىء قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغايب عنها . ولعله يكون بينه وبين زوجته فى الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو مخاصمة فتغضبه زوجته التى فى الدنيا فيشق ذلك عليها وتقول : ويحك دعيه من شرك إنما هو معك ليالى قلايل ، أخرجه الترمذى بمعناه عن معاذ بن جبل ، قال : لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب خرجه ابن ماجة أيضاً .

باب ما جاء فى طير الجنة وخيلها وأبلها

الترمذى ، عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ، قال : ذاك نهر أعطانيه الله يعنى فى الجنة ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل : فيه طير أعناقها كأعنان الجزر ، فقال عمر : ان هذه لناعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلها أنعم منها ، قال : هذا حديث حسن ، وخرجه الثعلبى ، من حديث أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال : ان فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصلف على يد ولى الله فيقول أحدها : ياولى الله رعيت فى مروج الجنة تحت العرش ، شربت من عيون التسنيم ، فكل منى فلا يزال يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها . فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد ، فإذا شبع تجمع عظام الطير فيطير يرعى فى الجنة حيث شاء ، فقال عمر بأبى الله ، إنها لناعمة قال أكلها أنعم منها .

Marfat.com

الترمذى . عن سليمان بن بريده ، عن أبيه ، أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل فى الجنة من خيل : قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت ألا فعلت ، قال : وسأله رجل فقال : يارسول الله هل فى الجنة من أبل ، قال : فلم يقل له ماقال لصاحبه . فقال إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك .

وخرج مسلم عن أبى مسعود الأنصارى . قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن زيد قال : كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم « وإذا رأيت[1] ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » .

وذكر ابن المبارك عن شفى بن ماتع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن من نعيم أهل الجنة أنهم ليتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون فى يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لاتروث ولاتبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله وذكر الحديث .

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكبهم ثم تلى قوله تعالى « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا »

وحكى عن عبد الله بن المبارك . خرج إلى غزو فرأى رجلا حزيناً قد مات فرسه فبقى محروناً ، فقال له بعض إياه بأربعمائة درهم ففعل الرجل ذلك ، أى باعه له ، فرأى من ليلته فى المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه فى الجنة وخلفه سبعمائة فرس . فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه ، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس ، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم قال : فقص عليه

---

(١) ليس له مفعول ملفوظ ولامقدر ولا منوى بل معناه والله اعلم أن بصرك اينما وقع فى الجنة رأيت نعيما الآيه . أحمد مرسى

Marfat.com

القصة فقال له : اذهب فما رأيته فى المنام رأيناه، فى اليقظة . قال المؤلف رحمه الله تعالى ، وهذه الحكاية صحيحة لأنها فى معنى ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى مسعود كما ذكرنا .

باب ما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنـــة
وأن الجنة حفت بالريحان

ابن المبارك أنبأنا همام عن قادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمر قال : الحناء سيد ريحان الجنة ، وأن فيها من عناق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها. وقد تقدم عن إبى هريرة موقوفاً ، أن شجرة طوبى تنفتق عن النجائب والثياب . ومثل هذا لايقال من جهة الرأى وإنما هو توقيف فاعلمه .

وذكر أبو بكر أحمد بن على بن ثابت من حديث سعيد بن معن المدنى قال : حدثنامالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة حففها بالريحان وحفف الريحان بالحناء وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء ، وأن المختضب بالحناء لتصلى عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض قال السكرى وتقدس عليه ملائكة الأرض إذا راح هذا حديث منكر لايصح . وفى إسناده غير واحد لا يعرف .

وروى الترمذى فى كتاب الشمائل . حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن على قالا : حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا الحجاج الصواف عن حنان عن أبى عثمان النهدى قال : قال رسول الله ﷺ إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة قال أبو عيسى لا يعرف لحنان غير هذا الحديث ، وقال عبد الرحمن ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل ، حنان الأسدى من بنى أسد بن شريك وهو حنان صاحب الرقيق ، عم مسرهد والد مسدد ، روى عن أبى عثمان النهدى وروى عنه الحجاج بن أبى عثمان الصواف سمعت أبى يقول ذلك . وقد تقدم عن أبى هريرة موقوفاً أن شجرة طوبى تنفتق عن النجائب والثياب ، ومثل هذا كله لا يقال من جهة الرأى وإنما هو توقيف فاعلمه .

Marfat.com

باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنـــة

ابن ماجة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ الشاة من دواب الجنة وفى كتاب البزار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أحسنوا إلى المعزى واميطوا عنها الأذى فإنهـا من دواب الجنة ، وفى التنزيل « وفديناه بذبح عظيم » وإنما سمى عظيم لأنه رعا فى الجنة أربعين عاماً ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه .

باب ما جاء أن للجنة ربضا وريحا وكلاما

البيهقى عن أنس عن النبى ﷺ قال : لمـا خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لهـا تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » خرجه البزار من حديث أبى سعيد الخدرى .

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر . وقال لها تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » فقال طوبى لك منزل الملوك وهذا يروى موقوفاً عن أبى سعيد الخدرى قال : لمـا خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها . قال لها تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » فدخلتها الملائكة . فقالت طوبى لك منزل الملوك ، وروى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمـا خلق الله الجنة قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمى فتكلمت ثم قالت : طوبى لمن رضيت عنه .

النسائى عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت له فى ربض الجنة ، وبيت فى وسط الجنة وبيت فى أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت .

وقال عمر بن عبد العزيز والزهدى والكلبى ومجاهد مؤمنوا الجن فى ربض

Marfat.com

ورحاب حول الجنة وليسوا فيها وروى مالك عن مسلم بن ابى مريم عن أبى صالح ، عن أبى هريرة أنه قال نساء كاسيات عاريات مايلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسماية سنة ، هذا موقوف قال أبو عمر بن عبد البر : وقد رواه عبد الله بن نافع الصايغ عن مالك بهـذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وخرج أبو داود والترمذى عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : الا من قتل نفساً معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا . لفظ الترمذى .

قال : وفى الباب عن أبى بكرة قال أبو عيسى حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

وخرج البخارى عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قتل نفسا معاهدا لم يرح رايحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما .

باب ما جاء فى الجنة قيعانا وأن غراسها سبحان الله والحمد لله

الترمذى . عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيت ابراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بى فقال ، يا محمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال : وفى الباب ، عن أبى أيوب وهـذا حديث حسن غريب .

ابن ماجة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال : يا أبا هريرة ما الذى تغرس ، قال : غرسا قال : ألا أدلك على غراس خير من هذا ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة .

الترمذى . عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال

Marfat.com

سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

باب ماجاء أن الذكر نفقة بناء الجنة

ذكر الطبرى . فى كتاب آداب النفوس قال : حدثنا الفضل بن الصباح قال : سألت النضر بن اسماعيل فحدثنى عن حكيم بن محمد الأحمسى ، قال : بلغنى أن الجنة تبنى بالذكر فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء . فيقال لهم فى ذلك فيقولون حتى يجينا نفقة ، قال المؤلف رحمه الله : الذكر طاعة الله ، عز وجل فى امتثال أمره واجتناب نهيه .

ودليله ماروى عن النبى ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قل صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير . ذكره أبو عبد الله ، محمد فى أحكام القرآن له ، وذكره أيضا العامرى فى شرح الشهاب له .

ولفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكتا ، ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قاريا مسبحاً ، قال المؤلف رحمه الله ، وهذا والله أعلم لأنه كالمستهزىء والمتهاون ومن اتخذ آيات الله هزوا وقد قال العلماء فى تأويل قوله تعالى : « ولا تتخذوا آيات الله هزوا » أى لاتتركوا أمر الله فتكونوا مقصرين لاعبين ، قالوا : ويدخل فى هذه الآية الاستغفار من الذنب قولا مع الإصرار فعلا . وكذا كل ما كان فى هذا المعنى والله أعلم .

باب مالأدنى أهل الجنة منزلة وما لأعلاهم

مسلم . عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سأل موسى عليه السلام ربه ، فقال : يارب ما ادنى أهل الجنة منزلة ، قال : هو رجل يأتى بعد مايدخل أهل الجنة الجنة ، فيقول : أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا

Marfat.com

فيقول رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال فى الخامسة ، رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : يارب فأعلاهم منزلة ، قال : أولئك الذين أردت . غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصداقه من كتاب الله « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وقد روى موقوفا عن المغيرة قوله .

البخارى . عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر الناس خروجا من النار ، رجل يخرج حبوا ، فيقول له ربه : أدخل الجنة فيقول : رب الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى ، فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات وقد تقدم هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع قصور ، قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وقصر من در ، وقصر من زمرد ، وقصر من ياقوت ، وقصر لاتدركه الأبصار ، وقصر على لون العرش ، فى كل قصر من الحلى والحلل والحور العين مالا يعلمه إلا الله عز وجل ذكره القتبى فى عيون الأخبار له وفى مراسل الحسن عن رسول الله ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب فى ألف ألف من خدمه الحديث وقد تقدم .

وخرج الترمذى . عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » قال حديث غريب ، وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه .

وخرج عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء قال : هذا حديث غريب .

Marfat.com

ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير فى ملكه مسيرة ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه . وأرفعهم هو الذى ينظر إلى ربه بالغداة والعشى . وقد تقدم هذا مرفوعا فى الباب عن ابن عمر موقوفا وهذا الباب والذى قبله يدل على أن أدنى أهل الجنة منزلة له الكثير من الزوجات من الحور العين على ما قررناه فيما تقدم والله أعلم .

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخارى . عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول هل رضيتم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى يارب . وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يا ربنا أى شىء أفضل من ذلك ، فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا ، أخرجه مسلم ، بمعناه فى حديث فيه طول .

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى

أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم . عن صهيب ، عن النبى ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى لهم أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيكشف لهم الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية ثم تلى هذه الآية « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

وخرج النسائى عن صهيب قال : قيل لرسول الله هذه الآية « للذين أحسنوا الحسنى زيادة » قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ينادى منادياً أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فقالوا : ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجرنا من النار . قال : فيكشف الحجاب فينظروا إليه

Marfat.com

فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقر لأعينهم .

وخرجه أبو داود الطيالسى أيضاً . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً أهل الجنة أن لكم عند الله تعالى موعداً فيقولون : ما هو ألم يبيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة فيقال لهم ثلاثا ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا .

أخبرنا الشيخ الراوية . أبو محمد عبد الوهاب قرأه عليه بثغر الاسكندرية حماه الله قال : قرىء على الحافظ السلفى وأنا أسمع قال أخبرنا الحاجب أبو الحسن ابن الغلاف ، حدثنا أبو القاسم بن بشر أن إبنا أبو بكر الآجرى حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق النيسابورى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : ان أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً لم تروه قالوا : وما هو ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم منه ، ثم تلى رسول الله ﷺ « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . »

قال المؤلف : رحمه الله وكذا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل والحارث ابن أبى أسامة عن يزيد بن هارون ، وانفرد مسلم بإخراجه فرواه عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن يزيد بن هارون ورواه نوح بن أبى مريم عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » فقال للذين احسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة قال : والزيادة النظر إلى وجهه الكريم ، فأخطأ فيه خطأ بينا ووهم وهما قبيحا .

وذكر ابن المبارك . قال : أخبرنا أبو بكر الهلالى الهجيمى قال : سمعت أبا موسى الأشعرى على منبر البصرة يقول : ان الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم أنجزنا الله ما وعدنا فيقول الملِك هل أنجزكم ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول بقى لكم شىء إن الله تعالى يقول «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله تعالى .

(فصـــل) ما رواه النسائى مرفوعا وكذلك أبو داود الطبالسى ،وأسنداه عن الأجرى وذكره ابن المبارك موقوفا يبين حديث مسلم ، وأن المعنى بقوله : قال الله تعالى قال ملك الله تريدون شيئا أزيدكم أى يزيدكم وقوله فيكشف الحجاب معناه أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ماهو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال لا إله إلا هو سبحانه عما يقول الزايفون والمبطلون فذكر الحجاب إنما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه وتقدست أسماؤه منزلة عما يحجبه ، إذ الحجب إنما يحيط بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ، ولكن حجبه عن أبصار خلقه ، وبصائرهم . وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء

وروى فى صحيح الأحاديث ، أن الله تعالى إذا تجلى لعباده ورفع الحجب عن أعينهم فإذا رأوه تدفقت الأنهار واصطفت الأشجار : وتجاوبت السرر والغرفات بالصرير والأعين المتدفقات بالخرير واسترسلت الريح المثيرة ، وبثت فى الدور والقصور المسك الأذفر والكافور وغردت الطيور وأشرقت الحور العين . ذكره أبو المعالى فى كتاب الرد له على السجزى ، وقال : وكل ذلك بقضاء الله وقدره وإن لم يكن منها شىء عن الرؤية والنظر ولكن الله تعالى يعرف بما شاء ما شاء من آيات ظمته ودلالات هيبته وذلك بمثابة تدكدك الجبل الذى تجلى الله له. وترضرضه حتى صار رملا هايلا سايلا والله أعلم .

Marfat.com

باب منه فى الرؤية

مسلم . عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل ، إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ، وعن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب » أخرجه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وخرج أبو داود عن إبى رزين العقيلى قال : قلت يا رسول الله ، أكلنا يرى الله مخلياً به يوم القيامة . قال نعم . قلت وما آية ذلك فى خلقه قال : ياأبا رزين ، أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به . قلت بلى . قال فالله أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم .

(فصل) قوله إلا رداء الكبراء على وجهه الرداء به هنا مستعار كنى به عن كبريائه وعظمته يبينه الحديث الآخر الكبرياء ردائى ، والعظمة أزارى يريد بذلك صفتى فقوله : رداء الكبرياء يريد صفة الكبرياء فهو بكبريائه وعظمته لايريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه وهم فى جنة عدن قال : معناه البيهقى وغيره . وليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة ، وإنما هى توسعات ووجه المناسبة أن الرداء والأزار ، لما كانا ملازمين للإنسان مخصوصين به ، ولا يشاركه

فيهما غيره عبر عن عظمته وكبريائه بهما لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله تعالى فيهما ألا ترى آخر الحديث فمن نازعنى واحداً منهما قصمته ثم قذفته فى النار .

باب منـــه

وفى سلام الله تعالى عليهم

روى محمد بن المكندر عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم فإذا الرب سبحانه قد أشرف عليهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم » قال : فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم فإذا احتجب عنهم بقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم .

(فصـــل) فوله : قد أشرف عليهم أى أطلع كما يقال فلان مشرف عليك أى مطلع عليك من مكان عال والله تعالى لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتمكن وإنما يوصف من جهة العلو والرفعة فعبر عن اطلاعه عليهم ونظره إليهم بالإشراف ولما كان سبحانه قايلا متكلما وكان الكلام له صفة فى ذاته ، لم يزل ولا يزال فهو يسلم عليهـــم سلاماً هو قول منه ، كما قال تعالى : « سلام قولا من رب رحيم » وقوله : فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة أى لهوا عنه بلذة النظر إلى وجهه الكريم وذلك أن ما دون الله تعالى لا يقاوم تجليه ، ولولا ان الله تعالى يثبتهم ويبقيهم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له ، وقوله حتى يحتجب عنهم يجوز أن يكون معناه حتى يردهم إلى نعيم الجنة الذى نسوه وإلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التى سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذى وعده لهم وتنعموا بشهوات النفوس التى أعدت لهم وليس ذلك إن شاء الله تعالى على معنى الاحتجاب عنهم الذى هو بمعنى الغيبة والإستتار فيكونوا له ناسين وعن شهوده محجوبين ، وإلى نعيم الجنة ساكنين ، ولكنه يردهم إلى

Marfat.com

ما نسوه ولا تحجبهم عما شاهدوه حجبة غيبة واستتار ، يدل على ذلك قوله : بقى نوره وبركته عليهم فى ديارهم وكيف يحجبهم عنه وهو ينعت المزيد عليهم وماوعدهم به من النعيم والنظر إذا صح والحجبة إذا ارتفعت لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق . ولا بين حال الشهـــود والغيبة فرق فيكون محجوبا فى حال الغيبة بل تتفق الأوقات وتتساوى الأحوال فيكون فى كل حال شاهداً وبكل جارحة ناظرا ولا يكون فى حال محجوبا ولا بالغيب موصوفا .

حـــكاية

حكى عن قيس المجنون أنه قيـل له : ندعو لك ليلى ؟ فقال وهل غابت عنى فتدعى ؟ فقيل له : أتحب ليلى ؟ فقال : المحبة ذريعة الوصل وقد وقعت الوصل فأنا ليلى وليلى أنا والله أعلم .

باب منـــه

وبيان قوله تعالى « ولدينا مزيد »

يحيى بن ســـلام قال : أخبرنا رجل من أهل الكوفة عن داود بن أبى هند عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة لينظرون إلى ربهم فى كل جمعة على كثيب من كافور لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جوار يقرؤن القرآن بأحسن أصوات سمعها الأولون والآخرون فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل بيد من شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله تعالى يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها لما يحدث الله إليهم فى كل جمعة .

وخرج عن بكر بن عبد الله المزنى قال : إن أهل الجنة ليزورون ربهم فى مقدار كل عيد كأنه يقول فى كل سبعة أيام مرة فيأتون رب العزة فى حلل خضر ووجوه مشرقة وأساور من ذهب مكللة بالدر والزمرد عليهم أكاليل الذهب ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم ربنا بالكرامة .

Marfat.com

وذكر هودا بن المبارك جميعاً قال ، حدثنا المسعودى عن النهال بن عمرو عن أبى عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : تسارعوا إلى الجمعة فإن الله يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة فى كثيب من كافور أبيض فيكونون معه فى القرب قال ابن المبارك : على قدر تسارعهم إلى الجمعة فى الدنيا .

وقال يحيى بن سلام : كمسارعتهم إلى الجمعة فى الدنيا ، قال يحيى : وسمعت غير المسعودى يزيد فيه وهو قوله تعالى «ولدينا مزيد» وقال الحسن فى قوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » قال : الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل وليس شىء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد لأنهم يرون فيه الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه .

فصل

قال المؤلف رحمه الله قوله فى كثيب يريد أهل الجنة أى هم على كثيب كما فى مرسل الحسن أول الباب وقيل المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه أبو سعيد الخيدرى مرفوعا .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا قال خالد : يقول كثير لئن أشهدنى الله ذلك لأقولن لها أمطرينا جوارى مزينات وقد تقدم من حديث ابن عمرو أكرمهم على الله من ينظر إلى الله غدوة وعشية ، وهذا يدل على أن أهل الجنة فى الرؤية مختلفوا الحال .

وقد روى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال إن لله تعالى عباداً لو حجبهم فى الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها .

باب

نبذ من أقوال العلماء فى تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت فى ذكر الجنة وأهلها

من ذلك قوله تعالى « ونزعنا مافى صدورهم من غل[1] » قال ابن عباس أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذهب

(١) أى حقد كان فى الدنيا .

Marfat.com

الله تعالى ما فى قلوبهم من غل ثم يدخلون المين الأخرى فيغتسلون فيهـــا فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجرى عليهـــم نضرة النعيم ، وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » قال إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما فتجرى عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث أشعارهم أبداً ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما فى بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول « لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » وذكره ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضرة عن على أنه تلى هذه الآية « وسيق[1] الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها » وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فاغتسلوا منها فلم تشعث رءوسهم بعدها أبداً ولم تغير جلودهم بعدها أبداً كأنما دهنوا بالدهن ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يجىء من الغيبة يقولون : أبشر أعدالله لك كذا وكذا ، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى فى الدنيا فتقول له : أنت رأيته ؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم ترجع فتجىء فتنظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فإذا زرابى مبثوثة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه فلولا أن الله قدر ذلك لأذهب بصره

إنما هو مثل البرق ، ثم يقول ـ كما أخبر تعالى « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »

وذكره القتبى فى عيون الأخبار له مرفوعا عن على رضى الله عنه أنه قال :

---

(١) سياق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة أو سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين .

Marfat.com

— •·· —

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » ما هؤلاء الوفد قال : يحشرون ركبانا ثم قال : والذى نفسى بيده أنهم إذا خرجوا من قبورهم ركبوا نوقا عليها رحائل الذهب مرصعة بأنواع الجوهر فتسير بهم إلى باب الجنة قال : وعند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحدى تلك العيون فإذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله كل مافى قلوبهم من غل فإذا بلغ الشراب البطن طهرهم الله به من دنس الدنيا وقذرها فذلك قوله تعالى « وسقاهم ربهم شراباً طهورا » قال : ثم يغتسلون من العين الأخرى فلا تشعث رءوسهم ولا تتغير ألوانهم قال : ثم يضربون حلق أبواب الجنة فلو سمعت الخلائق طنين الأبواب لافتتنوا بها فيبادر رضوان فيفتح لهم فينظرون إلى حسن وجهه فيخرون ساجدين فيقول لهم رضوان يا أولياء الله أنا قيمكم الذى وكلت بكم وبمنازلكم فينطلق بهم إلى قصور من فضة شرافاتهـــا من ذهب يرى ظاهرها من باطنهـــا من النور والرقة والحسن قال فيقول أولياء الله عند ذلك يا رضوان لمن هذا ؟ فيقول : هذا لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحاً ، قال : ثم يريد أحدهم أن يدخل قصره فيقول له رضوان اتبعنى حتى أريك ما أعد الله لك قال فيمر به فيريه قصوراً وخياماً وما أعطاه الله عز وجـــل قال : ثم يأتى به إلى غرفة من ياقوتة من أسفلها إلى أعلاها مائة ذراع قد لونت بجميع الألوان على جنادل الدر والياقوت وفى الغرفة سرير طوله فرسخ فى عرض مثـــل ذلك عليه من الفراش كقدر خمسين غرفة بعضها فوق بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذلك قوله عز وجل « وفرش مرفوعة » وهى من نور والسرير من نور وعلى رأس ولى الله تاج له سبعون ركناً فى كل ركن سبعون ياقوتة تضىء وقد رد الله وجهه كالبدر وعليه طوق ووشاح يتلألأ من نور وقد سور بثلاثة أسورة سوار من الذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فذلك قوله تعالى « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير » وقوله تعالى « جنات عدن يدخلونها » قال ابن عباس الجنات سبع : دار الجلال ، ودار السلام ، وجنة عدن ، وجنة

---

(١) فلعل ذلك الشراب هو الذى غسل به صدر النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين شق فلم يبق به حظ للشيطان وأشار إليه تعالى ألم نشرح لك صدرك والله أعلم .

المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم ، وقيل : إن الجنان أربع لأن الله تعالى قال « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقال بعد ذلك « ومن دونهما جنتان» ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة ، فإن قيل فقد قال جنة المأوى قيل جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل عليه أنه تعالى قال : فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون والجنة اسم الجنس ، فمرة يقال جنة ومرة يقال جنات وكذلك جنة عدن وجنات عدن لأن العدن الإقامة وكلها دار الإقامة كما أن كلها مأوى المؤمنين ، وكذلك دار الخلد ودار السلام لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن وكذلك جنات النعيم وجنة النعيم لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم ذكره الحليمى فى كتاب منهاج الدين له وقال : إنما منعنا أن نجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى لأن الله تعالى إن كان سمى شيئاً من هذه الأسماء جنة فى موضع فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم فى موضع آخر فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتميز جنة من جنة ولكنها للجنان أجمع لا سيما وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعاً ، وقد أثبت لهذه الجنان أبواباً فقال : وفتحت أبوابها ، وقال عليه الصلاة والسلام : إن أبواب الجنة ثمانية فيحتمل أن يكون ذلك ، لأن لكل جنة من الجنان الأربع بابين ، ووصف أهل الجنة فصنفهم صنفين أحدهما السابقون المقربون والآخرون أصحاب اليمين ، فعلمنا أن السابقين أهل الجنتين العليتين فى قوله « ولمن خاف مقام ربه جنتان» وأهل اليمين أهل الجنتين الدنيتين فى قوله : « ومن دونهما جنتان » وبهذا جاءت الروايات .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » إلى قوله « ومن دونهما جنتان قال » فتلك للمقربين وهاتان لأصحاب اليمين وعن أبى موسى الأشعرى نحو ذلك .

قوله تعالى «يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ» قال المفسرون : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفى يده ثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وقال هنا من أساور من ذهب ولؤلؤ وقال فى آية أخرى « وحلوا أساور من فضة »

Marfat.com

وفى الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث تبلغ الوضوء وقرىء لؤلؤا بالنصب على معنى ويحلون لؤلؤا وأساورا جمع أسورة وأسورة واحدها سوار فيها ثلاث لغات ضم السين وكسرها وأسوار ، قال المفسرون : لما كانت الملوك تلبس فى الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك قوله تعالى « ولباسهم فيها حرير »

روى عن يحيى بن سلام عن حماد بن سلمة عن أبى المهزم عن ابى هريرة قال : دار المؤمن فى الجنة درة مجوفة فى وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ بأصبعه أوقال بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان وأخرجه ابن المبارك بهـــذا السند عن حماد عن ابن المهزم قال : سمعت أبا هريرة يقول : إن دار المؤمن فى الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتاً فى وسطها شجرة تنبت الحلل فيذهب فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان ، وقد تقدم هذا المعنى وأبو المهزم ضعيف .

وروى عن أبى هريرة أنه قال : بلغنى أن ولى الله يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبن بصوت مليح تقول التى تلى جسده : أنا أكرم على ولى الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسيه وتقول التى تلى وجهه : أنا أكرم على ولى الله منك ، أنا أرى وجهه وأنت محجوبة لا ترى وجهه وقد تقدم أن من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، من حديث أبى سعيد الخدرى صححه أبو عمرو رحمه الله وقال : هذا عندى على نحو المعنى الذى نزعنا به فى شارب الخمر أنه إذا دخل الجنة لا يشرب فيها خمرا ولا يذكرها ولا يراها ولا تشتهيها نفسه فكذلك لابس الحرير فى الدنيا إن لم يتب منه .

قال المؤلف رضى الله عنه وكذلك من استعمل آنية الذهب والفضة ولم يتب من استعمالها .

وقد روى عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين ، فقيل : ومن الروحانيون يا رسول الله ؟ قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذى أبو عبد الله

Marfat.com

فى نوادر الأصول ، وقد قيل : إن حرمانه الخمر ولباسه الحرير وشربه فى إناء الذهب والفضة واستماعه للروحانيين إنما هو فى الوقت الذى يعذب فى النار ويسقى من طينة الخبال ، فإذا خرج من النار بالشفاعة أو بالرحمة العامة المعبر عنها فى الحديث بالقبضة أدخل الجنة ولم يحرم شيئاً منها لا خمرا ولا حريرا ولا غيره ، لأن حرمان شيء من لذات الدنيا لمن كان فى الجنة نوع عقوبة ومؤاخذة والجنة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة فيها بوجه من الوجوه .

قال المؤلف رحمه الله : وحديث أبى سعيد الخدرى وأبو موسى الأشعرى يرد هذا القول وكما لا يشتهى منزلة من هو أرفع منه وليس ذلك لعقوبة كذلك لا يشتهى خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة .

قوله تعالى «ويلبسون ثياباً خضرا من سندس واستبرق» وقال «عاليهم[1] ثياب سندس خضر واستبرق» الاستبرق : الديباج الصفيق الكثيف ، والسندس : الرقيق الخفيف ، وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ، لأن البياض يبدد النظر ويؤلم والسواد يورم والخضرة لون بين السواد والبياض وتلك تجمع الشعاع .

قوله تعالى «متكئين فيها على الأرائك» الأرائك جمع أريكة وهى السرر فى الحجل ، وقال متكئين على سرر مصفوفة .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج فى شهر واحد ألف حوراً يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا .

وروى عن ابن عباس أنه قال : إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحور سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما أتاها وجدها بكرا ، وكلما رجعت إليه عادت إليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلا لا يكون بينهما منى يأتى من غير منى منه ولا منها .

وقال المسيب بن شريك : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «إنا أنشأنا هن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عربا[2] أترابا» قال : هى عجائز الدنيا أنشأ الله خلقاً جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا ، فلما سمعت عائشة ذلك قالت :

---

(١) وفى قراءة عليهم ثياب سندس .

(٢) جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها وسكن راءه حمزة وكلهن على سن واحد كلهن بنات ثلاث وثلاثين كأزواجهن .

Marfat.com

واوجعاه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس هناك وجع وذكر يحي بن سلام صاحب له عن أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معـــاذ بن جبـل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم مع زوجته فى تـكاة واحدة سبعين عاما فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى اما آن لنا منك دولة بعد فيلتفت إليها فيقول من أنت ؟ فتقول : أنا من اللاتى قال الله تعالى «ولدينا مزيد» فيتحول إليها يتنعم معها سبعين عاما فى تـكأة واحدة فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى اما آن لنا منك دولة بعد فيلتفت إليها فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من اللاتى قال الله تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» فيتحول إليها فيتنعم معها فى تـكاة واحدة سبعين عاماً فهم كذلك يزورون ، قال تعالى « وزوجناهم بحور عين » الحور البيض فى قول قتادة والعامة ، والعين العظام العيون وقال قتادة فى قوله تعالى « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون» يعنى فى الآخرة شغل فاكهون ، قال : يعنى افتضاض العذارى فاكهون ، قال الحسن : مسرورون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون» قوله تعالى « أولئك لهم رزق معلوم » فيه قولان : أحدهما حين يشتهونه ، قاله مقاتل : الثانى بمقدار الغداة والعشى قاله ابن السائب قال الله تعالى « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » قال العلمـاء : ليس فى الجنة ليل ولا نهار وإنمـا هم فى نور أبدا ، وإنمـا يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج ابن الجوزى .

وخرج أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول له من حديث أبان عن الحسن وأبى قلابة قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة من ليل ؟ قال : وماهيجك على هذا قال سمعت الله تعالى يقول فى الكتاب « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » فقلت : الليل بين البكرة والعشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس

---

(٢) متلذذون فى النعمة والفاكهة والتنكير والإبهام دلالة التنظيم لبهجتهم إلخ.

هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو ويأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة قوله تعالى ذكره. فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون » وهى الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس ، وقال مجاهد فى قوله تعالى « ودانية عليهم ظلالها » يعنى ظلال الشجر «وذللت قطوفها تذليلا» أى ذللت ثمارها يتناولون منها كيف شاءوا إن قام ارتفعت بقدره وإن قعد تدلت إليه وإن اضطجع تدلت إليه حتى يتناولها .

وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا شريك عن أبى إسحاق عن البراء « ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا» قال : أهل الجنة يأكلون الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوساً ومضطجعين وكيف شاءوا واحد القطوف قطف بكسر القاف .

وذكر ابن وهب قال : أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن خلق أهل الجنة إذا دخلوا الجنة ستون ذراعاً كالنخلة السحوق يأكلون من ثمار الجنة قياماً .

وذكر يحيى بن سلام عن عثمان عن نعيم بن عبد الله عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده أن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فراشهم فما تصل إلى فى أحدهم حتى يبدل مكانها أخرى قوله تعالى «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب».

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل خادم صحفتان واحـــدة ذهب والأخرى فضة فى كل واحدة لون لا يشبه الأخرى ذكره القتبى فى عيون الأخبار قال المفسرون يطوف على أدناهم منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا ويراع عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة

Marfat.com

من ذهب فيها ألوان من الطعام ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً وأكواب أى ويطاف عليهم بأكواب كما قال تعالى «ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب» قال قتادة : الكوب المدور القصير العنق القصير العروة ، والإبريق المستطيل الطويل العنق الطويل العروة .

وقال ابن عزيز : أكواب أباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب ، قاله الأخفش وقطرب ، وقال الجوهرى فى الصحاح : الكوب كوز لا عروة له ، ونحوه قول مجاهد والسدى وهو مذهب أهل اللغة : التى لا آذان لها ولا عرى «كانت قوارير قوارير من فضة» أى اجتمع فيها صفاء القوارير فى بياض الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير ، قال : وإن تراب الجنة فضة فهى قوارير من فضة ، قاله ابن عباس ، وقال : هى فى صفاء الفضة ، وفى ذلك دليل على أن أرض الجنة من فضة ، إذ المعهود فى الدنيا اتخاذ الآنية من الأرض يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها كالقوارير يرى الشراب من جدر القوارير وهذا لا يكون فى فضة «الدنيا قدروها تقديرا» أى فى أنفسهم فأتتهم على نحو ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط هذا تفسير قتادة .

وقال ابن عباس ومجاهد : أتوا بها على قدر رتبهم بغير زيادة ولا نقصان والمعنى قدرتها الملائكة التى تطوف عليهم ويسقون فيها كأساً أى من كأس كما قال فى الآية الأخرى «إن الأبرار يشربون من كأس» يعنى الخمر ، قال «ويطاف عليهم بكأس من معين» أى من خمر ، والمعين : الماء الجارى الظاهر لا فيها غول ، أى لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها صداع «ولا هم عنها ينزفون» أى لا تذهب عقولهم بشربها ، يقال : الخمر غول للحليم والحرب غول للنفوس أى تذهب بها وقرأ حمزة والكسارى : ينزفون بكسر الزاى من أترف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر كما يقال : احصد الزرع إذا حان حصاده واقطف الكرم إذا حان قطافه ، واركب المهر إذا حان ركوبه ، وقيل : المعنى لا ينفدون شرابهم لأنه دأبهم والكأس عند أهل اللغة اسم شامل لكل إناء مع شرابه فإن كان

فارغ فليس بكأس «كان مزاجها كافورا » قال الكلبي : كافورا عينا فى الجنة يشرب بها أى منها وقيل الباء زائدة والمعنى : يشربها ومنه تنبت بالدهن أى تنبت الدهن وقال «كان مزاجها زنجبيلا » وكانت العرب تستطيب الزنجبيل وتضرب به المثل وبالخمر ممزجين فخاطبهم الله بما كانوا عارفين ويستحبون كأنه يقول لكم فى الآخرة مثل ما تستحبون فى الدنيا إن آمنتم «عينا فيها تسمى سلسبيلا » السلسبيل اسم العين والسلسبيل فى اللغة صفة لما كان غاية فى السلاسة ، وقال تعالى « يسقون من رحيق» يعنى الشراب وهى «الخمر مختوم ختامه مسك » قال مجاهد : يختم به آخر جرعة ، وقيل : المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما فى الكأس وانقطع الختم ذلك مطعم المسك .

وقال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى «ختامه مسك» خلطه ليس بخاتم يختم ألم تر إلى قول المرأة من نسائكم خلطه من الطيب كذا وكذا إنما خلطه مسك ليس بخاتم يختم ذكره ابن المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب .

وذكر ابن المبارك عن أبى الدرداء « ختامه مسك» قال : شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربتهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها وفى ذلك «فليتنافس المتنافسون» أى فى الدنيا بالأعمال الصالحة ، قال « ومزاجه من تسنيم » أى ومزاج ذلك الشراب « عينا يشرب بها المقربون » قال قتادة : يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة ، وتسنيم أشرف شراب فى الجنة ، وأصل التسنيم فى اللغة الارتفاع فهى عين ما تجرى من علو إلى أسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك تسنيم القبور وقد تسنم العيون والمياه فتشرف عليهم تجرى من أعلى العرش يحقق ذلك ما رواه أبو مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبى سهل عن الحسن بن على ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع عيون فى الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التى ذكرها الله «يفجرونها تفجيرا» والأخرى «نضاختان» من فوق العرش إحداهما التى ذكرها الله سلسبيلا والأخرى التسنيم . ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول فى الأصل الاسع والثمانين . وقال : التسنيم للمعذبين خاصة شربا لهم . والكافور

Marfat.com

للأبرار شربا لهـــم والـكافور يمزج للأبرار من التسنيم شرابهم وأما الزنجبيل والسلسبيل فللأبرار منها مزاج هكذا ذكره فى التنزيل وسكت عن ذلك لمن هى له شرب فما كان للأبرار مزاج فهو للمقربين صرفا وما كان للأبرار صرف فهو لسائر أهل الجنة مزاج . والأبرار هم الصادقون **والمقربون** هم الصديقون . قال الحسن : خمر الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل . وفى التنزيل «بكأس من معين **بيضاء** ولذة للشاربين» أى لذيذة يقال شراب لذيذ إذا كان طيبا قوله تعالى : «وعندهم قاصرات الطرف» أى نساء قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم . قال ابن زيد : إن المرأة منهن لتقول لزوجها : وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك وعين عظام العيون الواحـــدة منهن عينا «كأنهن بيض مكنون» أى مصون

وقال الحسن وابن زيد شبههن ببيض تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه أبيض فى صفرة وهو أحسن ألوان النساء . وقيل المراد بالبيض : اللؤلؤ كقوله « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » أى فى إصداقه . وقال « فيهن خيرات حسان » يعنى النساء الواحـدة خيرة وأصل خيرات خيرات فخفف كهين ولين .

ابن المبارك قال : أنبأ الأوزاعى عن حسان بن عطية عن سعيد بن أبى عامر قال : لو أن خيرة من خيرات حسان أطلعت من السماء لأضاءت لها ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها . النصيف : القناع وقوله : حسان أى حسان الخلق . وإذا قال تعالى « حسان » فمن يقدر أن يصف حسنهن حور أى بيض مقصورات أى محبوسات فى الخيام جمع خيمة . وقد تقدم صفتها .

وقال ابن عباس : الخيمة درة مجوفة فرسخ فى مثله لها أربع آلاف مصراع من ذهب . ذكره ابن المبارك : أنبأنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس .

وذكر عن أبى الدرداء : قال الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون بابا كلها در .

Marfat.com

وعن أبي الأحوص « حور مقصورات فى الخيام » قال : الدر المجوف .

وقال الترمذى الحكيم فى قوله تعالى « حور مقصورات فى الخيام » قال : بلغنا فى الرواية أن سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطىء الأنهار لسعتها أربعون ميلا ، وليس لها فى ذلك باب حتى إذا حل ولى الله بالجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله أن أبصار المخلوقين من الملائكه والخدم لم تأخذها فهى مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين ، وذكر الدارقطنى فى كتاب المديح عن المعتمر بن سليمان ، قال : إن فى الجنة نهراً ينبت الجوارى الأبكار والرفرف المجالس قاله قتادة ، وقيل : فضول المجالس .وقال أبو عبيد : الرفرف : العرش. وقال الترمذى الحكيم : إن الرفرف شىء إذا استوى عليه صاحبه رفرف وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالا ورفعاً وخفضاً يتلذذ به مع أنيسته ، فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل فى السماع ، فيروى فى الخبر أنه ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل ، فإذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحاتهم فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل فى السماع بأنواع الأغانى تسبيحاً وتقديساً للملك القدوس فلم تبق شجرة فى الجنة إلا وردت ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح ولم تبق حلقة على باب إلا طنت بأنواع طنينها ولم يبق أجمة من أجام الذهب إلا وقع أهبوب الصوت فى مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق جارية من جوار الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها ويوحى الله تبارك وتعالى إلى الملائكة أن جاوبوهم واسمعوا عبادى الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانين فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة ، ثم يقول الله عز وجل ذكره : يا داوود قم عند ساق العرش تجدنى ، فيندفع داوود بتمجيد ربه بصوت يعم الأصوات ويجليها وتتضاعف اللذة وأهل الخيام من تلك الرفارف تهوى بهم وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغانى ، فذلك قوله تعالى « فهم فى روضة يحبرون »

Marfat.com

وعن يحيى بن أبى كثير فى قوله تعالى « فهم فى روضة يحبرون » وقال : الروضة اللذات والسماع ، قوله تعالى « وعبقرى حسان » العبقرى الفرش له قال ابن عباس : الواحدة عبقرة وهى النمارق أيضا فى قوله تعالى « ونمارق مصفوفة » والزرابى البسط مبثوثة ، معناه : مبسوطة وقيل أى منسوجة بالدر والياقوت ، قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » يعنى أهل الجنة من غير السابقين وأهل الجنة كلهم أصحاب يمين «فى سدر مخضود» وهو الذى نزع شوكه وقد تقدم « وطلح منضود » أى بعضه على بعض وقال المفسرون : الطلح شجر الموز ها هنـــا وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته وإنما خص بالذكر لأن قريشا كانوا يتعجبون من خضرته وكثرة ظلاله من طلح وسدر نخوطبوا ووعدوا لما يحبون مثله ،قاله مجاهد وغيره ، قوله تعالى « ولهم فيها أزواج مطهرة » قال مجاهد : مطهرة من البول والغائط والحيض والنخام والبصاق والمنى والولد ، ذكره ابن المبارك .

أنبأنا ابن جريج عن مجاهد فذكره « وهم فيها خالدون» أى باقون لا خروج لهم منها وقد تقدم .

وقال مجاهد أيضا فى قوله تعالى « على سرر متقابلين قال » لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلا وتحابا ، وقيل : الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد ، وقال ابن عباس : على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ، السرير منها ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة ، وقيل : تدور بأهل المنزل الواحد والله أعلم .

Marfat.com

باب ما جاء فى أطفال المسلمين والمشركين

وذكر أبو عمرو فى كتاب التمهيد والاستذكار وأبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول والمفسرون عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : «كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين» قال : هم أطفال المسلمين ، زاد الترمذى : لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم وقال أبو عمر والجمهور من العلماء : على أن أطفال المسلمين فى الجنة وقد ذهب طائفة من العلماء إلى الوقف فى أطفال المسلمين وأولاد المشركين أن يكونوا فى جنة أو فى نار ، منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهوية لحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأطفال ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين هكذا قال الأطفال ولم يخص طفلا من طفل قال الحليمى فى كتاب منهاج الدين وقد توقف فى ولدان المسلمين من توقف فى ولدان المشركين وقال : إذا كان كل منهم يعامل بما علم الله تعالى منه إنه فاعله لو بلغه فكذلك ولدان المسلمين واحتج بأن صبيا صغيرا مات لرجل من المسلمين فقالت إحدى نساء النبى صلى الله عليه وسلم : طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وما يدريك إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا قال : فهذا يدل على أنه لا يمكن أن يقطع فى أطفال المسلمين بشىء قال الحليمى : وهذا الحديث يحتمل أن يكون إنكار النبى صلى الله عليه وسلم على التى قطعت بأن الصبى فى الجنة لأن القطع بذلك قطع بإيمان أبويه وقد يحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبى ابن كافرين فيخرج هذا على قول من يقول : قد يجوز أن يكون ولدان المشركين فى النار وقد يحتمل أن يكون أنكر ذلك لأنه لم يكن أنزل عليه فى ولدان المسلمين شىء ثم أنزل عليه قوله تعالى : والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ، وقد قرىء : وأتبعناهم ذريتهم ، فأخبر تعالى أن الذين آمنوا فى الحياة الدنيا وجعل ذرياتهم أتباعهم فى الإيمان وأنه يلحق بهم ذرياتهم فى الآخرة ، فثبت بذلك أن ذرارى المسلمين فى الجنة ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : سألت

ربى أن يرينى أهل الجنة وأهل النار فجاءنى جبريل وميكائيل عليهما السلام فى النوم فقالا : انطلق يا أبا القاسم إلى أن قال وأنا أسمع لغط الصبيان ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هم ذرية أهل الإسلام الذين يموتون ، قبل آبائهم يكفل بهم إبراهيم عليه السلام حتى يلحق آباؤهم ، فدل أنهم فى الجنة .

قال المؤلف رحمه الله : الحديث الذى احتجوا به خرجه أبو داوود الطيالسى ، قال : حدثنا قيس بن الربيع ، عن يحيى بن إسحاق .

وعن عائشة بنت طلحة عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بصبى من الأنصار ليصلى عليه فقلت : يارسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوء قط ولم يدره ، فقال : يا عائشة أو لا تدرين أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وخلق لهـــا أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم .

وقالت طائفة : أولاد المسلمين فى الجنة وأولاد المشركين فى النار واحتجوا بما ذكرناه من الآية والحديث ، وبحديث سلمة بن يزيد الجعفى ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أنا وأخى ، فقلنا : يا رسول الله إن أمنـا ماتت فى الجاهليـة وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وتصوم وتفعل وتفعل فهل ينفعها من عملها ذلك شىء ؟ قال : لا قال : فقلنا إن أمنا وأدت أختالنا فى الجاهلية لم تبلغ الحنث فهل ذلك نافع أختنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتم الوائدة والموءودة فإنهما فى النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها . قال أبو عمرو هذا الحديث صحيح من جهة الإسنـاد إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على جواب السائل فى عين مقصودة فكانت الإشارة لها ، وفى بعض طرق حديث سلمة بن زيد فلما رأى ما قد دخل علينا ، قال : وأمى مع أمكما خرجه ورواه أبو داوود الطيالسى فى مسنده عن سلمة بن يزيد ، قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : أمى ماتت وكانت تقرى الضيف وتطعم الجار وكانت وأدت وأداً فى الجاهلية ولها سعة من مال أفينفعها إن تصدقت عنها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

Marfat.com

لاينفع الإسلام إلا من أدركه أنها وماوأدت فى النار ورأى ذلك قد شق على فقال وأم محمد معها ومافيهماخير وخرج أبو نعيم الحافظ وغيره عن ابن مسعود قال جاء . أبنا ملـيكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم **فقالا** يا رسول الله إن أمنا كانت تـكرم الزوج وتعطف على الولد وذكر الضيف غير أنها وادت فى الجاهلية فقال أمكما فى النـار فأدبراوالشريرى فى وجوههما فأمر بهما فرداوالبشرى ترى فى وجوههمارجاء أن يـكون حدث شيء قال أمى مع أمكما وذكر الحديث وروى بقية بن الوليد عن محمد بن يزيد الألمانى قال سمعت عبد الله بن قيس يقول سمعت عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المسلمين فقال هم مع أبائهم قلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وسألته عن ذرارى المشركين فقال مع أبائهم فقالوا بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قال أبو عمر عبد الله بن قيس هذا شامى تابعى ثقة وأما بقية بن الوليد فضعيف وأكثر حديثه مناكير ولـكن هذا الحديث قد روى مرفوعا عن عائشة من غير هذا الوجه قالت عائشة سألت رسول صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين أين هم يوم القيامة قال فى الجنة قالت وسألته عن ولدان المشركين ابن هم يوم القيامة قال فى النار فقلت بجيبة له يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الاقلام قال ربك أعلم بما كانوا عاملين والذى نفسى بيده لئن شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار قال أبو عمر فى طريقه أبو عقيل صاحب لهية لا يحتج بمثله عند أهل العلم .

قال المؤلف رحمه الله : كذا ذكر أبو عمر هذا الحديث بهذا اللفظ وكذلك ذكره أبو أحمد بن على فيما ذكر أبو محمد عبد الحق .

وذكره أبو داوود الطيالسى قال حدثنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة قالت سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين قال هم فى النار يا عائشة قالت فقلت فما تقول فى المسلمين قال هم فى الجنة يا عائشة قالت قلت وكيف ولم يدركو الأعمال ولم تجر عليهم الاقلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ربك أعلم بما كانوا عاملين قال : أبو محمد عبد الحق ويحيي بن المتوكل ضعيف عندهم وبهية لم يرو عنها

Marfat.com

إلا أبو عقيل وقالت طائفة أن الأطفال يمتحنون فى الآخرة واحتجوا بحديث أبى سعيد الخدرى .قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى الهالك فى الفترة والمعتوه والمولود قال : يقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم تلى « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا » الآية ويقول المعتوه رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولاشرا ويقول المولود رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها وادخلوها قال فيردها أو يدخلها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل قال فيقول الله إياى عصيتم فكيف رسلى لو أتتكم .

قال أبو عمر من الناس من يوقف هذا الحديث على أبى سعيد ولا يرفعه منهم أبو نعيم الملاى .

قال المولف رحمه الله ويضعفه من جهـــة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هى دار جزاء ثواب وعقاب وقال الحليمى وهذا الحديث ليس بثابت وهو مخالف لاصول المسلمين لأن الآخرة ليست بدار الامتحان فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة ولا محنة مع الضرورة ولأن الأطفال هناك لايخلو من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء فإن كانوا مضطرين إلى المعرفة فلا يليق بأحوالهم المحنة وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة ابعد .

وقال أبو عمر رحمه الله : هذه الأحاديث من أحاديث الشيوخ وفيها علل وليست من أحاديث الائمة الفقهاء وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعيف فى العلم والنظر مع أنه قد عارضها ما هو أقوى مجيبا منها .

ذكر البخارى حديث أبى رجاء العطاردى عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم الحديث الطويل حديث الدويا وفيه قوله عليه الصلاة والسلام وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد

Marfat.com

على الفطرة فقيل يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وخرج البخارى أيضا فى رواية أخرى عن أبى رجا العطاردى والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس وهذا يقتضى عمومه جميع الناس . قال المؤلف رحمه الله ذهب إلى هذا جماعة من العلماء وهو أصح شيء فى الباب قالوا أولاد المشركين إذا ماتوا صغارا فى الجنة واحتجوا بحديث عائشة ذكره أبو عمر فى التمهيد قالت سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت « ولا تزر وازرة وزر أخرى » قال هم على القنطرة أو قال هم فى الجنة قال المؤلف رحمه الله : هذا حديث مرتب فى غاية البيان وهو يقضى على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى أحاديث صحاح من قوله فى الأطفال الله أعلم بما كانوا عاملين فكان ذلك منه قبل أن يعلم أن أولاد المشركين فى الجنة وقبل أن ينزل عليه ولا تزر وازرة وزر أخرى وقد كان عليه الصلاة والسلام أنزل عليه بمكة « قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أن أتبع إلا ما يوحى إلى » ولم يكشف له عن عاقبة أمرهم وأمر المشركين ثم أنزل عليه « هو الذى أرسل رسوله بالهدى » الآية وأنزل عليه « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون » وأنزل عليه « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب » فاعلمه بأن الذى يفعل به أن يظهره عليهم وقد ذكر ابن سنجر واسمه محمد بن سنجر قال حدثنا هوذة حدثنا عوف عن حسناء بنت معاوية قالت حدثنى عمى قال قلت يا رسول الله من فى الجنة قال النبي فى الجنة والمولود فى الجنة والوئيد فى الجنة والشريد فى الجنة .

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عن الملاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم قال أبو عمر إنما قيل للأطفال اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم من قولهم لهيت فى الشيء أى لم أعتقده كقوله « لاهية قلوبهم » وقالت طائفة أولاد المشركين خدم أهل الجنة وحجتهم ما رواه الحجاج بن نضير عن مبارك بن فضالة بن على بن زيد عن أنس

Marfat.com

عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال أولاد المشركين خـــدم أهل الجنة ذكره أبو عمر قال المؤلف رحمـــه الله وإسناد هذا الحديث ليس بالقوى لـكن يدل على صحة هذا القول أعنى أنهم فى الجنة أو أنهم خدم أهل الجنة ما ذكر جماعة من العلماء بالتأويل أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه فى صور الزر اقروا له بالربوبية وهو قوله «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» ثم أعادهم فى صلب آدم بعد أن أقروا له بأنه لا إله إلا هو ثم يـكتب العبد فى بطن أمه شقيا أو سعيدا على الـكتاب الأول فمن كان فى الـكتاب الأول شقيا عمر حتى يجرى عليه القلم فينقض الميثاق الذى أخذ عليه فى صلب آدم بالشرك ومن كان فى الـكتاب الأول سعيدا عمر حتى يجرى عليه القلم فيؤمن فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من أولاد المسلمين قبل أن يجرى عليه القلم فهم مع أباتهم فى الجنة ومن كان من أولاد المشركين فمات قبل أن يجرى عليه القلم فليس يـكونون مع أباتهم فى النار لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذى أخذ عليهم فى صلب آدم صلى الله عليه وسلم ولم ينقضوا الميثاق .

قال المؤلف رحمه الله وغفر له وهذا أيضا حسن فإنه جمع بين الأحاديث ويـكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يعنى لو بلغوا بدليل حديث البخارى وغيره مما ذكرناه .

وقد روى إبان عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال لم يـكن لهم حسنات فيجزوا بها فيـكونوا من ملوك الجنة ولم يـكن لهم سيئات فيعاقبوا عليها فيـكونوا من أهل النار فهم خدم لأهل الجنة .

ذكره يحيى بن سلام فى تفسيره وأبو داوود الطيالسى فى مسنده وأبو نعيم الحافظ أيضا عن يزيد الرقاشى عن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المشركين لم يـكن لهم ذنوب يعاقبون عليها فيدخلون النار ولم تـكن لهم حسنات يجازون بها فيـكونوا من ملوك الجنـة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من خدم أهل الجنة .

Marfat.com

روى أبو عبد الله الترمذى الحكيم قال حدثنا أبو طالب الهروى قال حدثنا يوسف بن عطية عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولدون على الفطرة على الإسلام كلهم ولكن الشياطين أتتهم فاختالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وخرج من حديث عياض بن حماد المجاشعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى خطبته أن الله أمرنى أن أعلمكم وقال أنى خلقت عبادى كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بى وحرمت عليهم ما أحللت لهم .

قال أبو عبد الله الترمذى وهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار فلما عملت أهواؤهم فيهم اتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية بأهوائهم يميناً وشمالا قال المؤلف رحمه الله وهذا أيضا يقوى ما أخذناه من أن أطفال المشركين فى الجنة وحديث عياض بن حماد خرجه مسلم فى صحيحه وحسبك حسبك.. وللعلماء فى الفطرة أقوال قد ذكرناها فى كتاب جامع أحكام القرآن من سورة الروم والحمد لله .

باب منه

وفى ثواب من قدم ولدا

مسلم عن أبى حسان قال قلت لأبى هريرة رضى الله عنه أنه مات لى إبنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فأخذ بثوبه أوقال بيده كما أخذ أنا بصنيفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال فلا ينتهى حتى يدخله الله وأبويه الجنة .

وخرج أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه أن

Marfat.com

النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه إبن له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اتحبه يا فلان فقال نعم قال احبك الله كما أحبه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقالوا يا رسول الله مات إبنه فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أو لا ترضى أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك فقالوا يا رسول الله أله وحده أم لنا كلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لكلكم ذكره أبو عمر فى التمهيد أيضا وقال هذا حديث ثابت صحيح وخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ قال والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة .

فصل

هذا الحديث يدل على أن صغار أولاد المؤمنين فى الجنة وهو قول أكثر أهل العلم كما بينا فى الباب قبل هذا وهو مقتضى ظاهر قول الله عزوجل « والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم » كما تقدم .

وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم وهذا فما عدا أولاد الأنبياء عليهم السلام فإنه قد تقرر الإجماع على أنهم فى الجنة حكاه أبو عبد الله المازرى ودعاميص جمع دعموص وهو دويبة تغوص فى الماء والجمع دعاميص ودعامص .

قال الأعشى

فما ذنبنا أن حاش لى بحر علكم ... وبحرك ساج لايوارى الدعامصا .

وقد قيل أن الدعموص يراد به الآذن على الملوك المتصرف بين يديهم قال أمية ابن الصلت دعموص أبواب الملوك وجانب للخرق فاتح وهذا هو المراد بالحديث وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار وأدخل الجنة .

Marfat.com

قال المؤلف رحمه الله قوله عليه الصلاة والسلام لم يبلغوا الحنث معناه عند أهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث.

وقد روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم كانوا له حصنا حصينا من النار قال أبوذر قدمت إثنين قال واثنين فقال أبى بن كعب سيد القراء قدمت واحدا قال وواحدا ولكن إنما ذاك عند الصدمة الأولى قال أبو عيسى هذا حديث غريب وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه خرجة ابن ماجة أيضا وفى هذا كله دليل على أن أطفال المسلمين فى الجنة لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم .قال أبوعمر بن عبدالبر وهذا اجماع من العلماء فى أن أطفال المسلمين فى الجنة ولم يخالف فى ذلك إلا فرقة شذت من المجرة فجعلتهم فى المشية وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط .

إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبـــار الأحاد الثقات العدول وأن قوله صلى الله علية وسلم الشقى من شقى فى بطن أمه وأن الملك ينزل فيكتب أجله ورزقه الحديث مخصوص وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد وهو فى بطن أمه ولم يشق بدليل الأحاديث والإجماع وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب أبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب أبائهم ساقط ضعيف مردود بالإجماع والاثار وطلحة بن يحي الذى يرويه ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه .

Marfat.com

باب

ما جاء فى نزل أهل الجنة وتحفهم إذا دخلوها

روى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة قال فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظر إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك حتى بدت نواجذه قال ألا أخبرك بأدامهم قال بلى قال أدامهم بالام ونون قالوا وما هذا قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفا .

وخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه من حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعنى فقلت ألا نقول يا رسول الله فقال اليهودى إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى فقال اليهودى جئت أسألك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شىء إن حدثتك قال أسمع بأذنى فنكث رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعود معه فقال سل فقال اليهودى أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر قال فمن أول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم على أثرها قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت وذكر الحديث .

Marfat.com

فصـــل

قال المؤلف رحمه الله هذا الحديث انفرد به مسلم وهوابين من الحديث الآخر الذى قبله لأنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لليهودى والحديث الذى قبله أخره من قول اليهودى وهو يدخل فى المسند لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم والجبار اسم من أسماء الله تعالى قدأتينا على ذكره فى الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ويكفئها ويقلبها ويميلها من قولك كفأت الإناء إذا كببته وقد تقدم أن أرض المحشر كقرصة النقى ليس فيها علم لأحـــد والنزل ما يعد للضيف من الطعام والشراب ويقال نزل أو نزل بتخفيف الزاى وتثقيلها وقرىء بذلك قوله «نزلا من عند الله» قال أهل اللغة النزل ما يهيا للنزيل والنزيل الضيف . قال الشاعر :

نزيل القوم أعظمهم حقوقا وحق الله فى حق النزيل

وحظ النزيل مجتمع والتحفة ما يتحف به الإنسان من الفواكه والطرف محاسبة وملاطفة وزيادة كبد النون قطعة منه كالإصبع وبالام قدجاء مفسرا فى متن الحديث أنه الثور ولعل اللفظ عبرانية والنون الحوت وهوعربى وفى الخبرعن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد آدام الدنيا والآخرة اللحم ذكره أبو عمر فى التمهيد وذكر ابن المبارك قال أخبرنا بن لهيعة(١) قال حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن أبا الخير أخبره أن ابن العوام مؤذن إيليا أول رجل أذن بإيليا أخبره أنه سمع كعبا يقول إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها أن لكل ضيف جزورا وإنى أجزركم اليوم حوتا وثورا فيجزر لأهل الجنة .

باب

ماجاء أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله والصلاة .

أبو داود الطيالسى قال حدثنا سليم بن معاذ الضبى عن أبى يحيى القتات عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الوضوء ومفتاح الجنة الصلاة .

---

(١) اسمه عبدالله الحضرمى رجل عالم فاضل لكنه كان يحدث من كتبه فاحترقت فحدث من حفظه فخلط . لهذا ضعفوه .

Marfat.com

والبيهقى عن معاذ بن جبل قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : حين بعثه إلى اليمن أنك ستأتى أهل الكتاب فيسألونك عن مفتاح الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله . وفى البخارى وقيل لوهب أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك .

أسنان المفتاح

فصل

قال المؤلف رحمه الله الأسنان عبارة عن توحيد الله وعبادته جميعا وعن توحيده أيضا فقط .

قال الله تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » وقال « إن الذين آمنو وعملوا الصالحات لهم جنات الفردوس نزلا » وهو فى القرآن كثير الإيمان مع العمل وهو مقتضى الحديث الأول حديث جابر رضى الله عنه وعن توحيد الله فقط كما فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق . وذكر الطبرانى من حديث موسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى بن طلحة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر فى كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله الا الله فقال وجبت لك الجنة يقول كلمة الإخلاص .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

الفتن والملاحم وإشراط الساعة

(أول أبواب الفتن)

باب

الكف عمن قال لا إله إلا الله

مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبمـــا جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

باب

مومن کے جان ومال کی حرمت

ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفى تعظيم حرمته عند الله تعالى .

ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى حجة الوداع الا أن أحرم الأيام يومكم هذا وأن أحرم الشهور شهركم هذا وأن أحرم البلد بلدكم هذا الا وأن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا شهركم هذا الاهل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد خوجه مسلم من حديث أبى بكرة وجابر بمعناه .

وخرج بن ماجة أيضا عن عبد الله بن عمر وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب رائحتك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفسى بيده لحرمة المؤمن أعظم عندالله حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا .

مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

Marfat.com

النسائى عن بريدة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم قتل المؤمن عند الله أعظم من زوال الدنيا .

الترمذى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أشار على أخيه بحديده لعنته الملائكة قال حديث حسن صحيح غريب .

باب

ما جاء فى قتل المؤمن والإعانة على ذلك

قال الله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » وقال تعالى : « والذين لايدعون مع الله لها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا » .

وروى عبدالعزيز بن يحيى المدني قال حدثنا مالك بن أنس عن أبى الزناد عن خارجة ابن زيد عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله ﷺ يعظنا ويحدثنا ويقول والذي نفسى بيده ما عمل على وجه الأرض قط عمل أعظم عند الله بعد الشرك من سفك دم حـــرام والذى نفسى بيده أن الأرض لتضج إلى الله تعالى من ذلك ضجيجا تستأذنه فيمن عمل ذلك على ظهرها لتخسف به ذكره أبو نعيم .

قال حدثنا شافع بن محمد بن أبى عوانة الأسفراينى قال حدثنا أحمد بن عبد الجوهرى قال حدثنا على بن حرب قال حدثنا عبد العزيز بن يحي قال حدثنا مالك فذكره أبوداود عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو مؤمن قتل مؤمنا متعمدا .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايزال المؤمن معنقا(١) صالحا مالم يصب دما حراما فإذا أصاب دما حراما بلح قال الهروى بلح أى أعيا وانقطع به يقال بلح الفرس إذا انقطع جريه وبلحت الركية إذ انقطع ماؤها .

---

(١) قوله معنقا بكسر النون أى مسرعا فى طاعة الله منبسطا فى عمله .

Marfat.com

وذكر أبو بكر النيسابورى قال حدثنا زكريا بن يحي قال حدثنا عمرو قال حدثنا الفزازى عن زياد بن أبى زياد الشامى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعان فى قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته أيس من رحمة الله .قال الهروى وفى الحديث من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة قال شقيق هو أن يقول في أقتل أن كما قال عليه الصلاة والسلام كفى بالسيف مثا ممناه شافيا

باب

إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل ومن أبن تجىء والتحذير منها وفضل العبادة عندها .

قال الله تعالى « واتقوا فتنة لاتصيبن الذى ظلموا منكم خاصة » وقال تبارك وتعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » ففى هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن .

مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وعن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم: قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق بإصبعين الإبهام والتى تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وعن أسامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف على أطم(١) من أطام المدينة ثم قال هل ترُون ما أرى إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر أخرجهما البخارى .

البيهقى عن كرز بن علقمة الخزاعى قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) البناء المرتفع

Marfat.com

هل للإسلام من منتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام فقال ثم ماذا قال ثم تقع الفتن كالظلل فقال الرجل كلا والله إن شاء الله قال بلى والذى نفسى بيده لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض قال الزهرى أساود صبا الحية السوداء إذا أراد أن ينهش ارتفع هكذا ثم انصب خرجـــة أبوداود الطيالسى أيضا . قال ابن دحية أبو الخطاب الحافظ هذا الحديث لامطعن فى صحـــة إسناده رواه سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن كرز قراته بجامع قرطبـــة وبمسجد الغدير وبمسجد أبى علاقة على المحدث المؤرخ أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصارى قال سمعت جميع هذا الكتاب وهو جامع الخـــير للإمام سفيان بن عيينة عن الشيخين الجليلين الثقة المفتى أبى محمـد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب والوزير الكاتب الثقه أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف فإلا فرأناه على العدل أبى القاسم حاتم بن محمد التميمى بحق سماعه على الثقة الفاضل أبى الحسن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن فراس رحمه الله بمكة حرسها الله تعالى بالمسجد الحرام بحق سماعه على الثقة أبى جعفر أحمد بن ابراهيم الدبيلى بحق سماعه على الثقة الصالح أبى عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى بحق سماعه من الإمام الفقيه أبى محمد سفيان ابن عيينة . قال المؤلف رحمه الله وقد حدثنى بهذا السند المذكور الفقيه القاضى أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن أجازة عن أبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال وكرز هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعى أســـلم يوم الفتح وعمر طويلا وهو الذى نصب اعلام الحـرم فى خلافة معاوية وإمارة مروان بن الحكم وفيه ثم مه قال ثم تعود الفتن بدل قال ثم ماذا قال ثم تقع الفتن ولم يذكر قول الزهرى إلى آخره . قال الخافظ أبو الخطاب بن دحية قول الرجل ثم مه هنا على الاستفهام أي ثم مايكون ومه فى غير هذا الموضع زجر واسكات كقوله عليه الصلاة والسلام مه أنكن صواحب يوسف وقوله كأنها الظلل ، الظلل السحاب والظلة السحابة ومنه قوله تعالى

Marfat.com

« فأخذهم عذاب يوم الظلة » وقول الرجـــل بجهله كلا والله معناها الجحد بمعنى لا والله وقيل هى بمعنى الزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفسي بيده وبلى رد للنفى استفهاما كان أو خبرا أو نهيا فالاستفهام **ألست بربكم** « وأليس ذلك بقادر » جوابه بلى هو قادر ومقال الخبر « لن تمسنا النار » جوابه قالوا بلى تمسكم ومثال النهى لا تلق زيدا جوابه بلى لا لقيته .

قال أبو الخطاب بن دحية وقوله صبا هكذا قيدناه بضم الصاد وشد الباء على مثال غزا والأساود نوع من الحيات عظام فيها سوداء وهو أخبثها والصب منها التى تنهش ثم ترتفع ثم تنصب شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصب من الحيـات . قال المؤلف رحمه الله الأساود جمع أسود وهو الحية وصبا جمع صاب كغاز وغزا وهو الذى يميل ويلتوى وقت النهش ليكون أنكى فى اللدغ وأشد صبا للسم ويجوز أن يكون جمع أصب وهو الذى كأنه ينصب عند النهش انصبابا والأول من صبا إذا مال والثانى من صب إذا سكب .

مسلم عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا مرعوبا يقول سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه لكى يصلين رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة .

وعن عبيد بن عمير قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يا أصحاب الحجرات سعرت النـــار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا .

قال أبو الحسن القابسى هذا وأن كان مرسلا فإنه من جيد المراسيل وعبيد ابن عمير من أئمة المسلمين .

مسلم عن سالم بن عبدالله أنه قال ياأهل العراق ماأسألكم عن الصغيرة وأركبكم

Marfat.com

للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذى قتل من آل فرعون خطا فقال الله تعالى له «وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا »

وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال العبادة فى الهرج كهجرة إلى .

فصل

قوله ويل للعرب من شر قد اقترب قد تقدم معنى الويل والمراد به هنا الحزن قاله بن عرفة فأخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة فصار ذلك فى غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا فى البرارى بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام وما جاءهم به من الدين والإسلام فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضا وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال «تعالى وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم» ولهذا لما قالت زينب فى سياق الحديث انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم قولها انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون فأما إذا كثر المفسدون وقل الصالحون هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا وينكروا معنى قوله «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره على ما نبينه فإن قيل فقد قال الله تعالى «ألا تزر وازرة وزر أخرى» «وكل نفس بما كسبت رهينة» «لها ما كسبت وعليها»

Marfat.com

ما اكتسبت وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب . وقرىء « واتقوا فتنة لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة وهى قراءة زيد بن ثابت وعلى وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين . والجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ماعليه إذا لم يستطع سوى ذلك .

روى الأئمة عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ليس عليه غيره وذلك أضعف الإيمان .

روى عن بعض الصحابة أنه قال : ان الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم إن هذا منكر لا أرضاه فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه فأما إذا سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه كما ذكرنا وقد جعل الله فى حكمه وحكمته الراضى بمنزلة الفاعل فانتظم فى العقوبة دليله قوله تعالى « إنكم إذا مثلهم » فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى وتبرءوا من ذلك حسب مايلزمهم ويجب لله عليهم غير معتدين سلموا قال الله تعالى «فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم » وقال « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » .

وقال ابن عباس قد أخبرنا الله عز وجل عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا « لم تعظون قوما الله مهلكهم » .

وروى سفيان بن عيينة قال حدثنا سفيان بن سعيد عن مسعد قال بلغنى أن ملكا

أمر أن يخسف بقرية فقال يارب إن فيها فلانا العابد فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتغير وجهه فى ساعة قط . وقال وهب بن منبه لما أصاب داود الخطيئة قال يارب اغفرلى قال قد غفرتها لك وألزمت عارها بنى إسرائيل قال كيف يارب وأنت الحكم العدل الذى لا تظلم أحدا أعمل أنا الخطيئة ويلزم عارها غيرى فأوحى الله تعالى إليه يا داود إنك لما اجترأت على بتلك المعصية لم يعجلوا عليك بالنكرة .

وروى أبو داود عن العرس بن عميرة الكندي عن النبي ﷺ قال : إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها وقال مرة فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وهذا نص فى الغرض وحسن رجل عند الشعبي قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال الشعبي قد شركت فى دمه .

وفى صحيح الترمذى أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده فالفتنة إذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصى وانتشار المنكر وعدم التغيير وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما فى قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا لانساكنكم وبهذا قال السلف رضى الله عنهم . روى ابن وهب عن مالك قال تهجر الأرض التى يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبى الدرداء فى خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها خرجه أهل الصحيح وقال مالك فى موضع آخر إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد فى الأرض وقال إن لزوم الجماعة نجاة وأن قليل الباطل وكثيره هلكة وقال ينبغى للناس أن يغضبوا لأمر الله تعالى فى أن تنتهك فرائضه وحرمه والذى أتت به كتبه وأنبياءه او قال يخالف كتابه .

قال أبو الحسن القابسى الذى يلزم الحق ويغضب لأمر الله تعالى على بينة من

Marfat.com

النجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله قال أبو عمر وروى أشهب بن عبد العزيز قال : قال مالك لا ينبغى الإقامة فى أرض يكون العمل فيها بغير حق والسب للسلف قال أبو عمر أما قول مالك هذا فمعناه إذا وجد بلدا يعمل فيه الحق فى الأغلب وقد قال عمر بن عبد العزيز فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت الأرض والله جورا وظلما قال أبو عمر فأين الهرب إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضى بأقل قوت . وقال منصور بن الفقيه فأحسن :

الخير أجمع فى السكوت وفى ملازمة البيوت
فإذا استوى لك ذا وذا فاقنع له بأقل قوت

وكان سفيان الثورى يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه أنه قال والله ما أدرى أى البلاد أسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة فقيل الشام فقال يشار إليكم بالأصابع أراد الشهرة فقيل له فالعراق قال بلد الجبابرة فقيل له فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال القاضى أبو بكر بن العربى قال شيخى فى العبادة لا يذهب بك الزمان فى مصافاة الأقران ومواصلة الأحزان ولم أر للاخلاص طريقاً أقرب من طريقين إما أن يغلق المرء على نفسه بابه وإما أن يخرج إلى موضع لا يعرف فيه فإن اضطر إلى مخالطة فليكن معهم ببدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه فإن لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت أنشدنى محمد بن عبد الملك الصوفى قال أنشدنى أبو الفضل الجوهرى الخير أجمع فى السكوت .

البيتان قال القاضى ولى فى هذا المعنى شعر :

حاز السلامة مسلم يأوى إلى سكن وقوت
ماذا يؤمل بعد ما يأوى إلى بيت وقيت

Marfat.com

قال المؤلف رحمه الله ولأبي سليمان الخطابي فى هذا المعنى شعر :

آنست بوحدتى ولزمت بيتى فدام الأنس لى ودما السرور
وأدبني الزمان فلا أبالى هجرت فلا أزار ولا أزور
واست بسائل ما دمت حيا أسار الخيل أم ركب الأمير

والشعر فى هذا المعنى كثير وسياتى للعزلة له زيادات بيان من السنة إن شاء الله تعالى وكثرة الخبث ظهور الزنا وأولاد الزنا .

وذكر ابن وهب عن يحى مولى الزبير أنه ذكر أن فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خسف قبل المشرق فقال بعض الناس يارسول الله يخسف الأرض وفيها المسلمون فقال إذا كان أكثر أهلها الخبث قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والاعلان بالمعاصى فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاسقين لقوله عليه الصلاة والسلام ثم بعثوا على نياتهم وفى رواية أعمالهم وقد تقدم هذا فى المعنى فمن كانت نيته صالحة أثيب عليها ومن كانت نيته سيئة جوزى عليها وفى التنزيل « يوم تبلى السرائر » فاعلمه .

Marfat.com

باب

ما جاء فى رحى الإسلام ومتى تدور

أبو داود عن البراء بن ناجية عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن لم يقم لهم دينهم يقم سبعين عاما قال قلت أمما بقى قال مما مضى .

فصل

قال الهروى فى تفسير هذا الحديث قال الحربى ويروى تزول وكأن تزول أقرب لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها وتدور يكون بما يحبون ويكرهون فإن كان الصحيح سنة خمس فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضى الله عنه وإن كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجمل. وإن كانت سنة سبع ففيها كانت صفين غفر الله لهم أجمعين . وقال الخطابى يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت حدث فى الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله لذلك الهلاك يقال الأمر إذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة وقوله ليقم لهم دينهم أى ملكهم وسلطانهم وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بنى أمية من المشرق نحو من سبعين سنة وانتقاله إلى بنى العباس والدين الملة والسلطان ومنه قوله تعالى « ليأخذ أخاه فى دين الملك » أى فى سلطانه وقوله تدور رحى الإسلام دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدائرة التى تطحن لما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس .

Marfat.com

باب

(ما جاء أن عثمان رضى الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة)

الترمذى عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال لما أريد عثمان رضى الله عنه جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه ما جاء بك قال جئت فى نصرتك قال اخرج إلى الناس فاطردهم عنى فإنك خارجا خير لى منك داخل قال فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال : أيها الناس أنه كان فى الجاهلية إسمى فلان بن فلان فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزلت فى آيات من كتاب الله تعالى نزلت « وشهدشاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » إن الله لايهدى القوم الظالمين » ونزلت فى « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » إن لله سيفا مغمودا عنكم وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه نبيكم فالله الله فى هذا الرجل أن تقتلوه فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة ولتسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة قال فقالوا اقتلوا اليهودى وافتلوا عثمان قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

قال المؤلف رحمه الله ومثل هذا من عبد الله لا يكون إلا عن علم من الكتاب أعنى التوراة على ما يأتى أو سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى :

فصل

قال العلماء بالسير والأخبار أنه دخل على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الدار جماعة من الفجار منهم كنانة بن بشر التجيبى فأشعره مشقصا[1] أى قتله به فافتضح الدم على المصحف ووقع على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو

---

(١) المشقص هى السكين العريض .

Marfat.com

السميع العليم وقيل ذبحه رجل من أهل مصر يقال له عمار وقيل ذبحه رومان وقيل قتله الموت الأسود يقال له أيضا الدم الأسود من طغاة مصر فقطع يده فقال عثمان أما والله إنها لأول كف خطت فى المصحف وهذه البلوى التى ثبتت فى الصحيح عن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً(١) وأمرنى بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر ثم جاء آخر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان بن عفان لفظ البخارى ذكره فى مناقب عثمان .

وقد قيل أن الصحيح فى مقتله رضى الله عنه أنه لم يتعين له قاتل معين بل أخلاط الناس وهم رعاع جاءوا من مصر ومن غير قطر وجاء الناس إلى عثمان فيهم عبد الله بن عمر متقلداً سيفه وزيد بن ثابت فقال له زيد بن ثابت إن الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله مرتين قال لاحاجة لى فى ذلك كفوا وكان معه فى الدار الحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة وعبد الله ابن عامر بن ربيعة ومروان بن الحكم كلهم شاك فى السلاح فعزم عليهم فى وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم فقال له الزبير ومروان نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح فضاق عثمان رضى الله عنه من الحصار ومنع من الماء حتى أفطر على ماء البحر الملح قال الزبير بن بكار حاصروه شهرين وعشرين يوما وقال الواقدى حاصروه تسعة وأربعين يوما ففتح الباب فخرج الناس وسلموا له راية فى إسلام نفسه قال سليط بن أبى سليط فنهانا الإمام عثمان عن قتالهم ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها ودخلوا عليه فى أصح الأقوال وقتله من شاء الله من سفلة الرجال .

وروى أبو عمر بن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعو لى بعض أصحابى فقلت أبو بكر قال لا فقلت عمر فقال لا فقلت ابن عمك قال لا فقلت له عثمان قال نعم فلما جاءه قال لى بيده فتنحيت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار

---

(١) الحائط الحديقة والمتنزه

Marfat.com

وحصر عثمان قيل له ألا نقاتل عنك قال لا إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدا وأنا صابر عليه .

وفى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا عثمان لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم قال هذا حديث حسن غريب .

وفيه عن ابن عمر قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان وقال حديث حسن غريب . ويروى أنه دخل عليه عبد الله بن عمر ابن الخطاب قال انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلع نفسك أو نقتلك قال له أمخلد أنت فى الدنيا قال لا قال فهل يزيدون على أن يقتلوك قال لا قال هل يملكون لك جنة أو نارا قال لا قال فلا تخلع قميص الله عليك فيكون سنه كلما كره قوم خليفة خلعوه وقتلوه واختلف فى سنه رضى الله عنه حين قتله من قتله من الفجار أدخلهم الله بجبوحة النار فقيل قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل ابن تسعين سنة وقال قتادة قتل عثمان وهو ابن ست وثمانين وقيل غير هذا وقتل مظلوما كما شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة أهل السنة وألقى على مزبلة فأقام فيها ثلاثة أيام لم يقدر أحد على دفنه حتى جاء جماعة بالليل خفية فحملوه على لوح وصلوا عليه ودفن فى موضع من البقيع يسمى حش كوكب وكان مما حبسه عثمان رضى الله عنه وزاده فى البقيع وكان إذا مر به يقول يدفن فيك رجل صالح . وكان هو المدفون فيه وعمى قبره لئلا يعرف وقتل يوم الجمعة لثمان ليال خلون من ذى الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين قاله الواقدى . وقيل ليلتين بقيتا من ذى الحجة وكانت خلافته إحدى عشر سنة إلا أياما اختلف فيها رضى الله عنه . وقيل إن المتعصبين على عثمان رضى الله عنه من المصريين ومن تابعهم من البلدان كانوا أربعة آلاف وبالمدينة يومئذ أربعون ألفاً وقد اختلف العلماء فيما نزل به مثل نازلة عثمان ألحقه الله جناح المغفرة والرضوان هل يلقى بيده أو يستنصر

Marfat.com

فأجاز جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين أن يستسلم وهو أحد قولى الشافعى وقال بعض العلماء لا يسلم بيده بل يستنصر ويقاتل ولكل من القولين وجه ودليل وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . وقال بعض العلماء ولو اجتمع أهل المشرق والمغرب على نصرة عثمان لم يقدروا على نصرته لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنذره فى حياته فأعلمه بالبلوى التى تصيبه فكان ذلك من المعجزات التى أخبر بوقوعها بعد موته صلى الله عليه وسلم وما قال رسول الله شيئا قط إلا كان .

وقال حسان بن ثابت :

قتلتم ولى الله فى جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتد

فلا ظفرت إيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد

وخرج مسلم فى صحيحه قال وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن حاتم قالا حدثنا معاذ بن معاذ قال حدثنا ابن عوف عن محمد قال : قال جندب جئت يوم الجرعة فإذا رجل جالس فقلت له ليهراقن اليوم ههنا دما فقال ذلك الرجل كلا والله قلت بلى والله قال كلا والله قلت بلى والله فقال ثلاث كلا إنه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنيه قلت بئس الجليس لى أنت منذ اليوم تسمعنى أخالفك وقد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهانى ثم قلت ما هذا الغضب فأقبلت عليه أسائله فإذا الرجل حذيفة .

والجرعة موضع بجهة الكوفة على طريق الحيرة قيده الحفاظ بفتح الجيم والراء وقيده بعض رواة الحفاظ أيضا بإسكان الراء وهو يوم خرج فيه أهل الكوفة متألبين متعصبين ليردوا إلى عثمان بن عفان وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس وكتبوا إلى عثمان لا حاجة لنا فى سعيدك ولا وليدك وكان رده سنة أربع وثلاثين وكتبوا إلى عثمان أن يولى عليهم أبا موسى الأشعرى فلم يزل والياً عليهم إلى أن قتل عثمان ولما سمع بقتله يعلى بن أمية التميمى الحنظلى أبو صفوان

Marfat.com

ويقال أبو خالد أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف وتبوك وكان صاحب الجند وصنعاء أقبل لينصره فسقط عن بعيره فى الطريق فانكسرت فخذه فقدم مكة بعد انقضاء الحج فخرج إلى المسجد وهو كسير على سرير واستشرف إليه الناس واجتمعوا فقال من خرج يطلب بدم عثمان فعلى جهازه فأعان الزبير بأربع مائة ألف وحمل سبعين رجلا من قريش وحمل عائشة رضى الله عنها على جمل اذب ويقال اذب لكثرة وبره اشتراه ابن أمية الحنظلى بمائتى دينارا قاله ابن عبد البر فى الاستيعاب وقال ابن شبة فى كتاب الجمل له اشتراه بثمانين دينارا والأول أصح واسمه عسكر .

وذكر ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه قال كان عبد الله بن أبى ربيعة عاملا لعثمان على صنعاء فلما بلغه خبر عثمان أقبل سريعا لينصره فلقيه صفوان بن أمية وصفوان على فرس وعبدالله بن أبى ربيعة على بغلة فدنا منها الفرس فحادت فطرحت ابن أبى ربيعة فكسرت فخذه فقدم مكة بعد الصرر وعائشة بمكة يومئذ تدعو إلى الخروج تطلب دم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير فى المسجد ثم حمل فوضع على سريره فقال أيها الناس من خرج فى طلب دم عثمان فعلى جهازه . قال فجهز ناساً كثيرا وحملهم ولم يستطع الخروج إلى الجمل لما كان برجله أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى محمد بن عبد الله ابن عبيد عن ابن أبى مليكة عن عبد الله ابن أبى السايب قال رأيت عبد الله بن أبى ربيعة على سرير فى المسجد الحرام يحض الناس على الخروج فى طلب دم عثمان ويحمل من جاء انتهى كلام ابن سعد فى الطبقات ولا تعارض والحمدلله فإنه يحتمل أن يكون خرجا جميعاً فى نصرة عثمان فكسرا أو اجتمعا بمكة وجعلا يجهزان من يخرج والله أعلم .

وكانت عائشة رضى الله عنها حاجة فى السنة التى قتل فيها عثمان وكانت مهاجرة له فاجتمع طلحة والزبير ويعلى وقالوا لها بمكة عسى أن تخرجى رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم ويرعوا نبيهم وهى تمتنع عليهم فاحتجوا عليها بقوله تعالى « لاخير

Marfat.com

فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وقالوا لها إن المتألبين على عثمان بالبصرة كثير فبلغت الأقضية مقاديرها فاصطف الناس للقتال ورموا علياً وأصحابه بالنبال فقال على لا ترموا بسهم ولا تضربوا بسيف ولا تطعنوا برمح فرمى رجل من عسكر القوم بسهم فقتل رجلا من أصحاب على فأتى به إلى على فقال على اللهم اشهد ثم رمى آخر فقتل رجلا من أصحاب على فقال على اللهم اشهد ثم رمى آخر فقال على اللهم اشهد وقد كان على نادى الزبير يا أباعبدالله ادن إلى أذكرك كلاما سمعته أنا وأنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على الأمان فقال على الأمان فبرز فأذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلى بعض إما أنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم فقال الزبير اللهم إنى ما ذكرت هذا إلا فى هذه الساعة وثنى عنان فرسه لينصرف فقال له ابنه عبد الله إلى أين قال أذكرنى على كلاما قاله له رسول الله صلى عليه وسلم قال كلا ولكنك رأيت سيوف بنى هاشم حداد ويحملها رجال شداد قال ويلك ومثلى يعير بالجبن هلم الرمح فأخذ الرمح وحمل فى أصحاب على فقال على افرجوا للشيخ فإنه محرج فشق الميمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لإبنه لا أم لك أيفعل هذا جبان وانصرف وقامت الحرب على ساق وبلغت النفوس إلى التراق فأفرجت عن ثلاثة وثلاثين ألف قتيل وقيل عن سبعة عشر ألف وفيه اختلاف فيهم من الازد أربعة آلاف ومن ضبة ألف ومائة وباقيهم من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة وقتل فيها من أصحاب على نحو من ألف رجل وقيل اقل وقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بنى ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر وهم ينشدون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
والموت أشهى عندنا من العسل

وكان الجمل للراية إلى أن عقر الجمل وكانوا قد ألبسوه الأدراع وقال جملة من أهل العلم أن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب بل فجأة وعلى

سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به لأن الأمر كان انتظم بينهم على الصلح والتفريق على الرضا فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين ويبدوا فى الحرب شجرة فى العسكرين وتختلف السهام بينهم ويصيح الفريق الذى فى عسكر على غدر طلحة والزبير والذى فى عسكر طلحة والزبير غدر على فتم لهم ما أرادوا ودبروه ونشب الحرب فكان كل فريق دافعا لمكرته عند نفسه ومانعا من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة الله إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذا السبيل وهذا هو الصحيح المشهور وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلون من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين .

وفى صحيح مسلم من كتاب الفتن عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان يعنى المشرق وقيل هذا بنصف ورقة بأسانيد منها عن عبد الله بن عمر القواريرى ومحمد بن المثنا باضطراب فى بيت حفصة ثم قال وقال عبد الله بن سعيد فى روايته قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند باب عائشة فقال بيده نحو المشرق الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرنا الشيطان قالها مرتين أو ثلاثا .

وذكر الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده فى الخامس عشر من مسند عائشة رضى الله عنها قال حدثنى محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم أن عائشة رضى الله عنها لما أتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظننى إلا راجعة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا أيتكن تنبح كلاب الحوأب فقال لها الزبير ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس .

وروى أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا وكيع بن الجراح عن عصام بن قدامه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيتكن صاحبة

Marfat.com

الجمل الأذب يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت وهذا حديث ثابت صحيح رواه الإمام المجمع على عدالته وقبول روايته الإمام أبو بكر عبد الله بن أبى شيبة وكذلك وكيع مجمع على عدالته وحفظه وفقهه عن عصام وهو ثقة عدل فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب له عن عكرمة وهو عند أكثر العلماء ثقة عالم وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو إخباره بالشىء قبل كونه. وقوله الأديب أراد الأدب فأظهر التضعيف والعجب من القاضى أبى بكر ابن العربى كيف أنكر هذا الحديث فى كتبه منها فى كتاب العواصم من القواصم وذكر أنه لا يوجد أصلا وأظهر لعلماء المحدثين بإنكاره غباوة وجهلا وشهرة هذا الحديث اوضح من فلق الصبح وأجلى وقد رواه أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فقال حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة فذكره بسنده المتقدم .

وروى أبو جعفر الطبرى قال لما خرجت عائشة رضى الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها على رضى الله عنه جهازاً حسنا وأخرج معها من أراد الخروج واختار عليها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة وجهز معها أخاها محمدا وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها على رضى الله عنه على أميال وسرح معها بنيه يوما .

فصـــل

فإن قيل فلم ترك على الاقتصاص من قتلة عثمان فالجواب إنه لم يكن ولى دم وإنما كان أولياء الدم أولاد عثمان وهم جماعة عمرو وكان اسن ولد عثمان وعمر وابان وكان محدثا فقيها وشهد الجمل مع عائشة والوليد بن عثمان وكان عنده مصحف عثمان الذى كان فى حجره حين قتل ومنهم الوليد بن عثمان ذكر ابن قتيبة فى المعارف أنه كان صاحب شراب وفتوة ومنهم سعيد بن عثمان وكان واليا لمعاوية على خراسان

Marfat.com

فهؤلاء بنو عثمان الحاضرون فى ذلك الوقت وهم أولياء الدم دون غيرهم ولم يتحاكم إلى على أحد منهم ولا نقل ذلك عنهم فلو تحاكموا إليه لحكم بينهم إذ كان أقضى الصحابة للحديث المروى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجواب ثان أنه لم يكن فى الدار عدلان يشهدان على قاتل عثمان بعينه فلم يكن له أن يقتل بمجرد دعوى فى قاتل بعينه ولا إلى الحكم فى ذلك سبيل مع سكوت أولياء الدم عن طلب حقهم ففى تركهم له أوضح دليل وكذلك فعل معاوية حين تمت له الخلافة وملك مصر وغيرها بعد أن قتل على رضى الله عنه لم يحكم على واحد من المتهمين بقتل عثمان بإقامة قصـــاص وأكثر المتهمين من أهل مصر والكوفة والبصرة وكلهم تحت حكمه وأمره ونهيه وغلبته وقهره وكان يدعى المطالبة بذلك قبل ملكه ويقول لا نبايع من يؤوى قتلة عثمان ولا يقتص منهم والذى كان يجب عليه شرعا أن يدخل فى طاعة على رضى الله عنه حين انعقدت خلافته فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط وحيه ومقر النبوة وموضع الخلافة بجميع من كان فيها من المهاجرين والأنصار بطوع منهم وارتضاء واختيار وهم أمم لا يحصون وأهل عقد وحل والبيعة تنعقد بطائفة من أهل الحل والعقد فلما بويع له رضى الله عنه طلب أهل الشام فى شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان وأخذ القود منهم فقال لهم على عليه السلام أدخلوا فى البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه فقالوا لا نستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحا ومساء وكان على فى ذلك أسد رأيا وأصوب قيلا لأن عليا لو تعاطى القود منهم لتعصب لهم قبائل وصارت حربا ثالثة فانتظر بهم إلى أن يستوثق الأمر وتنعقد عليه البيعة ويقع الطلب من الأولياء فى مجلس الحكم فيجرى القضاء بالحق .

قال ابن العربى أبو بكر ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى إلى إثارة فتنة أو تشتيت الكلمة وكذلك جرى لطلحة والزبير فإنهما ماخلعا عليا من ولاية ولا اعترضا عليه فى ديانة وإنما رأوا أن البداية بقتل أصحاب عثمان أولى .

وذكر ابن وهب قال حدثنى حرملة بن عمران عن يزيد بن أبى حبيب أنه سمعه يحدث محمد بن يزيد بن أبى زياد الثقفى قال اصطحب قيس بن خرشه وكعب الكنانى حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة فقال لا إله إلا الله ليهراقن فى هذه البقعة من دماء المسلمين مالم يهرق ببقعة من الأرض فغضب قيس ثم قال وما يدريك يا أبا اسحق ما هذا فإن هذا من الغيب الذى استأثر الله تعالى به فقال كعب ما من شبر من الأرض إلا هو مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى ابن عمران ما يكون عليه إلى يوم القيامة .

أخبرنا شيخنا القاضى لسان المتكلمين أبو عامر يحي بن الشيخ الفقيه الإمام أبى الحسين بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى إجازة عن شيخه المحدث الثقة المؤرخ أبا القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال قال حدثنا جماعة من شيوخنا رحمهم الله منهم الفقيه المفتى أبو محمد بن عنان قال أنبأنا الإمام أبو عمر بن عبد البر فيما أجازه لنا بخطه قال حدثنا خلف بن القاسم قال حدثنا عبدالله بن عمر قال حدثنا أحمد بن يحى قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال حدثنى خالد أبو الربيع وأحمد بن صالح وأحمد بن عمر وابن السرح ويحي بن سليمان قال حدثنا ابن وهب فذكره وأحمد بن محمد بن الحجاج هو ابن رشيد بن سعد أبو جعفر مصرى قال أبو أحمد بن عدى كذبوه وأنكرت عليه أشياء ومحمد بن يزيد بن أبى زياد مجهول قاله الدار قطنى وباقى السند ثقات معروفون .

وأما وقفة صفين فإن معاوية لما بلغه مسير أمير المؤمنين على كرم الله وجهه إليه من العراق خرج من دمشق حتى ورد صفين فى النصف من المحرم فسبق إلى سهولة المنزل وسعة المناخ وقريب الماء من الفرات وبنى قصر البيت ماله وصفين صحرا ذات كدى واكمات وكان أهل الشام قد سبقوا إلى المشرعة من سائر الجهات ولم يكن ثم مشرعة سواها للواردين والواردات فمنعت عليا رضى الله عنه إياها وحمتها عن تلك الكماة فذكرهم بالمواعظ الحسنة والآيات وحذرهم بقول

Marfat.com

النبي صلى الله عليه وسلم فيمن منع فضل الماء بالفلاة فردوا قوله وأجابوه بألسنة الطعاة إلى أن قاتلهم بالقواضب[1] والسمهريات فلما غلبهم عليها رضى الله عنه أباحها للشاربين والشاربات ثم بنى مسجداً على تل بأعلى الفرات ليقيم فيه مده مقامه فرائض الصلوات لفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين من الدرجات على ما ثبت فى الصحيح من رواية ابن عمر وغيره من الصحابة العدول الثقاة وحضرها مع على جماعة من البدريين ومن بايع تحت الشجرة من الصحابة المرضيين. وكان مع على رايات كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتال المشركين وكان مقام على رضى الله عنه ومعاوية بصفين سبعة أشهر وقيل تسعة وقيل ثلاثة أشهر وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفا وقتل فى ثلاثة أيام من أيام البيض وهى ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمسة عشرة ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين .

وذكره الثقة العدل أبو إسحاق وإبراهيم بن الحسين الكسائى الهمدانى المعروف بابن ديزيل وهو الملقب بسفينة وسفينة طائر إذا وقع عل الشجرة لم يقم عنها ويترك فيها شيئا وهو فى تلك الليالى هى ليلة الهرير جعل يهر بعضهم على بعض والهرير الصوت يشبه النباح لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقصفت ثم نزل القوم يمشى بعضهم إلى بعض قد كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقى من السيوف وعمد الحديد فلا تسمع إلا غمغمة القوم والحديد فى الهام ولما صارت السيوف كالمناجل تراموا بالحجارة ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ثم تكادموا بالأفواه وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات ومرت أوقات أربع صلوات لأن القتال كان بعد صلاتهم صلاة الصبح واقتتلوا إلى نصف الليل وذلك فى شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين قال الإمام أحمد بن حنبل فى تاريخه وقال غيره فى شهر ربيع الأول وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألف وكان أهل

---

(١) جمع قضيب السيف الرقيق .

Marfat.com

العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألف ذكره الزبير بن بكار أبو عبد الله القاضى العدل قال حدثنى عمر بن أبى بكر المؤملى عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب عن محمد بن عمرو بن العاص وكان ممن شهد صفين وأبلى فيه وفيه يقول :

فلو شهدت جمـــل مقامى ومشهدى بصفين يوما شاب منها الذوايب
غزاة أتى أهل العراق كأنهـــم من البحر لج موجه متراكب
وجئناهم نمشى كأن صفوفنـــا سحايب غيث رفعتها الجنايب

ويرى : شهاب حريق رفعته الجنايب

وقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا علياً فقلنا بل نرى أن نضارب
وطارت إلينـــا بالرماح كماتهم وطرنا إليهـــم بالأكف قواضب
إذا نحن قلنا أستهزموا عرضت لنا كتايب منهم واشمأزت كـــتايب
فلا هم يولون الظهور فيدبروا فرارا كفعل الخادرات الدرايب

قال ابن شهاب فأنشدت عائشة رضى الله عنها أبياته هذه فقالت ما سمعت بشاعر أصدق شعرا منه .

قال الحافظ ابن دحية قوله بل نرى أن نضارب أن هنا مخففة من الثقيلة محذوفة الإسم تقديره أننا نضارب وقوله كفعل الخادرات الدرايب الخادرات الأسود يقال أسود خادر كأن الأجمة له خدر فمعناه أنهم لايدبرون كالأسود التى لاتدبر عن فرايسها لأنها قد ضربت بها ودربت عليها والدربة الضراوة يقال درب يدرب ورفع الدرايب لأنها بدل من الضمير فى يدبروا قال والإجماع منعقد على أن طائفة الإمام طائفة عدل والأخرى طائفة بغى ومعلوم أن علياً رضى الله عنه كان الإمام(١)

وروى مسلم فى صحيحه قال حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار واللفظ لابن مثنى قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبى سلمة قال سمعت أبا نضرة يحدث عن أبى سعيد الخدرى قال أخبرنى من هو خير منى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اجماع أهل السنة والسلف الصالح على امامة على كرم الله وجهه وان معاوية باغ ظالم ممن حكى الاجماع بالنص على ان معاوية يطلب الباطل وانه باغ الامام النووى فى شرح مسلم . احمد مرسى

Marfat.com

قال لعمار حين جعل يحفر الخندق جعل يمسح رأسه ويقول بؤس بن سمية تقتلك فئة باغية وخرجه أيضاً من حديث إسحق بن إبراهيم وإسحق بن منصور ومحمد بن غيلان ومحمد بن قدامة قالوا أخبرنا النضر بن شميل عن شعبة عن أبي سلمة بهذا الإسناد نحوه غير أن فى حديث النضر قال أخبرنى من هو خير منى أبو قتادة وله طرق غير هذا فى صحيح مسلم .

وقال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب له فى ترجمة عمار وتواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتل عمار الفئة الباغية وهو من أصح الأحاديث .

وقال فقهاء الإسلام فيما حكاه الإمام عبدالقاهر فى كتاب الإمامة من تأليفه وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقى الحديث والرأى منهم مالك والشافعى وأبو حنيفة والأوزاعى والجمهور الأعظم من المتكلمين إلى أن علياً مصيب فى قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته فى قتل أصحاب الجمل وقالوا أيضاً بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم .

وقال الإمام أبو منصور التيمى البغدادى فى كتابه الفرق من تأليفه فى شأن القصة « عقيدة أهل السنة وأجمعوا أن علياً كان مصيباً فى قتاله لأهل صفين كما قالوا بإصابته فى قتل أصحاب الجمل وقالوا أيضاً بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم .

وقال الإمام أبو منصور التيمى البغدادى فى كتاب الفرق فى بيان عقيدة أهل السنة وأجمعوا أن علياً كان مصيباً فى قتال أهل الجمل أعنى طلحة والزبير وعائشة بالبصرة وأهل صفين أعنى معاوية وعسكره .

وقال الإمام أبو المعالى فى كتاب الإرشاد فصل على رضى الله عنه كان إماما حقا فى توليته ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وأن اخطأوه فهو آخر فصل ختم به كتابه وحسبك بقول سيد المرسلين وإمام المتقين

Marfat.com

لعمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية . وهو من أثبت الأحاديث كما تقدم ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوته عنده قال إنما قتله من أخرجه ولو كان حديثا فيه شك لرده معاوية وأنكره وأكذب ناقله وزوره .

وقد أجاب على رضى الله عنه عن قول معاوية بأن قال فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه وهذا من على رضى الله عنه إلزام لاجواب عنه وحجة لا اعتراض عليها قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية .

باب

لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه وفى ظهور الفتن

البخارى عن الزبير بن عدى قال أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يارسول الله أيم هو قال القتل القتل أخرجه البخارى ومسلم .

فصل

قوله يتقارب الزمان قيل معناه قصر الاعمار وقلة البركة فيها وقيل هودنوزمان الساعة وقيل هو قصر مدة الأيام على ماروى أن الزمان يتقارب حتى تكون السنه كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب .

وقال حماد بن سلمة سألت أبا سنان عن قوله يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر وقال ذلك من استلذاذ العيش قال الخطابى يريد والله أعلم زمان خروج

Marfat.com

المهدى ووقوع الأمنة فى الأرض فيما يبسطه من العدل فيها على ما يأتى ويسلة به العيش عند ذلك وتستقصر مدته ولا يزال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدت ويستطيلون أيام المكروه وإن قصرت وقلت والعرب تقول فى مثل هذا . مر بنا يوم كمرقوب القطا قصرا ويلقى الشح بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى عليه ويدعى إليه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أى تقبلها وتعلمها ويجوز يلقى بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها على ما يأتى ولا يجوز أن يكون ياقى بمعنى يوجد لأن الشح ما زال موجودا قبل تقارب الزمان .

باب

ماجاء فى الفرار من الفتن وكسر السلاح وحكم المكره عليها

مالك عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن .

مسلم عن أبى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها ستكون فتن. الاثم تكون فتن الاثم تكون فتن القاعد فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى إليها الا فإذا نزلت أو وقعت فمن كانت له إبل فليلحق بأبله ومن كانت له غنم فيلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه فقال له رجل يارسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال يعمد إلى سيفه فيدق عليه بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت قال فقال رجل يارسول أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بى إلى أحد الصفين أو أحدى الفئتين فيضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى قال يبوء باثمه واثمك ويكون من أصحاب النار وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به قال حديث حسن صحيح .

باب منه

والامر بلزوم البيوت عند الفتن

ابن ماجة عن أبى بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال إن رسول الله

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم قال إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف،فإذا كان ذلك فأت بسيفك أحدا فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية فقدوقعت وفعلت ما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

أبو داود عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافراً القاعد فيها خير من القائم والقـــائم فيهاخير من الساعى قالوا فما تأمرنا قال كونوا احلاس بيوتكم .

فصـــل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كان محمد بن مسلمة رضى الله عنه ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفا من خشب ففعل وأقام بالربذة ومن اعتزل الفتنة أبو بكرة وعبد الله بن عمر وأسامة ابن زيد وأبو ذر وحذيفة وعمران بن حصين وأبو موسى واهبان ابن صيفى وسعد بن أبى وقاص وغيرهم ومن التابعين شريح والنخعى وغيرهما رضى الله عنهم قال المؤلف رحمه الله هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم(١) فكان المصيب منهم له أجران والمخطىء له أجر ولم يكن قتال على الدنيا فكيف اليوم الذى تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلبا للملك والاستكثار من الدنيا فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عن ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة بحق نبيه وآله وأتباعه وصحبه وقوله كونوا أحلاس بيوتكم حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه ومن مراسيل الحسن وغيره عن النبي صلى الله عليه وســـلم أنه قال نعم صوامع المؤمنين بيوتهم وقد

---

(١) أن الجور والفجور وحب الدنيا والرياسة وارتكاب المعاصى لايكون عن اجتهاد أصلا والا امكن إن يدعى ذلك الزانى والسارق والشارب الاجتهاد ايضا إذ لافارق بين الباغى وقاطع الطريق . . . الخ

بنو أمية كان الملك غايتهم فأدركوه بدعوى ثأر عثمان

ومن تأمل الايات والاحاديث فى البغى يكتفى ويشتفى . هدانا الله للصواب ووفقنا للحب فى الله والبغض فيه آمين . احمد محمد مرسى

Marfat.com

تكون العزلة فى غير البيوت كالبادية والكهوف قال الله تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف .

ودخل سلمة بن الأكوع على الحجاج وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان وتزوج امرأة هناك وولدت له أولادا فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بليال فدخل المدينة فقال له الحجاج ارتددت على عقبيك قال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا فى البدو خرجه مسلم وغيره وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون خير مال[1] المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ويتأتى له من أمره وقد كان المعمرى بالمدينة معتزلا وكان مالك مخالطا للناس ثم اعتزل ملكه آخر عمره رضى الله عنه فيروى عنه أنه أقام ثمان عشر سنة لم يخرج إلى المسجد فقيل له فى ذلك فقال ليس كل واحد يمكنه أن يخبر بعذره واختلف الناس فى عذره على ثلاثة أقوال فقيل لئلا يرى المناكير وقيل لئلا يمشى إلى السلطان وقيل كانت به أبردة فكان يرى تنزيه المسجد عنها ذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب سراج المريدين له .

باب منه

وكيف التثبت فى الفتنة والاعتزال عنها وفى ذهاب الصالحين

ابن ماجه عن عديسة بنت أهبان قالت لما جاء على بن أبى طالب هاهنا بالبصرة دخل على أبى فقال يا أبا مسلم ألا تعينى على هؤلاء القوم قال بلى فدعى جاريته فقال يا جارية أخرجى سيفى قالت فأخرجته فسل منه قدر شبر فإذا هو خشب فقال إن خليلى وابن عمك صلى الله عليه وسلم عهد إلى إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفا من خشب فإن شئت خرجت معك قال لا حاجة لى فيك ولا فى سيفك .

وعن زيد بن شرحبيل عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله

---

(١) المحفوظ لنا خير مال المسلم الغنم . احمد مرسى

Marfat.com

عليه وسلم أن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافراً ويصبح كافراً ويمسى مؤمنا والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فكسروا قسيكم وقطعوا أو تاركم وأضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على أحـــد منكم فليكن كخير ابنى آدم أخرجه أبو داود أيضا .

وخرج من حديث سعيد بن أبي وقاص قلت يارسول الله إن دخل على بيتي وبسط يده إليه ليقتلنى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن كخير ابنى آدم وتلى هذه الآية « لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى »

ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتى فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخفت أمانتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشـــبك بين أصابعه قالوا كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك الزمان قال تأخذون بما تعرفون وتدعون بما تنكرون وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عامتكم أخرجه أبو داود أيضا وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده عن محمد بن كعب القرظى أن الحسن بن أبى الحسن حدثه أنه سمع شريحا وهو قاضى عمر بن الخطاب يقول قال عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى عليه وسلم ستغربلون حتى تصيروا فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخربت أماناتهم فقال قائل كيف بنا يا رسول الله قال تعملون بما تعرفون وتتركون ما تنكرون وتقولون أحد أحد انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا غريب من حديث محمد بن كعب والحسن وشريح ما علمت له وجها غير هذا .

النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين اصابعه فقمت إليه فقلت له كيف أصنع عند ذلك يا رسول الله جعلنى الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة خرجه أبو داود أيضا .

Marfat.com

الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ويأتى على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا قال هذا حديث غريب .وفى الباب عن أبى ذر رضى الله عنه .

فصل

قوله يوشك معناه يقرب وقوله فيغربل الناس فيها غربلة عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله والحثالة. ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذى قشر إذا بقى وحثالة الدهن تفله وكأنه الردىء من كل شىء ويقال حثالة وحفالة بالثاء والفاء معا .

كما روى ابن ماجة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنتقون كما ينتقى التمر من اغفاله وليذهبن خياركم وليبقين شراركم فموتوا إن استطعتم .

وخرج البخارى عن مرداس الأسلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله باله وفى رواية لا يعبأ الله بهم يقال ما أباليه بالة وبال وبلى مقصور ومكسور الأول مصدر وقيل اسم أى ما أكترث به والبال الاكتراث والاهتمام بالشىء والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه .

قال أبو الخطاب بن دحية ومرداس وهذا هو مرداس بن مالك الأسلمى من أسلم بفتح اللام سكن الكوفة وهو معدود فى أهلها ولم يحفظ له من طريق صحيح سوى هذا الحديث .

قال المؤلف رحمه الله انفرد به البخارى رحمه الله روى عن قيس بن أبى حازم فى الرقاق ومرجت معناه اختلطت واختلفت والمرج الاختلاط والاختلاف

Marfat.com

باب

الأمر بتعلم كتاب الله واتباع مافيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبـــة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال

أبو داود عن نصر بن عاصم الليثى قال أتينا اليشكرى فى رهط من بنى ليث فقال من القوم قال بنو الليث أتيناك نسألك عن حديث حذيفة فقال أقبلنا مع أبى موسى. قافلين وغلت الدواب بالكوفة قال فسألت أبا موسى الأشعرى أنا وصاحب لى فأذن لنا فقدمنا الكوفة فقلت لصاحبى أنا داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك قال فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل واحد قال فقمت عليهم فجاء رجل فقام إلى جنبى قال فقلت من هذا قال أبصرى أنت قال قلت نعم قال فد عرفت ولو كنت كوفيا لم تسأل عن هذا هذا حذيفة فدنوت منه فسمعت حذيفة رضى الله عنه يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر وعرفت أن الخير لن يسبقنى قال فقلت يا رسول الله بعد هذا الخير شر قال يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات قلت يا رسول الله بعد هذا الخير شر قال فتنة وشر قلت يارسول الله بعد هـــذا الشر خير فقال يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبـــع ما فيه قال قلت يا رسول الله بعد هذا الشر خير قال هدنة على دخن وجماعة على أقذافيهم أو فيها قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هى قال لا ترجع قلوب أقوام على الذى كانت عليه قال قلت يا رسول الله بعد هذا الخير شر قال فتنة[1] عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم .

وخرج أبو نعيم الحافظ عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول خذوا العطاء مادام عطاء فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه يمنعـــكم من ذلك الفقر والحاجة إلا أن رحى الإسلام دائرة فدوروا

---

(١) لعله والله اعلم الفتن التى وقعت بعد قتل عثمان رضى الله عنه والخير الذى بعده ما وقع فى خلافة عمر بن عبد العزيز وبالذى يعرف منهم وينكر الامراء بعده وبالدعاة من قام فى طلب الملك فى الخوارج وغيرهم احمد مرسى

Marfat.com

مع الكتاب حيث دار الا ان الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب الا أنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم إن عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع قال كما صنع أصحاب عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب موت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله خرجه فى باب يزيد بن مرثد غريب من حديث معاذ لم يروه عنه إلا يزيد بن مرثد وعن الرضين بن عطاء .

وخرج البخارى ومسلم وأبو داوود عن أبى إدريس الخولانى أنه سمع حذيفة يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال نعم فقلت هل بعد ذلك من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر[1] فقلت هل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت يارسول الله صفهم لنا قال نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا فقلت يارسول الله فما تأمرنى إن أدركت ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل الفرق كلها ولو إن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

وفى رواية قال تكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جسمان إنس قال قلت فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع لفظ مسلم:

وفى كتاب أبى داود بعد قوله هدنة على دخن قال قلت يا رسول الله ثم ماذا قال إن كان لله خليفة فى الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض فى جذل[2] جرة قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال معه نهر ونار فمن وقع فى ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع فى نهره وجب وزره وحط أجره. قال ثم ماذا قال هى قيام الساعة .

---

(١) أى ترى منهم ماتعرفه انه من دينى وترى منهم ايضا ما تنكر انه من دينى.

(٢) الجذل بالكسر والفتح اصل الشجرة يقطع وقد يجعل العود جذلا .

فصل

قوله على اقذا الاقذا جمع القذ أو القذا جمع قذاة وهو ما يقع فى العين من الأذى فى الطعام والشراب من تراب أو نتن أو غير ذلك فالمراد به فى الحديث الفساد الذى يكون فى القلوب، أى أنهم يتقون بعضهم بعضا ويظهرون الصلح والاتفاق ولكنهم فى باطنهم خلاف ذلك والجذل الأصل كما هو مبين فى كتاب مسلم على أصل شجرة .

باب

إذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار

مسلم عن الأحنف بن قيس قال خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقينى أبو بكرة فقال أين تريد يا أحنف قال فقلت أريد نصرة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى عليا قال فقال لى يا أحنف ارجع فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قال فقلت يارسول الله هذا القاتل فمابال المقتول قال إنه قد أراد قتل صاحبه أخرجه البخارى وفى بعض طرقه أنه كان حريصا على قتل صاحبه .

فصل

قال علماؤنا ليس هذا الحديث فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغى لتعطلت فريضة من فرائض الله وهذا يدل على أن قوله القاتل والمقتول فى النار ليس فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إنما قاتلوا على التأويل قال الطبرى لو كان الواجب فى كل

Marfat.com

اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف لما أفيم جد ولا أبطل باطل ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلا إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بل يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها وأمرنا بكف الأيدى والهرب فيها وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام خذوا على أيدى سفهائكم .

قال المؤلف رحمه الله فحديث أبي بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا وقد جاء هكذا منصوصا فيما سمعناه من بعض مشايخنا إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول فى النار خرجه البزار .

ومما يدل على صحة هذا ما خرجه مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لايدرى القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل فقيل كيف يكون ذلك قال الهرج القاتل والمقتول فى النار فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا أو اتباع هوى كان القاتل والمقتول فى النار فإما قتال يكون على تأويل دينى فلا وإما أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم فيجب على المسلمين توقيرهم والإمساك عن ذكر زللهم ونشر محاسنهم لثناء الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال وقوله الحق «لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» و«قال محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» إلى آخر السورة قال و«لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل» وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق وقيل أن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها فاجتنبوا جميع ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال وربما ندم بعضهم على ترك ذلك كعبدالله بن عمر فانه ندم على تخلفه عن نصرة على بن أبي طالب رضى الله عنهما فقال عند موته ما آسى على شىء ما آسى على تركى قتال للفئة الباغية يعنى فئة معاوية وهذا هو الصحيح أن الفئة الباغية

Marfat.com

إذا علم منها البغى قوتلت قال عبد الرحمن بن أبزى شهدنا صفين مع على فى ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى شهدنا مع على صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم قال وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة يا هاشم تقدم الجنة تحت الأبارقة اليوم ألق الأحبة محمدا وحزبه والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال :

نحن ضربناكم على تنزيـــله فاليوم نضربكم على تأويله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليـــله

أو يرجع الحق إلى سبيله

قال فلم ار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قتلوا فى موطن ما قتلوا يومئذ وسئل بعض المتقدمين عن الدماء التى وقعت بين الصحابة فقال « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانو يعملون » .

وقد أشبعنا القول فى هذه المسألة فى كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة الحجرات والصواب ماذكرناه لك أولا والله أعلم وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال سيكون بين أصحابى فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم إياى ثم يستن بها قوم من بعدهم يدخلون بها النار .

باب

جعل الله بأس هذه الأمة بينها

قال الله تعالى « أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض »[1] مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها

---

(١) أى يقاتل بعضكم بعضاً .

Marfat.com

ومغاربها وأن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض قال ابن ماجة فى سننه يعنى الذهب والفضة وإنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربى قال يامحمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإنى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضا زاد أبو داوود وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى المشركين وحتى يعبد قبائل من أمتى الأوثان وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله .

ابن ماجة عن معاذ بن جبل قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة فأطال فيها فلما انصرف قلنا أو قالوا يارسول الله أطلت اليوم الصلاة قال إنى صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله لأمتى ثلاثا فأعطانى ثنتين ورد على واحدة سألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ألا يهلكهم غرقا فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فرددها على وأخرجه مسلم عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية وفى رواية فى طائفة من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين فصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى ألا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وأخرجه الترمذى والنسائى وصححه واللفظ للنسائى عن خباب بن الأرت وكان شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه راقب رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة كلها حتى كان الفجر فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاء خباب فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت الله فيها لأمتى ثلاث خصال فأعطانى

اثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها وسألت ربى عز وجل ألا يظهر عليها عدوا من غيرنا فأعطانيها وسألت ربى عز وجل ألا يلبسنا[1] شيعا فمنعنيها .

ابن ماجة عن أبى موسى قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بين يدى الساعة لهرجا قال قلت يا رسول الله ما الهرج قال القتل القتل فقال بعض المسلمين يا رسول الله إنا نقتل الآن فى العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بقتل المشركين ولكن بقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته وذكر الحديث والله أعلم .

باب

ما يكون من الفتن وأخبار النبى صلى الله عليه وسلم بها

مسلم عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك فيه شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وأنه ليكون منه الشىء قد نسيته فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .

وخرج أبو داوود أيضا عنه قال والله ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته مسلم عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا أنبأنا فيه عن الفتنة فقال وهو يعد الفتن منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئا ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى.

أبو داوود عن عبد الله بن عمر قال كنا قعودا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر فيها حتى ذكر فتنة للاحلاس فقال قائل يا رسول الله وما فتنة الاحلاس قال هى هرب وحرب[2] ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمى رجل

---

(١) يخلطكم فرقا على اهواء شتى فينشب القتال بينكم .

(٢) الحرب بالتحريك نهب المال بحيث لاتبقى لصاحبه شيء وقد حدث فعلا .

Marfat.com

من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى إنما أولیائى المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع[1] ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا حتى يصير الناس فسطاطين فسطاط إيمان لانفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده

فصل

قول حذيفة قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما وفى الرواية الأخرى مجلسا قدجاء مبينا فى حديث أبى زيد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا احفظنا أخرجه مسلم .

وروى الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر نهارا[2] ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه فظاهر هذا أن ذلك المقام كان من بعد العصر لا قبل ذلك وهذا تعارض فيجوز أن يكون ذلك كله فى يومين فيوم خطب فيه من بعد العصر ويوما قام فيه خطيبا كله ويجوز أن تكون الخطبة من من بعد صلاة الصبح إلى غروب الشمس كما فى حديث أبى زيد واقتصر بعض الرواة فى الذكر على ما بعد العصر كما فى حديث أبى سعيد الخدرى وفيه بعد والله أعلم .

وقوله حتى ذكر فتنة الاحلاس قال الخطابى إنما أضيفت الفتنة إلى الاحلاس لدوامها وطول لبثها يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه هو حلس بيته ويحتمل أن تسمى هذه الفتنة بالاحلاس لسوادها وظلمتها والحرب ذهاب الأهل والمال يقال حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله ومن هذا المعنى أخذ لفظ

---

(١) اى فأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما أى ان هذا الرجل غير خليق بالملك .

(٢) اى أول وقته ليسع خطبته صلى الله عليه وسلم .

Marfat.com

الحرب لأن فيه ذهاب النفوس والأموال والله أعلم والدخن الدخان يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه وقوله كورك على ضلع مثل ومعناه الأمر الذى لا يثبت ولا يستقيم يريد أن هذا الرجل غير خليق بالملك والدهيما تصغير الدهما على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها كما قال (دويهية تصفر منها الأنامل) أى هذه الفتنة سوداء مظلمة ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابة رضى الله عنهم كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير لكن لم يشيعوها إذ ليست من أحاديث الأحكام وما كان فيه شىء من ذلك حدثوا به وتقصوا عنه .

وقد روى البخارى عن أبى هريرة قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم قال أبو عبد الله البلعوم مجرى الطعام .والفسطاط الخيمة الكبيرة وتسمى مدينة مصر الفسطاط والمراد به فى هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى تشبيها بانفراد الخيمة عن الأخرى حملا على تسمية مصر بالفسطاط والله أعلم .

باب

ذكر الفتنة التى تموج موج البحر وقول النبى صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى على يد أغيلمة من سفهاء قريش

ابن ماجة عن شقيق عن حذيفة قال كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة قال حذيفة فقلت أنا فقال إنك لجرى، قال كيف سمعته يقول قلت سمعته يقول فتنة الرجل فى أهله وماله وجاره يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد إنما أريد التى تموج موج البحر قال مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا قال فيفتح الباب أو يكسر قال بل يكسر قال ذلك أجدر أن لا يغلق فقلت لحذيفة أكان عمر يعلم من الباب قال كما يعلم أن دون غد الليلة إنى حدثته حديثا ليس بالأغاليط قال فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق سله

Marfat.com

فسأله فقال عمر أخرجه البخارى ومسلم أيضا وخرج الخطيب أبو بكر أحمد بن على من حديث مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب دخل على بنت على بن أبى طالب رضى الله عنهم فوجدها تبكى فقال ما يبكيك قالت هذا اليهودى لكعب الأحبار يقول إنك باب من أبواب جهنم فقال عمر ماشاء الله إنى لأرجو أن يكون الله خلقنى سعيدا قال ثم خرج فأرسل إلى كعب فدعاه فلما جاءه كعب قال ياأمير المؤمنين والذى نفسى بيده لا تنسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال عمر أى شىء هذا مرة فى الجنة ومرة فى النار قال والذى نفسى بيده إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة البخارى عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال أخبرنى جدى قال كنت جالسا مع أبى هريرة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومعنا مروان فقال أبو هريرة سمعت الصادق المصدوق يقول هلكة أمتى على يد أغيلمة من قريش قال مروان لعنة الله عليهم غلمة قال أبو هريرة لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين تملكوا بالشام فإذا رآهم أحداثا وغلمانا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم قلنا أنت أعلم الغلام الطار الشارب والجمع الغلمة والغلمان ونص مسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يهلك أمتى هذا الحى من قريش قال فما تأمرنا قال لو أن الناس اعتزلوهم.

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير ألا تراه يقول لو شئت قلت لكم هم بنو فلان وبنو فلان لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد وكأنهم والله أعلم يزيد(١) بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومن تنزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة وغيرها

(١) وابوه ايضا كان رأس الفتنة واصل البلية وخراب الاسلام جزاه الله بما يستحق. أحمد مرسى

وغير خاف ماصدر عن الحجاج وسليمان بن عبد الملك وولده من سفك الدماء وإتلاف الأموال وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك وبالجملة فبنوا أمية قابلوا وصية النبي صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته وأمته بالمخالفة والعقوق فسفكوا دماءهم وسبوا نسائهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا فضلهم وشرفهم واستباحوا اعنهم وشتمهم فخالفوا رسول الله ﷺ فى وصيته وقابلوه بنقيض مقصودة وأمنيته فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه وافضيحتهم (١) يوم يعرضون عليه والله أعلم .

باب

ما جاء فى بيان مقتل الحسين رضى الله عنه ولا رضي عن قاتله

ذكر أبو على سعيد بن عثمان بن السكن الحافظ قال حدثنا أبو عبد الله الحسين ابن إسماعيل قال حدثنا محمد بن إبراهيم الحلوانى قال ابن السكن وأخبرنى أبو بكر محمد بن محمد بن إسماعيل حدثنا أحمد بن عبد الله بن زياد الحداد قالا حدثنا سعيد ابن عبد الملك بن واقد قال حدثنا عطاء بن مسلم عن أشعث بن سحيم عن أبيه عن أنس بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابنى هذا يقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره فقتل أنس يعنى مع الحسين بن على عليهما السلام أنبأناه أجازة الشيخ الفقيه القاضى أبو عامر عن أبى القاسم بن بشكوال عن أبى محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبى عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبى تليد عن أبى عمر بن عبد البر قال حدثنا الحافظ أبو القاسم خلف بن القاسم قال حدثنا الإمام الحافظ أبو على بن السكن فذكره وخرج الإمام أحمد فى مسنده قال حدثنا مؤمل قال حدثنا عمارة بن زاذان حدثنا ثابت عن أنس أن ملك المطر استأذن أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأذن له فقال لأم سلمة أملكى علينا الباب لايدخل علينا أحد قال وجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وعلى منكبيه وعلى عاتقه قال فقال الملك للنبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) جاء فى الحديث عن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ان من اصحابى من لايرانى يوم القيامة ولا اراه حتى يلج الجمل فى سم الخياط . مسند احمد وقد صح ايضا فى معناه حديث الحوض المعروف انك لاتدرى ما الذى احدثوا بعدك . صحيح مسلم ،وقد قال بعضهم ممثلا سيدنا الإمام على كرم الله وجهه وغيره .

كالشمس فى الافق الأعلى ابو حسن وفى معاوية فى الأرض قنديل .

واخرج الديلمى عن انس رضى الله عنه اياك وصاحب السوء فانه قطعة فى النار لاينفعك وده ولا يفى لك بعهده اه احمد محمد مرسى

Marfat.com

أتحبه قال نعم قال اما أن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها فى خمارها قال ثابت بلغنا أنها كربلاء وقال مصعب بن الزبير حج الحسين خمسة وعشرين حجة ماشيا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه وفى الحسن أنهما سيداشباب أهل الجنة وقال هما ريحانتاى من الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآهما هش لهما وربما أخذهما كما روى أبو داوود أنهما دخلا المسجد وهو يخطب فقطع خطبته ونزل فأخذهما وصعد بهما وقال رأيت هذين فلم أصبر وكان يقول فيهما اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من[1] يحبهما وقتل رحمه الله ولا رحم قاتله يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء بقرب موضع يقال له ألطف بقرب من الكوفة قال أهل التواريخ لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد وذلك سنة ستين وردت البيعة على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ بالبيعة إلى أهلها أرسل إلى الحسين بن على وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فقال بايعا فقالا مثلنا لا يبايع سرا ولكن نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة فبعث عبيد الله بن زياد خيلا لقتل الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبى وقاص فأدركه بكربلاء وقيل أن عبيد الله بن زياد كتب إلى الحر بن يزيد الرياحى ان جعجع بالحسين قال أهل اللغة أراد حبسه وضيق عليه والجعجع والجعجاع الموضع الضيق من الأرض ثم أمده بعمرو بن سعد فى أربعة آلاف ثم مازال عبيد الله يزيد العساكر ويستفز الجماهير إلى أن بلغوا إثنين وعشرين ألفاً وأميرهم عمرو بن سعد ووعده أن يملكه مدينة الرى فباع الفاسق الرشد بالغي وفى ذلك يقول شعر :

أأترك ملك الرى والرى منيتى وأرجع مأثوما بقتل حسين

فضيق عليه اللعين أشد تضييق وسد بين يديه وضح الطريق إلى أن قتله يوم الجمعة وقيل يوم السبت العاشر من المحرم وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب قتل

---

(١) ياظالما عقد اليدين مصليا من دون ظلمك يعقد الزنار

فما رأى الظالمين فيمن يبغض من يحبه المعصوم صلى الله عليه وسلم بل يمن فى ضد ذلك ويقتل بالسيف والسم وو الخ اللهم إرنا الحق حقا لنتبعه واحفظنا من السوء كله امين . احمد مرسى

يوم الأحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء ويعرف بالطف أيضا وعليه جبة خزدكنا وهو ابن ست وخمسين سنة قاله نسابة قريش الزبير بن بكار ومولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وفيها كانت غزوة ذات الرقاع وفيه قصرت الصلاة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة واتفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ويسمى عام الحزن وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من الصحابة مبارزة منهم الحر بن يزيد لأنه تاب ورجع مع الحسين ثم قتل جميع بنيه إلا علياً المسمى بعد ذلك بزين العابدين كان مريضا أخذ أسـيرا بعد قتل أبيه وقتل أكثر إخوة الحسين وبنى أعمامه رضى الله عنهم ثم أنشأ يقول :

يا عين أبكى بعبرة وعويل واندبى إن ندبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب على قد أصيبوا وتسعة لعقيل

قال جعفر الصادق وجد بالحسين ثلاثة وثلاثون طعنة بالسيف وأربع وثلاثون ضربة واختلفوا فيمن قتله فقال يحي بن معين أهل الكوفة يقولون إن الذى قتل الحسين عمرو بن سعد قال ابن عبد البر إنما نسب قتل الحسين إلى عمرو بن سعد لأنه كان الأمير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين . وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الرى إن ظفر بالحسين وقتله وكان فى تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن وفى شعر سليمان بن قتة الخزاعى وقيل إنها لأبى الرميح الخزاعى ما يدل على الاشتراك فى دم الحسين وقيل قتله سنان ابن أبى سنان النخعى وقال مصعب النسابة الثقة قتل الحسين بن على سنان بن أبى سنان النخعى وهو جد شريك القاضى ويصدق ذلك قول الشاعر :

وأى رزية عدلت حسيناً غداة تبيده كفا سنان

وقال خليفة بن خياط الذى ولى قتل الحسين شمر بن ذى الجوشن وأمير الجيش عمرو بن سعد وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحى من حمير حز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال :

Marfat.com

أوقر ركابى فضة وذهبـــا أنا قتلت الملك المحجبا
فلتت خير الناس أماً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

هذه رواية أبى عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وقال غيره تولى حمل الرأس بشر ابن مالك الكندى ودخل به على ابن زياد وهو يقول :

أوقر ركابى فضّة وذهبا أنا قتلت الملك المحجبا
وخيرهم إذ يذكرون النسبا قتلت خير الناس أماً وأباً
فى أرض نجد وحرا ويثربا

فغضب ابن زياد من قوله وقال إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته والله لانلت منى خيراً أبداً ولا لحقتك به ثم قدمه فضرب عنقه وفى هذه الرواية اختلاف وقد قيل إن يزيد بن معاوية هو الذى قتل القاتل وقال الإمام أحمد بن حنبل قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم يلتقطه ويتتبعه فيها قال قلت يا رسول الله ماهذا قال دم الحسين وأصحابه لم أزل أتبعه منذ اليوم قال عمار فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم وهذا سند صحيح لامطعن فيه وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تساق الأسرى حتى إذا بلغوا بهم الكوفة خرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم وفى الأسارى على بن حسين وكان شديد المرض قد جمعت يداه إلى عنقه وزينب بنت على وبنت فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وفاطمة وسكينة بنت الحسين وساق الظلمة والفسقة معهم رءوس القتلى. روى قطر عن منذر الثورى عن محمد بن الحنفية قال قتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة عليها الصلاة والسلام وذكر أبو عمر بن عبد البر عن الحسن البصرى قال أصيب مع الحسين بن على ستة عشر رجلا من أهل بيته ما على وجه الأرض لهم يومئذ شبيه وقيل إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا وفى صحيح البخارى فى المناقب عن أنس بن مالك أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل فى طست فجعل ينكث وقال فى حسنه شيئاً فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوبا بالوسمه

Marfat.com

يقال نكت فى الأرض إذا أثر فيها ونكت بالحصبا إذا ضرب بها وكان الفاسق يؤثر فى رأسه المكرم بالقضيب وأمر عبيد الله بن زياد من قور الرأس حتى ينصب فى الرمح فتحاماه أكثر الناس فقام رجل يقال له طارق بن المبارك بل هو ابن المشؤوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب دار عبيد الله ونادى فى الناس وجمعهم فى المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها ثم دعا بزياد بن حر بن قيس الجعفى فسلم اليه رأس الحسين ورءوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه ودعى بعلى بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته إلى يزيد على محامل بغير وطاء والناس يخرجون إلى لقائهم فى كل بلد ومنزل حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما وأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبى ثم وضع الرأس المكرم بين يدى يزيد فأمر أن يجعـــل فى طست من ذهب وجعل ينظر اليه ويقول هذه الابيات :

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما
تعلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصلب بالشام ولما صلبت أخفى خالد بن عفران شخصه من أصحابه وهو من أفاضل التابعين فطلبوه شهرا حتى وجدوه فسألوه عن عزلته فقال ألا ترون مانزل بنا :

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزملا بدماية تزميلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشانا ولم يترقبوا فى قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلا

واختلف الناس فى موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد فذكر الحافظ أبو العلا الهمدانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة فأقدم اليه عدة من موالى بنى هاشم وضم اليهم عدة من موالى أبى سفيان ثم بعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم وجهزهم بكل شىء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا

Marfat.com

أمر لهم بها وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعد بن العاص وهو إذ ذاك عامله على المدينة فقال عمرو وددت أنه لم يبعث به إلى . ثم أمر عمرو بن سعد ابن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها الصلاة والسلام هذا أصح ماقيل فى ذلك ولذلك قال الزبير بن بكار أن الرأس حمل إلى المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب قال حدثنى بذلك محمد بن حسن المخزومى النسابة والامامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما من المقتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين وما ذكر أنه فى عسقلان فى مشهد هناك أو بالقاهرة فشيء باطل لا يصح ولا يثبت وقد قتل الله قاتله صبرا ولقى حزناً طويلا وذعراً وجعل رأسه الذى اجتمع فيه العيب والذم فى الموضع الذى جعل فيه رأس الحسين وذلك بعد قتل الحسين بستة أعوام وبعث المختار به إلى المدينة فوضع بين يدى بنى الحسين الكرام وكذلك عمرو بن سعد وأصحابه اللئام ضربت أعناقهم بالسيف وسقوا كأس الحمام وبقى الوقوف بين يدى الملك العلام فى يوم يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام .

وفى الترمذى حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عميرة قال لما أتى برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت فى المسجد فى الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تخلل الرءوس حتى دخلت فى منخرى عبيد الله فمكث هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا .

قال العلماء وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين وهى من آيات العذاب الظاهرة عليه ثم سلط الله عليهم المختار فقتلهم حتى أوردهم النار وذلك الأمر مرجح ابراهيم ابن مالك لقى عبد الله بن زياد على خمسة فراسخ من الموصل وعبيد الله فى ثلاثة وثلاثين ألفا وإبراهيم فى أقل من عشرين ألفاً فتطاعنوا بالرماح وترأموا بالسهام واصطفقوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام فنظر إبراهيم إلى رجل عليه بزة حسنة ودرع سابغة وعمامة خزدكنا وديباج خضرا من فوق الدرع وقد أخرج يده من الديباجة ورائحة المسك تشم (١) عليه وفى يده صفيحة له مذهبة فقصده الأمير ابراهيم

(١) وفى نسخة تفوح .

Marfat.com

لا لشيء إلا لتلك الصفيحة والفرس الذى تحته حتى إذا لحقه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه فتناول الصفيحة وغار الفرس فلم يقدر عليه ولم يبصر الناس بعضهم بعضا من شدة الظلمة فتراجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى فأصبح الناس وقد فقد من أهل العراق ثلاثة وسبعون رجلا وقتل من أهل الشام سبعون ألفا .

فتعشوا منهم بسبعين ألفا أو يزيدون قبل وقت العشاء .

فلما أصبح وجد الأمير الفرس رده عليه رجل كان أخذه ولما علم أن الذى قتل هو عبد الله بن زياد كبر وخر ساجدا وقال الحمد لله الذى أجرى قتله على يدى فبعث به إلى المختار زيادة على سبعين ألف رأس فى أولها أشر رءوس أهل الفساد عبيد الله المنسوب إلى زياد :

قال المؤلف رحمه الله نقلت هذا من كتاب مرج البحرين فى فوايد المشرقين والمغربين للحافظ أبى الخطاب بن دحية رضى الله عنه .

فصـــل

ومثل صنيع عبيد الله بن زياد صنع قبله بشر بن أرطاة العاهرى الذى هتك الاسلام وسفك الدم الحرام وأذاق الناس الموت الزؤام ولم يدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذمام فقتل أهل بيته الكرام وحكم فى مفارقهم الحسام وعجل لهم الحمام ذبح ابنى عبيدالله بن عباس بن عبدالمطلب وهما صغيران بين يدى أمهما يمرحان وهما قيثم وعبد الرحمن فوسوست أمهما وأصابها ضرب من الجان لما أشعله الثكل فى قلبها من لهب النيران روى أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه فى حديث فيه طول كان أبو ذر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من شر يوم البلاء ويوم العورة فى صلاة صلاها أطال قيامها وركوعها وسجودها قال فسألناه مم تعوذت وفيم دعوت فقال تعوذت من يوم البلاء ويوم العورة فإن نساء من المسلمات ليسبين فيكشف عن عوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا أشتربت على عظم ساقها فدعوت الله عز وجل أن لا يدركنى هذا الزمان ولعلكما تدركانه

وذكر أبو عمر بن عبد البر قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن أنبأنا أبو محمد اسماعيل بن محمد(١) الحبطلى ببغداد فى تاريخه الكبير حدثنا محمد بن مؤمن بن حماد قال حدثنا سلمان بن شيح قال حدثنا محمد بن عبد الحكم عن عوانه قال أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بشر بن أرطاة فى جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ لعلى عليه السلام أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر أبو أيوب ولحق بعلى رضى الله عنهما ودخل بشر المدينة فصعد منبرها فقال اين شيخى الذى عهدته هنا بالأمس يعنى عثمان بن عفان ثم قال يا أهل المدينة والله لولا ما عهدته إلى معاوية ما تركت فيها محتلماً إلا قتلته ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل إلى بنى سلمة فقال مالكم عندى أمان ولا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبد الله فأخبر جابر فانطلق حتى جاء الشام فأتى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين فأنى خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة فقالت أرى أن تبايع وقد أمرت ابنى عمر بن أبى سلمة أن يبايع فأتى جابر بشراً فبايعه لمعاوية وهدم بشر دوراً بالمدينة ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعرى فخاف أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبشر فقال ما كنت لأقتله وقد خلع(٢) عليا .. ولم يطلبه وكتب أبو موسى إلى اليمن أن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل من الناس من أبى أن يقر بالحكومة ثم مضى بشر إلى اليمن وعامل اليمن لعلى رضى الله عنه عبيد الله بن العباس فلما بلغه أمر بشر فر إلى الكوفة حتى أتى علياً رضي الله عنه واستخلف على المدينة عبيد الله بن عبد مدان الحارثى فأتى بشر فقتله وقتل إبنه وثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن عباس فقتلهما ورجع إلى الشام وذكر أبو عمرو الشيبانى قال لما وجه معاوية بشر بن أرطاة لقتل شيعة على رضى الله عنه سار إلى أن أتى المدينة فقتل إبنى عبد الله بن العباس وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بنى سليم وهذه الخرجة التى ذكر أبو عمرو الشيبانى أغار بشر على همدان فقتل وسبى نساءهم فكن أول نساء سبين فى الاسلام وقتل أحياء من بنى سعد وقد اختلفوا كما ترى فى أى موضع قتل الصغيرين من أهل البيت هل فى المدينة أو فى مكة أو فى اليمن لأنه دخل

---

(١) وفى نسخة اسماعيل بن على الخطى .

(٢) فالظاهر لى والله اعلم ان هذا الذى دعى ابو الحسن الاشعرى يدافع عما حدث من تلك الطامات بدعوى الورع البارد ستراً لموقف جده . احمد مرسى

Marfat.com

هذه البلاد وأكثر فيها الفساد وأظهر لعلى رضى الله عنه العناد وأفرط فى بغضه وزاد وسلط على أهل البيت الكريم الأجناد فقتل وسبى وأباد ولم يبق إلا أن يخد الأخاديد ويقد الأوتاد وكان معاوية قد بعثه فى سنة أربعين إلى اليمن وعليها عبيدالله ابن العباس أخو عبد الله بن العباس ففر عبيد الله وأقام بشر باليمن وباع دينه ببخس من الثمن فأخاف السبيل ورعى المرعى الوبيل وباع المسلمات وهتك المحرمات فبعث على رضى الله عنه فى طلبه حارثة بن قدامة السعدى فهرب بشر إلى الشام وقد ألبس بذميم أفعاله ثياب العار والذمام وبقى الوقوف بين يدى الملك العلام يوم يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام ورجع الشريف أبو عبد الله محمد إلى بلاد اليمن فلم يزل والياً عليهم حتى قتل على رضى الله عنه ويقال أن بشر بن أرطاة لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم حرفا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو صغير فلا تصح له صحبة قاله الإمام أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وغيرهما وقال آخرون خرف فى آخر عمره قال يحيى بن معين وكان رجل سوء قال المؤلف رحمه الله كذا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله .

وقد ذكر أبو داود عن جنادة عن ابن أبى أمية قال كنا مع بشر بن أرطاة فى البحر فأتى بسارق يقال له مصدر وقد سرق بختية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقطع الأيدى فى الغزو ولولا ذلك لقطعته .

قال أبو محمد عبد الحق بشر هذا يقال ولد فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له أخبار سوء فى جانب على وأصحابه وهو الذى ذبح طفلين لعبيد الله ابن العباس ففقدت أمهما عقلها وهامت على وجهها فدعى عليه على رضى الله عنه أن يطيل الله عمره ويذهب عقله وكان كذلك قال ابن دحية ولما ذبح الصغيرين وفقدت أمهما عقلها كانت تقف فى الموسم تشعر شعراً يبكى العيون ويهيج بلابل الأحزان والعيون وهو هذا .

هامن أحس بإبنى اللذين هما كالدرتين تسطا عنهما الصدف

يقال تسطت العصاة إذا صارت فلقا قاله فى المجمل غيره .

Marfat.com

هامن أحس بإبنى اللذين هما سمعى وعقلى فقلبى اليوم مختطف
حدثت بشراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذى اقترف
أحنى على ودجى إبنى مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

باب

ماجاء أن اللسان فى الفتنة أشد من وقع السيف

أبو داود عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة تستنطف العرب قتلاها فى النار اللسان فيها أشـــد من وقع السيف خرجه الترمذى وقال فيه حديث غريب وسمعت محمد بن إسماعيل يقول لا يعرف لزياد ابن سمين كو ش عن عبد الله بن عمر غير هذا الحديث الواحد وروى موقوفا وذكره أبو داود عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة صما بكما عميا من أشرف لها استشرفت له اللسان فيها كوقوع السيف أخرجه ابن ماجه أيضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف .

فصل

قال المؤلف رحمه الله قوله تستنطف أى ترمى مأخوذ من نطف الماء أى قطر والنطاف الماء الصافى قل أو كثر والجمع النطاف أى أن هذه الفتنة تقطر قتلاها فى النار أى ترميهم فيها لاقتتالهم على الدنيا واتباع الشيطان والهوى وقتلاها بدل من قوله العرب هذا المعنى الذى ظهر لى فى هذا ولم أقف فيه على شيء لغيرى والله أعلم قوله اللسان فيها أشد من وقع السيف أى بالكذب عنـــد أئمة الجور ونقل الأخبار إليهم فربما ينشأ عن ذلك من النهب والقتـــل والجلد والمفاسد العظيمة أكثر مما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها وفى الصحيحين عن أبى هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب وفى رواية عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبد

Marfat.com

ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب لفظ مسلم وقد روى أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفاً فقوله من سخط الله أى مما يسخط الله وذلك بأن يكون كذبة أو نميمة أو بهتانا أو بخسا أو باطلا يضحك به الناس كما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ويل للذى يتكلم بالكلمة من الكذب ليضحك الناس ويل له وويل له وفى حديث ابن مسعود أن الرجل ليتكلم بالكلمة من الرفاهية من سخط الله ترديه بعد ما بين السماء والأرض قال أبو زياد الكلابى الرفاهية السعة فى المعاش والخصب وهـــذا أصل الرفاهية فأراد عبد الله أن يتكلم بالكلمة فى تلك الرفاهية والاتراف فى دنياه مستهينا بها لما هو فيه من النعمة فيسخط الله عز وجل عليه قال أبو عبيد وفى الرفاهية لغة أخرى الرفاعية وليس فى هذا الحديث يقال هو فى رفاهية ورفاعية من العيش وقوله صما بكما عميا يريد أن هـــذه الفتنة لا تسمع ولا تبصر فلا تقلع ولا ترتفع لأنها لا حواس لها فترعوى إلى الحق وأنه شبهها لاختلاطها وقتل البرى فيها والسقيم بالأعمى الأصم الأخرس الذى لا يهتدى إلى شىء فهو يخبط عشواء والبكم الخرس فى أصل الخلقة والصمم الطرش .

باب

الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها والسعيد من جنبها

أبو داود عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله وسعديك وذكر الحديث قال كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت بالوصيف يعنى القبر قلت الله ورسوله أعلم أو قال ما خار الله لى ورسوله قال عليك بالصبر أو قال تصبر ثم قال يا أبا ذر قلت لبيك وسعديك قال كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم قلت ما خار الله لى ورسوله قال عليك بمن أنت منه قال قلت يارسول الله أفلا آخذ سيفى فأضعه على عاتقى قال شاركت القوم إذاً قال قلت فما تأمرنى قال تلزم بيتك قال قلت فإن دخل على بيتى قال فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك

Marfat.com

خرجه ابن ماجة وقال تصبر من غير شـــك وزاد بعده قال كيف أنت وجوع يصيب الناس حتى تأتى مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك أو لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك قال قلت الله ورسوله أعلم أو ما خار الله لى ورسوله قال عليك بالعفة ثم قال كيف أنت وقد أصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم الحديث وقال فالق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار وفى حديث عبد الله بن مسعود حين ذكر الفتنة قال إلزم بيتك قيل فإن دخل على بيتى قال فكن مثل الجمل الأورق الثقال الذى لا ينبعث إلا كرها ولا يمشى الا كرها ذكره أبو عبيد قال حدثنيه أبو النضر عن المسعودى عن على بن مدرك عن أبى الرواع عن عبد الله قال أبو عبيدة سمعت بعض الرواة يقول الرواع والوجه الرواع بضم الراء .

أبو داود قال عن المقداد بن الأسود قال وايم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فرواها الترمذى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم يأتى على الناس زمان قيه الصابر على دينه كالقابض على الجمر قال حديث غريب .

فصل

قوله بالوصيف الوصيف الخادم يريد أن الناس يشتغلون عن دفن موتاهم حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبر الميت ويدفنه إلا أن يعطى وصيفا أو قيمته وقد يكون معناه أن مواضع القبور تضيق عليهم فيتباعون لموتاهم القبور كل قبر بوصيف وقوله غرقت بالدم أى لزمت والغروق اللزوم فيه ويروى عرقت وأحجار الزيت موضع بالمدينة .

روى الترمذى عن عمير مولى أبى اللحم عن أبى اللحم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستسقى وهو مقنع بكفيه يدعو وذكر عمر بن أبى شيبة فى كتاب المدينة على ساكنها الصلاة والسلام قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبى فديك قال أدركت أحجار الزيت ثلاثة أحجار مواجهة بيت أم كلاب وهو اليوم يعرف ببيت بنى

Marfat.com

أسد فعلى الكنيس الحجارة فاندفنت قال وحدثنا محمد بن يحيى قال أخبرنى أبو ضمرة
الليثى عن عنان عن ابن الحارث بن عبيد عن هلال بن طلحة الفهدى أن حبيب
ابن سلمه الفهدى كتب اليه أن كعبا سألنى أن أكتب له إلى رجل من قومى عالم
بالأرض قال فلما قدم كعب المدينة جاءنى بكتابه ذلك فقال أعالم أنت بالأرض
قلت نعم وكانت بالزوراء حجارة يضعون عليها الزياتون رواياهم فأقبلت حتى
جئتها فقلت هذه أحجار الزيت فقال كعب لا والله ما هذه صفتها فى كتاب الله
انطلق أمامى فإنك أهدى بالطريق منى فانطلقنا حتى جئنا بنى عبد الأشهل فقال
يا أبا هلال انى اجدأحجار الزيت فى كتاب الله تعالى فسأل القوم عنها وهم يومئذ
متوافرون فسألهم عن أحجار الزيت وقال إنها ستكون بالمدينة ملحمة عندها .

فصل

وأما حديث ابن مسعود كن مثل الجمل الأورق فقال الأصمعى الأورق وهو
الذى فى لونه بياض إلى سواد ومنه قيـــل للرماد أورق والحمامة ورقاء ذكره
الأصمعى قال وهو أطيب الإبل لحما وليس بمحمود عند العرب فى عمله وسيره وأما
الثقال فهو البطىء قال أبو عبيد إنما خص عبيدالله الأورق من الإبل لما ذكر من
ضعفه عن العمل ثم اشترط الثقال أيضا فراده إبطاء وثقلا فقال كن فى الفتنة
مثل ذلك وهذا إذا دخل عليك وإنما أراد عبد الله بهـــذا التثبط عن الفتنة
والحركة فيها .

فصـل

وأما أمره صلى الله عليه وسلم أبا ذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل فقالت
طائفة ذلك عند جميع الفتن وغير جائز لمسلم النهوض فى شىء منها قالوا وعليه أن
يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها وحملوا الأحاديث على ظاهرها وربما
احتجوا من جهة النظار بأن قالوا إن كل فريق من المقتتلين فى الفتنة فإنه يقاتل على
تأويل وإن كان فى الحقيقة خطأ فهو عند نفسه محق وغير جائز لأحد قتله وسبيله

Marfat.com

سبيل حاكم من المسلمين يقضى بقضاء مما اختلف فيه العلماء على ما يراه صوابا فغير جائز لغيره من الحكام نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتابا ولا سنة ولا جماعة وكذلك المقتتلون فى الفتنة كل حزب منهم عند نفسه محق دون غيره مما يدعون من التأويل فغير جائز لأحد قتالهم وإن هم قصدوا القتلة فغير جائز دفعهم وقد ذكرنا من تخلف عن الفتنه وقعدوا منهم عمران بن الحصين وابن عمر وقد روى عنهما وعن غيرهما منهم عبيدة السلمانى أن من اعتزل الفريقين فدخل بيته فأتى من يريد نفسه فعليه دفعه عن نفسه وإن أبى الدفع على نفسه فغير مصيب كقوله عليه الصلاة والسلام من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد قالوا فالواجب على كل من أريدت نفسه وماله فقتل ظلما دفع ذلك ما وجد اليه السبيل متاولا كان المريد أو متعمد للظلم .

قال المؤلف رحمه الله هذا هو الصحيح من القولين إن شاء الله تعالى وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى قال فلا تعطه مالك قال أرأيت أن قاتلنى قال قاتله قال أرأيت أن قتلنى قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلته قال هو فى النار وقال ابن المنذر ثبتت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل دون ماله فهو شهيد وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم وهذا مذهب ابن عمر والحسن البصرى وقتادة ومالك والشافعى وأحمد وإسحاق والنعمان قال أبو بكر وبهذا يقول عوام أهل العلم أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلما للأخبار التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخص وقتا من وقت ولا حالا دون حال إلا السلطان فإن جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله إلا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار الواردة الدالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم وقد تقدم ذلك فى بابه والحمد لله .

Marfat.com

باب

جعل الله فى أول هذه الأمة عافيتها وفى آخرها بلاؤها

مسلم عن عبد الله بن عمرو قال كنا مع رسول الله صلى عليه وسلم فى سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو فى جشره إذ نادى منادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وان أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجىء فتنة فيدفق بعضها بعضا وتجىء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتى ثم تنكشف وتجىء الفتنة فيقول هذه منه فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطيه إن استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر قال ابن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قد نوت منه فقلت له ناشدتك الله انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهوى إلى اذنيه وقلبه بيديه وقال سمعته اذناى ووعاه قلبى فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل انفسنا والله عزوجل يقول « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » فسكت ساعة ثم قال أطعه فى طاعة الله وأعصه فى معصية الله .

فصل

قوله ينتضل الانتضال الرمى بالسهام والجشر المال من المواشى التى ترعى أمام البيوت والديار يقال مال جشر يرعى فى مكانه لأنه يرجع إلى أهله يقال جشرنا دوابنا أى أخرجناها إلى المرعى وأصله البعد ومنه يقال للأعزب جشر وجشير لبعده عن النساء وفى الحديث من ترك قراءة القرآن شهرين فقد جشره أى بعد عنه

Marfat.com

وقوله يدفق بعضها بعضا أى يتلوى بعضها بعضا وينضب بعضها على بعض والتدفق التصبّب وهذا المعنى مبين فى نفس الحديث لقوله وتجىء الفتنة وتزحزح أى تبعد ومنه قوله تعالى «وما هو بمزحزحه من العذاب» أى بمبعده وصفقة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة فى الاستيثاق مع النطق باللسان والالتزام بالقلب وفى التنزيل. « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » الآية . وقوله فاضربوا عنق الآخر قيل المراد عزله وخلعه وذلك قتله وموته وقيل قطع رأسه وإذهاب نفسه يدل عليه قوله فى الحديث الآخر فاضربوه بالسيف كائنا ما كان وهو ظاهر الحديث هذا إذا كان الأول عدلا والله أعلم .

باب

جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض خير من ظهرها .

مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون وقد تقدم هذا فى أول الكتاب قال ابن وهب وحدثنى مالك قال كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له مت إن استطعت فيقول له لم قال تموت وأنت تدرى على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدرى على ما تموت عليه . قال مالك ولا أرى عمر دعا مادعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً عن أبى هريرة .

روى النضر بن شميل عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى عليه ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم . وهذا غاية فى التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيرا من مباشرتها وروى الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان

Marfat.com

وأمرؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث صالح المرى فى حديثه غرائب لا يتابع عليها وهو رجل صالح .

البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل يقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه أخرجه مسلم وابن ماجة بمعناه وزاد مثنى وليس به الدين إلا البلاء .

وروى شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت ابا الزعرا يحدث عن عبد الله قال ليأتين على الناس زمان يأتى الرجل القبر فيقول ياليتنى مكان هذا ليس به حب الله ولكن من شدة مايرى من البلاء .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وكان هذا إشارة الى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان فى نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه ومن أكثر الناس أو قلة الاعتناء به من الذى يتمسك بالدين عند هجوم الفتن وكذلك عظم قدر العبادة فى حالة الفتن حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم العبادة فى الهرج كهجرة الى وقد مضى الكلام فى هذا المعنى فى أول الكتاب ونزيده وضوحاً ان شاء الله تعالى والله أعلم .

باب

أسباب الفتن والمحن والبلاء

أبو نعيم عن ابى ادريس الخولانى عن أبى عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحيتى وأنا أعرف الحزن فى وجهه فقال انا لله وإنا اليه راجعون أتانى جبريل آنفا فقال إنا لله وانا اليه راجعون فقلت إنا لله وإنا اليه راجعون فم ذلك ياجبريل فقال ان أمتك مفتتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلال فقال كل سيكون فقلت ومن أين وانا تارك فيهم كتاب الله قال فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل امرائهم وقرائهم يمنع

Marfat.com

الأمراء الناس الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلوا ويفتتنوا ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون قلت كيف يسلم من يسلم منهم قال بالكف والصبر إن أعطوا الذى لهم أخذوه وإن منعوا تركوه.

البزار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم تظهر الفاحشة فى قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم فأخذ بعض ما كان فى أيديهم وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم أخرجه بن ماجه أيضا فى سننه وذكره أبو عمر ابن عبد البر وأبو بكر الخطيب من حديث سعيد بن كثير ابن عفير بن مسلم بن يزيد قال حدثنا مالك عن عمه أبى سهيل عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس ثم قال يا معشر المهاجرين لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم وذكر الحديث وقال عطاء الخراسانى إذا كان خمس كان خمس إذا أكل الربا كان فى الخسف والزلزلة وإذا جار الحكام قحط المطر وإذا ظهر الزنا كثر الموت وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة ذكره أبو نعيم.

الترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتى المطيطا وخدمها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها قال هذا حديث غريب.

ابن ماجه عن قيس بن أبى حازم قال قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وانا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

يقول أن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه أخرجه أبو داود فى سننه والترمذى فى جامعه .

مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال إذا فتحت عليكم فارس والروم أى قوم أنتم . قال عبد الرحمن بن عوف تكون كما أمر الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون فى مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض وأخرج أيضا عن عمرو بن عوف وهو حليف بنى عامر بن لؤى وكان شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أباعبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى فقدم أبو عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين قالوا أجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم .

وفى رواية فتلهيكم كما ألهتهم بدل فتهلككم. وأخرج ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدع بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء أخرجه البخارى ومسلم أيضا . وخرج ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال . وأخرج أيضا عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا وكان فيما قال أن الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم

Marfat.com

فيها فناظر كيف تعملون الا فاتقوا الله واتقوا النساء. خرجه مسلم أيضا وقال بدله قوله فاتقوا الله فاتقوا النار واتقوا النساء وزاد فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء.

الترمذى عن كعب بن عياض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب.

وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن قال وفى الباب عن أبى هريرة وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لانعرفه إلا من حديث الثورى.

فصـــل

حذر الله سبحانه وتعالى عباده فتنة المال والنساء في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فقال عزمن قائل « يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » وقال تعالى « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ثم قال سبحانه وتعالى فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم » فنبه الله على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد فى آى ذكر الله فيها فتنة وما كان عاصما من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء وقال تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث » ثم قال تعالى « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات » فوصف تعالى ما للمتقين عند ربهم ثم وصف أحوالهم بنعتهم إلى قوله « والمستغفرين بالأسحار » وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه ومثل هذا فى القرآن كثير والمطيطا بضم الميم والمد المشى يتبختر وهى مشية المتكبرين المفتخرين وهو مأخوذ من مط يمط إذا مد قال الجوهرى والمطيطا بضم الميم ممدود التبختر ومد اليدين فى المشى وفى الحديث إذا مشت أمتى المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم وقوله ثم ينطلقون

Marfat.com

فى مساكين المهاجرين قيل فى الكلام حذف أى فى مساكين المهاجرين والمعنى أنه إذا وقع التنافس والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القوى على ما أفاء الله المسكين الذى لا يقدر على مدافعته فيمنعه عنه ظلما وقهرا بمقتضى التنافس والتحاسد وقيل ليس فى الكلام حذف وأن المعنى المراد أن مساكين المهاجرين وضعفاؤهم سيفتح عليهم إذ ذاك من الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض وهذا اختيار القاضى عياض والأول اختيار شيخنا أبى العباس القرطبى قال وهو الذى يشهد له مساق الحديث ومعناه وذلك إنه عليه الصلاة والسلام أخبرهم أنه يتغير بهم الحال وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية تخالف أحوالهم التى كانوا عليها من التنافس والتباغض وانطلاقهم فى مساكين المهاجرين فلابد أن يكون هذ الوصف غير مرضى كالأوصاف التى قبله وأن تكون تلك الاوصاف المتقدمة توجيه وحينئذ يلتئم الكلام أوله وآخره والله أعلم ويعضده رواية السمرقندى فيحملون بعضهم على رقاب بعض أى بالقهر والغلبة .

باب منه

وما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية

ذكر أبو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا المقدام ابن داود حدثنا على بن معبد الرقى حدثنا وهب بن راشد حدثنا مالك بن دينار عن خلاس ابن عمرو عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقول أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك بيـــدى وأن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة . وان العباد اذا عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ولا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إلى أكفكم ملوككم غريب من حديث مالك مرفوعا تفرد به على بن معبد عن وهب بن راشد .

Marfat.com

أبواب الملاحم

باب

أمارات الملاحم

أبو داود عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمـــة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال .

البخارى عن عوف بن مالك قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقفاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الأصفر فيغدرون فيأتوكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية إثنا عشرا لفا .

وخرجه أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله اثنا عشر ألفا فقسطاط المسلمين يومئذ فى أرض يقال لها الغوطة فى مدينة يقال لها دمشق ذكره بإسناده أبو الخطاب بن دحيـــة فى كتاب مرج البحرين فى فوائد المشرقين والمغربين .

وقال عوف بن مالك الأشجعى شهد موت النبى صلى الله عليه وسلم وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتحه .صلحا لخمس خلون من ذى القعدة سنة ستة عشر من الهجرة ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد أمير المؤمنين عمر ثم شاهد قتال الجمل وصفين وشاهد عوف رضى الله عنه أيضا الموتان الذى كان بالشام قبل ذلك وهو المسمى بطاعون عمواس مات يومئذ ستة وعشرون الفا . وقال المدينى خمسة وعشرون الفا وعمواس بفتح العين والميم لأنه عم واسى أى جعل بعض الناس أسوة بعض وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح والأمير الفقيه أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل قال الإمام أحمد بن حنبـــل فى تاريخه كان طاعون عمواس سنة

ثمانية عشر رواه عن احمـــد ابو ذرعة الرازى قال كان الطاعون سبع عشر سنة وثمان عشرة سنة وفى سنة سبع عشرة رجع عمـــر من سرغ وموتان بضم الميم هى لغة وغيرهم يفتحونها وهو اسم الطاعون والموت وقوله كقفاص الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها قاله أبو عبيدة لأن القفاص الموت العجل ويقال بالسين وقيل هو داء يأخذ فى الصدر كأنه يكسر العنق وقد انقضت هذه الخمس وعاش عوف بن مالك إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقد أربى بصفين على المائة وقال الواقدى مات عوف بن مالك بالشام سنة ثلاث وتسعين فإن صح ما قال فقد مات فى أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان إن لم يكن تصحيفا منه والله أعلم .

باب

ما ذكر فى ملاحم الروم وتواترها وتداعى الأمم على أهل الإسلام

ابن ماجة عن عوف بن مالك الأشجعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بينكم وبين بنى الأصفر هدنة فيغدرون بكم فيسيرون إليكم فى ثمانين غاية تحت كل غاية إثنا عشر ألفا .

وعن ذى مخمر وكان رجلا من أصحـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ستصالحكم الروم صلحا آمنا ثم تغزون أنتم وهم عدواً فتنصرون وتغنمون وتقتسمون وتسلمون ثم تنصرفون حتى تنزلون بمرج ذى تلول فيرفع رجل من أهل الصليب صليبه فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم اليه فيدقه فعند ذلك تغدر الروم ويجمعون الملحمة فيأتون تحت ثمانين راية تحت كل راية إثنا عشر ألفا .

وأخرجه أبو داود وزاد ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده وإسناده صحيح ثابت وذو مخمر بالميم لا غير وهو ابن أخى النجاشى قاله الأوزاعى وقد عده أبو عمر فى موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن دحية وخرجا جميعا عن ابن ماجة

Marfat.com

وأبو داود عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر وخرجه الترمذى وقال حديثه حسن صحيح .

وعن عبد الله بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الملحمةوفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال فى السابعة خرجه ابن ماجة وأبو داود وقال أبو داود هذا صحيح من حديث عيسى قال المؤلف رحمه الله تعالى يريدحديث معاذ المذكور قبله .

عن بشير بن جابر قال هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرا الا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة قال فقعد وكان متكئا فقال، إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال بيده هكذا ونحاها نحوالشام فقال عدو يجمعون لاهل الإسلام وتجمع لهم أهل الإسلام قلت الروم تعنى قال نعم ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غيرغالب وتفنى الشرطة ثم يشـــترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة وإذاكان يوم الرابع نهد اليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة أما قال لم ير مثلها وأما قال لا يرى مثلها حتى أن الطائر ليمر بجثمانهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح وبأى ميراث يقسم فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك فجاءهم الصريخ فقـــال أن الدجال قد خرج فى ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض أو من خير فوارس يومئذ .

أبو داود عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أن

Marfat.com

تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل من القوم من قلة نحن يومئذ قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة وليقذفن فى قلوبكم الوهن فقـــال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهة الموت .

فصـــل

قوله بنى الأصفر يعنى الروم وفى تسميتهم بذلك قولان أحدهما أن جيشا من الحبشة غلبوا على ناحيتهم فى بعض الدهر فوطؤا نساءهم فولدن أولادا صفرا قاله ابن الأنبارى الثانى أنهم نسبوا إلى بنى الأصـــفر ابن الروم بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام قاله ابن إسحاق وهذا أشبه من القول الأول والهدنة الصلح والغاية الراية كما جاء مفسرا فى الحديث بعده سميت بذلك لأنها تشبه السحابة لمسيرها فى الجو والغاية والصابة السحابة وقد رواها بعض رواة البخارى تحت ثمانين غابة بباء مفردة النقطة وهى الأجمة شبه اجتماع رماحهم وكثرتها بالأجمة التى هى الغابة والصحيح الأول لأنها تظل الأجناد لكثرة راياتهم واتصال ألويتهم وعلاماتهم كالسحاب الذى يظل الإنسان .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن تحت كل غاية إثنا عشر ألفا فجملة العدو تسعمائه ألف وستون ألفا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية وقد روى مرفوعا فى حديث فيه طول عن حذيفة أن الله تعالى يرسل ملك الروم وهو الخامس من الهرقل يقال له ضمارة وهو صاحب الملاحم فيرغب إلى المهدى فى الصلح وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون فلا تبقى لرومى حرمة ويكسرون لهم الصليب ثم يرجع المسلمون إلى دمشق فبينما الناس كذلك إذا برجـــل من الروم قد التفت فرأى أبناء الروم وبناتهم فى القيود والأغلال فتغير نفسه فيرفع الصليب ويرفع صوته فيقول ألا من كان يعبد الصليب فلينصره فيقوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول أالله أغلب وأنصر فحينئذ يغدرون وهم أولى بالغدر فيجمعون عند ذلك ملوك الروم

Marfat.com

فى بلادهم خفية فيأتون إلى بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون والمسلمَون قد أخذوا منهم الأمن وهم على غفلة أنهم مقيمون على الصلح فيأتون أنطاكية فى إثنى عشر ألف راية تحت كل راية إثنا عشر ألفاً فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشام ولا بأنطاكية نصرانى إلا ويرفع الصليب فعند ذلك يبعث المهدى إلى أهل الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة والعراق يعـــر فهم بخروج الروم وجمعهم ويقول لهم أعينونى على جهاد عدو الله وعدوكم فيبعث إليه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على ساحل الفرات وحل بنا ما شغلنا عنك فيأتى اليه بعض أهل الكوفة والبصرة ويخرج اليهم المهدى ويخرج معهم المسلمون إلى لقائهم فيلتقى بهم المهدى ومن معه من المسلمين فيأتون إلى دمشق فيدخلون فيها فتأتى الروم إلى دمشق فيكونون عليها أربعين يوماً فيفسدون البـــلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديار ويقطعون الأشجار ثم أن الله تعالى ينزل صبره ونصره على المؤمنين فيخرجون اليه فيشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير فيالها من وقعة ومقتلة ما أعظمها وما أعظم هولها ويرتد من العرب يومئذ أربع قبائل سليم ونهد وغسان فيلحقون بالروم ويتنصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسيم ثم أن الله تعالى ينزل النصر والصبر والظفر على المسلمين فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل فى دمائهم وتشتعل الحرب بينهم حتى أن الحديد يقطع بعضه بعضا وأن الرجل من المسلمين ليطعن العلج بالسفود فينفذه وعليه الدرع من الحديد فيقتل المسلمون من المشركين خلقا كثيرا حتى تخوض الخيل فى الدماء وينصر الله تعالى المسلمين ويغضب على الكافرين وذلك رحمة من الله تعالى لهم فعصابة من المسلمين يومئذ خير خلق الله والمخلصين من عباد الله ليس فيهم مارد ولا مارق ولا شارد ولا مرتاب ولا منافق ثم إن المســـلمين يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن والحصون فتقع أسوارها بقدرة الله فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الاموال ويسبون النساء والاطفال ويكون أيام المهدى أربعين سنة عشر سنين فى المغرب وإثنا عشرة سنة بالكوفة وإثنتا عشرة سنة بالمدينة وسنة بمكة وتكون منيته فجأة فبينما الناس كذلك إذ تكلم الناس بخروج الدجال اللعين وسيأتى من

Marfat.com

أخبار المهدى ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وقوله ليس له هجير الهجير الدأب والعادة يقال ما زال ذلك هجيراه واهجيراه واجيراه أى دأبه وعادته وهاجت أى تحركت ريح حمراء أى شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الأرض فظهرت حمرتها ولما رأى ذلك الرجل جاء مجيء الخائف من قرب الساعة والشرطة هنا بضم الشين أول طائفة من الجيش تقاتل سموا بذلك لعلامة تميزوا بها والأشراط العلامات وتفنى الشرطة أى تقتل وتفنى نرجع ومنه حتى تفىء إلى أمر الله ونهد تقدم ومنه سمى النهد نهداً لتقدمه الصدر والدايرة ويروى والدائرة والمعنى متقارب قال الأزهرى الدائرة الدولة تدور على الأعداء والدايرة النصر والظفر يقال لمن الدائرة أى لمن الدولة وعلى من الدائرة أى الهزيمة قاله أبو عبيد الهروى والجنبات جمع جنبة وهى الجانب ويروى بجثمانهم أى باشخاصهم وقوله إذ سمعو نباس بنون وسين هم أكثر بالثاء المثلثة ويروى ببـــاس بباء واحدة أكبر بباء واحدة أيضا وهو الأمر الشديد وهو الصواب لرواية أبى داود إذ سمعوا بأمر هو أكبر من ذلك والصريخ الصارخ أى المصوت عند الأمر الهائل ويرفضون أى يرمون ويتركون والطليعة الذى يتطلع الأمر ويستكشفه وتداعى الأمم اجتماعها ودعا بعضها بعضاً حتى تصير العرب بين الامم كالقصعة والأكلة وغثاء السيل ما يقذف به على جانب الوادى من الحشيش والنبات والقماش وكذلك الغثاء بالتشديد والجمع الإغثاء والله أعلم .

باب

منه وبيان قوله تعالى « حتى تضع الحرب أوزارها »

عن حذيفة قال فتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فأتيته فقلت الحمد لله يا رسول الله ألقى الاسلام بجرانه ووضعت الحرب أوزارها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دون أن يضع الحرب أوزارها خلالاستاً أفلا نسألنى عنها ياحذيفة قلت بلى يا رسول الله فما أولها قال موتى وفتح بيت المقدس ثم فئتان دعواهما واحدة يقتل بعضهم بعضا ثم يفيض المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخطها

Marfat.com

وموت كقفاص الغنم وغلام من بنى الأصفر ينبت فى اليوم كنبات أشهر وفى الشهر كنبات السنة فيرغب قومه فيه فيملكونه ويقولون نرجو أن يرد بك علينا ملكنا فيجمع جمعا عظيما ثم يسير حتى يكون بين العريش وأنطاكية فأميركم يومئذ نعم الأمير فيقول لأصحابه كيف ترون فيقولون نقاتلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم فيقول لا أرى ذلك ولكن نخلى لهم أرضهم ونسير بذرارينا وعيالنا حتى نحرزهم ثم نغزوهم وقد أحرزنا ذرارينا وعيالاتنا فيسيزون حتى يأتوا مدينتى هذه ويستمد أهل الشام فيمدونه فيقول لا يتندب معى إلا من باع نفسه لله حتى يلقاهم فيلقاهم ثم يكسر غمده ثم يقاتل حتى يحكم الله بينهم فينتدبون سبعون ألفاً أو يزيدون على ذلك فيقول حسبى سبعون ألفا لا تحملهم الأرض وفى القوم عين العدو فيخبرهم بالذى كان فيسير إليهم حتى إذا التقوا سألوه أن يخلى بينهم وبين من كان بينهم نسب فيأبى ويدعو أصحابه فيقول أتدرون ما يسأل هؤلاء فيقولون ما أحد أولى بنصر الله وقتاله منا فيقول امضوا واكسروا أغمادكم فيسل الله سيفه عليهم فيقتل منهم الثلثان ويفر فى السفن منهم الثلث حتى إذا تراءت لهم جبالهم فبعث الله عليهم ريحاً فردتهم إلى مراسيهم إلى الشام فأخذوا وذبحوا عند أرجل سفنهم عند الشاطىء فيومئذ تضع الحرب أوزارها رواه اسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن ربيعة بن سفيان بن ماتع المغافرى عن مكحول عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الفقيه بن برجان فى كتاب الإرشاد له ومنه نقلته وفى إسناده مقال والله أعلم .

باب

ما جاء فى قتال الترك وصفتهم

البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر .

وخرج مسلم عن أبى هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

حقائلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة حمر الوجوه صغار الأعين زلف الآنف وفى رواية يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر أخرجه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجة والترمذى وغيرهم .

وخرجه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض الوجوه كأن أعينهم حدق الجراد وكأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعور ويتخذون الدرق يربطون خيولهم بالنخيل .

فصل

قوله المجان المطرقة المجان جمع مجن وهو الترس والمطرقة هى التى قد عوليت بعراق وهو الجلد الذى يغشاه شبه وجوههم فى عرضها ونتوه وجناتها بالترسة المطرقة قال معناه الخطابى وغيره وقيده القاضى عياض رحمه الله فى كتاب مشارق الأنوار له فقال الصواب فيه المطرقة بفتح الطاء وتشديد الراء .

قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية قال لى شيخنا المحدث الكبير اللغوى النحوى أبو إسحق الحمـــزى بل الصواب فيـه المطرقة بسكون الطاء وفتح الراء أى التى أطرقت بالعقب أى ألبست حتى غلظت وكأنها ترس على ترس ومنه طارقت النعل إذا ركبت جلدا على جلد وخرته عليه .

قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا معنى ما نقلناه عن الخطابى وقال أهل اللغة وفى الصحاح والمجان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة ويقال أطرقت الجلد والعصب أى ألبسته وترس مطرق وقولهم نعالهم الشعر أى يصنعون من الشعر حبالا ويصنعون منها نعالا كما يصنعون منه ثيابا ويشهد بهذا قوله يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر هذا ظاهره ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة فهى إذا ســـدلوها كاللباس وذوابها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال والأول أظهر .

Marfat.com

قال ابن دحية إنما كان نعالهم من ظفاير الشعر أو من جلود مشعرة لما فى بلادهم من الثلج العظيم الذى لا يكون فى بلد كبلادهم ويكون من جلد الذئب وغيره وقوله يلبسون الشعر فهو إشارة إلى الشرابيش التى يدار عليها بالقندس والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز وذوات الصوف كالضأن وذوات الوبر الإبل وقوله ذلف الأنف أى غلاظها يقال أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح والذلف فى اللغة تأخر الأرنبه وقيل تطامن فيها وقيل فطس الأنوف كما فى حديث البخارى عن أبى هريرة فالحديث كالقرآن يفسر بعضه بعضا ويروى دلف الأنوف بالدال المهملة والمعجمة أكثر .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رضى الله عنه وخوزا قيدناه فى صحيح البخارى ومسلم بالزاى وقيده الجرجانى فيه خورکورمان بالراء المهملة مضافا إلى كرمان وكذا صوبه الدار قطنى بالراء المهملة مع الإضافة وحكاه عن الإمام أحمد ابن حنبل وقال أن غيره صحف فيه وقال غير الدار قطنى إذا أضيف فبالراء المهملة لاغير وإذا عطفته فبالزاى لاغير ويقال إنهما جنسان .

باب

فى سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم

روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده قال حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن المهاجر قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أن أمتى يسوقها قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأن وجوههم الحجف ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب أما السياقة الأولى فينجوا من هرب منهم وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجوا بعض وأما السياقة الثالثة فيصطلمون كلهم من بقى منهم قالوا يانبى الله من هم قال هم الترك قال أما والذى نفسى بيده ليربطون خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين قال وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأستمية يعد ذلك للهرب مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء من الترك .

Marfat.com

قال الإمام أبو الخطاب عمر بن دحية وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة والصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى عن الإمام العدل المجمع على ثقته أبى نعيم الفضل بن دكين وبشير بن المهاجر وثقة راى أنس بن مالك روى عنه جماعة من الأئمة فوثقوه .

قال المؤلف رحمه الله وخرج أبو داود قال حدثنا جعفر بن مسافر قال حدثنا خلاد بن يحى حدثنا بشير بن مهاجر قال حدثنا عبـــد الله بن بريدة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث يقاتلونكم صغار الا عين يعنى الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب فإما فى السياقة الأولى فينجوا منهم من هرب وأما الثانية فينجوا بعض ويهلك بعض وأما فى الثالثة فيصطلمون .

فصل

الاصطلام الاستئصال واصله من الصلم وهو القطع اصطلمت أذنه إذا استوفيت بالقطع وانشد الفرا .

(ثم اصطلمت إلى الصماخ فلا قرن ولا إذن) والحديث الأول يدل على خروجهم وقتالهم المسلمين وقتلهم وقد وقع ذلك على نحو ما أخبر صلى الله عليه وسلم فخرج منهم فى هذا الوقت أنهم لا يحميهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى كأنهم يا جوج وما جوج أو مقدمتهم قال الحافظ السيد بن دحية رضى الله عنه يخرج فى جمادى الأول سنة سبع عشرة وستمائة جيش من الترك يقال له الططر (١) عظم فى قتله الخطب والخطر وقضى له من قتل النفوس المؤمنة الوطر (٢) ولم تنهد إلى دفعه بالحيل الفطر يقتلوا منه وراء النهر وما دونه من جميع البلاد بلاد خراسان ومحورسوم ملك بنى ساسان وهذا الجيش ممن يكفر بالرحمن ويرى أن الخالق المصور هما النيران وملكهم يعرف بخان خاقان وخربوا بيوت مدينة نشاور وأطلقوا فيها النيران وخار عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبىء فى المغارات والكهفان حتى وصلوا إليها وقتلوا وسبوا وخربوا البنيان وأطلقوا الماء

---

(١) ويقال التتر أو التتار .

(٢) الوطر الحاجة .

Marfat.com

على المدينة من نهر جيحان فغرق فيها مبانى الذرا والأركان ثم صيروا المشهد الرضوى بطوس أرضا بعد أن كان وقطعوا ما أمر الله عز وجل به أن يوصل من الدين باخسر الأديان إلى أن وصلوا بلاد قهستان فخربوا مدينة الرى وقزوين وأبهر وزنجان ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرسى بلاد أزربيجان واستأصلوا شافة من فى هذه البلاد من العلماء والأعيان واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ثم وصلوا إلى العراق الثانى وأعظم مدنه مدينة أصبهان ودور سورها أربعون ألف ذراع فى غاية الارتفاع والاتقان وأهلها مشتغلون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن وكف كف الكفر عنهم بأيمان الإيمان وأنزل عليهم مواد التأييد والإحسان فتلقوهم بصدور هى فى الحقيقة صدور الشجعان وحققوا الخبر بأنها بلد الفرسان واجتمع فيها مائة ألف ألف إنسان وخرجوا إليهم كأسد ولكن غاباتها عوامل الخرصان وقد لبسوا البياض كثغور الأقحوان وعليهم دروع فضفاضة فى صفا الغدران وهيأت المجاهدين درجات الجنان وأعدت للكافرين دركات النيران وبرز إلى البطر القتل فى مضاجعهم وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم فمرقوا عن أصبهان مروق السهم من الرمى وانشدوا (إلى الوادى فطم على القرى) ففروا منهم فرار الشيطان يوم بدر له خصاص ورأوا أنهم إن وقفوا لم يمكن لهم من الهلاك محاص وواصلوا السير بالسرى وهدوا من همدان الوهاد والذرى بعد أن قامت الحرب على ساق والأرواح فى مساق من ذبح ومثله وضرب الأعناق وصعدوا جبل أورند فقتلوا من فيه من جمـــوع صلحاء المسلمين وخربوا ما فيه من الجنات والبساتين وانتهكوا منهم ومن نسائهم حرمات الدين وكانت استطالتهم على مقدار ثلثى بلاد المشرق الأعلى وقتلوا فيها من الخلائق مالا يحصى وقتلوا فى العراق الثانى عدة تقرب أن تستقصى وربطوا خيولهم فى سوارى المساجد والجوامع كما جاء فى الحديث المنذر لخروجهم الشارح الجامع وأوغلوا فى بلاد المشرق أى ايغال وقادوا الجيوش إليها مقادة أبى رغال فى كلام له إلى أن قال وقطعوا السبل وأخافوها وجاسوا خلال الديار وطافوها وملؤا قلوب المؤمنين رعبا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحبا وحكموا سيوفهم فى رقاب أهلها وأطلقوا يد التخريب فى وعرها وسهلها

ولا شك أنهم هم المنذر بهم فى الحديث وأن لهم ثلاث خرجات يصطلمون فى الآخرة منها .

قال المؤلف رحمه الله فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبق إلا قتلهم وقتالهم فخرجوا على العراق الأول والثانى كما ذكرناه وخرجوا فى هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وماتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من كان فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد وحصروا ميافارقين واستباحوا جميع من فيها من الملوك والمسلمين وعبروا الفرات إلى أن وصلوا إلى مدينة حلب فخربوها وقتلوا من فيها إلا أن تركوها خالية يبب ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام فى مدة يسيرة من الأيام وفلقوا بسيوفهم الرؤوس والهام ودخل رعبهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللحوق بالدار الأخروية فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بقطر رضى الله عنه بجميع من معه من العسكر وقد بلغت الحناجر القلوب والأنفس بعزيمة صادقة ونية خالصة إلى أن التقى بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير وانجلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جميعه كما كان إلى الإسلام وعبروا الفرات منهزمين ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين وراحوا خايبين خاسرين مدحورين أذلاء صاغرين .

باب منه

وما جاء فى ذكر البصرة والايلة وبغداد والاسكندرية .

أبو داود الطيالسى قال حدثنا الحشرج بن نباتة الكوفى حدثنا سعيد بن جهان عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لتنزان طائفة من أمتى أرضا يقال لها البصرة ويكثر بها عددهم ونخلهم ثم يجىء قوم من نبى قنطوراء — راض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له دجلة فيتفرق المسلمون ثلاث فرق أما فرقة فتأخذ باذناب الإبل فتلحق البادية فتهلكت وأما فرقة فتأخذ على أنفسها وكفرت وهذه وتلك سواء وأما فرقة فيجعلون عيالاتهم

Marfat.com

خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء ويفتح الله على بقيتهم خرجه أبوداود السختيانى فى سننه بمعناه .

فقال حدثنا محمد بن يحيى بن فارس قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنى سعيد بن جيهان حدثنا مسلم بن أبى بكرة قال سمعت أبى يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ناس من أمتى بغايط يسمونه البصرة[1] عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين قال ابن يحيى وهو محمد قال معمر ويكون من أمصار المسلمين فإذا كان آخر الزمان جانبوا قنطورا عراض[2] الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق فرقة تأخذ اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا وفرقة يجعلون ذريتهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء قال أبو داود وحدثنا محمد بن مثنى قال حدثنى إبراهيم بن صالح بن درهم قال سمعت أبى يقول انطلقنا حاجين فإذا رجل فقال انا إلى جنبكم قرية يقال لها الايلة قلنا نعم قال من يضمن لى منكم أن يصلى فى مسجد العشار ركعتين أوأربعا ويقول هذه لأبى هريرة . سمعت خليلى صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم .

ذكر الخطيب أبو بكر بن أحمد بن ثابت فى تاريخ بغداد انبانا أبو القاسم الأزهرى حدثنا أحمد بن محمد بن موسى قال حدثنا أحمد جعفر بن المنادى قال ذكر فى إسناد شديد الضعف عن سفيان الثورى عن أبى اسحق الشيبانى عن أبى قبيس عن على رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها شر ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مقطعة تسبى فيها النساء ويذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم قال أبو قيس فقيل لعلى رضى الله عنه يا أمير المؤمنين وقد سماها رسول الله صلى عليه وسلم الزوراء فقال لأن الحرب تزور فى جوانبها حتى تطبقها .

---

(١) اراد بها والله أعلم بغداد بقرينة قوله دجلة وانما عرفها بالبصرة لان ببغداد موضعا خارجا عنه قريبا من بابه يدعى بباب البصرة فسماها بأسم بعضها على حذف مضاف

(٢) أى الترك وهم من اولاد يافث بن نوح . أحمد مرسى

Marfat.com

وقال أرطاة بن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان أخبرنى عن تفسير قوله تعالى حم عسق فاعرض عنه حتى أعاد ثلاثا فقال حذيفة أنا أنبيك بها قدعرفت لم تركها نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أوعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق يبنى عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاء فإذا أراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث الله على احداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة فتحترق كلها كأنها لم تكن فى مكانها فتصبح صاحبتها متعجبة كيف قلبت فما هو الابياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك حم عسق أى عزيمة من عزمات الله وفتنة وقضاء حم اى حم ماهو كائن ع عدلا منه س سيكون ق واقع فى هاتين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبدالله البجلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والفوات يجتمع فيها جبابرة الأرض تجيء إليها الخزائن يخسف بها وفى رواية يخسف بأهلها فلهى أسرع ذهابا فى الأرض من الوتد الجيـــد فى الأرض الرخوة وقرأ ابن عباس حم عسق بغير عين وكذلك هو فى مصحف عبد الله بن مسعود حكاه الطبرى وقال العباس وكان على يعرف الفتن بها وذكر القشيرى والثعلبى فى تفسيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة فى وجهه فقيل له يا رسول الله ما أحزنك قال أخبرت ببلايا تصيب أمتى من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم فى البحر وآيات متتابعات بنزول عيسى وخروج الدجال لفظ الثعلبى وقد روى حديث الزوراء محمد بن زكريا الغلابى وأسند عن على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إما أن هلاكها على يد السفيانى كأن بها والله قد صارت خاوية على عروشها ومحمد بن زكريا قال الدارقطنى كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن وهب عن عبدالله ابن عمرو بن العاص أنه قيل له بالاسكندرية أن الناس قد فزعوا فأمر بسلاحه وفرسه فجاءه رجل فقال من أين هذا الفزع قال سفن تراءت من ناحية قبرس قال انزعوا عن فرسى قال قلنا اصلحك الله أن الناس قد ركبوا فقال ليس هذا بملحمة الاسكندرية إنما يأتون من ناحية المغرب من نحو نطابلس فيأتى مائة ثم مائة حتى

Marfat.com

عد تسع مائة وخرج. الوائلى أبو نصر فى كتاب الابانة من حديث رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهرى عن كعب قال إنى لأجد فى كتاب الله المنزل على موسى بن عمران أن للاسكندرية شهداء يستشهدون فى بطحائها خير من مضى وخير من بقى وهم الذين يباهى الله عز وجل بهم شهداء بدر .

فصل

قوله بغايط الغائط المطمئن من الأرض والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة وبنوا قنطوراهم الترك يقال أن قنطورا جارية كانت لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولادا من نسلهم الترك وقيل هم من ولد يافث وهم أجناس كثيرة فنهم أصحاب مدن وحصون ومنهم قوم فى رءوس الجبال والبرارى والشعاب ليس لهم عمل غير الصيد ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم فى مصران فأكله وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين ومنهم من كان على دين المجوسية ومنهم من تهود وملكهم الذى يقال له خاقان يلبس الحرير وتاج الذهب ويحتجب كثيرا وفيهم بأس شديد وفيهم سحر وأكثرهم مجوس .

وقال وهب بن منبه الترك بنوا عم يا جوج وما جوج يعنى أنهم كلهم من ولد يا فث .

وقيل أن أصل الترك أو بعضهم من اليمن من حمير وقيل فيهم أنهم من بقايا قوم تبع والله أعلم ذكره أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الابانة .

بـــاب

ذكر أبو نعيم الحافظ عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى عليه وسلم قال يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم ثم يجعلهم أسدالا يفرون فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيأكم غريب من حديث يونس تفرد به عنه حماد .

Marfat.com

بـــاب

(ما جاء فى فضل الشام وأنه معقل من الملاحم)

البزار عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسى فظننت انه مذهوب به فاتبعته بصرى فعمد به إلى الشام إلا وأن الإيمان حين تقع الفتن بالشام خرجه أبو بكر أحمد بن سلمان النجار وقال عمود الإسلام قال أبو محمد عبد الحق هذا حديث صحيح ولعل هذه الفتن هى التى تكون عند خروج الدجال والله ورسوله أعلم وخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى بن سعيد من حديث الحكم بن عبد الله بن خطاف الازدى وهو متروك عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت هب رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه مذعورا وهو يرجع فقلت مالك بأبى أنت وأمى قال سل عمود الإسلام من تحت رأسى ثم رميت بصرى فإذا هو قد غرز فى وسط الشام فقيل لى يا محمد إن الله اختار لك الشام وجعلها لك عزا ومحشرا ومنعة وذكران من أراد الله به خيرا أسكنه الشام وأعطاه نصيبه منها ومن أراد الله به شرا أخرج منها من كنانته فهى معلقة وسط الشام فرما به فلم يسلم دنيا ولا أخرى .

وروى عن عبد الملك بن حبيب أنه قال حدثنى من أثق به أن الله عز وجل قال للشام أنت صفوتى من أرضى وبلادى ليسكنك خيرتى من خلقى وإليك المحشر من خرج منك رغبة عنك فبسخط منى عليه ومن دخلك رغبـــة فيك فبرضى منى دخلك .

أبو داود عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالفوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام .

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة عن أبى الزاهرية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الرجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج وما جوج الطور .

Marfat.com

قال المؤلف رحمه الله هـــذا صحيح ثبت معناه مرفوعا فى غير ما حديث وسيـــأتى .

باب

ما جاء أن الملاحم إذا وقعت بعث الله جيشا يؤيد به الدين

ابن ماجة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقعت الملاحم بعث الله جيشا من الموالى هم أكرم العرب فرسا وأجوده سلاحا يؤيد الله بهم الدين .

بـــاب

ما جاء فى المدينة ومكة وخرابهما

مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ المساكن اهاب أو يهاب قال زهير قلت لسهيل فكم ذاك من المدينة قال كذا وكذا ميلا أبو داود عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح قال الزهرى وسلاح قريب من خيبر قال المؤلف رحمه الله المسالح المطالع ويقال القوم مستعد بهم فى المراصد ويرتبون لذلك وسموا بذلك لحملهم السلاح وقال الجوهرى والمسلحة كالثغر والمرقب وفى الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب قال بشر

بكل قياد مسنغة عنودا ضربها المسالح والفرار

القياد حبل تقاد به الدابة والمسنف المتقدم يقال أسنف الفرس أى تقدم الخيل فإذا سمعت فى الشعر مسنفة بكسر النون فهى من هـــذا وهى الفرس التى تتقدم الخيل فى سيرها والعنود من عند عن الطريق يعند بالضم عنودا أى عدل فهو عنود والعنود أيضا من النوق التى ترعى ناحية والجمع عند ومنه قوله تعالى « أنه كان لآياتنا عنيدا » أى مجانبا للحق معاندا له معرضاً عنه يقال عند الرجل إذا أعتا وجاوز قدره .

مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تتركون

Marfat.com

المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلى العوافى يريد عوافى السباع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجد انها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما .

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافى يعنى السباع والطير وعن حذيفة قال أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فما منه شىء إلا قد سألته إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة .

وذكر أبوزيد عمر بن شبه فى كتاب المدينة على ساكنها الصلاة والسلام عن أبى هريرة قال ليخرجن أهل المدينة خير ما كانت نصفها زهو ونصفها رطب قيل ومن يخرجهم منها يا أبا هريرة قال أمراء السوء .

قال أبوزيد وحدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا بن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه على المنبر يقول أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلىء ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدا .

وخرج عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن أهل المدينة ثم ليعودون إليها ثم ليخرجن منها ثم لا يعودون إليها أبدا وليدعنها وهى خير ماتكون مونقة قيل فمن يأكلها قال الطير والسباع وخرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال والذى نفسى بيده لتكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد .

وعن الشيبانى قال لتخربن المدينة والبنود قائمة . البنود جمع بند وهو العلم الكبير قاله فى النهاية قال مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة . البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كأنى به أسود أفجح يقلعها حجراً حجراً . الفجح تباعد مابين الفخذين .

Marfat.com

وفى حديث حذيفة الطويل عنه صلى الله عليه وسلم كأنى بحبشى أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر يعنى الكعبة ذكره أبو الفرج بن الجـــوزى وهو حديث فيه طول وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام فى حديث على عليه السلام استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكانى برجل من الحبشة أصعل أصمع حمش الساقين قاعد عليها وهى تهدم .

قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبى العالية عن على قال الأصمعى قوله أصلع هكذا يروى فإما كلام العرب فهو صلع بغير ألف وهو الصغير الرأس وكذلك الحبشة كلهم قال والأصمع الصغير الأذن يقال منه رجل أصمع وامرأة صمعاء وكذلك غير الناس .

أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسم يبايع لرجل بين الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجىء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه وذكر الحليمى فيما ذكر أنه يكون فى زمن عيسى عليه السلام وأن الصريخ يأتيه بأن ذا السوقتين الحبشى قد سار إلى البيت لهدمه فيبعث إليه عيسى عليه السلام طائفة من الناس ما بين الثمان إلى التسع .

وذكر أبو حامد فى كتاب مناسك الحج له وغيره ويقال لا تغرب الشمس يوما إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعـــه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرتفع القرآن من المصاحف فيتصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ثم ترجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن

مريم عليه السلام فيقتل الدجال والساعة عند ذلك بمنزله الحـــامل المفرب تتوقع ولادتها .وفى الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة .قال المؤلف رحمه اللهوقيل أن خرابه يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف وذلك بعد موت عيسى عليه السلام وهو الصحيح فى ذلك علىما يأتى بيانه .

فصـــل

ثبت فى الصحيح الدعاءللمدينة والحث علىسكناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمن يدع الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هـــلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لايخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه إلا أن المدينة كالكير تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد رواه أبو هريرة وخرجه مسلم .

خرج عن سعيد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منأراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء .

ونحوه عن أبى هريرة رضى الله عنه ومثل هـذا كثير وهو خلاف ما تقدم وإذا كان هذا فظاهره التعارض(١) وليس كذلك فإن الحض على سكناها بما كان عنه فتح الأمصار ووجود الخيرات بها كما جاء فى حديث سفيان بن أبى زهير . قال سمعت رسول الله صلى الله علية وسلم يقول تفتح اليمن فيـــأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح الشام فيأتى قوم يعيشون فيحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح العراق فيأتى قوم يعيشون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لوكانوا يعملون رواه الائمة اللفظ لمسلم فحض صلى الله عليه وسلم على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار لانها مستقر الوحى وفيها مجاورته ففى حياته صحبته ورؤية وجهه الكريم وبعد وفاته مجاورة جدثه الشريف ومشاهدة أثاره

---

(١) ليس كما يقول المؤلف فانه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يأمر بالخروج منها ابدا فى حديث ثابت وانما الثابت اخباره بأن اهلها سيخرجون منها . فاين هذا من ذاك . والله الهادى للصواب أحمد مرسى

Marfat.com

العظيمة ولهذا ما قال لايصبر أحد على لاوائها وشدتها إلا كنت شفيعا أوشهيد له يوم القيامة وقال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن مات بها ثم إذا تغيرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخزوج منها غير قادح والانتقال منها حسن غير قادح .

فصل

وأما قوله من أراد أهل المدينة بسوء فذلك محمول على زمانه وحياته كما فى الحديث الآخر لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه وقد خرج منها بعد موته صلى الله عليه وسلم من الصحابة من لم يعوضها الله خيرا منه فدل على أن ذلك محمول على حياته(١) فإن الله تعالى كان يعوض أبدا رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا ممن رغب عنه وهذا واضح ويحتمل أن يكون قوله أذابه الله كناية عن أهلاكه فى الدنيا بعد موته وقد فعل الله ذلك بمن غزاها وقاتل أهلها كمسلم بن عقبة إذ أهلكه الله عند منصرفه عنها إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير أبلاه الله بالماء الأصفر فى بطنه فمات بقديد بعد الوقعة بثلاث .

وقال الطبرى مات بهرشى وذلك بعد الوقعة بثلاث ليالى وهرشى جبل من بلاد تهامة على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة وكأهلاك يزيد بن معاوية أثر اغزائه أهل المدينة حرم النبى المختار وقتله بها بقايا المهاجرين والأنصار فمات بعد هذه الوقعة واحراق الكعبة بأقل من ثلاثة أشهر ولأنه توفى بالذبحة وذات الجنب فى نصف ربيع الأول بحوارين من قرى حمص وحمل إلى دمشق وصلى عليه إبنه خالد وقال المسعودى صلى عليه ابنه معاوية ودفن فى مقبرة باب الصغير وقد بلغ سبعا وثلاثين سنة فكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر واثنى عشر يوما .

---

(١) أقول هذا حمل باطل وفهم عجيب بعيد عن الصواب بل هو مبطل للفظ الحديث . ولاتناقض اصلا يدعو الى هذا الجمع المتكلف الباطل فان من خرج من الصحابة رضى الله عنهم لم يخرجوا رغبة عنها . كما فى الحديث حتى يبدلها الله خير منهم وانما خرجوا لحاجة وضرورة دعتهم الى ذلك من طلب معيشة اوجهاد او غير ذلك فالحديث على عمومه فى كل زمان ماخرج منها احد رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وهذه فائدة جليلة فتنبه لها والله اعلم ورسوله أ ه أحمد مرسى

Marfat.com

فصل

وأما قوله تركون المدينة حدثنا المخاطب فمراده غير المخاطبين لكن نوعهم من أهل المدينة أو نسلهم وعلى خير ما كانت عليه فيما قيل وقد وجد هذا الذى قاله النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أنها صارت بعده صلى الله عليه وسلم معدن الخلافة وموضعها ومقصد الناس وملجأهم ومعقلهم حتى تنافس الناس فيها وتوسعوا فى خططها وغرسوا وسكنوا منها مالم يسكن قبل وبنوا فيها وشيدوا حتى بلغت المساكن اهاب فلما انتهت حالها كمالا وحسنا تناقص أمرها إلى أن أقفرت جهاتها بتغلب الاعراب عليها وتوالى الفتن فيها فخاف أهلها وارتحلوا عنها وصارت الخلافة بالشام ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزى فى جيش عظيم من أهل الشام فنزل بالمدينة فقاتل أهلها فهزمهم وقتلهم بحرة المـــدينة قتلا ذريعا واستباح المدينة ثلاثة أيام فسميت وقعة الحرة لذلك وفيه يقول الشاعر .

فإن تقتلونا يوم حـرة واقم فإنا على الإسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا لذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين ويقال لها حرة زهرة وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبع مائة وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وقتل بها من حملة القرآن سبع مائة رجـــل من قريش وسبعة وتسعون قتلوا جهرا ظلما فى الحرب وصبرا .

وقال الإمام الحافظ أبو محمد بن جزم فى المرتبة الرابعة وجالت الخيل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالت وراثت بين القبر والمنبر أدام الله تشريفها وأكره الناس على أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حـكم القرآن والسنة فأمر بقتله فضربت عنقه صبرا .

Marfat.com

وذكر الاخباريون أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها للعوافى الطير والسباع كما قال صلى الله عليه وسلم ثم تراجع الناس إليها وفى حال خلوها غدت الكلاب على سوارى المسجد والله أعلم وذكر أبوزيد عمر بن شبه قال حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتابا بالكعبة ليغشين أهل المـــدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهى مذللة وحتى تبول السنانير على قطائف الخز ما يروعها شيء وحتى تخرق الثعالب فى أسواقها مايروعها شيء وأما قوله فى الداعيين حتى إذا بلغوا ثنية الوداع خرا على وجوههما فقيل سقطا ميتين قال علماؤنا وهذا إنما يكون فى آخر الزمان وعند انقراض الدنيا بدليل ما قال البخارى فى هذا الحديث آخر من يحشر راعيان من مزينة قيل معناه آخر من يموت فيحشر لأن الحشر بعد الموت ويحتمل أن يتأخر حشرهما لتأخر موتهما .

قال الداودى أبو جعفر أحمد بن نصر فى شرح البخارى له وقوله فى الراعيين ينعقان بغنمهما يعنى يطلبان الكلاء وقوله وحشا يعنى خالية وقوله ثنية الرداع يعنى موضعا قريبا من المدينة مما يلى مكة وقوله خرا على وجوههما يعنى أخذتهما الصعقة حين النفخة الأولى وهو المـــوت وقوله آخر من يحشر يعنى أنهما بأقصى المدينة فيكونان فى أثر من يبعث منها ليس أن بعض الناس يخرج بعد بعض من الأجداث الا بالشيء المتقارب يقول الله تعالى «ان كانت الا صيحة واحدة فإذاهم قيام ينظرون» وقول النبى صلى الله عليه وسلم يصعق الناس فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أو كان من الذين استثنى الله وقال شيخنا أبو العباس القرطبي ويحتمل أن يكون معناه آخر من يحشر إلى المدينة أى يساق إليها كما فى كتاب مسلم رحمه الله تعالى .

قال المؤلف رحمه الله وقد ذكر ابن شبة خلاف هذا كله فذكر عن حذيفة بن أسيد قال آخر الناس يحشرا رجلان من مزينة يفقدان الناس فيقول أحدهما لصاحبه قد فقدنا الناس منذ حين انطلق بنا إلى شخص بنى فلان فينطلقان فلا يجدان بها أحـدا ثم يقول انطلق بنا إلى المدينة فينطلقان فلا يجدان بها أحـدا ثم

Marfat.com

يقول انطلق بنا إلى منازل قريش ببقيع الغرقد فينطلقان فلا يريان إلى السباع والثعالب فيوجهان نحو البيت الحرام .

وقد ذكر عن أبى هريرة قال آخر من يحشر رجلان رجل من جهينة وآخر من مزينة فيقولان أين الناس فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس .

فصـــل

وأما قوله فى حديث أبى هريرة يبايع لرجل بين الركن والمقام فهو المهدى الذى يخرج فى آخر الزمان على ما نذكره أيضا يملك الدنيا كلها والله أعلم .

فروى أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود والاسكندر والكافران نمروذ وبخت نصر وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدى .

باب

فى الخليفة الكائن فى آخر الزمان المسمى بالمهدى وعلامة خروجه

مسلم عن أبى نضيرة قال كنا جلوسا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك أهل العراق أن لايجيء قفيز ولا درهم من أين قال من قبل العجم يمنعون ذلك ثم قال يوشك أهل الشام أن لايجيء إليهم دينار ولا مدى قلنا من أين لك ذلك قال من قبل الروم ثم سكت هنيهة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عداقيل لأبى نضرة وأبى العلاء تريان أنه عمر بن عبد العزيز قالا لا .

أبو داود عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث

Marfat.com

إليه جيش من الشام فيخسف بهم باليدا بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال أهل الشام وعصايب العراق فيبايعونه ثم ينشر رجل من قريش اخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيغتنم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمين وذكر بن شبة فقال حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا حماد بن مسلمة قال حدثنا أبو المهزم عن أبى هريرة قال يجىء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة ويبقر بطون النساء ويقولون للحبلى فى البطن اقتلوا صبابة السوء فإذا علوا البيدا من ذى الخليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم قال أبو المهزم فلما جاء جيش ابن دلجة قلنا هم فلم يكونوا هم .

قال وحدثنا محمد بن يحى قال حدثنا أبو ضمرة الليثى عن عبد الرحمن بن الحرب ابن عبيد عن هلال بن طلحة الفهرى قال قال كعب الأحبار تجهز ياهلال قال فخرجنا حتى إذا كنا بالعقيق ببطن المسيل دون الشجرة والشجرة يومئذ قائمة قال يا هلال إنى أجد صفة الشجرة فى كتاب الله قلت هذه الشجرة قال فنزلنا فصلينا تحتها ثم ركبنا حتى إذا استوينا على ظهر البيدا قال يا هلال إنى أجد صفة البيدا قلت أنت عليها قال والذى نفسى بيده إن فى كتاب الله جيشا يؤمون البيت الحرام فاذا استووا عليها نادى أخرهم أولهم ارفقوا فخسف بهم وبأمتعتهم وأموالهم وذرياتهم إلى يوم القيامة ثم خرجنا حتى إذا انهبطت رواحلنا أدنى الروحاء قال ياهلال إنى أجد صفة الروحاء قال قلت الآن حين دخلنا الروحا قال وحدثنا أحمد ابن عيسى قال وحدثنا عبد الله بن وهب قال وحدثنى بن لهيعة عن بشر بن محمد المعافرى قال سمعت أبانواس يقول سمعت عبدالله بن عمرو يقول إذا أخسف بالجيش بالبيدا فهو علامة خروج المهدى قال المؤلف رحمه الله ولخروجه علامتان أخريان يأتى ذكرهما إن شاء الله تعالى .

فصل

قوله ثم سكت هنيهة بضم الهاء وتشديد الياء أى مدة يسيرة بتصغيرهن ويروى بهاين ورواه الطبرى هنيئة مهموز وهو خطا لا وجه له. فيه دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عما سيكون بعد فكان. ومثله الحديث الآخر منعت العراق درهمها وقفيزها الحديث أي ستمنع وأتى بلفظ الماضي في الأخبار لأنه ماض في علم الله أنه سيكون كقوله عز من قائل « أتى أمر الله أعلم سيرجعون عن الطاعة ويأبون من اذا ماوظف عليهم فى أحد الأمر وذلك أنهم يرتدون عن الاسلام وعن أداء الجزية ولم يكن ذلك فى زمانه ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك وقوله يحثى المال حثيا قال ابن الأنبارى أعلى اللغتين حثا يحثى وهو أصح وأفصح ويقال حثا يحثوا ويحثى واحث بكسر الثاء وضمها كله بمعنى اغرف بيديك.

باب

منه خروج المهدى وخروج السفيانى عليه وبعثه الجيش لقتاله وأنه الجيش الذى يخسف به

روى من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق وجيشا إلى المدينة فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزل بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعنى مدينة بغداد قال فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويقتضون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها أكثر من ثلاث مائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش على ليلتين فيقتلونهم حتى لا يغلب منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثانى بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون

Marfat.com

متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيدا بعث الله جبريل عليه السلام.فيقول يا جبريل إذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى عز وجل «ولوترى إذ فزعوافلافوت وأخذوامن مكان قريب»فلا يبقى منهم إلا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة ولذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين قال المؤلف رحمه الله حديث حذيفة هذا فيه طول وكذلك حديث ابن مسعود فيه ثم أن عروة بن محمد السفيانى يبعث جيشا إلى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدى ومن تبعه فأما الجيش الأول فانه يصل إلى الكوفة فيتغلب عليها ويسبى من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ ما يجد فيها من الأموال ثم يرجع فتقوم صيحة بالمشرق فيتبعهم أمير من أمراء بنى تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما فى أيديهم من السبى ويرد إلى الكوفة . وأما الجيش الثانى فانه يصل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يسيرون نحو مكة أعزها الله لمحاربة المهدى ومن معه فاذا وصلوا إلى البيدا مسحهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى «ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من كان قريب» وقد ذكر خبر السفيانى مطولا بتمامه أبو الحسين أحمد ابن جعفر بن المنادى فى كتاب الملاحم له وأنه الذى يخسف بجيشه قال واسمه عتبة ابن هند وهو الذى يقوم فى أهل دمشق فيقول يا أهل دمشق أنا رجل منكم وأنتم خاصتنا جدى معاوية بن أبى سفيان وليكم من قبل فأحسن وأحسنتم وذكر كلاما طويلا إلى أن ذكر كتابه إلى الجرهمى وهو على مايليه من أرض الشام وأتى البرقى وهو على ما يليه من حد برقة وماوراء برقة من المغرب إلى أن قال فيأتى الجرهمى فيبايعه واسم الجرهمى عقيل بن عقال ثم يأتيه البرقى واسم البرقى همام بن الورد ثم ذكر مسيرة إلى أرض مصر وقتاله لملكها فيقتلون على قنطرة الفرقا أو دونها بسبعة أيام ثم ينصرف أهل مصر وقد قتل منهم زهاء سبعين ألفا ونيفا ثم يصالحه أهل مصر ويبايعونه فينصرف عنهم إلى الشام ثم ذكر تقديمه الأمراء من العرب رجل من حضرموت ولرجل من خذاعة ولرجل من عبس ولرجل من ثعلبة وذكر

Marfat.com

عجائب وأن جيشه الذى يخسف بهم تبتلعهم الأرض إلى أعناقهم وتبقى رؤوسهم خارجة ويبقى جميع خيلهم واموالهم وأثقالهم وخزائنهم وجميع مضاربهم والسبى على حاله إلى أن يبلغ الخبر الخارج بمكة واسمه محمد بن على من ولد السبط الأكبر الحسن بن على فيطوى الله تعالى له الأرض فيبلغ البيدا من يومه فيجد القوم أبدانهم داخلة فى الأرض ورؤسهم خارجة وهم أحياء فيحمد الله عز وجل هو وأصحابه وينتحبون بالبكاء ويدعون الله عز وجل ويسبحونه ويحمدونه على حسن صنيعه إليهم ويسألونه تمام النعمة والعافية فتبلعهم الأرض من ساعتهم يعنى أصحاب السفيانى ويجد الحسنى العسكر على حاله والسبى على حاله وذكر أشياء كثيرة الله أعلم بصحتها أخذها من كتاب دانيال فيما زعم .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية ودانيال نبى من أنبياء إسرائيل كلامه عبرانى وهو على شريعة موسى بن عمران وكان قبل عيسى بن مريم بزمان ومن أسند مثل هذا إلى نبى عن غير ثقة أو توقيف من نبينا صلى الله عليه وسلم فقد سقطت عدالته إلا أن يبين وضعه لتصح أمانته . وقد ذكر فى هذا الكتاب من الملاحم وما كان من الحوادث وسيكون وجمع فيه التنافى والتناقض بين الضب والنون وأغـــرب فيما أعرب فى روايته عن ضرب من الهوس والجنون وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها ويتعذر على المتأول لها تأويلها وما يتعلق به جماعة الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم أن فى سنة ثلاث مائة يظهر الدجال من يهودية اصبهان وقد طعنا فى أوائل سبع مائة فى هذا الزمان وذلك شىء ما وقع ولا كان ومن الموضوع فيه المصنوع والتهافت الموضوع الحديث الطويل الذى استفتح به كتابه فهلا اتقى الله وخاف عقابه وأن من أفضح فضيحة فى الدين نقل مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين فانه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم ولا رواية تؤخذ فى ذلك إلا منهم وقد روى البخارى فى تفسير سورة البقرة عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا. وقد ذكر فى كتاب الاعتصام أن ابن عباس قال كيف تسألون

Marfat.com

أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزله الله على رسوله أحدث شيء تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه وقد كتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا إلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم .

قال ابن دحية رضى الله عنه وكيف يؤمن من خان الله وكذب عليه وكفر واستكبر وفجر . واما حديث الدابة فقد نطق بخروجها القرآن ووجب التصديق بها والإيمان قال الله تعالى «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم» وكنت بالأندلس قد قرأت أكثر كتب المقرىء الفاضل أبى عمر عثمان بن سعيد بن عثمان توفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة فمن تأليفه كتاب السنن الواردة بالفتن وغوايلها والأزمنة وفسادها والساعة وإشراطها وهو مجلد مزج فيه الصحيح بالسقيم ولم يفرق فيه بين نسر وظليم وأتى بالموضوع واعرض عما ثبت من الصحيح المسموع فذكر الدابة فى الباب الذى نصه باب ما روى أن الوقعة التى تكون بالزوراء وما يتصل بها من الوقائع والآيات والملاحم والطوام وأسند ذلك عن عبد الرحمن عن سفيان الثورى عن قيس بن مسلم عن ربعى بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون وقيعة بالزوراء قالوا يا رسول الله وما الزوراء قال مدينة بالمشرق بين أنهارها يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتى تعذب بأربعة أصناف من العذاب ثم ذكر حديث خروج السفيانى فى ستين وثلثمائة راكب حتى يأتى دمشق ثم ذكر خروج المهدى قال واسمه أحمد بن عبد الله وذكر خروج الدابة قال قلت يا رسول الله وما الدابة قال ذات وبر وريش عظمها ستون ميلا ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب وذكر ياجوج وماجوج وأنهم ثلاثة أصناف صنف منهم مثل الأرز الطوال وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع فى عشرين ومائة ذراع هم الذين لا يقوم لهم الحديد وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى . وهذه الأسانيد عن حذيفة فى عدة أوراق ظاهرة الوضع والاختلاف وفيها ذكر مدينة يقال لها المقاطع وهى على البحر الذى لا يحمل جارية يعنى السفن قيل يارسول الله ولم لا يحمل جارية قال لأنه ليس له قعر إلى أن قال حذيفة قال عبد الله بن

Marfat.com

سلام والذى بعثك بالحق أن صفة هذه فى التوراة طولها ألف ميل وعرضها خمس مائة ميل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ستون وثلثمائة باب يخرج من كل باب منها مائة ألف مقاتل قال الحـــافظ أبو الخطاب رضى الله عنه ونحن نرغب عن تسويد الورق بالموضوعات فيه ونثبت الصحيح الذى يقربنا من إله الأرضين والسموات فعبد الرحمن الذى يرويه عن الثورى هو بن هانىء أبو نعيم النخعى الكوفى قال يحى بن معين كذاب وقال أحمد ليس بشىء وقال ابن عدى عامة مايرويه لا يتابعه الثقات عليه وقد رواه عن الثورى عمر بن يحى بالسند المذكور انفا وقال تعذب بأربعة أصناف بخسف ومسخ وقـذف قال البرقانى ولم يذكر الرابع وعمر ابن يحى متروك الحديث وقـد روى حديث الزورا محمد بن زكريا الغلابى وأسند عن على رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما إن هلاكها على يد السفيانى كأنى والله بها قد صارت خاوية على عروشها ومحمد بن زكريا الغلابى قال أبو الحسن الدار قطنى كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم هذه الدابة المذكورة وطول ياجوج وماجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا الحـديث بالتصريح ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح لأن مثل هـذا القدر فى العظم والطول يشهد على كذب واضعه فى المنقول وأى مدينة تسع طرقاتها دابة عرضها ستون ميلا ارتفاعا وأى سبيل يضم ياجوج وماجوج وأحدهم طولا وعرضا مائتان وأربعون ذراعا لقد اجترا هذا الفاسق على الله العزيز الجبار بما اختلقه على نبيه المختار فقـد صح عنه باجماع من ائمة الاثار أنه قال من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ثم يطرق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن توراتهم ويكذبوننا بسبب ذلك فى كل حال . مسلم عن أم سلمة وسئلت عن الجيش الذى يخسف به وكان ذلك فى أيام ابن الزبير فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عائذ فيبعث إليه بعث فاذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم فقلت يارسول الله وكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولـكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقال أبو جعفر هى بيداء المدينة فقال عبد العزيز بن رفيع إنما قال بيدا من الأرض قال كلا إنها والله لبيدا المدينة وعن عبد الله بن صفوان قال أخبرتنى حفصة أنها سمعت

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى منهم إلى الشريد الذى يخبر عنهم أخرجه ابن ماجة وزاد فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم فقال رجل أشهد أنك لم تكذب على حفصه وإن حفصة لم تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه قال سيعوذ هذا البيت يعنى الكعبة قوم ليس لهم منعة ولاعدد ولاعدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم قال يوسف بن ماهك وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة قال عبد الله بن صفوان أما والله ماهو بهذا الجيش -

فصل

قوله ليس له منعة بفتح الميم والنون أى جماعة يمنعونه وهو مانع وهو أكثر الضبط فيه ويقال بسكون النون أيضا أى عزة وامتناع يمتنع بها اسم الفعلة من منع أو الحال بتلك الصفة أو مكان بتلك الصفة وأنكر أبو حاتم السجستانى إسكان النون وليس فى هذه الأحاديث أنه يخسف بأمتعتهم وانما فيها أنه يخسف بهم .

باب منه

آخر فى المهدى وذكر من يوطىء له ملكه

ابن ماجة عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلا واحد منهم ثم تطلع الريات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدى إسناده صحيح .

وخرج عن عبد الله بن الحارث بن جزالز بيدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى يعنى سلطانه .

وخرج أبو داود عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطىء أو يمكن لآل محمدصلى الله عليه وسلم وعليهم كما مكنت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وجبت على كل مؤمن نصرته أو قال أعانته .

باب منه

آخر فى المهدى وصفته واسمه واعطائه ومكثه أنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتال الدجال

أبو داود عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتى المهـــدى أن قصر فسبع والا فتسع تنعم فيه أمتى نعمة لم يسمعوا بمثلها قط تؤتى أكلها ولا تترك منهم شيئا والمال يومئذ كرؤس . يقوم الرجل فيقول يامهدى اعطنى فيقول خذ.وخرج عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدى منى أجلا الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما فيملك سبع سنين وذكر عبد الرازق، أخبرنا معمر عن أبى هارون العبدى عن معاوية بن قرة عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلايا تصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتى أهل بيتى فيملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء شيئا من قطرها إلا صبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجته حتى تتمنى الأحياء الأموات يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين .

ويروى هذا من غير وجه عن أبى سعيد الخدرى أبو داود عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم قال زايدة فى حديثه لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أمتى أو من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى خرجه الترمذى بمعناه وقال حديث حسن صحيح .

وفى حديث حذيفة الطويل مرفوعا فلو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول

الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتى تكون الملائكة بين يديه ويظهر الإسلام .

وخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال خشينا أن يكون بعد نبينا صلى الله علينا وسلم حدث فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجىء إليه الرجـــل فيقول يا مهدى اعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله قال هذا حديث حسن .

وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن الحنفية عن أبيه على رضىَ الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدى منا أهل البيت يصلحه الله عز وجل فى ليلة أو قال فى يومين .

فصل

وقع فى كتاب الشهاب لا يزداد الأمر إلا شدة ولاالدنيا إلا ادبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ولا مهدى إلا عيسى بن مريم قال المؤلف رحمه الله خرجه ابن ماجة فى سننه قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن إدريس الشافعى قال حدثنى محمد بن خالد الجندى عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزداد الأمر إلا شدة فذكره قال بن ماجة لم يروه إلا الشافعى قال المؤلف رحمه الله وخرجه أبو الحسين الآجرى قال حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد البردعى فى المسجد الحرام حدثنا يونس بن عبد الأعلى المصرى فذكره فقوله ولا مهدى إلا عيسى يعارض أحاديث هذا الباب فقيل أن هذا الحديث لا يصح لانه انفرد بروايته محمد بن خالد الجندى قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ الجندى هذا مجهول واختلف عليه فى إسناده قتادة يرويه عن إبان بن صالح عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا مع ضعف إبان وتارة يرويه عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بطوله فهو منفـــرد به مجهول عن إبان وهو

Marfat.com

متروك عن الحسن منقطع والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فى التنصيص على خروج المهدى من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم لها دونه قال المؤلف رحمه الله ونور ضريحه وذكر أبو الحسن على بن المفضل المقدسى شيخ أشياخنا محمد بن خالد الجندى روى عن إبان بن صالح عن الحسن البصرى وروى فيه الأمام ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه وهو راوى حديث لامهدى إلا عيسى بن مريم وهو مجهول وقدوثقه يحى بن معين روى له ابن ماجة قال أبوالحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبرى السجزى قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم يعنى المهدى وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى صلوات الله عليه يصلى خلفه فى طول من قصته وأمره .

قال المؤلف رحمه الله ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ولامهدى إلا عيسى أى لامهدى كاملا معصوما إلا عيسى وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض.

بـــاب

منه فى المهدى ومن أين يخرج وفى علامة خروجه وأنه يبايع مرتين ويقاتل السفيانى ويقتله

تقدم من حديث أم سلمة وأبى هريرة أن المهـــدى يبايع بين الركن والمقام وظاهر هذا أنه لم يبايع قبل وليس كذلك فانه روى من حديث ابن مسعود وغيره من الصحابة أنه يخرج فى آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشى النصر بين يديه أربعين ميلا راياته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب فلا تهزم له راية وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ما سنة من قبل المغرب فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون الحديث بطوله وفيه فيأتى الناس

Marfat.com

من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ بمكة وهو بين الركن والمقام وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التى بايعه الناس بالمغرب ثم إن المهدى يقول أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمرا فيخرج المهدى ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفيانى وكل من معه من كلب ثم يتبدد جيشه ثم يوجد عروة السفيانى على أعلى شجرة على بحيرة طبرية والخائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة .

فيروى عن حذيفة أنه قال قلت يا رسول الله كيف يحل قتلهم وهم مسلمون موحدون فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما إيمانهم على ردة لأنهم خوارج ويقولون برأيهم أن الخمر حلال ومع ذلك إنهم يحاربون قال الله تعالى «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» وذكر الحديث وسيأتى تمامه . وخبر السفيانى خرجه عمرو بن عبيد فى مسنده والله أعلم .

وروى من حديث معاوية ابن أبى سفيان فى حديث فيه طول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ستفتح بعدى جزيرة تسمى بالأندلس فتغلب عليهم أهل الكفر فيأخذون من أموالهم وأكثر بلدهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار ويرجع أكثر البلاد فيافى وقفارا وتنجلى أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم فيأخذون أكثر الجزيرة ولا يبقى إلا أقلها ويكون فى المغرب الهرج والخوف ويستولى عليهم الجوع والغلاء وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضا فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من أهل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المهدى القائم فى آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة قال المؤلف رحمه الله كل ما وقع فى حديث معاوية هذا فقد شاهدنا بتلك البلاد وعاينا معظمه إلا خروج المهدى .

Marfat.com

ويروى من حديث شريك أنه بلغه أن قبل خروج المهدى تكسف الشمس فى رمضان مرتين والله أعلم .

وذكر الدارقطنى فى سننه قال حدثنا أبوسعيد الاصطخرى قال حدثنى محمد ابن عبدالله بن نوفل حدثنا عبيد بن يعيش حدثنا يونس بن بكير عن عمر بن شمر عن جابر عن محمد بن على قال إن لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس فى النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض .

باب

ما جاء أن المهدى يملك جبل إلديلم والقسطنطينية ويستفتح رومية وانطاكية وكنيسة الذهب وبيان قوله تعالى «فإذا جاء وعد أولاهما الآية »

ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتى جبل الديلم والقسطنطينية إسناده صحيح .

وروى من حديث حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه بعد قوله ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ثم إن المهدى ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة انطاكية وهى مدينة عظيمة على البحر فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدرة الله عز وجل فيقتلون الرجال ويسبون النساء والاطفال ويأخذون الاموال ثم يملك المهدى انطاكية ويبنى فيها المساجد ويعمر عمارة أهل الإسلام ثم يسيرون إلى الروميه والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيقتحمون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربع مائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويستفتحون المدائن والحصون ويأخذون الاموال ويقتلون الرجال ويسبون النساء والاطفال ويأتون كنيسة الذهب فيجدون فيها الاموال التى كان المهدى أخذها أول مرة وهذه الاموال هى التى أودع فيها ملك الروم

Marfat.com

قيصر حين غزا بيت المقدس فوجد فى بيت المقدس هـــذه الاموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كامله كما أخذها مانقص منها شيئا فيأخذ المهدى تلك الاموال فيردها إلى بيت المقدس قال خذيفة قلت يارسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود سخر الله له الجن فأتوه بالدهب والفضة من المعادن وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد من البحار يغوصون كما قال الله تعالى «كل بناء وغواص» فلما أتوه بهذه الاصناف بناه منها فجعل فيه بلاطا من ذهب وبلاطا من فضـة وأعمدة من ذهب وأعمدة من فضة وزينه بالدر والياقوت والزمرد وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف قال حذيفة فقلت يارسول الله وكيف أخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى إسرائيل لما عصوا وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم بخت نصر وهو من المجوس فكان ملكه سبع مائة سنة وهو قوله تعالى «فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا» فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان فى بيت المقدس من هذه الأصناف واحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل وأقاموا يستخدمون بنى إسرائيل ويستملكونهم بالخزى والعقاب والنكال مائة عام ثم ان الله عز وجل رحمهم فأوحى الله إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس فى أرض بابل وأن يستنقذ ما فى أيديهم من بنى إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقى من بنى إسرائيل من أيدى المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذى كان فى بيت المقدس ورده إليه كما كان أول مرة وقال لهم يا بنى إسرائيل إن عدتم إلى المعاصى عدنا عليكم بالسبي والقتل وهو قوله تعالى «عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا» يعنى إن عدتم إلى المعاصى عدنا عليكم العقوبة فلما رجعت بنوا إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصى فسلط الله

Marfat.com

عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى «فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا» فغزاهم فى البر والبحر فسبقهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ حلى جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألف عجلة حتى أودعه كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذه المهدى ويرده إلى بيت المقدس ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك فعند ذلك يرسل الله عليهم ملك الروم وهو الخامس من آل هرقل على ما تقدم من تمام الحديث والله اعلم .

باب

ما جاء فى فتح القسطنطينية ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله اياه

مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتتنون أبدا فيفتحون القسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم فى أهلكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ اقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركة لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته وخرج ابن ماجة قال حدثنا على ابن ميمون الرقى قال حدثنا يعقوب الجعفرى عن كثير بن عبد الله بن عمر وبن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون أدنى مسالح المسلمين ببولا. ثم قال يا على يا على يا على ثم قال يا بنى قال أنكم ستقاتلون بنى الأصفر ويقاتلونهم الذين من بعدكم حتى يخرج إليهم روقة الإسلام

أهـــل الحجاز الذين لا يخافون فى الله لومة لائم فيفتحون قسطنطينية بالتسبيح والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها حتى يقتسموا بالأترسة فيأتى آت فيقول أن المسيح قد خرج إلى بلادكم الا وهى كذبة فالاخذ نادم والتارك نادم .

وخرج مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر قالوا نعم يا رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى اسحق فاذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لاإله إلاالله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور لاأعلمه قال الاالذى فى البحر ثم يقولون الثانية لا إله الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال أن الدجال قد خرج فيتركون كل شىء ويرجعون .

الترمذى عن أنس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة هكذا رواه موقوفا وقال حديث غريب والقسطنطينية مدينة الروم وتفتتح عنـــد خروج الدجال والقسطنطينية قد فتحت فى زمن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف رحمه الله هو عثمان بن عفان ذكر الطبرى فى التاريخ له ثم دخلت سنة سبع وعشربن ففيها كان فتح أفريقية على يد عبد الله بن أبى سرح وذلك أن عثمان رضى الله عنه لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحدا إلا عن شكاية وكان عبد الله بن أبى سرح من جند عثمان فأمره عثمان رضى الله عنه على الجند ورماه بالرجال وسرحه إلى إفريقية وسرح معه عبدالله بن نافع بن قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهرينى فلما فتح الله إفريقية خرج عبدالله وعبدالله إلى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان رضى الله عنه إلى من انتدب إلى الأندلس أمابعد فان القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وانكم ان افتتحتموها كنتم شركاء فى الأجر فيقال أنها فتحت فى تلك الأزمان وستفتح مرة أخرى كما فى أحاديث هذا الباب والذى قبله وقد قال بعض علمائنا أن حديث أبى هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالقتال وحديث ابن ماجة يدل على خلاف ذلك مع حديث أبى هريرة والله أعلم .

قال المؤلف رحمه الله لعل فتح المهدى يكون لها مرتين مرة بالقتال ومرة بالتكبير كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرتين فإن المهدى إذا خرج بالمغرب على ماتقدم جاءت إليه أهل الأندلس فيقولون يا ولى الله أنصر جزيرة الأندلس فقد بلغت وتلف أهلها وتغلب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم فيبعث كتبه إلى جميع قبائل المغرب وهم قزولة وخذالة وقذالة وغيرهم من القبائل من أهل المغرب أن أنصروا دين الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون إليه من كل مكان ويجيبونه ويقفون عند أمره ويكون على مقدمته صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة الغرا وهو صاحب المهدى وناصر دين الإسلام وولى الله حقا فعند ذلك يبايعونه ثمانون ألف مقاتل بين فارس وراجل قد رضى الله عنهم أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون فباعوا أنفسهم من الله والله ذو الفضل العظيم فيعبرون البحر حتى ينتهوا إلى حمص وهى أشبلية فيصعد المهدى المنبر فى المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة فيأتى إليه أهل الأندلس فيبايعه جميع من بها من أهل الإسلام ثم يخرج بجميع المسلمين متوجها إلى البلاد بلاد الروم فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم يخرجها من أيدى العدو عنوة الحديث . وفيه ثم أن المهدى ومن معه يصلون إلى كنيسة الذهب فيجدون فيها أموالا فيأخذها المهدى فيقسمها بين الناس بالسوية ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى وعصى موسى عليهما السلام وهى العصا التى هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من بيت المقدس فى جملة السبى حين سبى بيت المقدس واحتمل جميع ذلك إلى كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذها المهدى فإذا أخذ المسلمون العصا تنازعوا عليها فكل منهم يريد أخذ العصا فإذا أراد الله تمام أهل الإسلام من الأندلس خذل الله رأيهم وسلب ذوى الألباب عقولهم فيقسمون العصا على أربعة أجزاء فيأخذ كل عسكر منهم جزءا وهم يومئذ أربع عساكر وإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم الظفر والنصر ووقع الخلاف فى ذلك بينهم قال كعب الأحبار ويظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتون البحر فيبعث الله إليهم ملكا فى صورة ايل فيجوز بهم القنطرة التى بناها ذو القرنين لهذا المعنى خاصة فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا

Marfat.com

إلى مدينة فارس والروم وراءهم فلا يزالون كذلك كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراءهم وفى حديثه حذيفة ويتملكون مصر إلى الفيوم ثم يرجعون والله تعالى اعلم.

باب

اشراط الساعة وعلامتها

فاما وقتها لا يعلمه إلا الله وفى حديث جبريل ما المسئول عنها بأعلم من السائل الحديث خرجه مسلم.

وكذلك روى الشعبى قال لقى جبريل عيسى عليـــه السلام فقال له عيسى متى الساعة فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ثقلت فى السموات والأرض لأتاتيكم إلى بغتة.

وذكر أبو نعيم من حـديث مكحول عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للساعة إشراط قيل وما إشراطها قال علو أهل الفسق فى المساجد وظهور أهل المنـكر على أهل المعروف قال اعرابى فما تامرنى يا رسول الله قال دع وكن حلسا من أحلاس بيتك غريب من حديث مكحول لم نـكتبه إلا من حديث حمزة النصيبى عن مكحول.

فصـــل

قال العلماء رحمهم الله تعالى والحـكمة فى تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها تنبيه الناس عن رقدتهم وحثهم على الاحتياط لانفسهم بالتوبة والانابة كى لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم فيبغى للناس أن يـكونوا بعد ظهور إشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعـلم وتلك الاشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها فمنها خروج الدجال ونزول عيسى وقتله الدجال ومنها خروج ياجوج وماجوج ودابة الأرض ومنها طلوع الشمس من مغربها هذه هى الآيات العظام على ما يأتى بيانه وأما مايتقدم

Marfat.com

من هذه من قبض العلم وغلبة الجهـل واستيلاء أهله وبيع الحـكم وظهور المعازف واستفاضة شرب الخمور واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال وإطالة البنيان وزخرفة المساجد وإمارة الصبيان ولعن آخر هذه الأمة أولها وكثرة الهرج فإنها أسباب حادثة ورواية الأخبار المنذرة بها بعد ما صار الخبر بها عيانا تكلف لـكن لابد من ذكرها حتى يوقف عليها ويتحقق بذلك معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فى كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

باب

قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين

مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى .

وروى من طرق أخرجها البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة رضى الله عنهم ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقريب من الساعة التى هى القيامة وسرعة مجيئها وهذا كما قال الله تعالى « فقد جاء اشراطها » وقوله « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر » وقوله تعالى « اقترب للناس حسابهم » وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقال « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه قوله تعالى « أتى أمر الله » وثب فلما أنزل فلا تستعجلوه » جلس قال بعض العلماء إنما وثب عليه الصلاة السلام خوفا منه أن تكون الساعة قد قامت وقال الضحاك والحسن أول اشراطها محمد صلى الله عليه وسلم وروى موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال على عليه السلام من اقتراب الساعة ظهور البواسير وموت الفجاءة .

فصل

أن قيل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل الحديث فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم وزويتم عنه أنه

قال بعثت أنا والساعة كهاتين وهذا يدل على أنه كان عالما فكيف يتألف الخبران قيل له قد نطق القرآن بقوله الحق «قل إنما علمها عندربى» الآية فلم يكن يعلمها هو ولا غيره وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فمعناه أن النبي الآخير فلا يلينى نبي آخر وإنما تلينى القيامة كما تلى السابة الوسطى وليس بينهما اصبع أخرى وهذا لايوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها وهى مع ذلك كائنة لأن أشراطها متتابعة وقد ذكر الله الاشراط فى القرآن فقال «فقد جاء أشراطها» أى دنت وأولها النبي صلى الله عليه وسلم لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي ثم بين صلى الله عليه وسلم مايليه من الاشراط فقال أن تلد الأمة ربتها إلى غير ذلك مما سنذكره ونبينه بحول الله تعالى فى أبواب إن شاء الله تعالى .

باب

أمور تكون بين يدى الساعة

البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم ويكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويظهر الفتن ويكثر الهـــرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه وحتى يتطاول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورءاها الناس أجمعون فذلك حين «لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا» ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى[1] فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها .

(١) وفى نسخة إبله فيه

Marfat.com

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم هذه ثلاث‌عشرة علامة جمعها أبوهريرة فى حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والاشراط فى عموم إنذار النبي صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وتغيير الدين وذهاب الأمانة ما يغنى عن ذكر التفاصيل الباطلة والأحاديث الكاذبة فى إشراط الساعـــة من ذلك حديث .

رواه عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى سنة مائتين يكون كذا وكذا وفى العشر والمائتين يكون كذا وكذا وفى العشرين كذا وفى الثلاثين كذا وفى الخمسين كذا وفى الستين والمائتين تعتكف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة وهذا شيء يعم وسائر الأمور التى ذكرت قد تكون فى بلدة وتخلوا منه أخـــرى فهذا عكوف الشمس لايخلوا منه أحد فى شرق ولاغرب فإن كان المائتين من الهجرة فقد مضت وإن كان من موت النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضت وأيضا دلالة أخرى على أنه مفتعل أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وضعوه على عهد عمر رضى الله عنه فكيف يجوز هـذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال فى سنة مائتين أو سنة عشرين ومائتين ولم يكن وضع شيء من التاريخ .

وكذلك ما روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت سنة تسع وتسعين وخمس مائة يخرج المهدى فى أمتى على خلاف من الناس يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويفتح الله له كنوز الآرض وتنزل السماء قطرها وتخرج الأرض ثمرها ويَزرع الزارع فى الأرض صاعا فيصيب مائة صاع ويذهب الغلاء والقحط والجوع عن الناس ويجوز إلى الأندلس ويقيم فيها ويملكها تسع سنين ويستفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم ويغنم رومية وكنيسة الذهب فيجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى

وعصى موسى عليهما السلام فيكسرون العصا على أربعة أجزاء فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم النصر والظفر ويخرج عليهم ذوالعرف فى مائة ألف مقاتل بعد أن يتحالف الروم أنهم لا يرجعون أو يموتون فينهزم المسلمون حتى يأتوا سرقسطة البيضاء فيدخلونها بإذن الله تعالى ويكرم الله من فيها بالشهادة ولا يكون للمسلمين بعدَ خراب سرقسطة سكنى ولافرار بالأندلس وينتهون إلى قرطبة فلا يجدون فيها أحد لما أصاب الناس من شدة الفزع من الروم يهربون من الأندلس يريدون العدو فإذا اجتمعوا على ساحل البحر ازدحموا على المراكب فيموت منهم خلق كثير فينزل الله إليهم ملكا فى صورة ابل فينجوا من نجا وغرق من غـــرق فيملك الروم الأندلس إلى خروج الدجال .

قال المؤلف رحمه الله كل ما جاء فى هذا الحديث فذكور فى حديث حذيفة وغيره وإنما تعيين التاريخ وقد كان سنة تسع وتسعين وخمس ومائة ولم يكن شيء من ذلك بل كان بالأندلس تلك السنة وقعة الأرك التى أهلك الله فيها الروم ولم يزل المسلمون فى نعمة وسرور إلى سنة تسع وستمائة فكانت فيها وقعة العقاب هلك فيها كثير من المسلمين ولم يزل المسلمون فى تلك الوقعة بالأندلس يرجعون القهقرى إلى أن استولى عليهم العدو وغلبهم بالفتن الواقعة بينهم والتفصيل يطول ولم يبق الآن من الأندلس إلا اليسير فنعوذ بالله من الفتن والخذلان والمخالفة والعصيان وكثرة الظلم والفساد والعدوان والذى ينبغى أن يقال به فى هذا الباب أن ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن إن ذلك يكون وتعيين الزمان فى ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أى سنة هى ولا أى شهر إما أنها تكون فى يوم جمعة فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى خلق الله فيها آدم عليه السلام ولكن أى جمعة لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له وكذلك ما يكون من الاشراط تعيين الزمان لها لا يعلم والله أعلم وقد سمعت من بعض أصحابنا أن ما وقع من التاريخ فى حديث أبى سعيد الخدرى إنما ذلك بعد المائة التى قال النبى صلى الله عليه وسلم أن يعش هذا الغلام فعسى أن

Marfat.com

لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة وفى رواية قال أنس ذلك الغلام من أترابى يومئذ خرجه مسلم .

وفى حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على الأرض نفس منفوسة يعنى اليوم يأتى عليها مائة سنة قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح ومعلوم أن أنس توفى فى عشر المائة بالبصرة فعلى هذا يكون سنة سبع وتسعين وست مائة وهذا لم يجيء بعد فالله تعالى أعلم .

قال المؤلف رحمه الله وبحديث أبى سعيد الخدرى وابن عمر وجابر استدل من قال أن الخضر ميت ليس بحى وقال الثعلبى فى كتاب العرائس والخضر على جميع الأقوال نبى معمر محجوب عن الأبصار وذكر عن عمرو بن دينار قال أن الخضر والياس لا يزالان يحييان فى الأرض فإذا رفع القرآن ماتا وهذا هو الصحيح فى الباب على ما بيناه فى سورة الكهف من كتاب جامع أحكام القرآن والحمد لله .

فصل

وأما الثلاث عشرة خصلة فقد ظهر أكثرها من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة يريد فيه معاوية وعليا كرم الله وجهه بصفين وقد تقدم الإشارة إليهما وقال القاضى أبو بكر بن العربى وهذا أول خطب طرق فى الإسلام .

قال المؤلف رحمه الله بل أول أمر دهم الإسلام موت النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت عمر فبموت النبى صلى الله عليه وسلم انقطع الوحى وماتت النبوءة وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه قال أبو سعيد ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا وقال أبو بكر الصديق فى أبيات يرثى بها النبى صلى الله عليه وسلم .

فلتحدث حوادث من بعده تعنى [1] بهن جوانح وصدور

---

(١) من عنى يعنى عناء اى تعب جمع جانحة وهى الأضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر اهـ

Marfat.com

وقالت صفية بنت عبد المطلب فى أبيات ترثى بها النبى صلى الله عليه وسلم

لعمرك ما أبكى النبي لفقده ولـكن ما أخشى من الهرج اتيا

وبموت عمر سل سيف الفتنة وقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره مايكون وكان على ماتقدم وقوله حتى يبعث دجالون كذابون الدجال ينطلق فى اللغة على أوجه كثيرة يأتى ذكرها. أحدها الـكذاب كما جاء فى هذا الحديث . وصحيح مسلم يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون الحديث ولايجمع ماكان على فعال جمع التكسير عند الجماهير من النحوين لئلا يذهب بنا المبالغة منه فلا يقال إلا دجالون كما قال عليه الصلاة والسلام وإن كان قدجاء مكسرا وهو شاذ انشد سيبوبة لابن مقبل .

إلا الإفادة فاستولت ركائبنا عند الجبابير بالبأساء والنقم

وقال مالك بن أنس فى محمد بن اسحاق إنما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة قال عبد الله بن إدريس الأودى وما عرفت إن دجالا يجمع على دجالة حتى سمعتها من مالك بن أنس .

وقوله قريب من ثلاثين قد جاء عددهم معينا فى حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تـكون فى أمتى دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وأنا خاتم النبيين ولا نبى بعدى خرجه أبو نعيم الحافظ وقال هذا حديث غريب تفرب به معاوية بن هشام ووجد فى كتابه بخط أبيه حدث به أحمد بن حنبل عن على بن المدينى وقال القاضى عياض هذا الحديث قد ظهر فلوعد من تنبأ من زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته لوجد هذا العدد فيهم ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العمل به ولم يبق إلا رسمه على ما يأتى بيانه وقوله وتـكثر الزلازل فقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى أنه وقع منها بعراق العجم كثير وقد شاهدنا بعضها بالأندلس وسيأتى وقوله ويتقارب الزمان قيل المعنى يتقارب أحوال أهله فى قلة الدين حتى لا يـكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنـكر كما هو اليوم لغلبة الفسق وظهور أهله وفى الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فإذا تساووا هلـكوا يعنى لايزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح

Marfat.com

وخوف الله عز وجل يلجأ إليهم عند الشدائد ويستسقى بآرائهم ويتبرك بدعائهم وأثارهم وقيل غـــير هذا حسب ما تقدم فى باب لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه :

وقوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى بهم رب المال من يقبل صدقته هذا عالم يقع بل يكون على ما يأتى ورب مفعول بهم ومن يقبل فاعل بهم يقال أهمنى ذلك الأمر أحزننى وأقلقنى وهمه يهمه إذا بالغ فى ذلك وقوله حتى يتطاول الناس فى البنيان هذا مشاهد فى الوجود مشاهدته تغنى عن الكلام فيه .

وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه ذلك لما يرى من عظيم البلاء وربح الأعداء وغبن الأولياء ورياسة الجهلاء وخمول العلماء واستيلاء الباطل فى الأحكام وعموم الظلم والجهر بالمعاصى واستيلاء الحرام على أموال الخلق والتحكم فى الأبدان والاموال والأعراض بغير حق كما فى هذا الزمان وقد تقدم أول الكتاب حديث أبى عيسى الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم بادروا بالأعمال ستا الحديث .

وروى الأعمش سليمان بن مهران عن عمرو بن مرة عن أبى نضرة عن عبدالله ابن الصامت قال قال أبو ذر رضى الله عنه يوشك أن يأتى على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ كما يغبط اليوم أبو عشرة ويغبط الرجل باختفائه عن السلطان وجفائه عنه كما يغبط اليوم بمعرفته إياه وكرامته عليه وحتى تمر الجنازة فى السوق على الجماعة فينظر إليها الرجل تهتز بهذا رأسه فيقول يا ليتنى مكان هذا قال قلت يا أبا ذر وان ذلك من أمر عظيم قال أجل يا ابن أخى عظيم عظيم .

قال المؤلف رحمه الله هذا هو ذلك الزمان الذى قد استولى فيه الباطل على الحق وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق فباعوا الأحكام ورضى بذلك منهم الحكام فصار الحكم مكسا والحق عكسا لا يوصل إليه ولا يقدر عليه بدلوا دين الله وغيروا حكم الله سماعون للكذب أكالون للسحت ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون ، فى الكفار خاصة كلها وقيل عامة فى من بدل حكم

Marfat.com

الله وغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن .

ولقد أحسن بن المبارك حيث يقول فى أبيات له :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقوله حتى تطلع الشمس من مغربها إلى آخره يأتى القول فيه إن شاء الله تعالى واللقحة الناقة الغزيرة اللبن ويليط يصلح يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه ليطا ولوطا إذا لطخه بالطين وأصلحه والأُكلة بضم الهمزة اللقمة فإذا كانت بمعنى المرة الواحدة فهى بالفتح لأنها مصدر وهى المرة الواحدة من الأكل كالضربه من الضرب فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاجله من أمر الساعة ما يمنع من تمام فعله واقترب من ذلك رفع الأكلة وهى اللقمة إلى فيه فتقوم الساعة دون بلوغها إليه وكذلك القول فى المتبايعين من نشر الثوب وطيه فاعلمه .

باب منه

أبو نعيم الحافظ عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية عن ثابت وهو قاض بصرى فى حديثه نكارة .

قال المؤلف رحمه الله صحيح المعنى لما ظهر فى الوجود من ذلك وقال مكحول يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار .

وقد خرج الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول قال حدثنا أبى رحمه الله قال حدثنا حوشب بن عبد الكريم حدثنا حماد بن زيد عن إبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الانتنون ثم تظهر قلانس البرد

Marfat.com

فلا يستحى يومئذ من الزنا والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمرة والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين قالوا منا أو منهم قال بل منكم .

وأخرج الدارمي أبو محمد قال أخبرنا محمد بن المبارك حدثنا صدقة بن خالد عن ابن جابر عن شيخ يكنى أبا عمرو عن معاذ بن جبل قال سيبلى القرآن فى صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضان على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطهم خوف إن قصدوا قالوا سنبلغ وإن أساءوا قالوا سيغفر لنا إنا لانشرك بالله شيئا وقد تقدم فى باب «وقودها الناس والحجارة» حديث العباس بن عبد المطلب وفيه ثم يأتى أقوام يقرأون القرآن فإذا قراءوه قالوا من أقرأ منا من أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه فقال هل ترون فى أولئك من خير قالوا لا قال أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار .

باب منه

مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تضطرب اليات دوس حول ذى الخلصة وكانت صنما نعبدها دوس فى الجاهلية .

وعنه أن رسول الله صلى الله علبه وسلم قال لا تذهب الليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه فى غير مسلم رجـــل من الموالى يقال له جهجاه فسقط من رواية الجلودى من الموالى وهو خطأ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه . وخرج البخارى ومسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الإبل ببصرى .

الترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال عليكم بالشام قال حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر . البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال أول إشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .

الترمذى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم قال هذا حديث حسن غريب خرجه ابن ماجة أيضا .

وذكر عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أشعث بن عبدالله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال جاء ذئب إلى راعى غنم فأخـــذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال فقعد الذئب على تل فاقعى واستقر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته منى فقال الرجل بالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال فكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم فصدقه النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنها أمارات بين يدى الساعة قد يوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاة وسوطه بما[1] أحدث أهله بعده ويروى هذا عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعى إلا أن من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى تكلم الرجل عذبة صوته وشراك نعلة ويخبره فخذه بحديث أهله بعده .

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده قال هذا حديث حسن غريب ضحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل والقاسم بن الفضل ثقة مأمون .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية حكم أبو عيسى بصحته ونظرنا سنده دون أن نقلده فوجدنا له علة قال أبو عيسى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبى عن القاسم ابن الفضل قال حدثنا أبو نضرة العبدى عن أبى سعيد الخدرى فذكره قال ابن دحية سفيان بن وكيع لم يخرج له البخارى ومسلم حرفا واحدا فى صحيحهما وذلك بسبب

---

(١) لعل هذا شىء سيخترع كما اخترعوا جل ما اشار به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويمكن تفسير ذلك بالشريط الذى يسجل الصوت وكذا الصورة فيما نعلمه الآن . وقد ألف الامام المجتهد الحافظ السيد احمد بن الصديق قدس الله سره فى ذلك مؤلف قيم جداً لم يؤلف مثله فيما اعلم اسمه مطابقة الاختراعات العصرية بما اخبر به سيد البرية ففيه العجب العجاب والله الهادى للصواب أحمد مرسى

وراق كان له يدخل عليه الحديث الموضوع يقال له قزطمة قال البخارى يتكلمون فى سفيان لأشياء لقنوه إياها .

وقال أبو محمد بن عدى كان سفيان إذا لقن يتلقن فهذه علة الحديث التى جهلها أبو عيسى الترمذى .

مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض وحتى يخرج الرجل ذكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وانهارا .

فصل

حول ذى الخلصة ثبت حديث ذى الخلصة فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جرير بن عبد الله البجلى إلى هذا البيت قال جرير فنفرت إليها فى مائة وخمسين من أخمس فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده قال أبو الخطاب بن دحية وذو الخلصة بضم الخاء واللام فى قول أهل اللغة والسير وبفتحها قيدناه فى الصحيحين وكذا قال ابن هشام وقيده الإمام أبو الوليد الكنانى الوقشى بفتح الخاء وسكون اللام وكذا قال ابن زيد واختلف فيه فقيل هو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب وقيل هو صنم كان عمرو بن لحى نصبه بأسفل مكة حتى نصبت الأصنام فى مواضع شتى وكانوا يلبسونه القلائد ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده وقيل ذو الخلصة هى الكعبة اليمانية فكان معناهم فى تسميتها بذلك أن عبادة خالصة والمعنى المراد بالحديث أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم فى عبادة الأوثان فترسل نساء دوس طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك فى آخر الزمان وذلك بعد موت جميع من فى قلبه مثقال حبة من إيمان وهو كما جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تذهب الليالى والأيام حتى تعبد اللات والعزى الحديث وسيأتى بكماله .

وقوله يسوق الناس بعصاه كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه ولم يرد نفس العصاة وإنما ضرب بها مثلا لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن فى ذكرها دليلا على خشونته عليهم وعنفه بهم وقد قيل أنه يسوقهم بعصاة كما

Marfat.com

تساق الإبل والماشية وذلك لشدة عنفه وعدواه ولعل هـذا الرجل القحطانى هو الرجل الذى يقال له الجهجاه وأصل الجهجهة الصياح بالسبع يقال جهجهت بالسبع أى زجرته بالصياح ويقال جهجة عنى أى أنته وهذه الصفة توافق ذكر العصى والله أعلم. وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عائذ بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن شر الرعاة الحطمة والرعاة فى اللغة جمع راع وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا مثلا لوالى السولان الحطمة هو الذى يعنف بالأبل فى السوق والإيراد والإصـــدار فيحطمها أى يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شىء وسواق حطم كذلك يعنف فى سوقه وقوله حتى تخرج نار من أرض الحجاز فقد خرجت نار عظيمة وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخره سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت وظهرت النار بقرطبة عند قاع التنعيم بطرف الحرة يحيط بها ترى فى صورة البلد العظيم كأعظم مايكون من البلدان عليها سور يحيط بهاعليه شرافات كشرافات الحصون وأبراج وموادن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهى إلى البحرة محط الركب العراقى فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة وكان يلى المدينة ببركة النبى صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها قال لى بعض أصحابنا ولقد رأيتها صاعدة فى الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة .

قال المؤلف رحمه الله وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى ثم نشأ من بعد هذه النار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرقت جميع الحرم حتى أنها أذابت الرصاص التى العمد عليها ·فوقعت ولم يبق غير السور واقفا ونشأ بعد ذلك أخذ بغداد بتغلب التتر عليها فقتـــل من كان فيها وسباه وذلك عمود الإسلام وماؤه فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن بانتشار التتر فى البلاد وبقى الناس حيارى سكارى بغير خليفة ولا أمام فزادت المحنة وعظمت

Marfat.com

الفتنة إن لم يتدارك الله سبحانه بالعفو والفضل والمنه اما قوله وستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل القيامة فلعلها النار التى جاء ذكرها فى حديث حذيفة .

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقصدنكم اليوم نار هى اليوم خامدة فى واد يقال له برجوت تغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام تطـــير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين الأرض والسماء دوى كدوى الرعد القاصف هى من رؤوس الخلائق أدنى من العرش قلت يا رسول الله هى يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ هم شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه كذا رواه أبو نعيم الحافظ فى باب مكحول أبى عبد الله امام أهل الشام عن أبى سلمة عنه عن حذيفة .

وقوله عذبة سوطه يريد السير المعلق فى طرف السوط وفى هذا الحديث مايرد على كفرة الأطباء والزنادقة الملحدين وأن الكلام ليس مرتبطا بالهيبة والبلة وإنما البارى جلت قدرته يخلقه متى شاء فى أى شىء شاء من جماد أو حيوان على ماقدره الخالق الرحمن فقد كان الحجر والشجر يسلمان عليه صلى الله عليه وسلم تسليم من نطق وتكلم ثبت ذلك فى غير ما حديث وهو قول أهل أصول الدين فى القديم والحديث وثبت باتفاق حديث البقرة والذئب وأنهما تكلما على ما أخبر عنهما صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين قاله ابن دحية وقوله حتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا أخبـــارا عن خروج عادتهم من إنتاج الكلاء ومواضع العشب بحفر الأنهار وغرس الأشجار وبناء الديار .

باب منه أخر

أبو عمر بن عبد البر عن أبى مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أن بين يدى الساعة التسليم على الخاصة وفشو التجارة حتى تعيب المرأة زوجها على التجارة

Marfat.com

وقطع الارحام وفشو القلم وظهور شهادة الزور وكتمان شهادة الحق قال أبو عمر ابن عبد البر أما قوله وفشو القلم فإنه أراد ظهور الكتاب خرجه أبو جعفر الطحاوى بلفظه ومعناه إلا أنه قال حتى تعين المرأة بدل تعيب ولم يذكر وقطع الأرحام ذكره أبو محمد عبد الحق .

وخرج أبو داود الطيالسى قال حدثنا ابن فضاله عن الحسن قال قال عمر بن ثعلب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن من إشراط الساعة أن تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وان من اشراط الساعة ان تقاتلوا قوما كان وجوههم المجان المطرقة وأن إشراط الساعة أن تكثر التجارة ويظهر القلم .

وذكر ابن المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يرفع العلم ويفيض المال ويظهر القلم وتكثر التجارة قال الحسن لقد أتى علينا زمان إنما يقال تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ما يكون فى الحى إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد وذكره أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن مسعود قال كان يقال أن من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقا وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة وأن يتجر الرجل وامرأته جميعا وأن يغلوا مهور النساء والخيل ثم يرخص فلا تغلوا إلى يوم القيامة .

باب منه

البخارى عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء وتقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد أخرجه مسلم من حديث أنس مسلم عن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب لايجد أحدا يأخذها منه ويرى الرجل الواحد يتبعونه أربعون امرأة تلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء .

Marfat.com

فصل

قوله ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة يريد والله أعلم أن الرجال يقتلون فى الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل فيقبلن على الرجل الواحد فى قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن كما قال فى الحديث الآخر قوله حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد الذى يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء وقد كان هـــذا عندنا أو قريب منه بالأندلس وقيل أن لقلة الرجال وغلبة الشبق على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل واحدة تقول أنكحنى أنكحنى والأول أشبه ويكون معنى يلذن يستترن ويتحرزن من الملاذ الذى هو السترة لا من اللذة .

ولقد أخبرنى صاحبنا أبو القاسم رحمه الله أخو شيخنا أبو العباس أحمد ابن عمر رحمه الله أنه ربط نحوا من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى فى حبل واحد مخافة سبى العدو ولما خرجوا من قرطبة أعادها الله وأما ظهور الزنا فذلك مشهور فى كثير من الديار المصرية. من ذلك مأثور ومن ذلك إظهار الخمر والمأخور نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأما قلة العلم وكثرة الجهل فذلك شائع فى جميع البلاد ذائع أعنى يرفع العلم وقلة ترك العمل به كما قال عبد الله بن مسعود ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ولكن إقامة حدوده ذكره ابن المبارك وسيأتى هذا المعنى مبينا مرفوعا إن شاء الله تعالى .

بـــاب

كيف يقبض العلم

البخارى ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يفتون برأيهم فيضلون ويضلون .

Marfat.com

وفى رواية حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا انتزاعا مصدر من غير اللفظ كما قال الله عزوجل « والله أنبتكم من الأرض نباتا »

أبو داود عن سلامة بن الحر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدون إماما يصلى بهم .

باب

ما جاء أن الأرض تخرج ما فى جوفها من الكنوز والأموال

روى الأئمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا وفي رواية عن جبل من ذهب لفظ البخارى ومسلم وقال مسلم فى رواية فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل واحد منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو وقال ابن ماجة فيقتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة .

وخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تتقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا أقطعت رحمى ويجيء السارق فيقول فى هذا أقطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا لم يذكر الترمذى السارق وقطع يده وقال حديث حسن صحيح غريب .

فصل

قال الحليمى رحمه الله فى كتاب منهاج الدين له وقال عليه الصلاة والسلام يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا فيشبه أن يكون هذا فى آخر الزمان الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد وذلك زمن عيسى عليه السلام فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك

Marfat.com

الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين ويحتمل أن يكون نهيه عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراطه فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار مع ذلك جهل واغترار ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا ويحتمل أن يكون لا يجرى به مجرى المعدن فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه فكان الانقباض عنه أولى .

قال المؤلف رحمه الله التأويل الأوسط هو الذى يدل عليه الحديث والله أعلم.

باب

فى ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق فى أمر العامة

البخارى عن أبى هريرة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم إذ جاء إعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع ما قال حتى إذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف أضاعتها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله الرواية الصحيحة عند جميع رواة البخارى إذا وسد ورواه الفقيه الإمام المحدث أبو الحسن القابسى أسد قال والذى احفظ وسد وفى نسخه من البخارى إشكال بين وسدا وأسد على ما قيد له لأنه كان أعمى وهما بمعنى قال أهل اللغة يقال أساد ووسادوا شقاقهما واحد يقال أساد ووسادة ووساد فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا وسد الأمر إلى غير اهله أى أسند وجعل إليهم وقلدوه بمعنى الإمارة كما فى زماننا اليوم لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فينبغى لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر فى أمور الأمة فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التى فرض الله عليهم .

Marfat.com

وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال أخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرنى عن إمارتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان .

وفى رواية إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من اشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من اشراطها .

الترمذى عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع قال حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبى عمرو وخرج الغيلانى أبو طالب محمد حدثنا أبو بكر والشافعى حدثنا موسى بن سهل بن كثير أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عبد الملك بن قدامة عن المنبرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل يا رسول الله وما الرويبضة قال الرجل التافه ينطق فى أمر العامة وقال أبو عبيد التافه الرجل الخسيس الخامل من الناس وكذلك كل شىء خسيس فهو تافه قال ومما يثبت حديث الرويبضة الحديث الآخر أنه قال من اشراط الساعة أن ترى رعاء الشاء رؤس الناس وأن ترى العراة الجوع يتبارون فى البنيان وأن تلد الأمة ربتها وذكر أبو عبيد فى الغريب له فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول ويظهر التحوت قالوا يا رسول الله وما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم وأنشدوا شعر .

أيا دهرا عملت بنا إذاكا ... ووليتنا بعد وجة قفاكا
قلبت الشرار علينا رءوسا ... وأجلست سفلتنا مستواكا
فيادهران كنت عاديتنا ... فها قد صنعت بنا ما كفاكا

وقال آخر :

ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور

Marfat.com

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب وغيره مما تقدم ويأتى قد ظهر أكثره وشاع فى الناس معظمه فوسد الأمر إلى غير أهله وصار رؤس الناس أسافلهم عبيد هم وجهالهم فيملكون البلاد والحكم فى العباد فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد فى هذه الأزمان فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية فهم صم بكم عمى قال قتادة صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمى عن الإبصار له وهذه صفة أهل البادية والجهالة والبهم جمع بهمه وأصلها صغار الضأن وللمعز وقد فسره فى الرواية الأخرى فى قوله رعاء الشاه وقوله وأن تلد الأمة ربها وفى رواية ربتها تأنيث رب أى سيدها وقال وكيع هوان تلد العجم العرب ذكره ابن ماجة فى السنن قال علماؤنا وذلك بأن يستولى المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسرى فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه وعلى هذا فالذى يكون من إشراط الساعة إستيلاء المسلمين واتساع خطتهم وكثرة الفتوح وهذا قد كان وقيل هو أن يُبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربها وعلى هذا فالذى يكون من إشراط الساعه غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد واستهانة الناس بالأحكام وهذا على قول من قال بتحريم بيع امهات الاولاد وهم الجمهور وقيل المراد أن يكثر العقوق فى الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب ويشهد لهذا ما جاء فى حديث أبى هريرة المرأة مكان الأمة وقوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون الولد غيظا وسيأتى إن شاء الله تعالى .

قال المؤلف رحمة الله وهذا ظاهر فى الوجود من غير نكير مستفيض وشهير وقيل إنما كان سيدها ربها لأنه كان سبب عتقها كما قال عليه الصلاة السلام فى مارية أعتقها ولدها قال المؤلف رحمه الله وقول خامس سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوى المقرىء أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسى القرطبي المعروف بابن حجة يقوله غير مرة وهو الاخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما فى هذه الأزمان التى قد

Marfat.com

استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان فتسبي المرأة وهي حبلى أو ولدها صغير فيفرق بينهما فيكبر الولد فربما يجتمعان ويتزوجها كما قد وقع من ذلك كثير فإنا لله وإن إليه راجعون ويدل على هذا قوله إذ ولدته المرأة بعلها وهذا هو المطابق للاشراط مع قوله عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض والله أعلم .

باب

إذا فعلت هذه الأمة خمس عشرة خصلة حل بها البلاء

الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وما هي يا رسول الله قال إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمرا أو خسفا أو مسخا قال هذا حديث غريب وفي إسناده فرج بن فضالة وضعف من قبل حفظه .

وخرج أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتخذ الفيء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو زلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات متتابعات كنظام بال قطع سلكه فتتابع قال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

Marfat.com

باب منه

ابونعيم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسخ قوم من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير قيل يا رسول الله ويشهدون أن لا إله لا الله وأنك رسول الله ويصومون قال نعم قيل فما بالهم يارسول الله قال يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشربة فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير .

ابن ماجة عن أبى مالك الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤسهم بالدفوف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير خرجه أبو داود عن مالك ابن أبى مريم قال دخلنا على عبدالرحمن بن غنم فتذاكرنا الطلاء قال حدثنى أبو مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغـــير اسمها زاد ابن أبى شيبة يضرب على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض .

قال أبو محمد عبد الحق رواياه جميعا من حـديث معاوية بن صالح الحمصى وقد ضعفه قوم منهم يحى بن معين ويحى بن سعيد فيما ذكره بن أبى حاتم وقال أبو حاتم فيه حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به ووثقه أحمد بن حنبل وأبوزرعة .

البخارى عن أبى مالك الأشعرى أوعن أبى عامر سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال ليكونن ناس من أمتى يستحلون الحر والحرير والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة .

قال المؤلف رحمه الله هذا يصحح ما قبله من الأحاديث والحر هو الزنا قاله الباهلى ويروى الخز بالخاء والزاى والصواب ما تقدم .

Marfat.com

باب منه

ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن على عن عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبى قال أنبأنا مالك ابن أنس عن نافع بن عمر قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة ابو معاية الانصارى الى حلوان العراق فليغيروا على ضواحيها قال فوجه سعد نضلة فى ثلثمائة فارس فخرجـــوا حتى أتو حلوان العراق فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة وسبيا فأقبلوا يسرقون الغنيمة والسبى حتى رهقهم العصر وكادت الشمس أن تؤوب قال فألجأ نضلة الغنيمة والسبى إلى سفح الجبل ثم قال فأذن فقال الله أكبر الله أكبر فإذا بجيب من الجبل يجيب كبرت تـكبيرا يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال كلمة الإخلاص يا نضلة قال أشهد أن محمدا رسول الله قال هذا النذير وهو الذى بشر به عيسى عليه السلام وعلى رأس أمته تقوم القيامة قال حى على الصلاة قال طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها قال حى على الفلاح قال أفلح من أجاب محمدا صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لامة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص كله يا نضلة فحرم الله بها جسدك على النار فلما فرغ من أذانه قمنا فقلنا له من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فانا وفد الله ووفد رسوله ووفد عمر بن الخطاب قال فانفلق الجبل عن هامة كالرحاء أبيض الرأس واللحية وعليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قلنا وعليك السلام ورحمته وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زرنب بن برثملا وصى العبد الصالح عيسى بن مريم أسكننى هذا الجبل ودعى لى بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصارى فأما إذ فاننى لقى محمد صلى الله عليه وسلم فاقرؤا عمر منى السلام وقولوا له يا عمر سددوقارب فقد دنى الأمر وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها إذاظهرت هذه الخصال فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا فى غير مناسبهم وانتموا الى غير موليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك المعروف فلم يؤمر به وترك المنكر فلم ينه

عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدراهم والدنانير وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف وشيدوا البناء واتبعوا الشهوات وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا بالدماء وقطعت الأرحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار الغنى عزا وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه وركبت النساء السروج ثم غاب عنا قال فكتب بذلك نضلة إلى سعد فكتب سعد إلى عمر وكتب عمر الى سعد يا سعد الله أبوك سر أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا هذا الجبل فإن لقيته فأقره منى السلام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن بعض أوصياء عيسى بن مريم نزل ذلك الجبـــل ناحية العراق قال فخرج سعد فى أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل ذلك الجبل فأقام أربعين يوما ينادى بالآذان فى كل وقت صلاة فلا جواب .

قال الخطيب تابع إبراهيم بن رجاء أبو مومى عبد الرحمن الراسبى على روايته عن مالك وليس بثابت من حديثه .

باب منه آخر

خرج ابو نعيم من حديث حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء ، واستعلوا البناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ويكون الحكم ضعفا ، والكذب صدقا ، والحرير لباسا ، وظهور الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وائتمن الخائن ، وخون الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظا ، والولد غيظا وفاض اللئام فيضا ، وغاض الكرام غيضا ، وكان الأمراء فجرة والوزراء كذبة ، والأمناء خونة والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء يعنى الدنانير وتطلب البيضا يعنى الدراهم وتكثر الخطايا وتغل الأمراء وحليت المصاحف وصورت المساجد ، وطولت المنابر ،

Marfat.com

وخربت القلوب ، وشربت الخمـــور ، وعطلت الحدود وولدت الأمة ربتها وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها فى التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وحلف بالله وشهد المرء من غير أن يستشهد ، وسلم المعرفة وتفقه لغير الدين ، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه ، وجفا أمه ، وبر صديقه ، وأطاع زوجته ، وعلت أصوات الفسقة فى المساجد واتخذ القينات والمعازف ، وشربت الخمور فى الطرق واتخذ الظلم فخرا ، وبيع الحكم ، وكثر الشرط واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع صفاقا ، والمساجد طرقا ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عندذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات غريب من حديث عبد الله بن عمير عن حذيفة لم يروه عنه فيما أعلم الافرج بن فضالة .

قال المؤلف رحمه الله وهذه الخصال قد تقدم ذكرها فى أحاديث متفرقة وكلها بينة المعنى إلا قوله وجلود السباع صفافا قال الجوهرى الصفاق الجلد الرقيق تحت الجلد الذى عليه الشعر وخرج الدار قطنى عن عامر الشعبى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين وأن تتخذ المساجد طرقا وأن يظهر موت الفجأة قال الجوهرى معنى قبلا أى يرى ساعة يطلع لعظمه ويوضحه حديث آخر من إشراط الساعة انتفاخ الأهلة ويقال رأيت الهلال قبلا وقبلا أى معاينة .

باب منه

الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول قال حدثنا عمر بن أبى عمر قال حدثنا هشام بن خالد الدمشقى عن اسماعيل بن عياش عن ليث عن ابن سابط عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير قال أبو عبد الله فالمسخ تغير الخلقة عن جهتها فإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته وحرفوا الكلم عن مواضعه فمسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق فمسخ الله صورهم وبدل خلقهم كما بدلوا الحق باطلا.

Marfat.com

باب

فى رفع الأماتة والإيمان من القلوب

روى الأئمة البخارى ومسلم وابن ماجة وغيرهم واللفظ لمسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى حذر قلوب الرجال قال ابن ماجة قال الطنافسى يعنى وسط قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فنفط فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحـــدا يؤدى الأمانة حتى يقال أن فى بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى على زمان ما أبا لى أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه على دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه فاما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا .

فصل

الجذر بالذال المعجمة ويقال بفتح الجيم وكسرها وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجر وغيره والوكت بإسكان الكاف وهو الاثر اليسير يقال أوكنت السرة إذا ظهرت فيها نكتة من الارطاب وهو مصدر وكته يكتة وكتاء وهو أيضا مثل نكتة فى العين وغيرها والمجل هو النفخ الذى يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو مجذاف أو نحوه يحتوى على ماثم يصلب ويبقى عقدا قال ابن دحية قيدناه فى الحديث بسكون الجيم وأجاز أهل اللغة والنحو فتح الجيم مصدر مجلت يده تمجل مجلا بفتح الجيم فى المصدر إذا غلظت من العمل وقوله فنفط أى

ارتفع جلدها وانتفخ فتراه منتبرا أى منتفطا ومعناه مرتفعا جلده من لحمه وهو افتعال من النبر وهو الرفع وكل شىء رفع شيا فقد نبره ومنه اشتق المنبر وأراد بذلك خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شىء يحويه كجمر دحرجته يعنى أطلقته فينطلق ظهر اليدين من ذلك وقول حذيفة لقد أتى على زمان الحديث يعنى كانت الأمانة موجودة ثم قلت فى ذلك الزمان وقوله ليردنه على ساعيه يعنى من كان رئيسا مقدما فيهم واليا عليهم أن ينصفنى منه وإن لم يكن له اسلام وكل من ولى على قوم فهو ساع لهم وقوله فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا قال أبو عبيدة هو من البيع والشراء لقلة الأمانة .

باب

فى ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض أول علم يرفع من الناس

ابن ماجة قال حدثنا أبوبكر بن أبى شيبة قال حدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن زياد بن لبيد قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم شيئا قال ذاك عند أوان ذهاب العلم قلت يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقريه أبناؤنا ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة قال ثكلتك أمك زيادان كنت لاراك من أفقة رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤن التوراة والإنجيل لا يعملون بشىء منهما .

وخرجه الترمذى عن جبير عن تفسير عن أبى الدرداء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لايقدروا على شىء منه فقال زياد بن لبيد الأنصارى كيف يختلس منا ونحن قد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا فقال ثكلتك أمك يازياد إن كنت لاعدك من فقهاء المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم فلقيت عبادة بن الصامت فقلت ألا تسمع مايقول أخوك أبو الدرداء فأخبرت بالذى قال أبو الدرداء قال صدق أبو الدرداء أن شئت لاحدثنك بأول

Marfat.com

علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلا خاشعا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث ولا أعلم أحداً تكلم فيه غير يحي بن سعيد القطان .

وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك .

قال المؤلف رحمه الله خرجه لهذا الإسناد الحافظ أبو محمد عبد الغنى فقال حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال حدثنا يحي بن أيوب حدثنا يحي بن بكير قال حدثنا الليث قال حدثنى إبراهيم بن أبى عبله عن الوليد بن عبدالرحمن عن جبير بن نفير قال حدثنى عوف بن مالك الأشجعى قال نظر رسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء يوما وقال هذا أوان رفع العلم فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد يا رسول الله وكيف يرفع العلم وقد كتب فى الكتب ووعته الصدور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت لاحسبك من أفقه أهل المدينة وذكر اليهود والنصارى وضلالتهم على مافى أيديهم من كتاب الله فذكرت ذلك لشداد بن أوس فقال صدق عون بن مالك إلا أخبرك بأول ذلك يرفع الخشوع حتى لا ترى رجلا خاشعا ذكره فى باب تقييد الحديث بالكتابة وهو حديث حسن :

قال المؤلف رحمه الله وقد ذكرناه فى مسند زياد بن لبيد بإسناد صحيح على ماذكره ابن ماجه وهو يبين لك ماذكرناه من أن المقصود برفع العلم العمل به كما قال عبد الله بن مسعود ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده ثم بعد رفع العمل بالعلم يرفع الرقم والكتابة ولا يبقى فى الأرض من القرآن آية تتلى على ما يأتى فى الباب بعد هذا .

وقد خرج الدار قطنى وابن ماجة من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا الفرائض وعلموها للناس فانه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شىء ينزع من أمتى لفظ الدار قطنى ولا تعارض والحمد لله فإن الخشوع من علم القلوب والفرائض من علم الظاهر فافترقا والحمد لله .

Marfat.com

بـــاب

فى دروس الإسلام وذهاب القرآن

ابن ماجة قال أخبرنا على بن محمد قال أنبأنا أبو معاوية عن أبى مالك الأشجعى عن ربيعى بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثـــوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى منه فى الأرض آية ويبقى طوايف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا أباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها قال له صلة ما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدق فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة فقال ياصلة تنجيهم من النار ثلاثا

قال المؤلف رحمه الله هذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام لاعند خروج ياجوج وماجوج على ما تقدم من رواية مقاتل

وذكر أبو حامد من رفعه فان عيسى عليه السلام إنما ينزل مجددا لما درس من هذه الشريعة فانه بحجة على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

بـــاب

العشرايات التى تكون قبل الساعة وبيان قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر

روى عن حذيفة أنه قال كنا جلوسا بالمدينة فى ظل حايط وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرفة فاشرف علينا وقال مايجلسكم فقلنا نتحدث فقال فيماذا فقلنا عن الساعة فقال إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشرايات أولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى وخروج ياجوج وماجوج

Marfat.com

ويكون آخر ذلك نار تخرج من اليمن من حفرة عدن لاتدع أحدا خلفها إلا تسوقه إلى المحشر ذكره القتبي فى كتاب عيون الأخبار له وخرجه مسلم بمعناه عن حذيفه قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال لاتقوم الساعة حتى تكون عشر ايات طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة وياجوج وماجوج وخروج عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا خرجه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن وفى رواية الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم .

وفى البخارى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب مسلم عن عبد الله بن عمر قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحا وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فاخرى على أثرها قريبا منها وفى حديث حذيفة مرفوعا ثم قال عليه الصلاة والسلام كانى أنظر إلى حبشى أحمش الساقين أزرق العينين أفطس الانف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له وهم ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها فى البحر فعند ذلك تكون علامات منكرات طلوع الشمس من مغربها ثم الدجال ثم ياجوج وماجوج ثم الدابة وذكر الحديث .

فصل

جاءت هذه الآيات فى هذه الأحاديث مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولا فان الترتيب فيه بثم وليس الأمر كذلك على ما نبينه وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال إن الساعة لا تكون حتى تروا

عشرايات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العـــرب والدخان والدجال ودابة الأرض وياجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس وقال بعض الرواة فى العاشرة ونزول عيسى بن مريم وقال بعضهم وريح يلقى الناس فى البحر أخرجه مسلم فأول الأمر على ما فى هذه الرواية الخسوفات الثلاث وقد وقع بعضها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ذكره ابن وهب وقد تقدم وقد ذكر أبو الفـــرج بن الجوزى أنه وقع بعراق العجم زلازل وخسوفات هايلة هلك بسببها خلق كثير قال المؤلف رحمه الله وقد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعنا من بعض مشايخنا بقرية يقال لها قطرطندة من قطر دانية سقط عليها جبل هناك فأذهبها وأخبرنى أيضا بعض أصحابنا أن قرية من أعمال برقة يقال لها ترسة أصابها زلزلة شديدة هدت حيطانها وسقفها على أهلها فماتوا تحتها ولم ينج منهم إلا قليل ووقع فى هـذا الحديث دابة الأرض قبل ياجوج وماجوج وليس كذلك فان أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج ياجوج وماجوج فاذا قتلهم الله بالنغف فى أعناقهم على ما يأتى وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منـه وتطاولت الأيام على الناس وذهب معظم دين الاسلام أخذ الناس فى الرجوع إلى عادتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ثم تغيب الدابة عنهم ويهلون فاذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعـــد ذلك الكافر ولا فاسق توبة وازيل الخطاب والتكلف عنهم ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبا لان الله تعالى يقول «وما خلقت والجن الأنس إلا ليعبدون» فاذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك فى الأرض زمانا طويلا هكذا ذكره بعض العلماء.

وأما الدخان فروى من حديث حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة دخانا تملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث فى الأرض أربعين يوما

Marfat.com

فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام .وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره وقيل هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة .

روى هذا عن على وابن عمر وأبى هريرة وابن عباس ولبن أبى مليكة والحسن وهو معنى قوله تعالى « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين » .

وقال ابن مسعود فى هذه الآية أنه ما أصاب قريشا من القحط والجهد حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء كهيأة الدخان من الجهد حتى أكلوا العظام وقد مضت البطشة والدخان واللزام والحديث عنه بهـــذا فى كتابى مسلم والبخارى وغيرهما .

قال أبو الخطاب أبن دحية والذى يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين إحداهما وقعت وكانت الأخرى ستقع وستكون فأما التى كانت فانهم كانوا يرون فيها كهيأة دخان وهى الدخان غير الدخان الحقيق الذى يكون عند ظهور الآيات التى هى من الاشراط والعلامات ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون، فيكشف عنهم ثم يعودون لقرب الساعة وقول ابن مسعود لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من تفسيره وقد جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه . .

قال المؤلف رحمه الله قد روى عن ابن مسعود انهما دخانان قال مجاهد كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضى أحدهما والذى بقى يملأ مابين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة وأما الكافر فتثقب مسامعه فتبعث عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ويبقى شرار الناس واخلاط فى البطشة واللزام فقال أبى هو القتل بالسيف يوم بدر وإليه نحا ابن مسعود وهو قول أكثر الناس وعلى هـذا تكون البطشة واللزام شيئا واحدا قال ابن مسعود البطشة الكبرى وقعة بدر وقيل هى يوم القيامة وأصل البطش الأخذ بشدة وقع الألم واللزام فى اللغة الفصل فى القضية وفسره ابن مسعود بأن ذلك كان يوم بدر

Marfat.com

وهو يوم البطشة الكبرى فى قوله أيضا وقيل أن اللزام هو المذكور فى قوله تعالى « فسوف يكون لزاما » وهو العذاب الدايم وأما الدجال فيأتى ذكره فى أبوابه وأما الدابة فهى التى قال الله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم » وسيأتى بيانها وأما قوله وآخر ذلك نار تخرج من اليمن وفى الرواية الأخرى من قعر عدن وفى الرواية الأخرى من أرض الحجاز قال القاضى عياض فلعلهما نيران تجتمعان لحشر الناس أو يكون ابتداء خروجهما من اليمن فظهورها من الحجاز .

قال المؤلف رحمه الله أما النار التى تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على ما تقدم القول فيها وبقيت النار التى تسوق الناس إلى المحشر وهى التى تخرج من اليمن وقد مضى القول فى الحشر ويأتى القول فى طلوع الشمس من مغربها فأما قول الله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » فقد روى أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فأراهم القمر منشقا نصفين والجبل بينهما فقال أشهد وأثبت هذا فى الصحيحين وغيرهما من العلماء من قال أنه ينشق كقوله تعالى « أتى أمر الله » أى يأتى قال الحليمى أبو عبد الله فى كتاب منهاج الدين له فان كان هذا فقد أتى ورأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا كما كانا ولكنهما فى شكل واحد شكل أترجة ولم أمل طرفى عنهما إلى أن غابت وكان معى ليلتئذ كتيبة من شريف وفقيه وغيرهم من طبقات الناس وكلهم رأى ما رأيت وأخبرنى من وثقت به أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقا بنصفين قال الحليمى فقد ظهر أن قول الله وانشق القمر إنما خرج على الانشقاق الذى هو من أشراط الساعة دون الانشقاق الذى جعله الله آية لرسوله صلى الله عليه وسلم .

باب

ما جاء أن الآيات بعد المايتين

ابن ماجة عن أبى قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بعد

Marfat.com

المايتين وعن يزيد الرقاشى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمتى على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم إلى عشرين وماية سنة أهل تراحم وتواصل ثم الذين يلونهم إلى ستين وماية أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج الهرج النجا النجا وفى رواية عن أبى معن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتى على خمس طبقات كل طبقة أربعون عامة فأما طبقتى وطبقة أصحابى فأهل علم وإيمان وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى ثم ذكر نحوه .

باب

ما جاء فيمن يخسف به أو يمسخ

أبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس إن الناس يمصرون امصارا وأن مصرا منها يقال لها البصرة أو البصيرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير وخرج ابن ماجة عن نافع أن رجلا أتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام فقال له بلغنى أنه قد أحدث فإن أحدث فلا تقرأه منى السلام فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون فى أمتى أو فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف ونحوه .

عن سهل بن سعد وقد تقدمت الإخبار والاحاديث فى خسف الجيش الذى يقصد مكة لقتال المهدى خرجهما مسلم وغيره .

وكذلك تقدم حديث البخارى وغيره فى باب إذا فعلت هذه الأمة خمس عشرة خصلة وذكر الثعلبى فى تفسيره من حديث جرير بن عبد الله البجلى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل[1] والصرات يجتمع فيها جبابرة الأرض تجبى اليها الخزائن يخسف بها وفى رواية يخسف بأهلها فلهى

(١) وفى نسخة طريل والسراة وبهامشها الفرات بدل السراة

أسرع ذهابا فى الأرض من الوتد الجيد فى الأرض الرخوة يقال أنها بغداد وقد تقدم والله أعلم .

باب

(ذكر الدجال وصفته ونعته ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه إذا خرج وما ينجى منه وأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى)

قال ابن دحية : قال العلماء الدجال فى اللغة ينطلق على عشرة وجوه الأول أن الدجال الكذاب قاله الخليل وغيره وأنها دجلة بسكون الجيم ودجلة بفتحها كذبة لأنه يدجل الحق بالباطل وجمعه دجالون ودجاجلة فى التكسير وقد تقدم .

الوجه الثانى أن الدجال مأخوذ من الدجل وهو طلاء البعير بالقطران سمى بذلك لانه يغطى الحق ويستره بسحره وكذبه كما يغطى الرجل جرب بعيره بالدجالة وهى القطران يهنا به البعير واسمه إذا فعل به ذلك المدجل قاله الأصمعى .

الوجه الثالث إنما سمى بذلك لضربه نواحى الأرض وقطعه لها يقال دجل لرجل إذا فعل ذلك .

الوجه الرابع أنه من التغطية لأنه يغطى الأرض بجموعه والدجل التغطية قال ابن دريد كل شىء غطيته فقد دجلته ومنه سميت دجلة لانتشارها على الأرض وتغطية ما فاضت عليه .

الوجه الخامس سمى دجالا لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة والدجالة الدفقة العظيمة .

وأنشد ابن فارس فى المجمل (دجالة من أعظم الرقاق) :

الوجه السادس سمى دجالا لأنه يغر الناس بشره كما يقال لطخنى فلان بشره :

الوجه السابع الدجال الممخرق .

الوجه الثامن الدجال الممروه قاله ثعلب ويقال سيف مدجل إذا كان قد طلى بالذهب .

الوجه التاسع الدجال ماء الذهب الذى يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أو عود سمى الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل .

الوجه العاشر الدجال فرندالسيف والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال بالفاء والباء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم فعربته العرب ولذلك قال سيبويه وهو عندهم خارج عن أمثلة العرب .والفرند أيضا الحرير . وأنشد ثعلب :

بحلية الياقوت والفرندا مع الملاب وعبير أصردا

أى خالصا قال ابن الإعزابى يقال للزعفران الشعر والملاب والعبير والمردقوش والحشاد ذكر هذه الأقوال العشرة الحافظ أبو الخطاب ابن دحية رحمه الله فى كتاب مرج البحرين فى فوائد المشرقين والمغربين .

مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال وفى رواية من أخر سورة الكهف .

أبو بكر بن أبى شيبة عن الفاتان بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنحر فيه دفا قوله فيهُ دفا أى انحناء .

مسلم عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال أعور العين اليسرى جفال[1] الشعر معه جنة ونارفناره جنةوجنته نار وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآنا أعلم بما مع الدجال منه . معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض وليطأطى. رأسه فيشرب فانه ماء بارد وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة[2] غليظة مكتوب بين عينيه كافريقرؤه كل مؤمن كاتبو غير كاتب

---

(١) أى كثيره .

(٢) جلدة نابتة بالعين .

Marfat.com

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية كذا عند جماعة رواه مسلم فاما أدركن قال ابن دحية وهو وهم فإن لفظه هو لفظ الماضى ولم أسمع دخول نون التوكيد على لفظ الماضى إلا هاهنا لأن هذه النون لاتدخل على الفعل الماضى وصوابه ما قيده العلماء فى صحيح مسلم منهم التميمى أبو عبدالله فاما أدركه أحد وعن عبد الله بن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال إن الله ليس بأعور ألا ان المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية .

قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يده على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا هو المسيح بن مريم ورأيت وراءه رجلا جعدا قططا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هو المسيح الدجال .

أبو بكر بن أبى شيبة عن ابن عباس أن رسول الله صلى اللة عليه وسلم قال الدجال أعور جعد هجان أقمر كأن رأسه غصنة شجرة أشبه الناس بعبد العزى ابن قطن الخزاعى فاما أهلك الهلك فانه أعور وأن الله ليس بأعور .

أبو داوود الطيالسى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اما مسيح الضلالة فإنه أعور العين اجلا الجبهة عريض المنحر فيه اندفاء مثل قطن ابن عبد العزى فقال له الرجل أيضر بى يارسول الله (صلى الله عليك وسلم) شبهه فقال لا أنت مسلم وهو كافر .

وخرج عن أبى بن كعب قال ذكر الدجال عند النبى صلى اللة عليه وسلم أو قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الدجال فقال إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعوذ بالله من عذاب القبر .

الترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله

---

(١) الجعودة ضد السبوطة والسبوطة انبساط الشعر واسترساله . والقطط الشديد الجعودة اه . أحمد مرسى

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم أن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة اسناده صحيح وذكر عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى هانىء العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من أمتى سبعون ألفا عليهم السيجان والسيجان جمع الساج وهو طيلسان أخضر .وقال الأزهرى هو المطيلس المقور بنسج كذلك الطبرى عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر عنده الدجال فقال أن قبل خروجه ثلاثة أعوام تمسك السماء فى العام الأول ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والعام الثانى تمسك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها والعام الثالث تمسك السماء قطرها والأرض نباتها حتى لايبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف إلا مات وذكر الحديث.خرجه أبو داود الطيالسى قال حدثنا هشام عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء وعبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهرين حوشب عن أسماء وسيأتى .

وأخرجه ابن ماجة من حديث أبى إمامة وفى بعض الروايات بعد قوله وفى السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات فما ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتا حتى تكون الأرض كالنحاس والسماء كالزجاج فيبقى الناس يموتون جوعا وجهدا وتكثر الفتن والهرج ويقتل الناس بعضهم بعضا ويخرج الناس بأنفسهم ويستولى البلاء على أهل الأرض فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حمارا أبتر يشبه البغل مابين أذني حماره أربعون ذراعا ومن نعت الدجال أنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم أجعد قطط أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق وعينه الأخرى ممزوجة بالدم وبين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن بالله فإذا خرج يصيح ثلاث صيحات ليسمع أهل المشرق والمغرب ويروى أنه إذا كان فى آخر الزمان تخرج من البحر امرأة ذات حسن وجمال بارع فتدعو الناس إلى نفسها وتخترق البلاد فكل من أتاها كفر بالله فعند ذلك يخرج الله عليكم الدجال ومن علامة خروجه فتح القسطنطينية لأن الخبر ورد أن بين خروجه وفتح القسطنطينية سبعة أشهر وقد تقدم هذا .

Marfat.com

وذكر أبو داود الطيالسى قال حدثنا الحشرج بن نباتة قال حدثنا سعيد بن جمهان عن سفينة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنه لم يكن نبى إلا وقد أنذر أمته الدجال ألا وأنه أعور العين بالشمال(١) وباليمين ظفرة غليظة بين عينيه كافر يعنى مكتوب كافر يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار فناره جنة وجنته نار فيقول الدجال للناس ألست بربكم أحيي وأميت ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء إنى لا أعرف إسمهما واسم آبائهما لو شئت أن أسميهما سميتهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول ألست بربكم أحيي وأميت فيقول أحدهما كذبت فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه ويقول الآخر صدقت وذلك فتنة ثم يسير حتى يأتى المدينة فيقول هذه قرية ذاك الرجل فلا يؤذن له أن يدخلها ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق .

وخرجه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى فى الجزء العاشر من مختصر المعجم له بمعناه فقال حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا حشرج عن سعيد بن جمهان عن سفينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد حذر أمته الدجال أنه أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن بالله معه واديان أحدهما جنة والآخر نار ومعه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء ولو شئت سميتهما بأسمائهما وإسما آبائهما أحدهما عن يمينه والاخر عن شماله فيقول الدجال ألست بربكم أحيي وأميت فيقول أحد الملسكين كذبت فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال فذلك فتنة ثم يسير الدجال حتى يأتى المدينة فلا يؤذن له فيقول هده قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق .

قال ابن برجان فى كتاب الإرشاد له والذى يغلب على ظنى أن النبيين المشبه بهما أحدهما المسيح ابن مريم والاخر محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك ما أنذرا بذلك ووصيا وخرج أبو داود فى سننه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله

(١) قوله أعور الشمال أى قوم يرونه أنه أعور اليسرى وآخرون يرونه أعور اليمنى ليدل ذلك على بطلان دعواه الكاذبة لنقصه وهو ساحر كذاب اه . أحمد مرسى

صلى الله عليه وسلم قال أنى كنت قد حدثتكم عن المسيح الدجال حين خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء[1] فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم عز وجل ليس بأعور .

فصل

وصف النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وصفا لم يبق معه لذى لب إشكال وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذى حاسة سليمة لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة وحرم اتباع الحق ونور التلاوة فقوله عليه الصلاة والسلام أنه أعور وأن الله ليس بأعور تبينة للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصاً فى ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلها لعجزه وضعفه ومن كان عاجزا عن إزالة نقصة كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته وجاء فى فى حديث حذيفة أعور العين اليسرى وفى حديث ابن عمر أعور العين اليمنى وقد أشكل الجمع بين الحديثين على كثير من العلماء قال وحتى أن أبا عمر بن عبد البر ذكر ذلك فى كتاب التمهيد له .

وفى حديث سمرة بن جندب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أن الدجال خازج وهو أعور العين الشمال عليها ظفرة غليظة وأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويقول للناس أنا ربكم فمن قال أنت ربى فقد فتن ومن قال ربى الله عز وجل حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنته ولا فتنة عليه ولا عذاب فيلبث فى الأرض ما شاء الله ثم يجيء عيسى عليه السلام من قبل المغرب مصدقا لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال ثم إنما هو قيام الساعة قال أبو عمر بن عبد البر ففى هذا الحديث أعور العين الشمال وفى حديث مالك أعور العين اليمنى فالله أعلم وحديث مالك أصح من جهة الإسناد لم يزد على هذا .

قال أبو الخطاب ابن دحية ليس كما قال بل الطرق كلها صحيحة فى العينين وقال شيخنا أحمد بن عمر فى كتاب المفهم له وهذا اختلاف يصعب الجمع فيه بينهما وقد تكلف القاضى عياض الجمع بينهما فقال الجمع بين الروايتين عندى صحيح وهو أن كل واحدة منهما عوراء من وجه ما إذ العور حقيقة فى كل شيء العيب والكلمة

---

(١) أى غائرة .

Marfat.com

العوراء هى المعيبة فالواحدة عورا بالحقيقة وهى التى وصفت فى الحديث بأنها ليست بجحرا ولا ناتية وممسوحة ومطموسة وطافية على رواية الهمز والأخرى عورا لعيبها اللازم لها لكونها جاحظة أو كأنها كوكب درى أو كأنها عنبة طافية بغير همز وكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال أو بمعنى العور الأصلى قال شيخنا وحاصل كلامه أن كل واحد من عينى الدجال عورا أحدهما بما أصابها حتى ذهب ادراكها والثانية عورا بأصل خلقتها معيبة لكن يبعد هذا التأويل ان كل واحدة من عينيه قد جاء وصفها فى الرواية بمثل ماوصفت به الأخرى من العور فتأمله. قال المؤلف رحمه الله ما قاله القاضى عياض وتأوله صحيح وأن العور فى العينين مختلف كما بيناه فى الروايات فان قوله كانها لم تخلق هو معنى الرواية الأخرى مطموس العين ممسوحها ليست بناتية ولا جحرا ووصف الأخرى بالمزج بالدم وذلك عيب عظيم لا سيما مع وصفها بالظفرة الغليظة التى هى عليها وهى جلدة غليظة تغشى العين ان لم تقطع عميت العين وعلى هذا فقد يكون العور فى العينين سواء لان الظفرة مع غلظها تمنع من الادراك فلا تبصر شيئا فيكون الدجال على هذا أعمى أو قريبا منه إلا أنه جاء ذكر الظفرة فى العين اليمنى فى حديث سفينة وفى الشمال فى حديث سمرة بن جندب وقد يحتمل أن يكون كل عين عليها ظفرة غليظة فان فى حديث حذيفة وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وإذا كانت الممسوحة المطموسة عليها ظفرة فالتى ليست كذلك أولى فتتفق الأحاديث والله أعلم.

وقيل فى الظفرة انها لحمة تنبت عند المآقى كالعلقة وقيده بعض الرواة بضم الظاء وسكون الفاء وليس بشىء قاله ابن دحية رحمه الله.

فصل

الإيمان بالدجال وخروجه حق وهـــذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافا لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على اثباته[1] بعض الجهمية وغيرهم لكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل قالوا لأنها لو كانت أمورا صحيحة لكان ذلك الباسا للكاذب بالصادق وحينئذ لا يكون فرق بين النبى

---

(١) وفى نسخة أتيانه

والمتنبيء وهذا هذيان لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدعى النبوة وليس كذلك فانه إنما ادعى الآلهية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان الله ليس بأعور تنبيها للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيما فى خلقه ثم قال مكتوب بين عينيه كافر يقرءوه كل مؤمن ومؤمنة كاتب أوغير كاتب وهذا الأمر مشاهد للحس يشهد بكذبه وكفره وقد تأول بعض الناس مكتوب بين عينيه كافر فقال معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه قال ولو كان على ظاهره وحقيقته لاستوى فى إدراك ذلك المؤمن والكافر وهذا عدول وتحريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر فى قراءة ذلك لا يلزم لأن الله تعالى يمنع الكافر من إدراكه ليغتر باعتقاده التجسيم حتى يوردهم بذلك نار الجحيم فالدجال فتنة ومحنة من نحو فتنة أهل المحشر بالصورة الهايلة التى تأتيهم فيقول لهم أنا ربكم فيقول المؤمنون نعوذ بالله منك حسب ما تقدم لاسيما وذلك الزمان قد انخرقت فيه عوايد فليكن هذا منها وقد نص على هذا بقوله يقرءوه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وقراءة غير الكاتب خارقة للعادة وأما الكافر فمصروف عن ذلك بغفلته وجهله وكما انصرف عن إدراك نقص عوره وشواهد عجزه كذلك يصرف عن قراءة سطور كفره ورمزه وأما الفرق بين النبي والمتنبي فالمعجزة لا تظهر على يد المتنبي لأنه لزم منه انقلاب دليل الصدق دليل الكذب وهو محال وقولهم إنما يأتى به الدجال حيل ومخاريق فقول معزول عن الحقايق لأن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من تلك حقايق والعقل لا يحيل شيئا منها فوجب ابقاؤها على حقايقها وسيأتى تفصيلها بعون الله تعالى .

باب

ما يمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذا خرج

البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد الا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وذكر الحديث .

Marfat.com

وفى حديث فاطمة بنت قيس فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما الحديث وسيأتى

وذكر أبو جعفر الطبرى من حديث عبد الله بن عمرو إلا الكعبة وبيت المقدس زاد أبو جعفر الطحاوى ومسجد الطور رواه من حديث جنادة بن أبى أمية عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى بعض الروايات فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فان الملائكة تطرده عن هذه المواضع .

باب

منه وما جاء أنه إذا خرج يزعم أنه الله ويحصر المؤمنين فى بيت المقدس

أبو بكر بن أبى شيبة عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال قال وانه متى يخرج فانه يزعم أنه الله فمن أمن به واتبعه وصدقه فليس ينفعه صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشىء من عمل سلف وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس قال فيهزمه الله وجنوده حتى ان جدر الحايط وأصل الشجرة ينادى يامؤمن هذا كافر يستتر بى فقال اقتله قال ولن يكون قولك حتى تبدوا أمورا يتفاج شأنها فى أنفسكم تتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا وحتى تزول جبال عن مراتبها ثم على أثر ذلك القبض .

باب

منه وفى عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه وصفة حماره وسعة خطوه وفى حصره المسلمين فى جبال الدخان وكم يمكث فى الأرض وفى نزول عيسى عليه السلام وقت السحر لقتل الدجال ومن اتبعه .

مسلم عن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال فى رواية امرؤ بدل خلق .

وفى حديث تميم الداوى قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا الحديث وسيأتى .

وعن ابن عمر أنه لقى ابن صياد فى بعض طرق المدينة فقال قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت يرحمك الله ما أردت من ابن صياد اما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج من غضبة يغضبها وسيأتى من أخبار ابن صياد ما يدل عليه أنه هو الدجال ان شاء الله تعالى وذكر قاسم ابن أصبغ .

وخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده قال حدثنا محمد بن سابق حدثنا ابراهيم بن طيهمان عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم أى قلة من أهله . وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض مابين أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وأن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمها الله تعالى عليه وقامت الملائكة بأبوابها ومعه جبال من خبز والناس فى جهد إلا من اتبعه ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول له الجنة ونهر يقول له النار فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهى النار ومن أدخل الذى يسميه النار فهى الجنة قال وتبعث معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنه عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ثم يحييها فيما يرى الناس فيقول للناس أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب فيفر الناس إلى جبل الدخان وهو بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم

Marfat.com

جهداً شديداً ثم ينزل عيسى عليه السلام فيأتى فى السحر فيقول يأيها الناس مايمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جنى فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم عليهما السلام فيقام للصلاة فيقال له تقدم ياروح الله فيقول ليتفضل إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلايترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله .

قوله ينماث كما ينماث الملح فى الماء أى يذهب وينحل ويتلاشى وفى بعض الروايات وذكر أن حماره حين يخطو من خطوة إلى خطوة ميل ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطأه ولا يبقى موضع إلا يأخذه غير مكة والمدينة حسبما تقدم ويأتى الكلام فى حكم أيامه وذكر عبد الرازق قال أخبرنا معمر عن ابن خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاضطرام السعفة فى النار والصحيح أن يمكث أربعين يوما كما فى حديث جابر وكذلك فى صحيح مسلم على ما يأتى فى الكتاب بعد هذا .

باب

منه آخر فى خروج الدجال وما يجيء به من الفتن والشبهات وسرعة سيره فى الأرض وكم يلبث فيها وفى نزول عيسى عليه السلام ونعته وكم يكون فى الأرض يومئذ من الصلحاء وفى قتله الدجال واليهود وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم وفى حج عيسى وتزويجه ومكثه فى الأرض وأين يدفن إذا مات صلى الله عليه وسلم .

وقد تقدم من حديث حذيفة رضى الله عنه أن له جنة ونار فجنته نار وناره جنة .

أبو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله أن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات .

مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبل رجال من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد إلى هذا الرجل الذى خرج فيقولون له أو ماتؤمن بربنا فيقول ما بربنا

Marfat.com

حقاً فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال فيقول أما تؤمن بى فيقول أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشى بين القطعتين ثم يقول قم فيستوى قائماً فيقول له أتؤمن بى فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرة ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلا قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به فى النار وإنما ألقى به فى الجنة.

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

قال أبو إسحاق السبيعى يقال أن هذا الرجل هو الخضر وفى رواية قال يأتى وهو محرم عليه أن يدخل المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا أتشكون فى الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلطه(١) الله عليه خرجه البخارى.

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة صافين يحرسونها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر ومنافق وفى رواية كل منافق ومنافقة خرجه البخارى وعن النواس بن سمعان الكلابى قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا

---

(١) هذا يدل على أن الدجال لا يقدر على ما يريد. وإنما يفعل الله ما يشاء عند حركته فى نفسه اختباراً وامتحاناً للخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حي عن بينه ويضل الله من يشاء. نسأل الله السلامة والعافية واليقين فى الأولى والآخرة. أحمد مرسى

Marfat.com

فى طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج[1] وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم أنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وشمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم فقلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا الله قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له قال فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فنزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهروذتين[2] واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر[3] وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان[4] لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج

---

(١) الله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم فكأنه يريد من المؤمن أن يغالب الفتن مستعينا بالله تعالى ويعرفنا أن خروج ذلك الملعون محقق بين يدى الساعة كما أراد صلى الله عليه وآله بقوله أنا حجيجه أى دينى قائم فيكم بتمسككم بسنتى وهديى . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد أذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب.

(٢) أى ثوبين ملونين بالورس والزعفران .

(٣) أى أن عيسى عليه السلام إذا خفض رأسه قطر من شعره قطرات نورانية كاللآلىء فاذا رفع رأسه تحدرت تلك القطرات .

(٤) أى لا قوة ولا قدرة عند احد يغالبهم والله غالب على أمره . أحد مرعى

Marfat.com

وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من ماية دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النغف[1] في رقابهم فيصبحون فرمى[2] كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرومانة ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذ بهم تحت اباطهم فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون[3] فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة زاد في أخرى بعد قوله مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما أخرجه الترمذي في جامعه وذكر رمي يأجوج مأجوج بنشابهم متصلة بالحديث فقال ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل[4] بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما ويحاصر عيسى بن مريم

---

(١) النغف بالتحريك دود يكون في أنف الأبل والغنم .

(٢) جمع فريس والفريس القتيل .

(٣) أي يختلطون ويتخاصمون وقيل يجامعون النساء علانية بحضرة الناس كالحمر ولا يكترثون لذلك . ومن لا حياء فيه لا خير فيه .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في رواية إنه ينزل ببيت المقدس وفي رواية بالأردن وفي رواية بمعسكر المسلمين . قلت حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه وهو عندي ارجح . ولا ينافي سائر الروايات لان بيت المقدس موضع شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين اذ ذاك ، والأردن اسم الكورة كما في الصحاح . وبيت المقدس داخل فيه . وإن كان البيت ليس به منارة الآن فلا بد أن تحدث قبل نزوله عليه السلام كذا ذكره السيوطي في تعليقه على ابن ماجه .

الحديث وقال بدل قوله فيطرحهم حيث شاء الله قال فتحملهم فتطرحهم بالنهبل(١) قال ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم سبع سنين قال ويرسل الله عليهم مطرا الحديث إلى آخره فى غير الترمذى فيطرحهم فى المهبل والمهبل البحر الذى عند مطلع الشمس وخرجه ابن ماجة فى سننه أيضا كما خرجه مسلم ولم يذكر الزيادة التى ذكرها مسلم متصلة ولا الترمذى متصلة من حديث النواس بن سمعان وإنما ذكرها من حديث أبى سعيد الخدرى وسيأتى وذكر ما ذكره الترمذى فقال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا يحيى بن حمزة قال حدثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائى قال حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه سمع النواس بن سمعان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم واترستهم سبع سنين .

قال وحدثنا على بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن المحاربى عن اسماعيل بن رافع أبى رافع عن أبى عمر الشيبانى زرعة عن أبى أمامة الباهلى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله ان قال انه لم يكن فتنة فى الأرض منذ ذرا الله تعالى آدم صلى الله عليه وسلم أعظم من فتنة الدجال وأن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وأنا بين ظهرانيكم فانا حجيج كل مسلم وأن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم وأنه يخرج من حلة بين الشام والعراق فيعبث يمينا ويعبث شمالا يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فانى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى أنه يبدو فيقول أنا نبى الله. ولا نبى بعدى ثم يثنى فيقول أنا ربكم. ولا ترون ربكم. حتى تموتوا وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وأن من فتنته أن معه جنة ونارا فنار ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على ابراهيم وان من فتنته أن يقول لأعرابى أرأيت ان أحييت لك أباك وأمك أتشهد أنى ربك فيقوله نعم فيمثل له شيطانان فى صورة أبيه وأمه فيقولان يا بنى اتبعه فانه ربك وان من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها بنشرها بالمنشار حتى يلقى نصفين ثم يقول أنظروا إلى عبدى هذا فانى أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيرى فيبعثه الله

(١) والنهبل موضع فى بيت المقدس وقيل حيث تطلع الشمس والله أعلم . أحمد مرسى

Marfat.com

فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربى الله وأنت عـــدو الله أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منى اليوم .

قال أبو الحسن الطنافسى فحدثنا المحاربى قال حدثنا عبد الله بن الوليد الرصافى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل أرفع أمتى درجة فى الجنة قال قال أبو سعيد ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله .

قال المحاربى ثم رجعنا إلى حديث أبى رافع قال وأن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وأن من فتنته أن يمـــر بالحى فيكذبوه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت وأن من فتنته أن يمر بالحى فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدر ضروعا وأنه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطيه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فانه لا يأتى من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته حتى ينزل عند الطريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فينفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبى العسكر يا رسول الله فاين العرب(١) قال هم قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فيرجع ذلك الإمام ينكص القهقرى ليتقدم عيسى فيصلى بالناس فيضع عيسى عليه السلام يده على كتفه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وسلاح فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وانطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام أن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيـــدركه عند باب اللد الشرقى فيضربه فيقتله فيهزم الله اليهود ولا يبقى شىء مما خلقه الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء ولا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى فتعال فاقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر

---

(١) ى لصدق جهادهم فى سبيل الله سبحانه .

Marfat.com

أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى فقيل يا رسول الله كيف نصلى فى تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال ثم صلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى عليه السلام فى أمتى حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض ويرفع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده فى فى الحية فلا تضره وتغز الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفاثور[1] الفضة تنبت نباتها بعهد آدم عليه السلام حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات قيل يارسول الله وما يرخص الفرس قال لا تركب لحرب أبدا فقيل له يا رسول الله وما يغلى الثور قال تحرث الأرض كلها وأن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب بها الناس جوع شديد يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء فى الثانية فتحبس ثلثى مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها فلا تنبت خضراً ولا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس إلا هلكت إلا ما شاء الله فقيل فما يعيش الناس فى ذلك الزمان قال التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجزى ذلك عنهم مجزى الطعام قال ابن ماجه سمعت أبا الحسن الطنافسى يقول سمعت عبد الرحمن المحاربى يقول . ينبغى أن يرفع هذا الحديث للمؤدب حتى يعلمه للصبيان فى المكتب وفى حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية قالوا يا رسول الله ذكرت الدجال فوالله إن أحدنا ليعجن عجينة فما يخبز حتى يخشى أن يفتن وأنت تقول الأطعمة تذوى اليه فقال رسول الله يكفى المؤمن يومئذ ما يكفى الملائكة فقالوا فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولكنها تقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام المؤمنين يومئذ التسبيح .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت

---

(١) أى الطست أو الخوان .

يزيد الأنصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال أن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث مطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت وأن من أشد فتنته أنه يأتي لأعرابي فيقول له أرأيت إن أحييت لك أباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيمثل الشيطان له نحو ابله كأحسن ما تكون ضروعا وأعظمه اسمنة قال ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت أن أحييت لك أخاك وأحييت لك أباك ألست تعلم أني ربك فيقول بلى فيتمثل الشيطان نحو أخيه وأبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع، والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به قالت فأخذت بجنبتي الباب فقال مهيم[1] يا أسماء قلت يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا فإن ربي خليفة على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله وإنا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم مايجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس .

وخرج مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى[2] عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الناس إلى المال فلا يقبله أحد .

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن أبي ذيب تدري ما امامكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بنفج من الروحا حاجا أو معتمرا أو ليثنينهما .

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليدركن المسيح ابن مريم رجالا

---

(١) أي مالك والكلمة يمانية .

(٢) أي لا يعمل عليها أو لعدم من يقبل الصدقة أو لتعدد وسائل النقل الحديثة.

Marfat.com

من أمتى مثلكم أو خيراً منكم يقوله ذلك ثلاث مرات ذكره ابن برجان فى كتاب الإرشاد له .

وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم على ثمان مائة رجل وأربع مائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضى .

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له ولد ويمكث خمسة وأربعين سنة ويدفن معى فى قبرى[1] فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر ذكره الميانشى[2] أبو حفص (أو أبو جعفر.)

ويقال أنه يتزوج امرأة من العرب بعد ما يقتل الدجال وتلد له بنتا فتموت ثم يموت هو بعد ما يعيش سنتين ذكره أبو الليث السمرقندى وخالفه كعب فى هذا وأنه يولد له ولدان وسيأتى .

وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يمكث عيسى فى الأرض بعد ما ينزل أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنوه ذكره أبو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة وبهذا السند عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل وأنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويفيض المال حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير الإسلام وحتى يهلك الله فى زمانه مسيح الضلالة الأعور الكذاب ويقع الأمنة فى الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحياة فلا يضر بعضهم بعضاً يبقى فى الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفى بعض الروايات أنه يمكث أربعا وعشرين سنة .

---

(١) أى مقبرتى .

(٢) وكذا ابن الجوزى فى كتاب الوفاء ، ذكره فى المشكاة اه .

Marfat.com

وفى حديث عبد الله بن عمر ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة الحديث وقد تقـــدم بكماله وهذا يدل على أنه يمكث فى الأرض سبع[1] سنين والله أعلم.

وقال كعب الأحبار أن عيسى عليه السلام يمكث فى الأرض أربعين سنة ويكثر الخير على يديه وتنزل البركات فى الأرزاق حتى أن العنبة ليأكل منها الرجل حاجته ويفضل والقطف من العنب يأكل منه الجمع الغفير والخلق الكثير حتى أن الرمانة لتشقل الجمل وحتى أن الحى ليعبر بالميت فيقول قم فانظر ما أنزله الله من البركة وأن عيسى عليه السلام يتزوج بامرأة من آل فلان ويرزق منها ولدين فيسمى أحدهما محمد والآخر موسى ويكون الناس معه على خير وفى خير زمان وذلك أربعين سنة ثم يقبض الله روح عيسى ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحجرة ويموت خيار الأمة ويبقى شرارها فى قلة من المؤمنين فذلك قوله عليه السلام بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وقيل أنه يدفن بالأرض المقدسة مدفن الأنبياء.

فصل

ذهب قوم إلى أن بنزول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم وهذا أمر مردود بقوله تعالى وخاتم النبيين وقوله عليه الصلاة السلام لا نبى بعدى وقوله وأنا العاقب يريد آخر الأنبياء وخاتمهم وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيا بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا صلى الله عليه وسلم بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم كما أخبر صلى الله عليه وسلم حيث قال لعمر لو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعى[2].

وروى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى

---

(١) أقول ولا ينافى ماتقدم لأن مكثه سبع سنين بعد موت الدجال اهـ.

(٢) لقوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه.

Marfat.com

ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة خرجه مسلم فى صحيحه وغيره فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقررا لهذه الشريعة ومجددا لها اذهى آخر الشرائع ومحمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل فينزل حكما مقسطا وإذا صار حكما فإنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضى ولا مفتى قد قبض الله تعالى العلم وخلا الناس منه فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له فى السماء قبل أن ينزل ما يحتاج اليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به فى نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ولأن تعطيل الحكم غير جائز وأيضاً فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال فى الأرض الله الله على ما يأتى وهذا واضح .

فصل

فإن قيل فما الحكمة فى نزوله فى ذلك الوقت دون غيره فالجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى فى كتابه وهم أبداً يدعون أنهم قتلوه وينسبونه فى السحر وغيره إلى ما كان الله يراه وتنزهه منه ولقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهره راية ولا كان لهم فى بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فيظهر الدجال وهو أسحر السحرة ويبايعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقدرين أنهم ينتقمون به من المسلمين فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله تعالى الذى عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حياً ونصرة على رئيسهم وكبيرهم المدعى الربوبية فقتله وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين فلا يجدون يومئذ مهربا وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه يا روح الله ها هنا يهودى حتى يوقف عليه فإما أن يسلم وإما أن يقتل وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر والوجه الثانى وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو

Marfat.com

أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغى لمخلوق من التراب أن يموت فى السماء لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فينزله الله تعالى ليقبره فى الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره ويصلون عليه ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهى الأرض المقدسة فينشر إذا نشر معهم فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق فى تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد هذا ما وردت به الأخبـــار فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنتـــه أن ادعى الربوبية ولم ينتصب لقتاله أحد من المؤمنين لقلتهم كان هو أحق بالتوجه إليه ويجرى قتله على يديه اذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً والوجه الثالث أنه وجد فى الإنجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما قال وقوله الحق ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل فدعى الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله تعالى دعاءه ورفعه إلى السماء إلى أن ينزله آخر الزمان مجددا لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام فوافق خروج الدجال فيقتله ولا يبعد على هذا أن يقال أن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث أنه إذا حصل بين ظهرانى الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره فذلك يقوم به وذلك داخل فى اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق واختلف حيث يدفن فقيل بالأرض المقدسة ذكره الحليمى وقيل يدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذكرناه فى الأخبار .

فصـل

واختلف فى لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولا ذكرها الحافظ أبو الخطاب

Marfat.com

ابن دحية فى كتابه بمجمع البحرين وقال لم أر من جمعها قبلى ممن رحل وجال ولقى الرجال .

القول الأول وهو مسيح بسكون السين وكسر الياء على وزن مفعل فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم الكسرة على الياء .

القول الثانى قال ابن عباس كان لا يمسح ذا عاهة إلى برىء ولا ميتا إلا حيي فهو هنا من ابنية اسماء الفاعلين مسيح بمعنى ماسح .

القول الثالث قال إبراهيم النخعى المسيح الصديق وقاله الأصمعى وابن الأعرابى .

القول الرابع قال أبو عبيد أظن هذه الكلمة مشحا بالشين المعجمة فعربت وكذا تنطق به اليهود .

القول الخامس قال ابن عباس أيضاً فى رواية عطاء عنه سمى مسيحا لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص والأخمص ما لا يمس الأرض من باطنى الرجل فإذا لم يكن للقدم أخمص قيل فيه قدم رحا ورجل رحا ورجل أرح وامرأة رحا .

القول السادس قيل سمى مسيحا لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن .

القول السابع قيل سمى مسيحاً لأنه مسح عند ولادته بالدهن .

القول الثامن قال الإمام أبو إسحاق الجوانى فى غريبه الكبير هو إسم خصه الله تعالى به أو لمسح زكريا .

القول التاسع قيل سمى بذلك لحسن وجهه إذ المسيح فى اللغة الجميل الوجه يقال على وجهه مسحة من جمال وحسن ومنه ما يروى فى الحديث الغريب الضعيف يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن كأن على وجهه مسحة ملك .

القول العاشر المسيح فى اللغة قطع الفضة وكذلك المسيحة القطعة من الفضة وكذلك كان المسيح بن مريم أبيض مشرب حمرة ربعة من الرجال عريض الصدر جعدا والجعد ها هنا اجتماع الخلق وشدة الأسر .

Marfat.com

القول الحادى عشر المسيح فى اللغة عرق الخيل . وأنشد اللغويون :

« إذا الجياد فضن بالمسيح » يعنى العرق ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى بن كعب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففصدت عرقا وكأنى أنظر إلى الله عز وجل فرقا ذكره الخطابى فى شرحه بالصاد والضاد . وأنشد العجاج :

« إذ الجياد فضن المسيح » . يعنى العرق

القول الثانى عشر المسيح الجماع يقـــال مسحها إذا جامعها قاله فى المجمل لابن فارس .

القول الثالث عشر المسيح السيف قاله أبو عمرو المطرز .

القول الرابع عشر المسيح المكارى .

القول الخامس عشر المسيح الذى يمسح الأرض أى يقطعها قاله الثقة اللغوى أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب ولذلك سمى عيسى مسيحا كان تارة بالشام وتارة بمصر وتارة على سواحل البحر وفى المهامة والقفار والمسيح الدجال كذلك سميا بذلك لجولانهما فى الأرض .

القول السادس عشر ذكره بسنده إلى أبى الحسن القابسى وقد سأله الحافظ المقرى أبو عمرو الدانى كيف يقرأ المسيح الدجال فقال بفتح الميم وتخفيف السين مثل المسيح بن مريم لأن عيسى عليه السلام مسح بالبركة وهذا مسحت عينه .

قال أبو الحسن ومن الناس من يقرؤه بكسر الميم وتثقيل السين فيعرف بذلك وهو وجه وأما أنا فلا أقرؤه إلا كما أخبرتك قال ابن دحية وحكى الأزهرى أنه يقال مسيح بالتشديد على وزن فعيل قال فرقا بينه وبين عيسى عليه السلام ثم أسند عن شيخه أبى القاسم بن بشكوال عن أبى عمران موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء يعنى المعجمة وذلك كله عند أهل العلم خطا لا فرق بينهما وكذلك ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نطق به ونقله الصحابة المبلغون عنه .

Marfat.com

وأنشد فى ذلك أهل اللغة قول عبد الله بن قيس الرقيات

وقالوا دع رقية واجتنبها فقلت لهم إذا خرج المسيح

يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه ولذلك ذكرناه .

وقال الراجز : ـ إذا المسيح قتل المسيحا ـ . يعنى عيسى بن مريم عليه السلام يقتل الدجال بنبزك قرأته فى المجلد الأول من شرح ألفاظ الغريب من الصحيح لمحمد بن إسماعيل تأليف الفقيه القاضى الإمام المفتى أبى الأصبغ ابن سهل .

القول السابع عشر قيل سمى الدجال مسيحاً لأن المسيح الذى لا عين له ولا حاجب قال ابن فارس والمسيح أحد شقى وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب ولذلك سمى الدجال مسيحا ثم أسند عن حذيفة مستدلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنِ الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة خرجه مسلم .

القول الثامن عشر المسيح الكذاب وهذا يختص به الدجال لأنه يكَذب فيقول أنا الله فهذا كذب البشر ولذلك خصه الله بالشوه والعار .

القول التاسع عشر للمسيح المارد الخبيث وهو التمسيح أيضاً عن ابن فارس ويقال هو الكذاب وكذلك التمساح بالف .

القول العشرين قيل الدجال المسيح لِسياحته وهو فعيل بمعنى فاعل والفرق بين هذا وبين ما تقدم فى الخامس عشر أن ذلك يختص بقطع الأرض وهذا بقطع جميع البلاد فى أربعين ليلة إلا مكة والمدينة .

القول الحادى والعِشرَون المسيح الدرهم الأطلس بلا نقش قاله ابن فارس وذلك مطابق لصفة الأعور الدجال إذ أحدِ شقى وجهه ممسوح وهو أشوه الرجال .

القول الثانى والعشرون قال الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من تأليفه سمى ابن مريم مسيحاً لأن الله مسح الذنوب عنه .

القول الثالث والعشرون قال الحافظ أبو نعيم فى الكتاب المذكور وقيل سمى

Marfat.com

ابن مريم مسيحاً لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة وهو قوله تعالى وجعلنى مباركا أينما كنت .

فصل

فى بيان ما وقع فى الحديث من الغريب قوله فيشبح أى يمد والميشار مفعال من إيشرت ووشرت إشرا ووشرا ويقال منشار بالنون أيضا وبالوجهين فى الحديث وهو مفعال أيضاً من يشرب وقوله نخفض ورفع بتخفيف الفاء أى أكثر من الكلام فيه فتارة يرفع صوته ليسمع من بعد وتارة يخفض ليستريح من تعب الإعلان وهذه حالة المكثر فى الكلام وروى بتشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير وقوله أنه خارج محله يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة قاله الهروى والخلة موضع حزن وضجور والحلة ما بين البلدين وقال الحافظ ابن دحية ورواه ابن ماهان والحميدى حله بفتح الحاء المهملة وضم اللام وكأنه يريد حلوله قال وقرأت فى أصل القطيعى من مسند الإمام أحمد بن حنبل وأنه يخرج حيله ولاأعلم روى ذلك أحدا غيره وقد سقطت هذه اللفظة لأكثر رواة مسلم وبقى الكلام أنه خارج بين الشام والعراق وجاء فى حديث الترمذى أنه يخرج بخراسان وفى الرواية الأخرى من ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية وفى حديث ابن ماجة ومسلم بين الشام والعراق ووجه الجمع أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام والله أعلم وعاث بالعين المهملة والثاء المثلثة والتنوين على أنه إسم فاعل وروى بفتح الثاء على أنه فعل ماض ووقع فى حديث أبى أمامة على العقل المستقبل والكل بمعنى الفساد عاث يعيث عيثاً فهو عاث عثى يعثى عثى يعثوا لغتان وفى التنزيل «ولا تعثوا فى الأرض مفسدين» وقوله يا عباد الله فاثبتوا يعنى على الإسلام يحذرهم من فتنته لأنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وقوله فاقدروا له قدره قال القاضى عياض هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عن الأوقات المعروفة فى غيره من الايام .

Marfat.com

قال المؤلف رحمه الله وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضاً ما حكمه صاحب الشرع وقد حمل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها وإنما هى محمولة على المعنى أى الهجم عليكم غم عظيم لشدة البلاء وأيام البلاء طوال ثم يتناقص ذلك الغم فى اليوم الثانى ثم يتناقص فى اليوم الثالث ثم يعتاد البلاء كما يقول الرجل اليوم عندى سنة ومنه قولهم شعر : «وليـــل المحب بلا آخـــر»

وهذا القول يرده قولهم أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال لا أقدروا له قدره والمعنى قدروا الأوقات للصلوات وكذلك لا التفات لطعنه فى صحة هذه الألفاظ أعنى قوله أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره فقال هذا عندنا من الدسائس التى كادنا بها ذووا الخلاف علينا ولو كان صحيحاً لاشتهر على السنة الرواة كحديث الدجال ومكان أعظم وإن كان لقوة اشتهاره ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربها والجواب أن هذه الألفاظ صحيحة حسب ماذكره مسلم وحسبك به إماما وقد ذكرها الترمذى من حديث النواس أيضاً وقال حديث حسن صحيح وخرجها أبو داود أيضاً وابن ماجه من حديث أبى أمامة وقاسم بن اصبغ من حديث جابر وهولاء أئمة أجلة من أئمة أهل الحديث وتطريق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز والثقة بعيد لا يلتفت إليه لأنه يؤدى إلى القدح فى أخبار الآحاد ثم أن ذلك فى زمن خرق العادات وهذا منها وقوله محلين أى مجدبين ويروى أزلين والمحل والأزل والقحط والجدب بمعنى واحد ويعاسيب النحل فحولها وأحدها يعسوب ووجه التشبيه أن يعاسيب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة من النحل فتراها جماعات فى تفرقة فالكنوز تتبع الدجال كذلك وقوله بين مهروذتين أى بين شقى ثوب والشقة نصف الملاءة أو فى حلتين مأخوذ من الهرد يفتح الهاء وسكون الراء وهو الشق والقطع قال ابن دريد إنما سمى الشق هردا للإفساد لا للإصلاح وقال يعقوب هرد قصار الثوب وهرته بالتاء للثناة باثنتين من فوق إذا أحرقه وخرقه وقال أكثرهم فى ثوبين مصبوغتين بالصفرة وكأنه الذى صبغ بالهردى ووقع

Marfat.com

فى بعض الروايات بدل مهرودتين ممصرتين كذلك ذكره أبو داود الطيالسى من حديث أبى هريرة والممصرة من الثياب هى المصبوغة بالصفرة وليست بالمشبعة وقال ابن الانبارى مهرودتان بدال مهملة وذال معجمة معا أى ممصرتين كما جاء فى الحديث الآخر وقال غيره المهرود الذى يصبغ بالعروق التى يقال لها الهرد بضم الهاء وقال الهروى هرد ثوبه بالهرد وهو صبغ يقال له العروق وقال القتبى إن كان المحفوظ بالدال فهو مأخوذ من الهرد والهرد والهرت الشق ومعناه بين شقين والشقة نصف الملاءة وقال وهذا عندى خطأ من النقلة وأراد مهرودتين أى صفراوين يقال هرت العمامة ألبستها صفرا وكان الثلاثى منه هروت فخالف الجماعة من أهل اللغة فيما قالوه وقد خطاه ابن الانبارى وقال إنما يقول العرب هريت الثوب لا هروت ولو كان من ذلك لقيل مهراة لا مهروة واللغة نقل ورواية لا قياس والعرب إنما تجوز ذلك فى العمامة خاصة لا فى الشقة ولا يجوز قياس الشقة على العمامة وأما رواية الذال المعجمة فهو إبدال من الدال المهملة فإن الذال والدال قد يتعاقبان فيقال رجل مدل بالدال المهملة ومذل بالذال المعجمة إذا كان قليل اللحم خفى الشخص والحمار ما استذار من اللؤلؤ والدرشبه قطرات العرق بمستدير الجوهر وهو تشبيه حسن وقوله فحرز عبادى إلى الطور أى ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم والطور الجبل بالسريانية .

قال الحافظ ابن دحية قيدناه فى صحيح مسلم جوز بالجيم والواو والزاى كذا قيدناه فى جامع الترمذى وقيدناه أيضا حدر بدال مهملة فأما حرز فهو الذى رواه أكثرهم وصحح بعضهم رواية حور وكلاهما صحيح لأن ما خير فقد أحرز وكذلك جوز بالجيم وأما حدر بدال مهملة فمعناه أنزلهم إلى جهة الطور من حدرت الشىء فانحدر إذا أرسلته فى صبب وحدر والنغف جمع نغفة وهى الدود تكون فى أنوف الإبل والغنم وفرسى أى هلكى وهو جمع فريس بمعنى مفروس مثل قتيل وقتلى وصريع وصرعى وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أى قتلها كأن تلك النغف فرستهم فيصبحون موتى والزهم النتن والبخت إبل غلاظ الأعناق عظام الأجسام والزلفة المصفدة الممتلئة والجمع زلف قال ابن دحية قيدناه فى صحيح مسلم بالفاء والقاف وهو

Marfat.com

المراة كذا فسره ابن عباس وقاله اللغويان أبو زيد الأنصارى وأبو العباس الشيبانى واللقحة الناقة الحلوب والغيام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وفوق البطن والفائور بالفاء الخوان يتخذ من الرخام ونحوه . قال الأغلب العجيلى :

(إذ انجلى فائور عين الشمس) يقال هم على فائور واحد أى على مائدة واحدة ومنزلة واحدة والفائور أيضاً موضع قاله الجوهرى والله أعلم .

باب

ما جاء فى أن حوارى عيسى عليه السلام إذا نزل أصحاب الكهف وفى حجهم معه .

حدثنا إسماعيل بن اسحاق قال حدثنا ابن أبى أويس قال حدثنا كثير بن عبد الله ابن عوف عن أبيه عن جده قال غزونا مع النبى صلى الله عليه وسلم الحديث وقد تقدم وفيه ولا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم عبد الله ورسوله حاجا أو معتمرا أو ليجمعن الله ذلك له قال كثير فحدثت بهذا الحديث محمد بن كعب القرظي قال ألا أرشدك فى حديثك هذا قلت بلى فقال كان رجل يقرأ التوراة والانجيل فأسلم وحسن إسلامه فسمع هذا الحديث من بعض القوم فقال ألا أبشركم فى هذا الحديث فقالوا بلى فقال إنى أشهد أنه لمكتوب فى التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام وأنه مكتوب فى الانجيل الذى أنزله الله على عيسى بن مريم عليه السلام عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجا أو معتمرا أو يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا .

بـــاب

ما جاء أن عيسى إذا نزل يجد فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم خلقا من حواريه .

Marfat.com

ذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول فى الأصل الثالث والعشرين والمائة .

قال حدثنا الفضل بن محمد الواسطى قال حدثنا إبراهيم بن الوليد الدمشقى قال حدثنى أبى قال حدثنا عبد الملك بن عقبة الأفريقى عن أبى يونس مولى أبى هريرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال بعثنى خالد بن الوليد بشيرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم موته فلما دخلت عليه قلت يارسول الله فقال على رسلك يا عبد الرحمن أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل رحم الله زيدا ثم أخذ اللواء جعفر فقاتل جعفر حتى قتل رحم الله جعفرا ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل رحم الله عبد الله بن رواحة ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد فخالد سيف من سيوف الله فبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حوله فقال ما يبكيكم قالوا ومالنا لا نبكى وقد قتل خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا فقال لا تبكوا فإنما مثل أمتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتب رواكبها وهيأ مساكبها وحلق سعفها فأطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها عاما طعما يكون أجودها قنوانا وأطولها شمراخا والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلقا من حواريه .

حدثنا على بن سعيد بن مرزوق الكندى قال حدثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمر والسكسكى عن عبد الرحمن بن حسين عن جبير بن نفير الحضرى قال لما اشتد جزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أصيب مع زيد بن حارثة يوم موته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواما لهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها والله أعلم .

باب

ما جاء أن الدجال لا يضر مسلماً .

Marfat.com

البزار عن حذيفة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الدجال فقال لفتنة من بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال فمن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها والله لا يضر مسلما مكتوب بين عينيه كافر .

فصل

قال المؤلف رضى الله عنه أن قيل كيف قال فى هذا الحديث لا يضر مسلما وقد قتل الرجل الذى خرج اليه من المدينة ونشره بالمنشار وذلك أعظم الضرر قلنا ليس المراد ذلك وإنما المعنى أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيرده عن دينه لما يرى عليه من سيماء الحدث ومن لم يكن بهذه الصفة فقد يفتنه ويتبعه لما يرى من الشبهات كما فى الحديث المذكور فى الباب قبل هذا ويحتمل أن يكون عموما يخصه ذلك الحديث وغيره والله أعلم .

باب

ما ذكر من أن ابن صياد الدجال واسمه صاف ويكنى أبا يوسف وسبب خروجه وصفة أبويه وأنه على دين اليهود .

البزار عن محمد بن المكندر قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال فقلت له أتحلف على ذلك قال أنى سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود فى سننه وعن نافع قال كان ابن عمر يقول والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد أخرجه أبو داود أيضاً وإسناده صحيح

مسلم عن أبى سعيد [illegible] قال خرجنا حجاجا أو عمارا ومعنا ابن صياد قال فنزلنا منزلا فتفرق الناس وبقيت أنا وهو فأستوحشت منه وحشة شديدة مما يقال عليه قال وجاء بمتاعه فوضعه على متاعى فقلت إن الحر شديد فلو وضعته تحته

Marfat.com

تلك الشجرة قال ففعل فرفعت لنا غنم فانطلق بعس فقال اشرب أبا سعيد فقلت إن الحر شديد واللبن حار ما بى إلا أنى أكره أن أشرب عن يده أو قال آخذه عن يده فقال أبا سعيد من خفى عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خفى عليكم معشر الأنصار ألست من أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كافر وأنا مسلم أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدى بالمدينة أوليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل المدينة ولا مكة فقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة وفى رواية وقد حججت قال أبو سعيد حتى كدت أنى أعذره ثم قال أما والله إنى لأعرفه وأعرف مولده واين هو الآن قال قلت له تبا لك سائر اليوم وفى رواية قال أبو سعيد وقيل له أيسرك أنك ذاك الرجل أى الدجال قال فقال لو عرض على ما كرهت (١).

وعن ابن عمر قال لقيت ابن صياد مرتين فقلت لبعضهم هل تحدثون أنه هو قال والله قال قلت كذبتنى والله لقد أخبرنى بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالا وولدا فكذلك هو زعموا اليوم قال فتحدثنا ثم فارقته قال فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى قال لا أدرى قال قلت لا تدرى وهى فى رأسك قال إن شاء الله خلقها فى عصاك هذه قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت قال فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت وأما أنا فوالله ما شعرت قال وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت ما تريد إليه ألم تعلم أنه قد قال أن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه وعنه قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى ابن كعب إلى النخل التى فيها ابن صياد حتى إذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتقى بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى لو عرض ما فى الدجال من الأغواء والخديعة والتلبيس ما كرهت - بل قبلت وهذا دليل واضح على كفره . والله أعلم . احمد مرسى

Marfat.com

وهو مضطجع على فراش فى قطيفة له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتقى بجذوع النخل فقالت لابن صياد يا صاف وهو إسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين وفى رواية ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد خبأت لك خبأ فقال ابن صياد هو الدخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخسأ(١) فلن تعدو قدرك فقال عمر بن الخطاب ذرنى يا رسول الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك فى قتله .أبو داود عن جابر بن عبد الله قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة .

الترمذى عن أبى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما ولد أعور أضرس(٢) وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال أبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية طويلة اليدين قال أبو بكر فسمعنا بمولود فى اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس وأقله منفعة ينام عيناه ولا ينام(٣) قلبه قال فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل فى الشمس فى قطيفة وله همهمة فكشف عن رأسه فقال ما قلتما فلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناى ولا ينام قلبى

---

(١) أى أسكت صاغرا فلن تجاوز قدرك . أى القدر الذى يدركه الكهان فى الاهتداء الى بعض فلا يتجاوز دعوى النبوة .

(٢) أى عظيم الضرس.

(٣) أى لا تنقطع أفكارة الفاسدة عند النوم لكثرة وساوسة وتتابع ما يلقى الشيطان اليه - أما حالة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلبه عليه أفضل الصلاة والسلام لا ينام لتواتر الوحى الالهى والالهام الربانى فلا تستوى الظلمات والنور . أحمد مرسى

Marfat.com

قال حديث حسن غريب لانعرفه إلامن حديث حماد بن سلمة قلت خرجه أبو داود الطيالسى قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن عبد الله بن أبى بكرة عن أبيه . وروى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن يهوديًا أتى النبى صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله . وفى أخره قال فأخبرنى عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد إبليس قال هو من ولد آدم لا أنه من ولد إبليس وأنه على دينكم معشر اليهود وذكر الحديث وقيل أنه لم يولد بعد . وسيولد فى آخر الزمان والأول أصح لما ذكرنا والله توفيقنا .

فصل

قال أبو سليمان الخطابى وقد اختلف الناس فى أمر ابن صياد اختلافا كثيراً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يقار رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدعى النبوة كاذبا ويتركه بالمدينة يساكنه فى داره ويجاوره فيها وما وجه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان وقوله بعد ذلك إخسا فلن تعدو قدرك قال أبو سليمان والذى عندى أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود وحلفائهم وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتابا وصالحهم فيه على أن لا يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم وكان ابن صياد منهم أو دخيل فى جملتهم وكان يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنوه بذلك ليروا آية أمره فلما كلمه علم نه معطل وأنه من جملة السحرة والكهنة يأتيه ريب من الجن أو يتعاهده شيطان فيلقى على لسانه بعض ما يتكلم به فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال إخسا ولن تعدو قدرك يريد أن ذلك شىء ألقاه إليه الشيطان وأجراه على لسانه وليس ذلك من قبل الوحى إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذى يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم ويصيبون بنور قلوبهم الحق وإنما كانت لهم تارات يصيب فى بعضها ويخطىء فى بعض وذلك معنى قوله يأتى صادق وكاذب فقال له عند ذلك خلط عليك والحكمة فى أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده

Marfat.com

المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وقد امتحن الله قوم موسى في زمانه بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا ونجا من هداه الله وعصمه منهم وقد اختلفت الروايات في أمر ابن صياد في ما كان من شأنه بعد كبره فروى أنه تاب عن ذلك القول ثم أنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا قال الشيخ الصحيح خلاف هذا لحلف جابر وعمر أن ابن صياد الدجال وروى أن أبا ذر كان يقول هو الدجال وروى ذلك عن ابن عمر وقال ابن جابر فقدناه يوم الحرة وهذا وما كان مثله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أن الدجال ابن صياد عند كلامنا على خبر الجساسة إن شاء الله تعالى .

بـــاب

(ما جاء في نقب يأجوج ومأجوج السد وخروجهم وصفتهم وفي لباسهم وطعامهم وبيان قوله تعالى فإذا جاء وعد ربي جعله دكاً)

ابن ماجة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيرجعون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم إلى السماء فيرجع اليها الدم . الذي أحفظ فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفا في أقفائهم فيقتلون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تسمن وتشكر شكرا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرا فهي شكرة واشتكر الضرع امتلأ قال كعب الأحبار أن يأجوج ينقرون بمناقرهم السد حتى إذا كادوا أن يخرجوا قالوا نرجع اليه غدا فنفرغ منه قال فيرجعون اليه وقد عاد كما كان فإذا بلغ الأمر الذي على بعض أن يقولوا نرجع إن شاء الله غدا فنفرغ منه قال فيرجعون اليه وهو كما تركوه فيخرقونه ويخرجون فيأتي أولهم البحيرة فيشربونه

ما فيها من ماء ويأتى أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من طين ويأتى آخرهم فيقولون قد كان هاهنا ماء ثم يرمون بنبالهم نحو السماء فيقولون قد قهرنا من فى الأرض وظهرنا على من فى السماء قال فيغضب الله عليهم دواب يقال له النغف فيأخذ أقفائهم فيقتلهم النغف حتى تنتن الأرض من ريحهم ثم يبعث الله عليهم طيرا فتنقل أبدانهم إلى البحر فيرسل الله السماء أربعين فتنبت الأرض حتى أن الرمانة لتشبع السكن قيل لكعب وما السكن قال أهل البيت قال ثم يسمعون الصيحة وخرج ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى «وهم من كل حدب ينسلون» فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية المسلمين فى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذروا فيه شيئاً فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم لقد كان بهذا المكان مرة ماء ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لننازلن أهل السماء حتى أن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا فيقولون من رجل يشترى نفسه وينظر ما فعلوا فينزل اليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط وخرج ابن ماجة أيضاً وأبو بكر بن أبى شيبة واللفظ لابن ماجة عن عبد الله ابن مسعود قال لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم لقى إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده علم منها ثم سألوا موسى فلم يكن عنده علم منها فردوا الحديث إلى عيسى قال قد عهد إلى فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكروا خروج الدجال قال فأنزل اليه فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا شىء إلا أفسدوه فيجأرون

إلى الله فأدعوا الله أن يميتهم فتنتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعوا الله فيرسل السماء بالماء فتحملهم فتلقيهم فى البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم فعهد إلى إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التى لا يدرى أهلها متى تعجلهم بولادتها قال ابن أبى شيبة ليلا أونهارا قال العوام ووجه تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا شىء إلا أفسدوه زاد ابن أبى شيبة واقترب الوعد الحق وروى عن عمرو بن العاص قال ان يأجوج ومأجوج ذرء جهنم ليس فيهم صديق وهم على ثلاثة أصناف على طول الشبر وعلى طول الشبرين وثلث منهم طوله وعرضه سواء وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وروى عن عطية بن حسان أنه قال يأجوج ومأجوج أمتان فى كل أمة أربع مائة ألف ليس منها أمة تشبه بعضها بعضاً وروى عن الأوزاعى أنه قال الأرض سبعة أجزاء فستة أجزاء منها يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق وروى عن قتادة أنه قال الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ يعنى الجزء الذى فيه سائر الخلق غير يأجوج ومأجوج فإثنا عشر للهند والسند وثمانية آلاف للصين وثلاثة آلاف للروم وألف فرسخ للعرب وذكر على بن معبد عن أشعث عن شعبة عن أرطاه بن المنذر قال إذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه السلام أنى قد أخرجت خلقا من خلقى لا يطيقهم أحد غيرى فر بمن معك إلى جبل الطور ومعه من الذرارى إثناعشر ألفا قال يأجوج ومأجوج ذرى فى جهنم وهم على ثلاثة أثلاث ثلث على طول الأرز وثلث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد وثلث يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى وهم من ولد يافث بن نوح ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده صنف منهم كالأرز وصنف منهم طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس

Marfat.com

ويروى أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحياة والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الأرض وليس لله خلق ينمى نساؤهم فى العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم يتداعون تداعى الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا (صح أصله فى كتاب القصد والأمم فى أنساب العرب والعجم) قال ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نية وقال كعب الأحبار خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف صنف أجسامهم كالأرز وصنف أربعة أذرع طولا وأربعة أذرع عرضا وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى فيأكلون مشايم نسائهم ذكره أبو نعيم الحافظ. وذكره عبد الملك بن حبيب أنه قال فى قول الله عز وجل فى قصة ذى القرنين . . فأتبع سببا يعنى منازل الأرض ومعالمها وطرقها حتى إذا بلغ بين السدين يعنى الجبلين الذين خلفهم يأجوج ومأجوج وجد من دونها قوما لا يكادون يفقهون قولا أى كلاما قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض قال عبد الملك وهما أمتان من ولد يافث بن نوح مد الله لهما فى العمر وأكثر لهما فى النسل حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد فولد آدم كلهم عشرة أجزاء يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء وسائر ولده كلهم جزء واحد قال عبد الملك كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القوم الذين هم قريب منهم فلا يدعون لهم شيئاً إذا كان أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه فقال أهل تلك الأرض لذى القرنين هل لك أن نجعل لك خرجا يعنون جعلا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير من جعلكم ولكن أعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما قالوا له وما تريد قال ائتونى زبر الحديد أى قطع الحديد فوضع بعضها على بعض كهيئة البناء فيما بين السدين وهما جبلان حتى إذا ساوى بين الصدفين يعنى جانبى الجبلين قال انفخوا أى أوقدوا حتى إذا جعله نارا قال ائتونى أفرغ عليه قطرا فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا أى من تحته وقال عبد الملك فى قوله أفرغ عليه قطرا يعنى نحاسا ليلتصق فأفرغه عليه فدخل بعضه فى بعض قال فإذا جاء وعد ربى جعله دكا وفى تفسير الحوفى أبى الحسن أن ذا القرنين لما عاين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين فقياس ما بينهما وهو فى منقطع التزك .

Marfat.com

مما يلى مشرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ فى عمله حفر له أساساً حتى بلغ الماء جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوة الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس فصار كأنه برد محبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه أنطلق عائدا الى جماعة الأنس والجن انتهى كلام الحوفى . وعن على رضى الله عنه قال وصنف منهم فى طول شبر لهم مخاليب وأنياب كالسباع وتداع الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام أحداهما وبرة يشتون فيها والأخرى جلده يصيفون فيها . وقال كعب الاحبار احتلم آدم عليه السلام فأختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك قال علماؤنا وهذا فيه نظر لان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يحتلمون وقال الضحاك هم من الترك وقال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح وهذا أشبه كما تقدم والله أعلم وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمزة فيهما وكذلك فى الأنبياء على أنهما مشتقان من اجة الحر وهى شدته وتوقده ومنه أججت النار ومن قولهم ملح أجاج فيكونان عربيين من آج وماج ولم يصرفا لأنهما جعلا اسمين فيهما مؤنثتان معرفتان والباقون بغير همز جعلوها لقبيلتين أعجميتين ولم يصرفا للعجمة والتعريف .

باب

ذكر الدابه وصفتها ومتى تخرج ومن أين تخرج وكم لها من خرجة وصفة خروجها معها إذا خرجت وحديث الجساسة وما فيها من ذكر الدجال قال الله تعالى وما معها (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) وذكر أبو بكر البزار قال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن موسى ابن عبيدة عن صفوان بن سليم عن أبن لعبد الله بن مسعود عن أبيه رضى الله عنه قال أكثروا من زيارة هذا البيت من قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع قالوا ياأبا عبد الرحمن هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الرجال .

Marfat.com

قال يصبحون فيقولون قد كنا نتكلم بكلام ونقول قولا فيرجعون إلى شعر الجاهلية وأحاديث الجاهلية وذلك حين يقع القول عليهم قال العلماء معنى وقع القول عليهم أى وجب الوعيد عليهم لتماديهم فى العصيان والفسوق والطغيان وأعراضهم عن أيات الله وتركهم تدبرها والنزول على حكمها وانتهابهم فى المعاصى إلى مالا ينجع معه فيهم موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة يقول عز من قائل (فاذا صاروا كذلك) أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أى دابة تعقل وتنطق وذلك والله أعلم ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة فإن الدواب فى العادة لا كلام لها ولا عقل . ابن ماجة عن عبدالله بن بريدة عن أبيةقال ذهب بى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا ارض بابسةحولها رمل فقالرسول اللهصلى الله عليهوسلم نخرج الدابةمن هذاالموضوع فإذافتر فى شبر قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنتين فأرانا عصا له فاذا هو بعصاى هذا وكذا الفتر ما بين السبابة والابهام إذا فتحتها قاله الجوهرى وخرج ابن ماجة أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران فتجلوا وجه المؤمن بالعصى وتحطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فتقول هذا يا مؤمن وتقول هذا يا كافر . وأخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذكر أبو داود الطيالسى فى مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج فى أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية (مكة) ثم تسكن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها فى البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى (مكة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لن تدعهم الأوهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعاً وتثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كالكوكب الدرى وولت فى الأرض لايدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول له يافلان الآن تصلى فتقبل عليه .

فتمسه فى وجهة ثم تنطلق وتشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمن يقول يا كافر إقض حقى وحتى أن الكافر يقول يا مؤمن إقض حقى رقد قيل أنها تسم وجوه الفريقين بالنفخ فتنقش فى وجه المؤمن مؤمن وفى وجه الكافر كافر قال المؤلف رحمه الله ولا يبعد أن تظهر السمة وتتبين بالنفخ فتجمع عليه الأمرين وعلى هذا لاتعارض والله أعلم . وذكر البغوى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا على بن الجعد عن فضيل ابن مرزوق الرقاشى الأعز وسئل عنه يحيى بن معين فقال ثقة عن عطية العوفى عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع فى الكعبة كجرى الفرس ثلاثة أيام لايخرج ثلثها وذكر الميانشى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دابة الأرض تخرج من جياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج زنبها بعد وهى دابة ذات وبر وقوائم وروى من حديث هشام بن يوسف القاضى أبى عبد الرحمن الصنعانى عن رباح ابن عبيد الله بن عمر عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الشعب جياد قالوا وفيم ذلك يارسول الله . قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين لم يتابع رباح على هذا أخرج الحديث أبو أحمد بن عدى الجرجانى رحمه الله . وعن عمرو بن العاص قال تخرج الدابة من مكة من شجرة وذلك فى أيام الحج فيبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها بعد من التراب ذكره القتبى فى عيون الأخبار له .

Marfat.com

واضح وأقوال المفسرين بخلاف ماقال وأنه خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لايفوتها أحد فتسم المؤمن فينير وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر فيسود وجهه وتكتب بين عينيه كافر وقال عبد الله بن عمر تخرج الدابة من جبل الصفا بمكة بنصدع فتخرج منه وقال عبد الله بن عمرو نحوه وقال لو شئت ان أضع قدمى على موضع خروجها لفعلت وروى عن قتادة أنها تخرج فى تهامة وروى أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل من أرض الطايف وروى عن ابن عمر انها على خلقة الآدميين وهى فى السحاب وقوائمها فى الأرض

وروى عن ابن الزبير انها جمعت من خلق كل حيوان فرأسها راس ثور وعينها عين خنزير وأذنها إذن فيل وقرنها قرن إيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هروذ نبها ذنب كبش وقوائمها قوايم بعير بين كل مفصل ومفصل أثنا عشر ذراعا ذكره الثعابى والماوردى وغيرهما .

وحكى النقاش عن ابن عباس انها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التى اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة ويروى أنها دابة مزغبة شعرا ذات قوايم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسة فى حديث فاطمة بنت قيس الحديث الطويل خرجه مسلم وذكره الترمذى وأبو داود مختصرا والسياق لمسلم وفيه ثم قال رسول الله ﷺ أتدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكنى جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فبايع واسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت احدثكم عن المسيح الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجزام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم أرفؤا إلى جزيرة فى البحر حيث مغرب الشمس قال فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيهم دابة أهلب كثير الشعر - لايدرى ماقبله من دبره من كثرة الشعر وقال الترمذى أن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة فى البحر فجالت بهم حتى قذفتهم فى جزيرة من جزاير البحر فاذا هم بدابة لباسة ناشرة شعرها فقالوا من أنت قالت أنا الجساسة وذكر الحديث راجع سياق مسلم فقالوا

Marfat.com

ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا هو أعظم إنسان رأيناه خلقاً وأشده وثاقا بمجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبته الى كعبيه بالحديد وقال الترمذي فاذا رجل موثق بسلسلة وقال أبو داود فاذا الرجل يجر شعره مسلسل فى الأغلال ينزوا فيها بين السماء والأرض قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبرى فاخبرونى ما أنتم قالوا نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم فلعب الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة(١) الشعر لاندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة (٢) فقلنا وما الجساسة قالت أعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فانه إلى خبركم بالاشواق فاقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها وما نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبرونى عن نخل بيسان وقال الترمذى الذى بين الاردن وفلسطين قلنا عن أى شأنها تستخبر قال اسألكم عن نخلها هل تثمر قلنا له نعم قال أما أنها يوشك أن لاتثمر قال أخبرونى عن بحيرة طبرية قلنا عن اى شأنها تستخبر قال هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبرونى عن نبى الأميين، (٣) ما فعل قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك ؟ قلنا نعم قال أما إن ذلك هو خير لهم أن يطيعوه وإنى مخبركم عنى أنا المسيح الدجال

---

(١) قوله كثيرة الشعر معنى أهاب.

(٢) قيل سميت بذلك لأنها تتجسس الاخبار للدجال.

(٣) أراد بالأميين العرب لانهم لايكتبون ولا يقرأون غالبا وانما اضافته ﷺ اليهم طعنا عليه بانه مبعوث اليهم خاصة كما يزعم بعض اليهود أو بأنه غير مبعوث لذوى الفطنة والكياسة الخ . احمد مرسى

Marfat.com

وإنى أوشك أن يؤذن لى بالخروج فاخرج فاسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما إستقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة يعنى المدينة الاهل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم قال فانه أعجبنى حديث تميم الدارى فانه وافق الذى كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة ألا أنه فى بحر الشام(١) وبحر اليمن لا بل من قبل المشرق وماهو من قبل المشرق وأومأ بيده إلى المشرق قال حفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد خرج ابن ماجة حديث فاطمة بنت قيس قالت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه مثل ذلك اليوم إلا يوم الجمعة فاشتد ذلك على الناس فمن بين قايم وجالس فاشار اليهم بيده أن أقعدوا فوالله ماقمت مقامى إلا لأمر ينغصكم لرغبة ولا رهبة ولكن تميم الدارى أتانى فاخبرنى خبرا منعنى القيلولة من الفرح وقرة العين فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم صلى الله عليه وسلم إلا أن ابن عم لتميم الدارى أخبرنى أن الريح الجأتهم الى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا فى قوارب السفينة فخرجوا بها فاذا هم بشىء أهدب أسود كثير الشعر قالوا لها ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا اخبرينا قالت ما أنا بمخبرتكم شيئا ولا سائلتكم وليكن هذا الدير قد رهقتموه فاتوه فان فيه رجلا بالإشواق الى أن تخبروه ويخبركم فأتوه فدخلوا عليه فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق مظهر الحزن شديد التشكى فقال لهم من أين فقالوا من الشام قال

---

(١) أراد ببحر الشام ما يلى الجانب الشامى وببحر اليمن ما يلى الجانب اليمانى والبحر واحد ، وانما ردد بينهما إما لان الوحى لما يكن نازلا للتصريح بمحله بل قاله عن ظن ثم عرض له ظن أخر . واما لتنقل الدجال من محل الى محل واما لانه رأى المصلحة فى الترديد . والله بغيبه اعلم . . احمد مرسى

Marfat.com

مافعلت العرب قالوا نحن قوم من العرب غما تسأل قال ما فعل الرجل الذى خرج فيكم قالوا خيرا اتى قوماً فأظهره الله عليهم فأمرهم اليوم جميع إلاههم واحد ودينهم واحد ونبيهم واحد قال ما فعلت عين زغر قالوا خير ايسقون منها لزروعهم ويستقون منها لشعثهم قال مافعل نخل بين عمان وبيسان قالوا يطعم ثمره كل عام قال مافعلت بحيرة الطبرية قالوا تدفق بجنباتها من كثرة الماء قال فزفر ثلاث زفرات ثم قال لو انفلت من وثاقى هذا لم أدع أرضا الا وطيتها برجلى هاتين الا طيبة ليس لى عليها سبيل.

قال النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا انتهى وحى هذه طيبة والذى نفسى بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسع ولاسهل ولاجبل إلا وعليه ملك شاهر سيفه الى يوم القيامة.

قال المؤلف رحمه الله هذا حديث صحيح وقد خرجه مسلم والترمذى وأبو داود وغيرهم رضى الله عنهم وقد قيل أن الدابة هو الفصيل الذى كان لناقة صالح عليه السلام فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل فيه ثم انطبق عليه فهو فيه الى وقت خروجه حتى يخرج باذن الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله ويدل على هذا القول حديث حذيفة المذكور فى هذا الباب وفيه وهى تزغوا والزغال انما هو للابل والله أعلم.

ولقد أحسن من قال

وإذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والإيمان

وقد إستدل من قال من العلماء أن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان فى معناه والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ماتقدم وما يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك الوقت ويكون بين أظهر الصحابة فى وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة وفى كتاب أبى أبو داود فى خبر الجساسة من حديث أبى سلمه بن عبد الرحمن قال شهد

جابر أنه هو ابن صياد قلت فانة قد مات قال وإن مات قلت فانه قد أسلم قال وإن أسلم قلت فانه قد دخل المدينة قال وإن دخل المدينة .

وذكر سيف بن عمر فى كتاب الفتوح والردة ولما نزل ابو سبره فى الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم الشهربان أخو الهرمزان ناوشوهم القتال كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين فاشرف عليهم بوما الرهبان والقسيسون فقالوا يامعشر العرب أن مما عهد علماؤنا وأوائلنا أنه لايفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا أنفسكم بالحصار قال وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان فى جند فاتى باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح فطار فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الابواب ودخل المسلمون وقصته مع أبى سعيد وقوله والله أنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وقال الترمذى وأين هو الساعة من الارض وأعرف والده كالنص فى أنه هو واحتجاجه بأنه مسلم وولد له ودخل المدينة وهو يريد مكه تلبس منه وأنه سيكفر إذا خرج وحينئذ لايولد له ولا يدخل مكة والمدينة والله أعلم وقوله أرفئوا أى الجأوا إلى جزيرة لجأوا مرفأ السفينة حيث ترسى يقال أرفأت السفينة إذا قربتها من الشط وذلك الموضع مرفأ وارفات اليه لجأت اليه وأقرب السفينة هى القوارب الصغار يتصرف بها ركاب السفينة والواحد قارب على غير قياس .

قال الخطابى والماذرى والمهلب الشعر الغليظ. وقال أهلب على معنى الحيوان أو الشخص ولو راعى اللفظ لقال هلبا كاحمر وأحمر كاهلب أيضا عند بعض أهل اللغة الذى لاشعر عليه وهو من الاضداد وا ستفهامهم منها ظنا منهم أنها ممن لاتعقل فلما كلمتهم فرقوا أى فزعوا وإغتلام البحر هيجانه وتلاطم أمواجه وبيسان وزغر موضعان بالشام بين الأردن وفلسطين كما فى حديث الترمذى قال الحافظ أبو الخطاب بن دحيه كانت بيسان مدينة وفيها سوق كبيرة وعين تسمى

عين فلوس يسقى منها وبحيرة طبرية هى بحيرة عظيمة طولها عشرة أميال وعرضها ستة اميال وموجها فى سور قلعتها وهى عميقة تجرى فيها السفن ويصاد منها السمك وماؤها حلو فرات وبين بحيرة طبرية وبيت المقدس نحو من مائة ميل وهى من الأردن ولزمتها هى تصغير بحرة لا بحر لأن البحر مذكر وتصغيره بحير وعين زغر بضم الزاى وفتح العين وامتناع صرفه للعلمية والعدل لأنه معدول عن زاغر كعمر ومعدول عن عامر وزعم الكلبى أن زغر اسم لمرأة نسبت هذه العين اليها فان كان ما قاله حقا فلان هذه المرأة استنبطتها وأتخذت أرضها دارا لها فنسبت اليها ذكره ابن دحيه فى كتاب البشارات والانذارات له من تاليفه وقوله عليه الصلاة السلام إلا انه فى بحر الشام أو بحر اليمن شك أو ظن منه عليه الصلاة والسلام أو قصد الابهام على السامع ثم نفى ذلك وأضرب عنه با لتحقيق فقال لا بل من قبل المشرق ثم أكد ذلك بما الزايدة وبالتكرار اللفظى فما زايدة لا نافية فاعلم ذلك .

باب

طلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وكم يمكث الناس بعد ذلك .

مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خير طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض :

وخرج الترمذى والدارقطنى عن صفوان بن عسال المرادى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وقال سفيان قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحا

Marfat.com

يعين للتوبة لايغلق حتى تطلع الشمس منـــه قال الترمذى حديث حسن صحيح .

وذكر أبو إسحاق الثعلبي وغيره من المفسرين فى حديث فيه طول عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه أن الشمس تحبس على الناس حتى تكثر المعاصى فى الأرض ويذهب المعروف فلا يؤمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت وإستأذنت ربها عز وجل من أين تطلع لم يحر اليها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يحر اليه جواب حتى يجلسا مقدار ثلاث ليالى للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف ماطول تلك الليلة إلا المتهجدون فى الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة فى كل بلدة من بلاد المسلمين فاذا تم لها مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام فيقول إن الرب سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه وأنه لاضوء لكما عندنا ولا نور فيطلعان من مغاربهما أسودين لاضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى « وجمع الشمس والقمر » وقوله « إذا الشمس كورت » فيرتفعان كذلك مثل البعيرين والفرسين فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى نصفها جاءهما جبريل فاخذ بقرونهما وردهما إلى المغرب فلا يغربهما من مقاربها ولكن يغربهما من باب التوبة ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كانه لم يكن بينهما صدع فاذا غلق باب التوبة لم يقبل العبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تبارك وتعالى « يوم يأتى بعض أيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا » ثم إن الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك الضوء والنور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كان قبل ذلك يطلعان ويغربان وذكر الميانشى وقال عبد الله بن عمرو « عن النبي صلى الله عليه وسلم ويبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة .

فصـــل

قال العلمـاء وإنما لاينفع نفساً إيمانها عند طلوعها منَ مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتر كل قوة من قوى البدن فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة فى حال من حضره الموت فى إنقطاع الدواعى إلى أنواع المعاصى عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب فى مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لاتقبل توبة من حضره الموت .

قال ﷺ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أى تبلغ روحه رأس حلقه وذلك وقت المعاينة الذى يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله وعلى هذا ينبغى أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش لأن علمه بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم وبوعده قد صار ضرورة فان أمتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان ولا يتحدثون عنه إلا قليلا فيصير الخبر عنه خاصا وينقطع التواتر عنه فمن أسلم فى ذلك الوقت أو تاب قبل منه والله أعلم ،

وقد قيل إن الحكمة فى طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال لنمروذ «فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر» وأن الملحدة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كاين فيطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليرى المنكرين لذلك قدرته من أن الشمس فى قدرته إن شاء أطلعها من المشرق وأن شاء أطلعها من المغرب وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والايمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبى ﷺ فأما المصدق لذلك فانه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك والله أعلم . وروى عن ابن عباس أنه قال لاتقبل من كافر عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيرا يومئذ فانه لو أسلم بعد ذلك قبل ذلك منه ومن كان مؤمنا مذنبا فتاب من الذنب قبل منه وروى عن عمران بن حصين أنه قال إنما لم تقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحـــة فيهلك فيها كثير من الناس فمن أسلم أو تاب فى ذلك الوقت ثم هلك لم تقبل توبته ومن تاب بعد ذلك قبلت توبته ذكره الليث السمرقندى فى تفسيره

Marfat.com

فصل

وإختلفت الروايات فى أول الآيات فروى أن طلوع الشمس أولها على ماوقع فى حديث مسلم فى هذا الباب وقيل خروج الدجال وهذا القول أولى القولين وأصح لقوله عليه الصلاة السلام إن الدجال خارج فيكم لامحالة الحديث بطوله فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عليه السلام ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحدا باسلام من أسلم منهم وقد تقدم القول مبينا فى هذا وأن أول الآيات الخسوفات فاذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجا إلى مكة فاذا قضى حجه انصرف إلى زيارة (سيدنا) محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وصل إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الله عند ذلك ريحا عشرية عبقرية فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين فيموت عيسى عليه السلام ويدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى روضته ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الاسلام إلى الكفر والضلالة وتستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الاسلام فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ثم تأتى الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجرا حجرا ويرمون بالحجارة فى البحر ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم ثم يأتى دخان يملأ مابين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل فى أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم ثم يبعث الله ريحا من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك فتقبض روح المؤمن والمؤمنة وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لايشبعون من النساء والنساء لايشبعن من الرجال ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم فى البحر هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب فى الاشراط وفيه بعض إختلاف وقد تقدمت الإشارة اليه فيما تقدم والله أعلم .

وقيل : إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن لتسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقيل معهم حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحوش والسباع والطير والهوام وخشاش

Marfat.com

الأرض وكل من له روح فبينما الناس قيام فى أسواقهم يتبايعون وهم مشتغلون بالبيع والشراء اذا هم بهدة عظيمة من السماء يصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين قياما على أرجلهم وهو قوله تعالى «ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق» فبينما هم كذلك اذا هدة أخرى أعظم من الأولى غليظة فظيعة كالرعد القاصف فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات كما قال ربنا جل وعلا ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله» فتبقى الدنيا بلا آدمى ولا جنى ولا شيطان ويموت جميع من فى الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شىء له روح وهو الوقت المعلوم الذى كان بين الله تعالى وبين إبليس اللعون :

باب

(ما جاء فى خراب الأرض والبلاد قبل الشام ومدة بقاء المدينة خرابا قبل يوم القيامة وفى علامة ذهاب الدنيا ومثالها وفى أول ما يخرب منها)

روى من حديث حذيفة بن اليمانى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ويبدأ الخراب فى أطراف الأرض حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة وخراب البصرة من العراق وخراب مصر من حفاف النيل وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب اليمن من الجراد وخراب الأبلة من الحضار وخراب فارس من العصاليك وخراب الترك من الديلم وخراب الديلم من الأرمن وخراب الأرمن من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك من الصواعق وخراب السند من الهند وخراب الهند من الصين وخراب الصين من الرمل وخراب الحبشة من الرجفة وخراب الزوراء من السفيانى وخراب الروحاء من الخسف وخراب العراق من القحط ذكره أبو الفرج الجوزى رحمه الله فى كتاب روضة المشتاق والطريق الى الملك الخلاق وسمعت أن خراب الاندلس[1] من الريح العقيم والله أعلم .

---

(١) راجع تفسير النسفى عند قوله تعالى « وإن من قرية إلا نحن مهلكوها الآية وما كتبه الضحاك ففيه تفصيل لما أجمل هنا والله أعلم .أحمد مرسى

Marfat.com

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبى عمران الجونى وأبى هارون العبدى أنهما سمعا نوفا البكالى يقول إن الدنيا مثلت على طير فاذا انقطع جناحاه وقع وان جناحى الأرض مصر والبصرة فإذا خربتا ذهبت الدنيا وذكر أبوزيد عمر بن شبة حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبان بن يزيد عن يحى بن أبى كثير قال ذكر لى عن عوف بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أما والله يا أهل المدينة لتتركنها قبل يوم القيامة أربعين وقال كعب ستخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة وليها جرن الرعد والبرق الى الشام حتى لاتكون رعدة ولا برقة إلا ما بين العريش والفرات . ويروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إنى اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فأخربه ثم أخرب الدنيا على أثره وقد تقدم أن الذى يخربه ذو السويقتين على ما تقدم والله أعلم .

باب

لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض الله الله . مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله علية وسلم لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الأرض الله الله وفى رواية أخرى لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله :

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قيد الله برفع الهاء ونصبها فمن رفعها فمعناه ذهاب التوحيد ومن نصبها فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أى لاتقوم الساعة على أحد يقول أتق الله . قال المؤلف رحمه الله ويدل على صحة هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث حذيفة لتقصدنكم نار هى اليوم خامدة الحديث وفيهم شر من الحمر يتسافدون تسافد البهايم وليس فيهم رجل يقول مه مه . وقد قيل أن هذا الاسم أجراه الله على ألسنة الأمم من لدن آدم عليه السلام ولم تنكره أمة بل هو دليل على ألسنتهم من عهد أبيهم إلى إنقضاء الدنيا وقد قال قوم نوح ولو شاء الله لأنزل ملائكة الاية وقال قوم هود أجئتنا لنعبد الله وحده ، وقالوا إن هو إلا

رجل افترى على الله كذبا إلى غير ذلك . وقال ، واثن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، فاذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين وفجأهم عند ذلك الحق اليقين وهو قوله عليه الصلاة والسلام لاتقوم الساعة وعلى الارض من يقول الله . وفى الخبر أن الله تعالى يقول لإسرافيل عليه السلام إذا سمعت قائلا يقول لا إله إلا الله فأخر النفخة أربعين سنة أكراما لقايلها والله اعلم .

باب

على من تقوم الساعة

مسلم عن عبد الرحمن بن شماسة المهدى قال كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبدالله ابن عمرو بن العاص فقال عبد الله لاتقوم الساعة الا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لايدعون الله بشىء الا رده عليهم فبينما هم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له ابن شماسه ياعقبة اسمع ما يقول عبد الله فقال عقبة هو أعلم وأما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لايضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبد الله أجل ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها كمس الحرير لاتترك نفساً فى قلبها مثقال حبة من ايمان الا قبضته ثم تبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة . وفى حديث عبد الله بن مسعود لاتقوم الساعة الا على شرار الناس من لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا يتهارجون كما تتهارج الحمر .

قال الأصمعى : قوله يتهارجون يقول يتسافدون يقال بات فلان يهرجها والهرج فى غير هذا الاختلاط والقتل . وخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتذهب الليالى والايام حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله أن كنت لأظن حين أنزل الله هو الذى أرسل رسوله بالهدى

Marfat.com

ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إن ذلك تام قال إنه سيكون من ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان فى قلبه مثقال حبة . . إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين أبائهم . والله اعلم

فصل

ذكر أبو الحسن بن بطال رحمه الله هـــذا الحديث فى شرح البخارى له مبينا لحديث البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساءدوس على ذى الخلصة الحديث وقد تقدم وقال هذه الأحاديث وما جا نسها معناها الخصوص وليس المراد بها أن الدين كله ينقطع فى جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شىء لأنه قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الاسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعـــود غريباً كما بدأ .

روى حماد بن سلمة عن قتادة عن مطرف عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق حتى يقاتل أخرهم المسيح الدجال وكان مطرف يقول هم أهل الشام . قال المؤلف رحمه الله ما ذكره من أن الدين لاينقطع وأن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة يرده حديث عائشة وعبدالله ابن عمرو وما ذكره من حديث عمران بن حصين وقد تقدم أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال ويخرج يأجوج ومأجوج ويموتون ويبقى عيسى عليه السلام ودين الأسلام لايعبد فى الأرض غير الله كما تقدم وأنه يحج ويحج معه أصحاب الكهف فيما ذكره المفسرون وقد تقدم أنهم حواريوه إذا نزل فاذا توفى عيسى عليه السلام بعث الله تعالى عند ذلك ريحا باردة من قبل الشام فتأخذ تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة كذا فى حديث النواس بن سمعان الطويل وقد تقدم وفى حديث عبد الله بن عمرو ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو دخل أحدكم فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه

Marfat.com

قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وقد تقدم بكماله وفيه ذكر النفخ والصعق والبعث فهذا غاية فى البيان فى كيفية انقراض هذا الخلق وهذه الأزمان فلا تقوم الساعة وفى الأرض من يعرف الله ولا من يقول الله الله وذكر أبو نعيم عن أبى الزاهرية عن كعب الأحبار قال يمكث الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج فى الرخاء والخصب والدعة عشر سنين حتى أن الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة بينهما ويحملان العنقود الواحد من العنب فيمكثون على ذالك عشر سنين ثم يبعث الله ريحا طيبة فلا تدع مؤمنا إلا قبضت روحه ثم تبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر فى المروج حتى يأتيهم أمر الله والساعة وهم على ذلك

كمل كتاب التذكرة
والحمد لله رب العالمين وصلواته
على سيدنا محمد نبيه وآله
وسلم تسليما كثيرا
دائماً أبداً

Marfat.com

(١) فهرس التذكرة

صفحة

٣ خطبة المؤلف
٤ باب النهى عن تمنى الموت لضر ينزل فى المال أو الجسد (انظر التعليق)
٦ « جواز تمنى الموت خوف ذهاب الدين
٧ « ذكر الموت وفضله والاستعداد له (انظر التعليق)
١١ « مايذكر الموت والآخرة ويزهد فى الدنيا . وزيارة القبور
١٥ « بحث احياء الأبوين وعمه وإيمانه به (انظر التعليق)
١٦ « المؤمن يموت بعرق الجبين
١٧ « خروج نفس المؤمن وما جاء فى أن للموت سكرات
٢٦ « الموت كفارة لكل مسلم
٢٧ « لايموت أحد إلا وهو يحسن الظن بالله وما جاء فى ذلك
٣٠ « يلقن الميت لا إله إلا الله
٣٢ « من حضر الميت فلا يلغو وليتكلم بخير وما يقال عند التغميض
٣٣ « ماجاء أن الميت يحضره الشيطان
٣٦ « أن الأعمال بالخواتيم
٣٩ « فى رسل ملك الموت قبل الوفاة
٤٥ « متى تنقطع معرفة العبد من الناس
٥٠ « لا تخرج روح عبد حتى تبشر وأنه يصعد بها
٥٣ « ماجاء فى تلاقى الأرواح فى السماء وسؤالها عن أهل الأرض
٥٧ « فى شأن الروح وأين تصير
٦١ « كيفية التوفى للموتى (انظر التعليق)
٦٥ « ماجاء فى صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر
٦٦ « « أن ملك الموت هو القابض لأرواح الخلق .
٧٠ « فى سبب قبض ملك الموت للأرواح
٧١ « أن الروح إذا قبض تبعه البصر

Marfat.com

صفحه

٧٢ باب فى تزاور الأموات فى قبورهم والإسراع بالجنازة
٧٣ « بسط الثوب على القبر عند الدفن
٧٤ « ما جاء فى قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده
٨٣ « يدفن العبد فى الأرض التى خلق منها
٨٥ « ماجاء ان كل عبد يذر عليه من تراب حفرته
٨٦ « مايتبع الميت إلى قبره وبعد موته
٨٧ « ما جاء فى هول المطلع
٨٨ « « فى أن القبر أول منازل الآخرة وفى البكاء عنده
٩٢ « باب ماجاء فى اختيار البقعة للدفن
٩٥ « يختار للميت قوم صالحون يكون معهم
٩٧ « ماجاء فى كلام القبر للعبد إذا وضع فيه (انظر التعليق)
١٠٠ « « فى ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا
١٠٢ « ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه وهم من شر الناس له وحديث يدل على التوسل بالأموات (انظر التعليق)
١٠٣ « ما ينجى من ضغطة القبر وفتنته
١٠٤ « مايقال عند وضع الميت فى قبره
١٠٥ « الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له
١٠٩ « ماجاء فى تلقين الانسان بعد موته شهادة الاخلاص فى لحده
١١١ « فى نسيان أهل الميت ميتهم وفى الأمل وما جاء فى رحمة الله تعالى بعبده إذا أدخل فى قبره .
١١٢ « باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد
١١٣ « ماجاء فى سؤال الملكين للعبد وفى التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار.
١١٩ « حديث البراء المشهور وأبحاثه (انظر التعليق)
١٢٩ « ماجاء فى صفة الملكين عليهما السلام وصفة سؤالهما
١٣٢ « اختلاف الآثار فى سعة القبر على المؤمنين حسب أعمالهم (انظر التعليق)
١٣٣ « ماجاء فى عذاب القبر وأنه حق
١٣٥ « عذاب الكافر فى قبره وما يكون منه عذاب القبر

Marfat.com

صفحة

١٣٩ باب منه
١٤١ « ما جاء فى بشرى المؤمن فى قبره
١٤٢ « ما جاء فى التعوذ من عذاب القبر وفتنته
١٤٣ « « أن البهائم تسمع عذاب القبر
١٤٤ « « إن الميت يسمع ما يقال
١٤٥ « فى قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا » الآية
١٤٧ « ما ينجى المؤمن من أهوال القبر وعذابه
١٥٢ « فى الشهيد ومن مات مريضا (انظر التعليق)
١٥٣ « ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي
١٥٤ « « أن أرواح الشهداء فى الجنة
١٥٩ « كم الشهداء ولم سمى شهيدا ومعنى الشهادة ؟
١٦٢ « ان الانسان يبلى إلا عجب الذنب
١٦٣ « لا تأكل الأرض اجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأنهم أحياء
١٦٥ باب فى انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وما بين النفختين
١٦٦ « فى قول الله تعالى « ونفخ فى الصور » الآية
١٧١ « يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده
١٧٣ « بيان ما أشكل من الحديث (انظر التعليق)
١٧٧ « البرزخ والنفخ الثانى والبعث
١٨٥ « فى صفة البعث وما آية ذلك
١٨٦ « يبعث كل عبد على ما مات عليه
١٨٧ « فى بعث النبي صلى الله عليه وسلم من قبره
١٨٩ « ما جاء فى بعث الأيام وما جاء إذا قام العبد المؤمن من قبره
١٩٠ « أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟
١٩٨ « الحشر ومعناه الجمع
٢٠١ « فضل انكار العبد مالم يأنس
٢٠٢ « بيان الحشر وأرضه

Marfat.com

صفحة

٢٠٥ باب الجمع بين آيات وردت فى الكتاب ظاهرها التعارض
٢٠٧ « فى حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة وأول من يكسى منهم
٢٠٩ « بيان قوله تعالى « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »
٢١١ « قول النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى يوم القيامة
٢٣٣ « ما يلقى الناس فى الموقف (انظر التعليق)
٢٣٩ « إن الشمس لا يضر حرها مؤمنا ولا مؤمنة
٢٤٠ « ما ينجى من اهوال يوم القيامة
٢٤٣ « فى الشفاعة العامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل المحشر (انظر التعليق)
٢٤٦ « ما جاء فى أن هذه الشفاعة هى المقام المحمود
٢٤٩ « فى اختلاف العلماء
٢٥١ « من أسعد الناس بشفاعته ؟
٢٥٢ « ما جاء فى تطاير الصحف عند العرض واعطاء الكتب الخ
٢٥٥ (فصل) فى معنى « وكل إنسان الزمناه طائره » (الآية)
٢٥٨ باب « يوم تبيض وجوه » الآية
٢٥٩ « فى قوله تعالى « ووضع الكتاب » الاية
٢٦٠ « ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال
٢٦٣ فصل لاتزول قدم عبد حتى يسأل
٢٦٥ باب ما جاء فى ان الله يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان.
٢٦٧ « القصاص يوم القيامة
٢٧ « قوله فى الحديث فيناديها بصوت
٢٧٣ فصل الاختلاف فى حشر البهائم وقصاصها
٢٧٧ باب ارضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة
٢٧٩ « أول من يحاسب وباب أول ما يحاسب عليه العبد ؟
٢٨٤ « شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما
٢٨٧ « « ما جاء فى شهادة الأرض والأيام

صفحة

٢٨٩ باب فى سؤال الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين
٢٩٣ « فى الشهداء عند الحساب
٢٩٤ « شهادة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على أمته
٢٩٥ « فى عقوبة مانعى الزكاة
٣٠١ « منه وذكر الولاة
٣٠٢ « ما جاء فى حوض النبى صلى الله عليه وسلم
٣٠٥ « منه وباب فقراء المهاجرين أول الناس الخ
٣٠٦ « ذكر من يطرد عن الحوض
٣٠٨ « ما جاء أن لكل نبي حوضا وما جاء فى الكوثر (انظر التعليق)
٣٠٩ « ابواب الميزان وانه حق
٣١٠ باب منه فى بيان كيفية الميزان ووزن الأعمال ومن قضى لأخيه حاجة
٣١٨ « « ذكر أصحاب الاعراف
٣٢٢ « « تتبع كل أمة ما كانت تعبد الخ

Marfat.com

(١) فهرس الجزء الثانى من التذكرة

صفحة

٣٢٩ باب الجواز على الصراط وصفته
٣٣٦ « فيمن لايوقف على الصراط طرفة عين
٣٣٨ « ثلاث مواطن لا يخطئها النبي صلى الله عليه وسلم
٣٣٨ « تلقى الملائكة للانبياء وأممهم وذكر الصراط الثانى
٣٤٠ « من دخل النار من الموحدين
٣٤١ « فيمن يشفع لهم قبل دخول النار
٣٤٣ « فى الشافعين لمن دخل النار
٣٤٥ « فى الشفعاء
٣٥٤ « يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود
٣٥٦ « مايرجى من رحمة الله تعالى وعفوه
٣٥٨ باب منه وفى أول مايقول الله تعالى
٣٥٩ « حفت الجنة بالمكاره
٣٦٠ « احتجاج الجنة والنار وصفة اهلهما (أنظر التعليق)
٣٦١ « فى صفة أهل الجنة وأهل النار
٣٦٦ « منه
٣٦٩ « ماجاء فى أكثر أهل الجنة وأهل النار
٣٧٠ « « « أن العرفاء فى النار
٣٧١ « لايدخل الجنة صاحب مكس ولاقاطع رحم
٣٧١ « ماجاء فى أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول من يدخل النار
٣٧٢ « فى أول من تسعر بهم النار
٣٧٢ « فيمن يدخل الجنة بغير حساب
٣٧٧ « فى أن أمة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم شطر أهل الجنة وأكثر
٣٧٨ « فى ذكر ابواب جهنم وما جاء فيها
٣٨٩ « فزع الملائكة من خلق النار

صفحه

٣٨٠ باب ما جاء فى البكاء عند ذكر النار
٣٨٠ « « فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار
٣٨٢ « « فى جهنم وانها أدراك
٣٨٣ « « أن جهنم تسعر وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة وابوبها السبعة
٣٨٥ « « فى بعد أبوابها بعضها عن بعض
٣٨٧ « « فى عظمها وكثرة ملائكتها (أنظر التعليق)
٣٨٩ « « فى كلامها
٣٩٠ « « ان التسعة عشر خزنة جهنم
٣٩١ « « فى سعتها الخ وأنها فى الأرض
٣٩٢ « « فى ان الشمس والقمر يقذفان فى النار
٣٩٤ « « فى صفة جهنم وشدة عذابها
٣٩٦ « « فى شكوى النار وكلامها
٣٩٨ « « فى مقامع أهلها وسلاسلهم
٣٩٩ « « فى كيفية دخول أهل النار النار
٤٠٠ « « ان فى جهنم جبالا وخنادق
٤٠٤ « منه فى بيان قوله تعالى « فلا اقتحم العقبة »
٤٠٧ « ما جاء فى قوله تعالى « وقودها الناس والحجارة »
٤٠٨ « « فى جسد الكافر وأعضائه
٤٠٩ فصل فى تخفيف العذاب لأبى طالب ببركة النبى صلى الله عليه وسلم
٤١٠ باب فى شدة عذاب أهل المعاصى
٤١٢ « فى عذاب من عذب الناس فى الدنيا وشدة عذاب من أمر بمعروف ولم يأته
٤١٦ « ما جاء فى طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم
٤١٧ « ماجاء فى ان أهل النار يجوعون ويعطشون
٤٢ « فى بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابا فيها
٤٢٢ « ان لكل مسلم فداء من النار من الكفار
٤٢٤ « فى قوله تعالى « وتقول هل من مزيد »

Marfat.com

صفحه

٤٢٥ باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة
٤٢٧ « فى خروج الموحدين من النار
٤٣٣ « ما جاء فى الاستهزاء بأهل النار
٤٣٥ « ما جاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار وخلود أهل الدارين
٤٣٨ « أبواب الجنة
٤٣٩ « صفة أهل الجنة وهل تفضل جنة جنة ؟؟
٤٤٤ « صفة الجنة وما أعد الله لاهلها فيها
٤٤٥ « ما جاء فى أنهارها وجبالها
٤٤٧ « « رفع القرآن والعلم
٤٤٨ « « ان الخمر من شربه فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة
٤٤٩ « « فى أشجارها وثمارها
٤٥١ « فى كسوة الجنة وكسوة أهلها
٤٥٣ « فى ان شجر الجنة تنفتق عن ثياب الجنة
٤٥٤ « ليس فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب ونخل الجنة وثمرها
٤٥٥ « ما جاء فى أبواب الجنة وكم هى ولمن هى
٤٦٠ « « فى درج الجنة وما يحصلها للمؤمن
٤٦١ « « فى غرف الجنة ولمن هى
٤٦٥ « « فى قصور الجنة ودورها
٤٦٧ « « فى قوله تعالى « وفرش مرفوعة » وما جاء فى خيامها
٤٦٩ « « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز
٤٦٩ « « فى أن أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء
٤٧٣ « « صفة أهل الجنة وسنهم وطولهم الخ (انظر التعليق)
٤٧٦ « فى الحور العين وكلامهن وجواب الآدميات وحسنهن
٤٧٨ « ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين
٤٨١ « فى الحور ومن أى شىء خلقن
٤٨١ « إذا ابتكر الرجل امرأة فى الدنيا كانت زوجته فى الآخرة

صفحه

٤٨٣ باب ما جاء أن فى الجنة أكلا ولاقذر فيها ولا نقص ولا نوم
٤٨٤ « المؤمن إذا اشتهى الولد . وان كل ما فيها لا يبلى ولا يفنى
٤٨٥ « ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا
٤٨٥ « « فى طيرها وخيلها
٤٨٧ « « ان الحناء سيد ريحان الجنة
٤٨٨ « « ان الشاة والمعزى من دوابها
٤٨٩ « « فى ان غراسها سبحان الله والحمد لله
٤٩٠ « « فى ان الذكر نفقة بناء الجنة وما لأدنى أهلها منزلة
٤٩٢ « رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل منها
٤٩٥ « رؤية أهل الجنة لله عز وجل
٤٩٥ « الرؤية
٤٩٦ « فى سلام الله تعالى عليهم
٤٩٧ « فى بيان قوله تعالى « ولدينا مزيد »
٤٩٨ « نبذ من أقوال العلماء فى تفسير كلمات وآيات
٥١١ « ما جاء فى اطفال المسلمين والمشركين
٥١٧ « فى ثواب من قدم ولدا
٥٢٠ « « نزل أهل الجنة وتحفهم
٥٢١ « « أن مفتاح الجنة لا اله لا الله والصلاة
٥٢٣ كتاب الفتن والكف عمن قال لا اله إلا الله
٥٢٤ « ما جاء فى قتل المؤمن والإعانة عليه
٥٢٨ فصل فى قوله ويل للعرب من شر قد اقترب
٥٣٣ باب ما جاء فى رحى الإسلام ومتى تدور
٥٣٤ « « أن عثمان رضى الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة
٥٤١ فصل فان قيل الخ
٥٤٧ باب لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه
٥٤٨ « ما جاء فى الفرار من الفتن والأمر بلزوم البيوت عندها

Marfat.com

صفحة

٥٥٠ باب الاعتزال عنها وفى ذهاب الصالحين
٥٥٣ « الأمر بتعلم كتاب الله
٥٥٧ « جعل الله بأس هذه الأمة بينها
٥٥٩ « مايكون من الفتن واخبار النبي صلى الله عليه وسلم بها
٥٦١ « ذكر الفتنة التى تموج موج البحر
٥٦٣ « ما جاء فى بيان مقتل الحسين عليه السلام ولا رحم قاتليه (اقرأ التعليق)
٥٧٢ « ما جاء أن اللسان فى الفتنة اشد من وقع السيف
٥٧٣ « الأمر بالصبر عند الفتن
٥٧٧ « جعل الله فى أول هذه الأمة عافيتها (انظر التعليق)
٥٧٨ « جواز الدعاء بالموت عند الفتن
٥٧٩ « أسباب الفتن والبلاء
٥٨٢ فصل حذر الله سبحانه عباده فتنة المال والنساء
٥٨٣ « ما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية
٥٨٤ « أمارات الملاحم
٥٨٥ « تداعى الأمم على أهل الإسلام
٥٨٩ « بيان قوله تعالى «حتى تضع الحرب أوزارها »
٥٩٠ « ما جاء فى قتال الترك
٥٩٢ « فى سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم
٥٩٥ « ذكر البصرة وبغداد والاسكندرية
٥٩٩ « ما جاء فى فضل الشام
٦٠٠ « « فى المدينة ومكة
٦٠ « « فى الخليفة الكائن فى آخر الزمان
٦٠٩ « خروج المهدى والسفيانى
٦١٤ باب فى المهدى وذكر من يوطىء له ملكه
٦١٧ « « « وصفته واسمه ومكثه
٦١٧ « « « من أين يخرج وفى علامة خروجه

Marfat.com

صفحة

٦١٩ باب فى بيان قوله تعالى « فاذا جاء وعد أولاهما » الآية

٦٢١ « فى فتح القسطنطينية

٦٢٤ « اشراط الساعة

٦٢٥ « قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين

٦٢٦ « أمور تكون بين يدى الساعة

٦٣١ « كيف يقبض العلم

٦٤٠ « ماجاء أن الأرض تخرج كنوزها

٦٤١ « فى ولاة آخر الزمان

٦٤٤ « إذا فعلت هذه الأمة الخ

٦٤٩ « فى رفع الأمانة والايمان من القلوب

٦٤٠ « ان الخشوع والفرائض أول علم يرفع

٦٥٢ « الآيات التى تكون قبل الساعة

٦٥٧ « فيمن يخسف به أو يمسخ

٦٥٨ « ذكر الدجال

٦٦٨ « « « وما يصحبه من الفتن

٦٨٦ « ما جاء فى ان حوارى عيسى عليه السلام إذا نزل - أصحاب الكهف -

٦٩٢ « ما جاء فى نقب يأجوج ومأجوج

(تم الفهرس)

Marfat.com

تعليقات

فى صفحة ٤ سطر ١٠ — حديث لا تمنوا الخ : بيانه والله ورسوله أعلم . علل النهى بأمرين . الأول هول المطلع لأنه إن كان تمنيه لضجر فيزداد لهوله ضجرا وسخطا . والثانى أن عمر الإنسان رأس مال تجارته لطلب الربح والسعادة . وما أعظم خسارة من ضيع رأس المال .

و ص ٨ س ١٠ — ما يناسب حديث أكثروا ذكر هادم اللذات . فاكرم ما يفعل تحبيل التوبة وقناعة النفس ونشاط العبادة وقلة الفرح وتقديم المال لأن نفس المرء مع ماله إن قدمه فى الخير أحب أن يلحق به . وإن أخره أحب أن أحب يتأخر معه (وهيهات) والنتيجة أن يحبب إليه كل باق ويبغض إليه كل فان .

و ص ١٥ — نقول على تسليم وضع الحديث . فلا يلزم من عدم الاستغفار الكفر ، فلا يرد ما ذكره . على أن من يقول بالكفر يدخل فى عموم قوله سبحانه وتعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) وأى إيذاء أعظم من إيذائه صلى الله عليه وسلم فى أبويه ؟ أعاذنا الله من سوء الأدب وكفانا كل سوء .

أخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضا (سيدنا) محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار . . ولهذا عمم الحافظ ابن حجر فى قوله الظن بآل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان . .

(ومن ذهب للنجاة الكاملة لموتهما قبل البعثة . ولا تعذيب قبلها أبدا للنص القرآنى الكريم) ومن نص على النجاة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر وابن شاهين فى الناسخ والمنسوخ والحافظ الخطيب البغدادى فى السابق واللاحق والحافظ الدارقطنى وابن عساكر فى غرائب مالك والسهيلى فى الروض الأنف وابن سيد

Marfat.com

الناس فى سيرته والباجى فى شرح الموطأ وناصر الدين بن المنير فى المقتفى فى شرف المصطفى والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى والأبى فى شرح مسلم وسبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان ، وأخرج ابن سعد فى شرف النبوة والملا فى سيرته عن عمران ابن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتى فأعطانى ذلك . وقد نقل الزركشى عن ابن دحية أن من شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم التخفيف عن أبى لهب فى كل يوم اثنين لسروره بمولده وإعتقاقه ثويبية حين بشرته الخ .

وفى ص ٢٤ س ٢٢ — أرجف القوم فى الشىء وبه إرجافا أكثروا من الأخبار السيئة حتى يضطرب الناس منها وعليه قوله تعالى (والمرجفون فى المدينة) .

وفى ص ٦٢ س ١٩ — قال صاحب الإفصاح اعلم أن خروج الروح عند دعاء الملك له من جنس دعاء الحاوى للحية من جحرها . فأما المؤمن فيتهوع نفسه أى يستدعى إخراجها . إذا التهوع إنما هو استدعاء القىء للبروز . وأما الكافر فيتبلع روحه . والتبلع رد الجسم الذى فى الفم الخ تربع معناه تعود وترجع قال الشاعر :

طمعت بنيلى أن تربع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

وفى ص ٩٨ س ١ — قوله صلى الله عليه وآله وسلم بأصابعه . يعنى أنه شبك أصابعه تشبيها بما حدث .

و ص ١٠٠ — (ضمة القبر) الفرق بين ضم القبر للمؤمن والكافر هو دوامه للكافر وحصوله للمؤمن أول نزوله فقط ثم يفسح له . لأن المرء لابد أن يخطىء (كل بنى آدم خطاء) فجعلت الضمة جزاء لها ثم تدركه الرحمة .

و ص ١٠٣ — عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه ـ وفى رواية ما نيح عليه رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والنسائى . وقال بالنياحة عليه . وعن المغيرة بن شعبة قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة . البخارى ومسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ورن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده فقال أيسوا

Marfat.com

أن تردوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا . ولكن افتنوهم فى دينهم وافشوا فيهم النوح . رواه أحمد بإسناد حسن . وعن أنس بن مالك رفعه : صوتان ملعونان فى الدنيا والاخرة . مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة . رواه البزار ورواته ثقات.

وفى ص ١٠٣ — (الإغماء) وعبد الله بن رواحه : وفى رواية فقال يارسول الله أغمى على فصاحت النساء واعزاه واجبلاه فقال ملك معه مرزبة فجعلها بين رجلى . فقال أنت كما تقول ؟ قلت لا ، ولو قلت نعم ضربنى بها .

و ص ١١٤ س ١٠ — الشعوف بشين معجمة وعين مهملة قال أهل اللغة هو الفزع حتى يذهب بالقلب .

و ص ١١٩ س ١٠ — قوله (واتى به غيره على الكمال) هذا هو الصواب لاتفاق أكثر الاحاديث عليه . نعم يؤخذ منها خصوصا من رواية أبى داود عن أنس رضى الله عنه فما يسأل عن شىء غيرها فلا يسأل عن شىء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة . وصرح به فى رواية البيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا الاية) قال الشهادة يسألون عنها فى قبورهم بعد موتهم . قيل لعكرمة ما هو يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر التوحيد .

وفى ص ١٣١ س ٢٠ ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما فى الحفظة ونحوهم صرح بذلك الحليمى

و ص ١٥١ س ١٦ — هذا الحديث يشعر بنفى عذاب القبر وفى الحديث قبله نفى الفتنة وصرح بهما معا فيما أخرجه حميد بن زنجويه فى ترغيبه من طريق ابن جريج عن عطاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقى عذاب القبر وفتنة القبر ولقى الله ولا حساب عليه . وجاء يوم القيامة ومعه شهود فيشهدون له : ومن تتمة ذلك أن من مات يوم الجمعة له أجر شهيد . فكان على قاعدة الشهداء فى عدم السؤال . . قال ذلك السيوطى رحمه الله .

و ص ١٥٢ س ٨ — وما نقله عن الحكيم الترمذى فى توجيه حديث الشهيد

Marfat.com

يقتضى اختصاص ذلك بشهيد المعركة لكن قضية أحاديث الرباط التعميم فى كل شهيد .. وقد جزم شيخ الإسلام ابن حجر فى كتاب بذل الماعون بأن الميت بالطعن لا يسأل . لأنه نظير المقتول فى المعركة وبالصابر فى الطاعون محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب له إذا مات فيه بغير طعن لا يفتن أيضا لأنه نظير المرابط وهو متجه جدا .

وروى أنس مرفوعا ما مات مخضوب ولادخل القبر الا ومنكر ونكير لا يسألانه . يقول منكر يانكير أنت سائله قال كيف أسأله ونور الإسلام عليه . وقيل فى إسناده داود بن صفير منكر الحديث . أقول قوله نور الإسلام يفسره ماثبت فى الحديث الصحيح أن اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم . وقال غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى .

ويحمل على من كانت نيته بذلك الخضاب المحافظة على السنة جعلنا الله من العاملين بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أبى إمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال يامعشر الأنصار حمر أو صفر أوحمروا وصفروا أو خالفوا أهل الكتاب .

(وإذا كان النهى عن ترك بياض الشيب وهو ليس من فعلنا فكيف نقدم على فعل من أفعالهم) .

طريفة تاريخية : دخل القاضى عياض رحمه الله تعالى مرة قرطبة فجاء أعيانها يسلمون عليه وفيهم الحافظ البطروجى وكان يخضب . فلم يوفه القاضى حقه من الاحترام ، فقال له أتعرفنى ؟ فقال القاضى ولا أنكرك . فقال أنا أحمد البطروجى فقام إليه وسلم عليه وقال كالمعتذر إنما تنكرت على بالخضاب الاحمر . فجعل الحافظ يذكر من خضب من الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليهم أجمعين وتسمية من خضب فى الصحابة بموالهم ووفياتهم . ثم من خضب من التابعين ومن بعدهم . وعين من استحب ذلك منهم ومن كرهه . وبين أدلة الفريقين فانصت له القوم واعترفوا بعجيب حفظه والمجلس غاص بأعلام الاندلس . والحق أن هذا الحفظ

Marfat.com

غريب جدا بالنسبة إلى ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخطابهم من جهة الإطلاع عليه والإعتناء بحفظه وضبطه . . (جزاهم الله عن الأمة المحمدية خير الجزاء) .

و ص ١٧٦ س ٦ — ضعيف تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير وبالاخر يزيد الرقاشى وهما متروكان .

و ص ١٨٠ س ٢٢ — الطرائيث جمع طرثوث نبات دقيق مستطيل يضرب إلى الحمرة وهو دباغ للمعدة يجعل فى الأدوية . منه مر ومنه حلو . وقال الأزهرى الطرثوث الذى فى البادية لا ورق له ينبت فى الرمل لا حموضة فيه وفيه حلاوة مستدير الرأس .

و ص ٢١٩ س ٤ — كأنه بذج . البذج الذليل . والبذج ولد الضـــأن وجمعه بذجان .

و ٢٣١ س ١٩ — يوم لابيع فيه . أى فيبتاع المقصر ما يتلا فى به تقصيره أو يفتدى به نفسه . والمراد والله أعلم بمراده نفى عقد المعاوضة بالمرة . وتخصيص البيع بالذكر للايجاز البليغ فى نفى العقد إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه . وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البايع . .

و ٢٣١ س ٢٣ — لاريب فيه . إن قيل كيف نفى الريب وكم ضال أرتاب نقول أى أنه ليس محلا للريب . أو لاريب فيه عند الله ورسوله والمؤمنين . أو ذلك نفى بمعنى النهى . أى لاترتا بوافيه لأنه من عند الله الحق كقوله تعالى «ان الساعة آتية لا ريب فيها » .

ص ٢٤٤ س ٦ — الكذبات هى معاريض فقط وفى الحديث : أن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب .

ص ٢٤٤ س ١٤ — قوله فيأتونى فالحكمة فيه والله أعلم ورسوله . أن الله المهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله عليهم ابتداء إظهارا لمنزلته وفضيلته فانهم

لو سألوه ابتداء لاحتمل أن غيره يقدر على هذا الأمر العظيم . فلما سألوا وحصل الامتناع ثم سألوه هو فاجاب فوراً وشفع وشفع وحصل غرضهم فهو النهاية فى ارتفاع المنزلة وكمال القرب . فهو بلاشك أفضل الخلق على الاطلاق صلى الله عليه وآله وسلم وأجزه عنا أفضل ماجوزى نبي عن امته .

ص ٢٤٤ س ١٥ غفر الله لك فمعناه عصمته من ذلك مطلقا . وقيل المراد ذنوب أمته صلى الله عليه وسلم .

ص ٢٥٢ — يدنى أى يقرب قرب كرامة لاقرب مسافة تعالى الله علوا كبيرا . . وقيل هو العرض للحساب اليسير فى الاية

ص ٣٠٨ س ٩ — الصحيح أن صالحا عليه السلام له حوض كبقية الانبياء عليهم السلام .

ص ٣٦٠ س ١١ — يوجد مربعان للجنة والنار ويلاحظ بالمربع الثانى لفظ الجلالة بدل كلمة (الشهوات) أو السهوات بالمهملة وإن كان هكذا بالاصلين اللذين نقلنا عنهما وهذا ماأراه .

ص ٣٨٦ س ٢١ — قول المؤلف رحمه الله تعالى ومثله لايقال من جهة الرأى الخ أقول بل هى أخبار لاصحة لامثالها أبداً وقد ولع بعض الوعاظ أن يضربوا فى الاسرائيليات تخويفا للناس ليحملوهم على الطاعة والاستقامة والله أعلم بغيبه .

ص ٤٤٠ س ٢٥ — بعد كلمة وكذا كل ماجاء مثنى بعد . . والذى أراه أحق فى تخصيص معنى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أن خشية الله تعالى إذا خالطت شغاف القلوب المؤمنة اكسبتها رضاها التام عن ربها الحكيم فتطمئن الجوارح وتسكن . فتكون فى جنة رضاها فى هذه الدار (الدنيا) وجنة عقباها فى تلك الدار . وهاتان هما الجنتان فيما أراه . وفقنا الله تعالت قدرته الرضى حتى نستحق جنتيه فى الأولى والاخرة .

ص ٤٧٤ س ١٧ — ذكر الميانشى فى حديث جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أهل الجنة مرد الاموسى بن عمران عليه السلام فان له

Marfat.com

لحية إلى سرته هكذا .. نقول أن اختصاص موسى عليه السلام باللحية فى الجنة لم يرد به حديث صحيح أصلا وإنما هو من الاسرائيليات فقط ومع هذا إذا أردنا توجيه هذا الخبر على ما بيناه فالحكمة فيه مع ذلك أن سيدنا موسى عليه السلام لما ذهب إلى فرعون واخبره أنه رسول الله اليه بأمرة بتوحيده وعبادته: أمسك فرعون بلحيته استصغارا له (كعادة المصريين الآن) وقال له امتنانا عليه : ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . . فكانت لحيته أول شيء اهين فى الله فجوزى ببقائها فى الجنة . وهذا كما اختص أيضا بأنه لا يصعق إذا صعق الناس عند النفخة لأنه جوزى بصعقته حين تجلى الله للجبل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) ولم يحصل لنبي قط أن اهين فى لحيته غيره . ولو كان بقاؤها اعلو المنزلة أو الوقار لكان أولى بها أدم أو نوح أو إبراهيم عليهم السلام . والحمد لله على ما الهم وعلم اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا مايتفعنا وزدنا علما . . ترويحة :

حلقت لحية موسى باسمه وبهارون إذا ما قلبا

(موسى إسم ألة الحلاقة وإذا قلب هارون صار نوره وهى مادة تزيل الشعر بغير حديدة الموسى) .

وفى ص ٥٦٣ — ذكرت فى التعليق على قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أنك لاتدرى ماأحدثوا بعدك الخ فى حديث الحوض ولم ابين معناه المطلوب لأن هذه الجملة بظاهرها تشعر بعدم علمه صلى الله عليه وسلم بأحوال امته بعده . مع أن الثابت بالتواتر الصحيح خلاف ذلك . والجواب والله سبحانه أعلم أن فى الكلام استفهاما محذوفا . تقديره أتنك لاتدرى ما احدثوا بعدك ؟ وبيان المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين يرى طائفة من أصحابه تذاد عن الحوض . تأخذه الشفقة عليهم فيدعوهم إليه ويتوجه إلى الله تعالى شافعا لهم فيقول (يارب أصيحابى) راجيا لهم المغفرة - فينسى - وهو فى غمرة الرجاء ما كان يعلمه عنهم فيذكره الله بقوله أتنك لاتدرى ما احدثوا بعدك أى أنسيت ما أحدثوا مما عرض عليك من أعمالهم فيتذكر ويجيب بقوله (سحقا لمن بدل بعدى) مكررا لهذه الجملة تأكيدا لكونه تذكر ما أنسيه من أعمالهم . وهذا كما ينسى الرسل عليهم السلام حين يسألهم الله

سبحانه : ماذا اجبتم قالوا لاعلم لنا أنك أنت علام الغيوب . مع أنهم كانوا يعلمون ماذا اجيبوا لـكثهم نسوا للرهبة ورسولنا صلى الله عليه وسلم نسي للرغبة . فبين المقامين تفاوت كبير كما لايخفى ويظهر وجه أخر من التأويل وهو أن يكون النفى ليس مسلطا على علمه أحوالهم . بل على العلم بعقابهم وفى الكلام مضاف محذوف تقديره . إنك لاتدرى جزاء ما احدثوا بعدك ؟ أى أن جزاء ما أحدثوا شديد لاتعلمه . فيكرر النبي صلى الله عليه وسلم قوله (سحقا سحقاً لمن بدل بعدى) مستعظما لجزائهم المدخر لهم . ولاشك أن مقدار الجزاء على كل عمل مما اختص الله تعالى بعلمه . وقد صح فى الحديث : أن الله يعطى لأهل الجنة مالاعين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . (جعلنا الله منهم بفضله) ومثل ذلك يقال فى أهل النار والعياذ بالله تعالى . وعلى كلا الاحتمالين فالسر فى جواب الله لرسوله بالجملة المذكورة . الاشارة إلى أنه لابد من عذابهم على ما احدثوا . فكانه يقول على المعنى الأول أذكرك بعملهم لتتأكد تحتم عقابهم . وعلى المعنى الثانى كانه يقول لاتدرى عظم جزاء ما احدثوا وتحتمه . والله أعلم .

وفى ص ٥٧٧ س ١٢ - من رواية عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواية مسلم) وقول عبد الرحمن بن عبد الله رب الكعبة له ناشدتك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فاهوى إلى أذنيه وقلبه بيده وقال سمعته أذناى ووعاه قلبي. فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن ناكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا . والله عزوجل يقول يا أيها الذين أمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم الآية . فسكت ساعة ثم قال أطعه فى طاعة الله واعصه فى معصية الله . . فالعجب ممن ينحرف عن الحق الواضح ويدافع بالباطل لهوى النفس المريضة ستر المواقف مخزية مثل ابن حجر الهيتمى الناصبى (فى كتابه تطهير الجنان) وقد اعجبنى رد السيد أبو بكر بن شهاب الحسنى رضى الله عنه فى قوله :

لا تنكر واجمع تطهير الجنان ولا مدحا به كذبا فيمن بغى وجر
فإنما طينة الشيخين واحـــدة ذاك ابن صخر وهذا المادح ابن حجر

Marfat.com

ويقول الحسن البصرى رأس السادة الصوفية رضى الله عنه : مصارعة الفاسق قربان إلى الله عزوجل .

وروى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه أسر إلى الربيع أن أربعة من الصحابة لاتقبل لهم شهادة ابدا معاوية وعمرو والمغيرة وزياد اه من كتاب روضة الناظر فى أخبار الأوائل والأواخر للعلامة الكبير أبى الوليد ابن محمد بن الشحنه بهامش الجزء الثامن من تاريخ ابن الاثير ص ٣ من الطبعة الأميريه اه (أقرا بعد هذا البحث فى الفرق بين الشهادة والرواية) وسئل الإمام أحمد رحمه الله : أيؤجر الرجل على بغض من خالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ فقال إى والله . . .قالت السيدة عائشة رضى الله عنها دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فالقى عليهم ثوبافقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فدنوت منه فقلت يارسول الله . وأنا من أهل بيتك . فقال تنحي فانك على خير . . رواه عبدالرزاق وابن أبى شيبه واحمد ومسلم وابن جرير وابن أبى حاتم واللفظ له والحاكم والبيهقى فى الدلائل والشعب وغيرهم باختلاف يسير .

سئل الامام على كرم الله وجهه ايمكن أن يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على باطل ؟ فاجاب عالم الأمة بعد نبيها بقوله : أنك لملبوس عليك . أن الحق والباطل ليعرفان باقدار الرجال . أعرف الحق تعرف أهله . وأعرف الباطل تعرف أهله وماأعرف جوابا مسكتا حقا أروع من هذا الجواب الذى لايعصم من الخطأ أحدا مهما تكن منزلته غير المعصوم صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادى الله من عادى عليا . وقال فى رواية أخرى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . إلى أخر ماجاء من الاحاديث الصحاح خصوصا مسند الإمام أحمد والنسائى .

لقد رابنى من عامران عامرا بعين الرضى يرنو إلى من جفانيا

Marfat.com

اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين . سلما لأوليائك . وعدوا لأعدائك . نحب بحبك من أحبك ونعادى بعداوتك من خالف أمرك . اللهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان .

Marfat.com

Marfat.com